

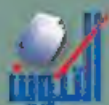
١٥ الأعمال الكاملة

فراس السواح

# موسوعة تاريخ الأديان

الشرق القديم

الكتاب الثاني



# **موسوعة تاريخ الأديان**

**الكتاب الثاني**

---

**مصر - سورية - بلاد الرافدين  
العرب قبل الإسلام**



# موسوعة تاريخ الأديان

الكتاب الثاني

---

## مصر - سورية - بلاد الرافدين العرب قبل الإسلام

تحرير  
فراس السواح

المترجمون

محمود منقذ الهاشمي

فاروق هاشم

فانر ديب

ديميتري أفينيريوس

عبد الرزاق العلي

نهاد خياطة



الطبعة الرابعة 2017

© حقوق النشر والترجمة والاقتباس محفوظة

لـ دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر

هاتف: 00963 112236468

فاكس: 00963 112257677

ص. ب: 11418، دمشق - سوريا

[taakwen@yahoo.com](mailto:taakwen@yahoo.com)

## مقدمة

### لطبعة الأعمال غير الكاملة

عندما وُضعت أمامي على الطاولة في دار التكوين كومة مؤلفاتي الاثنین والعشرين ومخطوط كتاب لم يُطبع بعد، لنبحث في إجراءات إصدارها في طبعة جديدة عن الدار تحت عنوان الأعمال الكاملة، كنت وأنا أتأملها كمن ينظر إلى حصاد العمر. أربعون عاماً تفصل بين كتابي الأول مغامرة العقل الأولى والكتاب الجديد «الله والكون والإنسان»، ومشروع تكامل تدريجياً دون خطبة مسبقة في ثلاث وعشرين مغامرة هي مشروع المعرفي الخاص الذي أحيت أن أشرك به قرائي. وفي كل مغامرة كنت كمن يرتاد أرضاً بكرةً غير مطروقة ويكتشف مجاهيلها، وتقودني نهاية كل مغامرة إلى بداية أخرى على طريقة سندباد الليالي العربية. ها هو طرف كتاب مغامرة العقل الأولى - دراسة في الأسطورة يدولي في أسفل الكومة. أسحبه وأتأمله، إنه في غلاف طبعته الحادية عشرة الصادرة عام 1988 والتي عاد ناشرها إلى غلاف الطبعة الأولى الصادرة عام 1976 الذي صممه الصديق الفنان إحسان عنتابي، ولكن ألوانه بهتت حتى بدت وكأنها بلون واحد لعدم عناية الناشر بتجديد بلاكاتها المتآكلة من تعدد الطباعات التي صدرت منذ ذلك الوقت. وفي حالة التأمل هذه، يخطر لي أن هذا الكتاب قد رسم مسار حياتي ووضعني على سكة ذات اتجاه واحد. فقد ولدت نتيجة ولع شخصي بتاريخ الشرق القديم وثقافته وانكباب على دراسة ما أنتجت هذه الثقافة من معتقدات وأساطير وآداب، في زمن لم تكن فيه هذه الأمور موضع اهتمام عام، ولكني لم أكن أخطط لأن أغدو متخصصاً في هذا المجال، ولم أنظر إلى نفسي إلا كهوا عاكف بجذ على هوايته. إلا أن النجاح المدوي للكتاب الذي نفذت طبعته الأولى الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق في ستة أشهر، ثم تابعت طبعاته في بيروت، أشعرتني بالمسؤولية، لأن القراء كانوا يتوقعون مني عملاً آخر ويتلهفون إليه.

إن النجاح الكبير الذي يلقاه الكتاب الأول للمؤلف يضعه في ورطة ويفرض عليه التزامات لا فكاك منها، فهو إما أن ينتقل بعده إلى نجاح أكبر أو يسقط ويؤول إلى النسيان عندما لا يتجاوز نفسه في الكتاب الثاني. وقد كنت واعياً لهذه الورطة ومُدركاً لأبعادها، فلم أنعجل في العودة إلى الكتابة وإنما تابعت مسيرتي المعرفية التي صارت وفقاً على التاريخ العام والميثولوجيا وتاريخ الأديان. وعاماً بعد عام، كان كتاب لغز عشتار يتكامل في ذهني وأعدت له كل عدة ممكنة خلال ثمانية أعوام، ثم كتبه في عامين ودفعته إلى المطبعة فصدر عام 1986، أي بعد مرور عشر سنوات على صدور الكتاب الأول. وكان نجاحاً مدوياً آخر فاق النجاح الأول، فقد نفذت طبعته الأولى، 2000 نسخة، بعد أقل من ستة أشهر وصدرت الطبعة الثانية قبل نهاية العام ثم تالت الطبعات.

كان العمل الدؤوب خلال السنوات العشر الفاصلة بين الكتابين، والذي كان لغز عشتار من نواتجه، قد نقلني من طور الهواية إلى طور التخصص، فتفرغت للكتابة بشكل كامل ولم أفعل شيئاً آخر خلال السنوات الثلاثين الأخيرة التي أنتجت خلالها بقية أفراد أسرة الأعمال الكاملة، إلى أن دعيتي جامعة بكين للدراسات الأجنبية في صيف عام 2012 للعمل كمحاضر فيها، وعهدت إلي بتدريس مادة تاريخ العرب لطلاب الليسانس ومادة تاريخ أديان الشرق الأوسط لطلاب الدراسات العليا، وهناك أنجزت كتابي الأخير «الله والكون والإنسان». على أنني أفضل أن أدعو هذه الطبعة بالأعمال غير الكاملة، وذلك على طريقة الزميلة غادة السمان التي فعلت ذلك من قبلي، لأن هذه المجموعة مرشحة دوماً لاستقبال أعضاء جدد مازالوا الآن في طي الغيب.

وعلى الرغم من أنني كنت أخطب العقل العربي، إلا أنني فعلت ذلك بأدوات ومناهج البحث الغربي، ولم أكن حريصاً على إضافة الجديد إلى مساحة البحث في الثقافة العربية، قدر حرصي على الإضافة إلى مساحة البحث على المستوى العالمي، وهذا ما ساعدني على اختراق حلقة البحث الأكاديمي الغربي المغلقة، فدعاني الباحث الأميركي الكبير توماس تومبسون المتخصص في تاريخ فلسطين

القديم والدراسات التوراتية إلى المشاركة في كتاب من تحريره صدر عام 2003  
عن دار T & T Clark في بريطانيا تحت عنوان:

### Jerusalem in History and Tradition

ونشرت فيه فصلاً بعنوان:

### Jerusalem During the Age of Judah Kingdom

كنت قد تعرفت على تومبسون في ندوة دولية عن تاريخ القدس في العاصمة  
الأردنية عمان عام 2001، شاركت فيها إلى جانب عدد من الباحثين الغربيين في  
التاريخ وعلم الآثار، وربطت بيننا صداقة متينة استمرت بعد ذلك من خلال  
المراسلات، إلى أن جمعتنا مرة ثانية ندوة دولية أخرى انعقدت في دمشق بمناسبة  
اختيار القدس عاصمة للثقافة العربية، وكانت لنا حوارات طويلة حول تاريخ  
أورشليم القدس وما يدعى بتاريخ بني إسرائيل، واختلفنا في مسائل عديدة أثارها  
تومبسون في ورقة عمله التي قدمها إلى الندوة. وكان الباحث البريطاني الكبير كيث  
وايتلام قد دعا كلينا إلى المشاركة في كتاب من تحريره بعنوان:

### The Politics of Israel's Past

فاتفقنا على أن نشر هذه الاختلافات في دراستنا اللتين سُشِرنا في ذلك  
الكتاب، وهكذا كان. فقد صدر الكتاب الذي احتوى على دراساتٍ لباحثين من  
أوروبا وأميركا عام 2013 عن جامعة شيفلد ببريطانيا، وفيه دراسة لي عن نشوء  
الديانة اليهودية بعنوان:

### The Faithful Remnant and the Invention of Religious Identity.

خصصتُ آخرها لمناقشة أفكار تومبسون، ولتومبسون دراستان الأولى  
بعنوان:

### What We Do And Do Not Know About Pre-Hellenistic Al-Quds.

والثانية خصصها للرد عليّ بعنوان:

### The Literary Trope of Return - A Reply to Firas Sawah.

أي: العودة من السبي كمجاز أدبي - رد على فراس السواح.

الكتاب يُشبه الكائن الحي في دورة حياته ، فهو يُولد ويعيش مدة ثم يختفي ولا تجده بعد ذلك إلا في المكتبات العامة ، ولكن بعضها يقاوم الزمن وقد يتحول إلى كلاسيكيات لا تخرج من دورة التداول. وقد أطلال القراء في عمر مؤلفاتي حتى الآن ، ولم يختف أحدها من رفوف باعة الكتب ، أما تحوّل بعضها إلى كلاسيكيات فأمرٌ في حكم الغيب.

فإلى قرائي في كل مكان أهدي هذه الأعمال غير الكاملة مع محبتي وعرفاني.

فراس السواح

بكين ، كانون الثاني - يناير 2016

## مقدمة المحرر

طالما داعبتُ خيالي فكرة كتابة موسوعة ميسرة في تاريخ المدين، تعرض أديان الثقافات الإنسانية المتعاقبة، أو بالأحرى الثقافة الإنسانية في أطوارها المتعاقبة، إذ لا وجود في اعتقادي لثقافات مختلفة، بل لثقافة واحدة، وما الاختلاف الذي تبديه الثقافات الإنسانية، أو أديانها (التي تشكل لبابها وجوهرَ تميزها)، إلا انعكاساً لحركة الثقافة الواحدة في تفتحها التدريجي، وإبداعها الذاتي الدائم وحركتها عبر الزمان واختلاف البيئة والمكان.

ولكن كلما تقدم عهدُ تلك الفكرة عندي، وتقادمتُ، وزاد اطلاعي على دين البشر والتأمل فيه، تبين لي أكثر فأكثر صعوبة تلك المهمة البروميتية يقوم بها فرد واحد في عصر انفجار المعلومات الذي نعيشه، كانت النظريات في الماضي تتقدم المعلومات وتوجه القائمين على تحصيلها. أما الآن فإن النظرية تلهث وراء المعلومات، ويجد الباحث نفسه عاجزاً عن رمي شبكته منفرداً في القاع المعلوماتي العميق مدعياً مقدرته على الإحاطة، كما في الماضي، بكل جوانب الحقل المعرفي الذي ينتمي إليه.

إنني أنتمي إلى جنس شارف على الانقراض من الباحثين الشموليين الذين لا ينظرون إلى الجزء إلا في علاقته بالكل الموحد، ولا يقنعون في معالجة مادتهم المعلوماتية إلا بدراسة أفقية وعمودية، محيطية، تضيء كل جوانب الموضوع، وتتخذ فيها كل معلومة معناها من السياق العام للمعنى الإجمالي. ونحن في مقابل الحذر العلمي المتحذلق الذي يباهي به المتخصصون في حقول ضيقة، نغامر بطرح نظريات وفرضيات تفسر وتربط، ولكنها في الوقت نفسه مفتوحة على النقد وحتى على الدحض لا يهم. المهم هو أن لا تتوقف عن التفكير. ولكنني في الوقت نفسه على درجة من الواقعية تجعلني أؤمن بأن موسوعة في تاريخ الأديان اليوم لن تؤدي مهمتها إلا بتعاون وتضافر الجهود ومساهمة الاختصاصيين في تلك الحقول الضيقة رغم ما يحمله ذلك كله من

اختلاف في المواقف والآراء تُعقد العمل الكثير من التدغم والاحتباس الذي يميز عمل المؤلف الواحد. وهذا ما شرعت به الآن. لقد صحيت بالمنظور الشمولي الواحد لصالح التعدد، وباسطرية الموحدة لصالح تجالّد الأفكار في حله مفتوحة

تقع موسوعتنا هذه في نقطة الوسط بين ما يشهه الصواميس من المؤلفات التي صدرت في مجلد واحد ترحم بعضها إلى العربية وبين الموسوعة المحيطة التي تقدم كل شيء تقريباً، ولديها عنها حتى الآن نموذج واحد فقط، هو 'موسوعة الأديان' التي صدرت عن دار ماكميلان عام 1987 في ستة عشر مجلداً ضخماً اشرف على تحريرها ميرسيا إلياد وساهم في كتابة موادها لا عشرات الباحثين بل المئات منهم من كل أنحاء العالم. من هنا يمكن وصف موسوعتنا بالمختصرة لأنها لن تتوقف إلا عند المحطات المهمة في تاريخ الأديان ولاحتصارها لا يعني الاغضاب وإنما الاختصار وليسوف تان كل محطة توقف عندها خطها بما يساس مع أهميتها وسعة انتشارها ودوام أثرها

ولقد عمدت إلى جميع مواد الموسوعة من عدد متنوع من المراجع الموسوعية والمتخصصة، متبعاً في اختيار كل مادة معيار المستوى العلمي وبساطة لتناول وحسن التوصيل، مع النصيحة أحياناً بهذا الجانب على حساب الآخر، لأن الموسوعة موجهة إلى أوسع شريحة ممكنة من القراء، قد تتفاوت عناصرها من طلاب وأساتذة الدراسات العليا إلى القارئ العادي. غير المتخصص والراغب في الاطلاع ولا شك في أن إرضاء كل لفئات أمر يصعب بلوغه ولكن بمكسر قدرته قد يجد القارئ غير المتخصص في بعض الموضوعات صعوبة، وقد يجد المتخصص في بعضها الآخر تبسيطاً، ولكن لا بد مما ليس منه بد، والكمال صفة لا تنتمي إلى عالم الإنسان.

ومع تعدد المساهمين في مواد الموسوعة، حرصت أيضاً على تعدد المترجمين الذين عهدت إليهم بالمادة كل حسب ميله وحليته ومزاجه. وقدمت إليهم ما استطعت من مشورة وتعاون خليف بأن يجعل من موسوعتنا ثمرة تعاقد جمهرة من الباحثين الكبار، والمترجمين الأكفاء الذي عملوا معي بداعي المسؤولية العلمية والرغبة في رؤية هذا العمل مطبوعاً ومشرعاً على أوسع نطاق

فراس السواح

# الباب الأول

## ديانة مصر القديمة



## الديانة المصرية

### إطالة عامة

يسود الاعتقاد لدى الباحثين في الديانة المصرية القديمة، بأن الإله سيت هو أدم الآلهة المصرية المعروفة لما من العترات التاريخية. فلقد كان هذا الإله هو المعود الرئيسي للسكان الأصليين قبل «ستهلال عصر الأسرات الأولى عند أعب الألف الثالث قبل الميلاد، وهو العصر الذي ترافق مع حلول أقوام حديده وفدت إلى مصر من سوريا حاملة معها معتقدات دينية جديدة، ومهدت لتشكيل أسس أول مملكه موحدة لمصر القديمة. ولقد تسربت هذه الأقوام إلى منطقة الدلتا في أواخر الألف الرابع قبل الميلاد، وأحدثت تبسط سلطتها تدريجياً باتجاه مصر العليا، محصنة اسكان الأصليين وصولاً إلى شلال النيل الأول في أقصى الجنوب. ويبدو أن هذا التوسع قد تم في البداية تحت قيادات قبلية متفرقة، ثم انتهى بتشكيل مملكتين واحدة جنوبية في مصر لسفلى وأخرى شمالية في مصر العليا ومع مطلع الألف الثالث قبل الميلاد قام ملك مصر لعيا المدعو نارمر (أو مينا، وفق المؤرخ المصري المتأخر مانيتو)، بتوحيد الإقليمين وأسس أول اسره حاكمه في التاريخ المصري

وقد ترافق سبط بسلطة السياسية للجموعات الحديده مع بشر معتقداتها الدينية، وراح يهيم الاعلى المدعو حوروس<sup>(1)</sup> ينفس إله السكان لأصليين المدعو سيت في كل مكان وبذلك تم لتأسيس ثنائية سيت- حوروس التي استمرت دعله في الديانة لمصرية حتى نهائات التاريخ المصري. لا نستطيع رسم معالم واضحة لشخصية الإله سيت في طوره القديم السابق لعصر السلالات قبل انتشار عادة الإله حوروس، ولكن نصوص الأهرام (وهي أقدم النصوص

---

(1) والاسم في بعض للغات السامية يعني لصقر وهو منداون إلى الآن بصيغة: الحُر

الدينية المصرية، وترجع بتاريخها إلى أواسط الألف الثالث قبل الميلاد) تقدم لنا الصورة اللاحقة له بعد أن تم إنزاله إلى المرساة الثانية، فصار مجسداً لكل القوى السالبة في الكون وفي حياة الطسعة، في مقدس حوروس الذي صدر مجسداً لكل القوى الموجبة. وتحلى هذه الصورة ابدئية للسلب والإحباط في ثاثة السور والظلام، والنظام والفوضى، وما يضوي تحتها من ثنائيات فالإله حوروس هو سيد السماء، والشمس التي تهب الحياة وتعكس بحرقتها الثابتة نظام الكون الدقيق، أما الإله سبت فهو العدو الأول للشمس وللصوء بجمع أشكاله، فهو الذي يحرف مسار الشمس باتجاه الحوب عقب الانقلاب الصيفي، ويسرق من نور القرص فتقصر ساعات النهار لحساب ساعات الليل وهو الذي يسرق من نور القمر عقب اكتماله بداراً مبتناقص ليلة بعد ليلة حتى ينطفئ في آخر الشهر القمري، ولكن الإله ثوث يعمل على إشعائه مجدداً في أول أيام الشهر التالي. وفي هيئة الوحش الحرافي آبيب، يقض سيب على قرص الشمس في نهاية رحلته النبيلة عبر المسار السفلي، ليطفئه ويصع من الشروق مجدداً، مستخدماً أسلحة الصلّام والمطر ولعيوم والضباب، ولكن حوروس (أورع في الأساطير اللاحقة) يتصدى له متسلحاً بالحر اللاهب وبسهم الصوء النافذة، وبعد صراع مرير يقع آبيب صريعاً وتتبعثر أشلاؤه، ولكنه بعد إفلات الشمس من قبضته إلى يوم آخر، يعود إلى جمع أعضائه بقواه الدينية ويجدد نفسه استعداداً للصراع التالي.

والإله سبت هو سيد العماء والشواش الذي يعارض نظام الطبيعة ويعمل على نشر العوضى، ومملكته تقع في الجهة الشمالية من السماء، وهناك يقيم في كوكبة الدب الأكبر. وكانت جهة لشمال عند المصريين، وخصوصاً سكان مصر العليا، هي إقليم الظلام وأسرد والمطر والصباب والبروق والرعود، ومنه تأتي العواصف والأعاصير وجميع هذه الظواهر الطبيعية (التي لم تكن تتصل بالخصب نظراً لاعتماد ابرراعة في وادي النيل على الفيض السوي للنهر) كانت تحت سيطرة الإله سبت، وبها يهدد استقرار الطبيعة ولكن الإلهة ريريت، التي تمثلها الرسوم المصرية على هيئة حريت نذري امرأة، كانت موكلة بتعيد هذه القوى الصلّامية بالسلاسل ومعها من اسيادة على الأرض والسماء، كما كانت

تسمح طريقاً في الأعالي لمسار الشمس التي قرنتها بالصومس المنكرة بالإله حوروس وإلى جانب ريريت هالك أولاد حوروس الأربعة الموكلون أيضاً بكف أذى سبت ولحم قواه لمؤدية، وهم يرهبونه على لدوم ويظهرون على شكل أربعة نجوم تدور خلف نجم الزاوية في كوكب الدب لأكر، وهو النجم المدعو بركبة الإله سبت.

لا يوحد اتفاق بين الباحثين حول المعنى الدقيق للاسم سبت ولكن البعض يرى اعتماداً على المقارنة مع اللغة الفظية أن الكلمة تتضمن معنى الأسفل، مثلما تتضمن كلمة حوروس معنى الأعالي، فحوروس هو ساكن الأعالي وسبت هو ساكن الأسفل. كما تساعدنا الإشارة اسمي نسق كلمة سبت في الكتابة الهيروغليفية<sup>(١)</sup>، على تبين خصائص وصلاحات أخرى للإله فالإشارة هنا هي نفس الإشارة التي تكتب بها كلمة الصحرة، وفي هذا دلالة غير مباشرة على ارتبط سبت بالأراضي لصخرة الجردء وبالصحارى لقاحلة وبالوادي والصحاف وهنا يخبرنا مؤرخ المصري مايتوبأن أية حمولة حورية كانت تدعى عظام الإله سبت. ورغم أن النصوص المصرية تطلق على سبت لقب الغدير والمردوح القوة والمحارب الجليل، إلا أن المؤرخ الإغريقي بلوتارخ يخبرنا في نصه المعروف عن إريس وأوزوريس أن الأسماء التي يطلقها لمصريون على هذا الإله نظوي جميعها على معاني القوة السالبة والمعتلة والكاحنة والمخربة.

فنحن هنا أمام قطبية كونية لا نحمل أية دلالة قيمية. لقد نأمل المصريون الكون وحياة الطسعة من حولهم، ورأوا في قوتس ساريتين متعارضتين ومعاونتين في الوقت نفسه، ورأوا في الطور جميعها نتاحاً لتداخل هاتين الفوتين وفعلهما المشترك. من هنا لا عجب إذا رأيت أن الأعمال الفنية في مطلع عصر الأسرات تمثل الإلهين سبت وحوروس في حسد وخذل يحمل رأسين واحداً لحوروس وواحداً لسبت، أو واحداً لصقر وهو رمز حوروس وواحداً

---

(١) في الهيروغليفية المصرية، وفي المصرية المقطعية ايريدية، يجري استعمال إشارات منه من بعض الكلمات ذات اللفظ المشترك ولعنى المختلف، وذلك للتمييز بينها.

لحمار وهو رمز الإله ست ولا عجب أيضاً إذا قرأ فيصوص الأهرام أنهما يدعيان بالأخوين وبالتوأمين أيضاً، رغم العداء الأبدي بينهما وانصراف الدائم الذي لا يصل إلى نتيجة حاسمة، مثلما لا يصل التناقض بين القوتين لكوبيتين إلى إلعاء واحدة وسيدة لأخرى، لأنه لا عى عن صراعهم وعن تعاونهما من أجل صيرورة العمليات الحارية على مستوى الكون ومستوى الحياة الطبيعية

وبما أن سيادة إحدى القوتين الكوبيتين على لأخرى سوف يؤدي إلى احتلال نظام الكون، فإن الآلهة كانت تتدخل في صراع سيت وحوروس كما علا أحدهما على حصمه وأوشك أن يجهر عليه. ففي أكثر من نص نجد أن الإله ثوث يهت للفصل بين الخصمين عند وقوع أحدهما تحت وطأة الآخر، وهذا ما أعطاه لقب قاضي الإلهين المخاصمين. وفيصوص أخرى نجد الإلهة إيريس تهرع لمعدة سيت الذي كبلة حوروس بالأصفد وهمم بالإجهاز عليه، فتفت قبوده وتطيق سراحه. كما أن الرسوم الجدارية المصرية ورسوم البرديات ملأى بمشهد الصراع ومشاهد تدخل الآلهة الأخرى للفصل بين الخصمين أو لعون الخسر فهما وإلى جانب تمثيلها لجانب الساقض في علاقة الإلهين اسوأمين. فإن رسوم والمسحوت المصرية تعتمد إلى إظهار لوجه التحتي لأخر للعلاقة وهو وحه التعاون. ففي بحث بارر من مدينة طيبة نجد سيت وحوروس يقفان عن يمين ويسار لفرعون سيتي الأول ويصان على رأسه قربان ماء الحبة وفي عمل في آخر يجدهما يصعدان معاً تاج المملكة الموحدة على رأس الفرعون رمسيس الثاني، وتحب الشكل نقش "هبروغلفي يقول على لسان سيت "إني أثت التاح على رأسك. وإتي أهيك الحياة والقوة والصحة. ونقش" آخر يقول على لسان حوروس "إبي أهيك حبة تعادل حياة الإله رع، وسنوات بعدد سنوات الإله طيم" وفي عمل في ثلث نجد الإلهين بصحة الفرعون تحوتمس الثالث، وكل منهما يعلمه كيفية استخدام أحد الأسلحة.

احص الإله حوروس في الأعمال الفنية برمر حيواني واحد هو الصقر، بينما تعددت رموز الإله سيت. فمن رموز سيت الحمار، ومنها الأفعى التي تشير إلى سيت في شكل الوحش ككوبي أيب، ومنها الحنزير البري،

والعديد من المفترسات الجائعة مثل التمساح كما ساد الاعتقاد لدى المصريين بأن قوة الإله المدمرة تحل في بعض الحيوانات الشرسة مثل الكلاب والقطط البرية والسمور وما إليها وحررت العادة على تقديم القرابين من هذه الحيوانات، وذلك في الأوقات التي يبلغ فيها قوة الإله ميت ذروتها، مثل نهاية الشهر القمري عندما يكون الإله قد ابتلع نور القمر بكامله، ومثل الانقلاب الشتوي عندما يكون قد ابتلع ما استطاع من نور الشمس وقصّر الأيام المضيئة لصالح الليالي المظلمة. في مثل هذه المناسبات، وعند ذبح الحيوانات الممثلة لقوى ميت يخاطبها القائمون على الطقوس بقولهم: سوف نعمل على تقطيعكم وتمزيق أعضائكم بهذه الطريقة انتصر الإله رع على أعدائه جميعهم، بهذه الطريقة انتصر حيرو (=حوروس) الإله العظيم وسيد السماء على أعدائه جميعهم

حتى الآن، لا يبدو لنا أن ثنائية سيت-حوروس قد اتخذت مصمونا ثنويًا، سواء بالمعنى الجذري أم بالمعنى الأخلاقي ولم يضع الإله سيت بعدد قاع الشيطان الكوبي كمحسد لمبدأ الشر، بل هو القوة الكونية لسالبة معبراً عنها بلغة الرمز الأسطوري. وليس ما يعرّى إليه من سلوك "شرير" إلا ضروره من ضرورات التعبير الميثولوجي، الذي نرحم حركة الطواهر الكونية والطيعانية إلى إردات موراثية فاعلة في لعلم المتبدي فإد، ما جاز لنا التحدث عن "شر" متعلق بهذه الشخصية الإلهية الكبرى، فإنه "الشر" الطيعاني لمقابل "للخير" الطيعاني، وكلاهما مجرد من أنه فيمه أخلاقيه وتتبع ذلك بالطبع اعدام لصله بين "خير" و"شر" الإلهين، وبين مسألة الخير والشر على المستوى لاجتماعي الإله سيت "شرير" ولكنه ليس مبدأ مجرداً للشر، وليس صانعاً له في لتاريخ وفي النفس الإنسانية والمجتمع والإله حوروس "حير" ولكنه لا يدخل في التاريخ ولا يحفز على فصول الأعمال أو يستن شرعة أخلاقية فالأخلاق الاجتماعية عند هذه المرحلة من تطور الفكر الديني لدى المجتمعات القديمة، لم تكن (كما أسلف سابقاً) شأناً دساً ناهجاً عن جدلية العلاقة مع عالم الآلهة، بل شأناً ديويّاً ناهجاً عن جدلية الحياة الاجتماعية ومتطلباتها. كما نترتب على

غياب الصلة بين الأخلاق والدين فقدان الصلة بين الآخروية<sup>(1)</sup> والأخلاق، وخصوصاً التصورات لأخروية المتعلقة بمصير الروح وحياة ما بعد الموت فعند هذه المرحلة، لم يكن الخلود الفردي إلا وقفاً على الفرعون الذي هو ابن الإله حوروس ومثله على الأرض، كما أن حلود الفرعون نفسه لم يكن رهناً بسلوكه الأخلاقي، بل سلسله معقدة من الضفوس والصلوات والتعاويذ السحرية، ويعداد مقبرة باهظة التكاليف لمرقده الأخير

على أن هذه الفطية الطبيعية قد تحولت تدريجياً إلى نوع من اشوية الأخلاقية. وأخذت فكره الشيطان الكوبي تتصح شككها الحبسي مع اربط الأخلاق بالدين، وارتباط الآخروية بالأخلاق وسوف يسبح فيما يأتي مسار هذا التحول في تاريخ الديانة لمصرية، وبواعثه السياسية ولاقتصادية والاجتماعية.

خلال لمصف اثاني من الألف الرابع قبل الميلاد، كانت الحصار المصرية تنسلح عن العصر النيوليتي وتدحل العصر المديني<sup>(2)</sup>، مفتية بذلك إثر حضارة وادي الراقدين الجنوبي، وهي أول حضرة مديية في تاريخ الإنسان فخلال هذه المرة أحدات القرى البيوليسية التي لم تكن تخضع لسلطة مركزية، بالجمع في وحدات سياسية أكبر، وذلك من أجل تعزيز وسائل الدفاع، والإدارة الأفضل لأمور الزراعة والري والأمن. وكان لكل وحدة من هذه الوحدات ما يشبه العاصمة كما كان لها حاكمها القلي وإلها المحلي ثم لتقت هذه الوحدات السياسية في وحدات أكبر وكوت لأقاليم المصرية الرئيسية المعروفة لنا من الفترات التاريخية، وعددها اثنان وأربعون إقليماً وأخيراً أدت المركزية المتنامية

---

(1) الآخروية هي التصورات الدينية المتعلقة بمصير الكون والروح، وبهاية الزمن لديوي وقد تمت بحث التعبير من كلمة الآخرة وبمصطلح فلسفي يمكن القول بأن الآخروية هي ميتافيزيق النهايات.

(2) العصر البيوليبي هو العصر الحجري الحديث الذي نمر دكشاف الزراعة وساء المستوطنت للراعية الأولى وتدجين الماشية أم اعصر لمديبي فهو عصر المدن الأولى واستخدام الكتابة

إلى تكوين مملكتين مستقلتين واحدة في الجنوب وهي مملكة مصر العليا وأخرى في الشمال وهي مملكة مصر السفلى

حوالي عام 3100 ق.م قام ملك مصر العليا المدعو نرمر بضم مصر السفلى بقوة السلاح ، مؤسساً بذلك لأول مملكة كبرى موحدة في تاريخ وادي النيل وفي تاريخ البشرية طراً . فلقد سقت مملكة مصر الموحدة مملكة وادي ايراديين الموحدة بحوالي ثمانية قرون ، وكانت بمثابة النموذج الأسبق والأول لكل الممالك الكبرى اللاحقة. نقل تارمر عاصمته من مدينة زيس بمصر العليا إلى مدينة ممفيس بمصر السفلى ، التي تقع إلى الجنوب من موقع القاهرة لحالي بحوالي مئة كيلومتر. ومن هناك عمل هو وحلفاؤه من ملوك الأسرة الأولى على تكوين ملامح البنية السياسية الجديدة لوادي النيل ، وهي البنية التي احتوت وطورت النشأة القبلية السائدة ، وصهرتها تدريجياً في مجتمع مدني موحد. يدعو المؤرخون هذه الفترة التأسيسية بمصر الأسرات الأولى. وقد امتد هذا العصر من عام 3100 إلى حوالي عام 2700 ق م ، وحكمت خلاله أسرتان من الملوك حكماً استنادياً مطلقاً يقوم على مفهوم الحق الإلهي . فقد كان الملك تحسيداً للإله الأعلى حوروس وتحلياً بشرياً لتصرف السماوي ، وكان الملك يُدعى أيضاً بالاسم حوروس خلال حياته ، ثم يسلم الاسم لولي عهده عند مماته .

كانت الكتابة الهيروغليفية في مرحلة تجاربها الأولى خلال هذا العصر وبحزن لا يملك بصوصاً كافية تساعدنا على رسم صورة واضحة للحياة والمعتقدات الدينية من تلك الفترة. ولذا فإننا مضطرون إلى الاعتماد على النصوص اللاحقة التي تحتوي في بعضها على إشارات واضحة إلى المعتقدات ولطقوس الساسة ، وإلى الاعتماد على مكتشفات علم الآثار في المدافن العائدة بملوك ذلك العصر وبلائه . عدمته ولعل أول ما يواجهها في بحث هذا ، هو سبابة معتقد دني عميق التأثير في المجتمع المصري منذ عصر ما قبل الأسرات ، يتعلق بحياة ما بعد الموت وبأن تلك الحياة تشبه إلى حد بعيد الحياة الأولى. فلقد احتوت قبور المصريين في المستويات لاثارية العائدة إلى الألف الرابع قبل الميلاد - سواء في الجنوب أو في الشمال ، من هدايا جنائزية تتضمن أدوات ووسائل زينة وطعام ، وما إليها.

كانت مقابر عصر ما قبل الأسرات تقع بعيداً عن المناطق السكنية، وكان المدفن الواحد عبارة عن حفرة بيضاوية الشكل بعمق بضعة أقدام، يوضع فيها الميت في وضعية الانطواء بحيث يتجه رأسه نحو الغرب، وهي الجهة التي كان المصريون في العصور التاريخية اللاحقة يعتقدون بأنها مقر عالم الأرواح. وعرف القبر ترتفع تلة صغيرة من التراب أو الحجارة وقد احتوت هذه المدافن إلى جانب الهدايا الجنائزية المؤلفة من أدوات لعمل وأوعية الطعام ووسائل الزينة وما إليها، على تماثيل سحرية على شكل حيوانات، من بينها التمساح والغزال والثوريت والصرقر. كما احتوت على دمي طينية لأشكال أنثوية تمثل على الأغلب الإلهة الأم للعصر الحجري الحديث، وقد تم تمثيل هذه الإلهة أبصاً بطريقه الحر على الأوعية الفخارية، حيث تدو هي هيئة امرأة له قرون البقر ومعها ابنها وحبيها الذي صار فيما بعد إلهاً للخصب كما قدم لـ أوعية فخارية أخرى مشاهد تمثل صفس الزواج المقدس بين هذين الإلهين، ومشاهد رقصة كانت على ما يبدو جزءاً من هذا الطقس لمتحذرفي منطقة الشرق القديم، والذي أعطينا عنه اللقى الأثرية في وادي الرافدين الحوي أمثلة مشابهة. ومن الملفت للنظر وجود بعض المدافن الواسعة مخصصة لدفن نساء من دوات المكانة الاجتماعية المميعة، تحتوي على هدايا جنائزية متميزة سواء من حيث النوع أم من حيث الكم. الأمر الذي يدل على المكانة العالية للمرأة في ذلك العصر، وتضلعهن بمهام كهنوتية ذات صلة بعبادة الأم الكبرى

خلال الفترة الانتقالية التي قادت إلى تكوين حضارة المدن في وادي النيل والتي توافقت مع دخول جماعات أسبوية سيطرت على منطقته الدلتا ومنها على كامل مصر السفلى فاعلياً، حصلت تغييرات عميقة في المعتقدات الدينية وفي باشيون الآلهة فقد تربع حوروس إله الشرائع الأسبوية الحاكمة على قمة اساشيون، يليه الإله سبت المعبود لتقديم للسكان الأصليين، والذي يرحح أنه هو نفسه الإله الاس الذي طهر إلى جاب الأم المصرية لكسرى للعصر النيوليتي ومرة أخرى فإن المدافن هي التي تعطينا الصورة العامة عن معتقدات وطقوس عصر السلاالاب الأولى، فيما بين 3100 و2700 ق م

خلال عصر السلالات الأولى يستطيع تمييز طريقتين في الدفن؛ الطريقة الأولى وهي المتبعة من قبل السكان الأصليين، وتُظهر استمرارية لعادات الدفن القديمة التي كانت سائدة في عصر ما قبل الأسرات مع بعض التعديلات الطفيفة، أما الطريقة الثانية فهي التي اتبعها على ما يبدو انقادمون الجدد، والتي أخذت لشرائع العليا من السكان الأصليين تشيها تدرجياً خصوصاً في المناطق الحضرية والمدن الكبرى فلقد تحول المدفن من حفرة صغيرة يعملوها مرتفع صئيل من التراب أو الحجارة، إلى بناء مصمم على طريقة بيوت الأحياء، ويحتوي على عدد من العرف أو الأجنحة، وذلك تبعاً لمكانة صاحب المدفن. وبما أن هذا النوع من المدافن كان يرتفع في جرته الأعلى قليلاً عن سطح الأرض، فقد أطلق عليه علماء الآثار اسم المصطبة، وهي التسمية العربية المتداولة لأية بنية ترتفع قليلاً عن لأرض وقد ميز الآثاريون ثلاثة أنواع من هذه المدافن المصطبية، الأول حاص بالأسرة المائلة والثاني بالحاشية والنساء والثالث بعامة الناس

خلال حكم الأسرة الأولى، كانت المدافن الملكية عبارة عن بنية محفورة في الأرض الصخرية الصحراوية، ومقسمة من الداخل إلى عدد من لغرف بواسطة حدران من الآجر أكبر هذه الغرف مخصص لجثمان صاحب المدفن، أما بقية العرف فللهدايا المجاثرة المرافقة له وفوق هذه البنية ترتفع بنية أخرى على شكل مصطبة مستطيلة تشبه بيوت تلك الفترة، ومزينة من الخارج بديكورات مماثلة لم كان للقصور، ويحيط بالبناء سور. وقد يوضع في غرفة خاصة، قرب السور، قارب خشبي ينتظر الميت لكي ينقله في رحلته إلى العالم الآخر خلال حكم الأسرة الثانية جرى توسع وتطوير المقابر المصطبية لتعدو أشبه بالقصر الملكي الحقيقي؛ فهناك قاعة استقبال، وغرف للضيوف وعرفة للمعيشة، وجناح للحريم، وحمامات ومراحيض، إضافة إلى عرفة النوم الرئيسية حيث يصطجع سيد القصر لملثك المتوفى.

وتتسع بعض هذه المقابر الملكية لتستوعب خارج حدود السور عدداً من المقابر التي تنظم على طول أضلع المصطبة الأربعة، وتحتوي على جثث لرجل وساء من حاشية الملك، وخدمه، وحرفيه الذين اصطحبوا معهم أدوات

عملهم. وبما أن الدلائل لأثرية تشير إلى تزامن دفن هؤلاء الأنبياء مع دفن صاحب المقبرة الرئيسية، فإن النتيجة التي يمكن استخلاصها هي أن الملك قد اصططحهم معه إلى العالم الآخر، لكي يتبعوا خدمته هناك مثلما كانوا يفعلون في الحياة الدنيا. ويبدو أن هؤلاء قد تناولوا السم قبل دفنهم ثم نقلوا بعدها إلى الأماكن المعدة لهم. وقد بلغ عدد الصحايا التي رافقت لملك رر، من الأسرة الأولى، رفماً يزيد عن الخمسمئة بين رجال وساء. ولكن مع نهاية حكم الأسرة الأولى يبدأ فقس دفن لأتباع بالاصمحلال تدريجياً إلى أن تحصى تماماً مع نهاية حكم الأسرة الثانية وبداية ما يدعى عصر المملكة القديمة

تتسج مقبر النبلاء على مرال المقابر الملكية من حيث التصميم العام، ولكنها كانت أصغر منها وأكثر تواضعاً. أما مقابر العامة قد توسعت وتحولت من مجرد حفرة إلى عرفة صغيرة يوضع فيها المتوفى داخل تابوت خشبي، وتُلس حدرانها الداخلية بالآخر، بينما تتورع الهدايا الجنائرية على أرضية العرفة، ويقيت مقابر فقراء ابعامة على ما كانت عليه في العصور السابقة

نكشف عادات وطقوس الدفن هذه عن اعتقاد المصريين بأن القوة الحيوية في الجسد الإنساني تستمر بعد الموت، ونقى على صلة بالجسد والعالم الأرضي بطريقة ما من هنا جاء اهتمامهم بحمل القبر أقرب ما يكون إلى بيت تسكنه الروح أو تعود إليه من وقت لآخر للتزود بالطعام، أو استخدام الأدوات وما إليها من الهدايا الجنائرية المودعة فيه، والتي كانت تتفاوت في نوعيتها وكميتها حسب الوضع الاجتماعي للمتوفى. وبما أن هذه الهدايا الجنائرية كانت عرضة للفساد، وخصوصاً الطعام والشراب، فقد كان أهل المتوفى يعودونه على فترات منتظمة لوضع مزيد مه عند مدخل القبر، أو بدخلونها من فتحة خاصة معده لهذا الغرض وإضافة إلى ذلك كله فقد سم اللجوء إلى وسائل سحرية من شأنها تعويض ما يتفد من طعام وشراب دون حاجة إلى مدد خارجي، ومن هذه الوسائل كتابة قائمة سحرية بأسماء الأطعمة على نصب حجري صغير، من شأنها تحويل الأطعمة المذكورة إلى غذاء حقيقي يمد صاحب القبر باحتياجاته، أو رسم صور بعض لمشية التي كان المصريون يعتمدون عليها في غذائهم.

ولكي تعرف الروح على بيتها في كل مره وستخدم محتوياته ، كان لابد من الحفاظ على الشكل الخارجي لحثمان صاحب المقرة ، بطريقة تجعله أقرب ما يكون إلى شكله في الحياة الأولى وهذا ما دفع المصريين منذ مطلع عصر الأسرات إلى إجراء التجارب الأولى في هذا المجال لقد كانت العوامل الطبيعية كقيلة في الماضي يحفظ حدث الموتى الذين كانوا قبل عصر الأسرات بدفون في حفر ترابية سطحية ، لأن الجو الجاف ونذرة المطر والتربة الرملية كانت تعمل على لتجفيف السريع للأنسجة العضوية ومنعها من التحلل ، بحث إن بعض حدث ذلك الرمن كانت عند اكتشافها في العصر الحديث تحتفظ بجزء لا بأس به من الشعر والجلد الملصق على الهيكل العظمي . غير أن الانتقال إلى بناء المقابر المصطنعة ولجوء العامة إلى تليس جدران قبورهم بالأجر ، قد أدى إلى عزل النحت عن لرمل الحار الذي كان يمتص رطوبة الأنسجة ، وبالتالي إلى تفسحها السريع ، وهذا ما دفع إلى التفكير بوسائل اصطناعية تحافظ على ما يشبه الشكل الحي لصاحب القبر

كانت أولى تقنيات التحنيط تهدف إلى الحفاظ على الشكل الخارجي للجنة قبل تحليلها ، وذلك بلفها بطبقات من قماش الكتان الساعم المشع بمحلول قابل للتصلب بعد جفاف ، فكان القماش المبلل يلمص بإحكام فوق المحجمة والوجه وبقيّة الأعضاء ، حتى إذا جف منه المحلول صارت الجنة إلى ما يشبه التمثال الحصي ولإضافة لمسة من الحيوية على الشكل ، يحري بعد ذلك تلوين الشعر وملامح الوجه ، وتحديد الخطوط الخارجية للأعضاء ، وبذلك يتم إنتاج نسخة خارجية مماثلة للجنة الأصلية إلى التمسح تحت هذه الفشرة الخارجية . ونظراً للوقت الذي تستغرقه هذه العملية وارتفاع تكاليفها ، قد كان استخدامها وفقاً على مدافن الأسره المالكة وكبار النبلاء ، ولتي احوت في بعض الأحيان على تمثال خشبي كامل للمتمومي ، لتحل محل الصورة المحفوظة بالطريقة السابقة إذا تعرضت للفناء بطريقة ما . أما التحنيط الحقيقي للجنة فلم يكتمل تقنياته إلا نحو نهايات المملكة القديمة في أواخر الألف الثالث قبل الميلاد

على أن الاعتقاد بحياة ما وراء القبر عند المصريين، في هذه الفترة المبكرة، لم يكن يعني أن جميع أرواح الناس سوف يخلد خلود الآلهة في عالم سوري سماوي، أو في جنة لا ألم فيها ولا مرض ولا شقاء لأن مثل هذا الخلود كان وفقاً على الفرعون وحده، باعتباره إلهاً وإنساناً في آن معاً، وعلى من يختاره الفرعون بنمسه لكي يخصه بخلود مماثل لخلوده، أما بقية شرائع الشعب فإن حياة ما بعد الموت بالنسبة إليها لم تكن إلا استمراراً شحياً للحياة الأرضية ينيها أو يفقرها مراعاة طقوس تدفن وعناية أهل الميت بروحه بعد الموت. وهذا ما نستدل عليه من مدافن الحقبة التالية ووثائقها الأثرية وكتابتها، وهي حفرة المملكة القديمة التي امتدت من حوالي عام 2700 إلى حوالي عام 2200 ق.م. وكانت بمثابة ذروة الحضارة المصرية والعصر الذهبي لها

حققت المملكة القديمة مسحات في التكنولوجية ولعمارة والفسون لم يتم تجاوزها أو حتى مماثلتها في الفترات اللاحقة. كما تم حللها نكوي عدد من المفاهيم والمعتقدات الدينية التي بقيت مؤثرة حتى نهاية لتاريخ المصري يتحلى التقدم التكنولوجي، والمفهوم المعماري والأستاتيكي. في أوضح تعبير لهما، بأهرامات الجيزة التي بدأها فراعنة لأسرة الرابعة (2600-2500 ق.م). فقد أتاح السطة المطلقة للمموك تسخيرهم لموارد السداد وعمالها الفنية واليدوية من أجل تشييد مقابرهم، على شكل صروح حارة مزالبت باقية إلى يوم الناس هذا. وهذه الصروح لم تكن نتاج نزوات فردية بقدر ما كانت نتاجاً لإيديولوجيا دينية سائدة في المجتمع، وراسخة في نفوس وعقول كل الشرائع الاجتماعية فلقد قام لمجمع المصري على مفهوم الملكية، وكان الملك بمثابة رمز الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية بكل فعاليتها. فهو ابن للإله حوروس (أورع بعد ذلك) من أم ملكية هي الزوجة الرئيسية للملك، حملت به من أشعة الشمس العلوية لا من زوجها الشرعي ونظراً لوضعه المميز والاستثنائي هذا، فقد كان متفرداً ومستقلاً عن بقية أفراد لشر، وفي موقع يسمح له بالتوسط بين السماء والأرض وبين الله والناس لعد كان النقطة التي تتصل عندها الإلهي بالبشري، وكانت حياته ومماته أيضاً بمثابة المحور الذي

تدور حوله حياة الجماعة بأكملها. كما كانت مورد المجتمع الاقتصادية وإمكاناته التكنولوجية والفنية موجهة نحو تأمين حياة الملوك على هذه الأرض وضمان رحلتهم الآمنة إلى العالم الآخر من هنا يعتقد العديد من مؤرخي الحضارة المصرية بأن ساء الأهرم وبقية الصروح الدينية الضخمة قد تم بسد وفع صوعية من قبل المواطنين، وأن الفرعون كن يجزيهم لقاء عملهم أحرراً عادلة خلال موسم العطالة النبي كنوا خلالها ينتظرون انحسار فيض النيل عن الأراضي الزراعية.

وفيما يتعلق بالمعتقدات الدينية للمملكة القديمة، فقد حل الإله رع تدريجياً محل الإله حوروس، وصار رئيساً للبشون لمصري وأباً للآلهة جميعاً ووفق لاهوت كهنة هيليوبوليس (-أون)، لمدينة التي كانت مركز الحياة الدينية خلال عصر المملكة القديمة، كان رع أول من ظهر من بحه المياه الأزلية بقواه الداتية، حالقاً نفسه بنفسه. ويعد أن أوجد لنفسه مكاناً يقف عليه فوق الماء، قام بتبديد الظلمة والعماء بالور الذي صدر عنه ثم أنجب رع شو إله الهواء، وتغنوت إلهة الرطوبة. ومن زواج شو ونصوت ولدت السماء نوت والأرض حيب ومن زواج السماء والأرض ولد أربعة آلهة هما أوروريس وسبت وإيزيس ونفتيس فتزوج أوروريس من إيزيس وسبت من نفتيس. ومن بين جميع آلهة المصريين ممن كان كهنة هذه الفترة يعملون على تقصي منشئهم ورسم سير حياتهم، والتوفيق بينهم عن طريق جمعهم في ثوالبث وتاسوعات، فقد كان لهذه الآلهة الأربعة، إضافة إلى حوروس الذي صار الآن بـ لإيزيس وأوزوريس، أن تلعب الدور الأهم في الحياة الروحية المصرية منذ نهايات المملكة القديمة إلى آخر تاريخ مصر القديمة. ورغم أن الإله رع كان بمثابة تحسيد لفكرة الله عند المصريين، إلا أنه كان يتجلى في العالم المادي على هيئة قرص الشمس، ويقطع السماء من مشرقها إلى مغربها ثم سير ليلاً في العالم الأسفل ليشرق ثانية في اليوم التالي هذا الانبعاث اليومي للشمس هو النموذج الذي يحتذيه الملك عندما يرتقي السماء على أشعة الشمس من قمة الهرم صاعداً إلى أبيه السماوي، هناك يستقبله حشد الآلهة ويقودونه عند المشرق إلى مركبه رع

على أن هذا المجمع المستقر الذي أسسه فراعنة الأسرات الأولى، وأكمل بناءه الفرعة الأوائل لعصر المملكة القديمة، قد أخذ بالتضعف منذ نهايات حكم لأسرة الرابعة. فلقد ازدادت سلطة كهنة رع على حساب سلطة الملك وأمراء الأسرة الحاكمة، ولدنا من الدلائل ما يشير إلى أن هؤلاء الكهنة صاروا يتدخلون في مسألة على حساب كبير من الأهلية والحساسية بالنسبة لنظام المملكة القديمة، وهي مسألة ولاية العهد ووراثة العرش، وأن العديد من ملوك الأسرة الحامسة كانوا يدينون للكهنة بهذه الوراثة كما ساعد على تقليص سلطته الملك المطلقة تزايد ثروة البلاد على حساب ثروة الملك، التي كانت تتآكل تدريجياً نيجة للنفقات الهائلة التي تطلبها بناء الأهرامات والمعابد الضخمة. فلقد كن كل ملك مهتم ببناء هرم جديد له من جهة، ولملزم من جهة أخرى بتجديد وصيانة أهرامات أسلافه، إضافة إلى واجباته التقيدية الموروثة التي تُلزمه بتقديم هبات للأمراء وكبار البلاء والأبناخ المقربين، تعيهم على بناء وتجهيز مدافنهم الخاصة التي تضمن لهم الخلود الذي وعدهم به المرعون كما ساهم في تآكل ثروة القصر الملكي سياسة المنح والإقطاع التي اتبعها الملوك الأوائل من أجل ضمان ولاء حكام لمقاطعات

وقد نجم عن ذلك كله تحول السلطة تدريجاً نحو الامركزية، واستقلال الأقاليم البعيدة عن العاصمة ودخول حكامها في منازعات دائمة. وكان من أهم نتائج تراخي قبضة السلطة المركزية عن هذه المساحات الواسعة من المملكة، انهيار نظام الري وتراجع غلة لمواسم الزراعية وانتشار المجاعة. وكذلك انعدام الأمن وغياب سلطة القانون وهذا ما قاد بدوره إلى تعطيل طرق التجارة المحلية والدولية ومع نهاية حكم الأسرة السادسة، أحدث القنابل الرعوية تهاجم مصر من حدودها الشمالية الشرقية قادمة من بوادي بلاد الشام، فكانت القشة التي قصمت ظهر البعير، حيث انهضت لمملكة القديمة ودخلت البلاد في الفترة التي يدعوها المؤرخون بالفترة الانتقالية أو المعترضة الأولى، التي استمرت من حوالي 2200 إلى حوالي 2040 ق.م. بعد ذلك أفلح أول فراعنة الأسرة الثانية عشرة في إعادة توحيد البلاد وفرص سلطته على جميع الأراضي المصرية مثبثاً بذلك فترة المملكة الوسطى التي دامت حتى غرو ايهكوس عام 1750 ق.م.

أحدثت الفترة المعترضة الأولى تغييرات عميقة في المعتقدات الدينية للمصريين. فلقد كان من نتيجة تدهور الوضع الاقتصادي للأسرة الملكية وروال هيئتها السياسية، أن الملوك فقدوا هالة الألوهية التي كانت تحيط بهم وتجعل منهم صفاً من البشر - الآلهة، وأحد الدس يطرون إلى الملك كمجرد حاكم بين حكام الأقليم ساعد على ذلك اضطراب بعض الملوك إلى اتخاذ زوحدات لهم من خارج نطاق الأسرة المالكة، ومصاهرة السلاء من ذوي الثروة الكبيرة من أجل دعم الوضع المالي المتردي للقصر الملكي. ومع اهتزاز صورة الملك كممثل للإله الأعلى ونقطة اتصال السماء بالأرض، حصل اهتزاز شامل في القيم الدينية لتقليدية ووضعت موضع الشك والتساؤل. فمذ بهيات حكم الأسرة السادسة، عندما ترسخت الامركزية السياسية وأخذ حكام الأقليم بالاستقلال وبناء قصورهم الخاصة وتنمية ثرواتهم المحلية، لم بعد الفرعون مصدر قوتهم وحدهم وتمكيهم في ماصيهم، ولم يعد بالنالي شميمهم من أحل الحلود في عالم الآلهة. وبعد أن كانوا يسون مدافنهم قرب مدفن الفرعون بمعونة من القصر الملكي، راحوا الآن يسود صروح دفن لهم في مناطقهم فاقت مع الأيام مدافن الملوك، ويسعون لتحصيل الحلود، دون شعاعة الفرعون ووساطته ولم يمس وقت طويل حتى أخذت كل شرائع الشعب تنطبع إلى لحلود، وإلى حياة سعيدة بصحة الآلهة في عالم نوراني بعيد عن ألم وشقاء لحياة الأرضية وبذلك ولدت فكرة الجنة السماوية المعدة للمصالحين جميعهم بصرف النظر عن منشتهم الطبقي، وساد ما يمكن تسميته بديمقراطية الحلود. فمذ هذه الفترة الحالكة من تاريخ الثقافة المصرية، صار الإله الصاعد أوروريس هو الشفيح لوحيذ للموتى، وهو الذي يمسك بمفاتيح العور إلى العالم الآخر، وصارت عاداته والإخلاص له، إضافة إلى طفوس الدفن لصحبته واستخدام الصيغ السحرية القديمة، بمثابة بوابة الحلود ومذ هذه الفترة أيضاً تم ربط الأخلاق بالدين، وإذا كن الفرعون يلتحق بالآلهة بعد موته بسبب نسه الإلهي، وإذا كن بقية السلاء ولأمراء يلتحقون به خراء شعاعته ووساعته، فإن بقية شرائع الشعب صارت بأمل الآن بالحلود عن طريق إيمانها بإلهه مخلص وإنبيها لمصالح الاعمال في احياة الدب لقد كان أوروريس إلهاً أخلاقياً يحض على الفضائل ويُجزى بها

ويكره الذاتل ويعاف عليها. ومع ارتباط الاحلاق بالدين تحولت القطيعة الكوبية القديمة إلى ثنوية أخلاقية وخضعت مثولوجيا مست- حوروس إلى تعديل حوهرى من أجل ملاءمتها مع العقيدة الشعبية المحددة.

لم يكن أوزوريس بلإله لحديد على الساتيون المصري. فلدينا من الدلائل ما يشير إلى كونه إلهاً للخصب منذ مطلع التاريخ المصري المكتوب. وكما هو حال آلهة الخصب الشرق أوسطيه جميعاً، فقد كان أوزوريس إلهاً مات وتُعث من الموت في الأزمنة الميثولوجية لأولى، مؤسساً بذلك لدورة الطبيعة السنوية ولموت وبعث الحية النمانية ولداً فقد كاد المزارعون يحتفلون سنوياً بذكرى موته ثم بذكرى قيامته من الأموات، من خلال طقوس فديمه ومنتجدة في العصر النيوليتي. وخلال عصر الأسرات الأولى، ثم عصر المملكة القديمة، تعايشت عبادة أوزوريس مع عبادة حوروس الصقر السماوي، ثم مع عبادة رع ولكن ميثولوجيا أوزوريس أخذت تتغير منذ نهايات عصر المملكة القديمة، عندما تحول أوزوريس من إله للخصب إلى إله للموتى وقاضي في العالم الآخر.

لا يوحد بين أيدينا نص ميثولوجي مصري مطّرد ومتكامل عن أسطورة أوزوريس، لا في حلتها القديمة ولا في حلتها الجديدة. ولكننا نملك العديد من الإشارات والنسبجات إلى هذه الأسطورة، مقتطعة من سياقاتها الميثولوجية الأصلية ومدغمة في سياقات طقسية شعائرية من هذه الإشارات نعرف أن أوزوريس كان أول ملك على الأرض، وأنه كان حاكماً عادلاً بشر الأمن والطمأنينة وقاد الشرية الأولى من عصور الفوضى والهمجية إلى عصر من الحضارة والنظام وقد مات أوزوريس غيلة على يد أخيه التوأم سبت الشرير، الذي كاد بحسد أوزوريس ويعار منه أشد العيرة، وقد قطع سبت جسد أخيه إلى أربع عشرة قطعة وشرها في أماكن متفرقة من مستنقعات الدلتا، حتى لا يمكن جمعها وبعث الحياة فيها. ولكن إيزيس زوجة أوزوريس أصبحت بالتعاون مع ابها حوروس في العثور على القطع، فجمعتها معاً وبثت الحياة في الجثة الميتة وقام الإله من سن الأموات ولكن أوزوريس قرر مغادرة الأرض والصعود إلى السماء، وهناك رُحِبَ به رهب الآلهة وأعطوه سلطة مطلقة على عالم الموت،

فصدر فاضباً في العالم الأسع يحاسب الموتى على ما هدمته أيديهم في الحياة الدنيا، يرسل بالمحسن إلى دار لقاء وللمذنب إلى دار الفناء أما سميت فقد حول نشاطه العدواني إلى حوروس، الذي ورث عرش أبيه على الأرض وروح يتيهاً للانتقام لأوزوريس وهنا تحدثنا النصوص الهيروغليفية عن جولات متتالية من صراع الإلهين، كانت تنتهي لصالح هذا أحياناً وبصالح ذاك في أحيان أخرى. ولكن دون التوصل إلى حسم نهائي. وبذلك اتخذت القطبية الكونية القديمة شكلاً ثوبياً ذا مصامين أخلاقية.

لقد كان الملك المتوفى في عصر المملكة القديمة يدعى أوزيريس، كناية عن التمهى مع الإله الذي فهر الموت ونُعث إلى عالم الآلهة، وكانت عبادة أوزوريس موحية بالدرحة الأولى نحو معونة الفرعون على تحقيق خلوده الفردي وعندما صارت التعاويذ السحرية التي ترفق دفن الملوك متاحة للنساء، وصار بمقدورهم تمويل بناء مدافن صرحية لهم على طريقة الفراعنة، صار كل واحد منهم يتحول إلى أوزوريس في العالم الآخر ولكن مع صعود المشلولوحا الأوزورية الجديدة وشيوع عادة أوزوريس بشكلها الشعبي، صار بإمكان كل متوفى أن يصبح أوزوريساً ويسم بصحبة الآلهة، وذلك بصرف لنظر عن وضعه الاجتماعي ومنبته الطبقي، شريطة أن يؤمن بأوزوريس مخلصاً، ويسلك سلوكاً أخلاقياً خلال الحياة الدنيا، ويحرص على تأمس مدهن له تتوفر فيه الشروط الدنية الكافية براحة روحه، وأداء أهله للطقوس الجنائزية القديمة إن أهم ما قدمته عبادة أوزوريس بشكلها الشعبي للمعتقدات المصرية، هو التوكيد على عصر لأخلاق الاجتماعية وربطها بالدين وبمعتقد الخلود. ورغم أن المصريين قد استمروا حتى نهاية تاريخهم يُجلّون الطقوس القديمة ويؤمنون بالتعاويذ ولرمي السحرية، إلا أن الأوزيرية قد رفعت الأخلاق إلى مستوى يعادل في الأهمية ما للطقوس، بل ويريد عليها

كثت الأوزيرية عبادة أخروية تركز على السهيات دون كبير عناية بالبدائيات. فقد كن المصري حراً لينحط في أية عبادة، محلية كانت أو ملكية امراطورية رسمية، ويؤمن بأي معتقد حول التكوين والأصول والبدائيات،

ويؤدي ما يشاء من الطقوس لمن يشاء من لقوى العليا. ولكنه عند التفكير بالموت والتهته برحله العالم الآخر كان يلتفت إلى أوزوريس ويؤدي ما يتوجب عليه اذاؤه لكي يؤمن مزدلفاً آمناً إلى الحياة الثانية. على أن لمصري لم يكن ليتنظر حلول النهاية لكي يفكر بأوزوريس ويلتفت إليه طالباً عونه، بل إن استعداده لبقاء ربه كان شغله الشاغل طيلة حياته ذلك أن سنوات حياته ووقت مصاته معروفة سلفاً من قبل أوزوريس، ومدونة لديه في لوح القدر الذي تُسجل فيه الآجال ويحدد لكل امرئ نصيبه من الأبدن فهو رب القضاة والقدر والمصائر، المطّلع على كل شيء. لا يخفى عليه ما في السماء وما في الأرض. وإلى جانب لوح القدر، فإن أوزوريس كان يحتفظ بسجل آخر يدعى سجل المصائر، تدون فيه أعمال البشر جميعهم، ويشرف عليه إلهان هما تحوت وسيشت، اللذان يحصيان الأعمال الصالحة والطالحة لكل إنسان ويحفظانها إلى يوم الحساب، الذي يُرى فيه كل واحد أعماله عندما يقف في حضرة ربه أمام الميزان في قاعة العدالة.

عندما يفلح لميت في عبور المعازات المرعبة التي تفصل عالم الأحياء عن عالم الأموات، وذلك بفضل الرقي السحرية التي أودعت في مدفنه من أجل استخدامها لهذه الغاية، يلقاه الإله حوروس، أو الإله أوبيس الذي يحمل رأس ابن آوى (وهو إله المدافن وراعي التحنط) فقوده من يده ويدخله إلى قاعة العدالة المردوجة، وهي قاعة فسحة يصدرها الإله أوزوريس حالساً على عرشه، ووراء الإلهتان إيزيس وعتيس في وضعية الوقوف أمام أوزوريس وباتجاه وسط لقاعة هالك ميزان كسر منصوب بقف فوه الإله تحوت، به الحكمة والكتابة في هيئة القرد، وأمامه عن الجهة الأخرى لميران يقف الوحش عم - ميت أكل الموتى متحفزاً للانقضاض على الميت والتهامه إذا مُنت إدانته. وعلى طول حدار القاعة يصطف آلهة الأقاليم المصرية وعددهم اثنا وأربعون ولدى مرور الميت أمام هؤلاء يعلن أمام كل منهم براءته من إحدى الخطايا التي يكرها أوزوريس، وهكذا حتى ينتهي من إعلان براءته من اثنين وأربعين خطيته، يوردها كتاب الموتى وفق الترتب الآتي:

لم أقم بعمل شرير يؤدي أحداً من الناس لم أكن سيئاً في معاملته الماشية والأنعم. لم أترف خطيئة في مكان اصدق (= المعبد). لم أحاول معرفة ما لا يحب على الإنسان القبي معرفته. لم أجذف على أحد من الآلهة. لم أكر قاسياً على أحد من الفقراء. لم أقم بعمل تمقته الآلهة سم أشوه سمعه عند أمام سيده. لم أتسبب بمرض أحد. لم أتسبب بخرن ويكاء أحد. لم أقتل ولم أعط أمراً بالقتل. لم أتسبب في عذب أحد. لم أمارس الجنس مع غلام. لم أرد ولم أنقص في مكياال الحبوب. لم أفش في مقياس لمساحة. لم أنلعب بوزنات الميزان لم أعش في كفه ميزان لم أحرّم الأطفال من جلسهم لم أحرّم المواشي من مراعيها لم أمسك الطيور في حرّم الآلهة. لم اصطد الأسماك في بحيرات حرّم الآلهة لم أمتع الماء عن الآخرين في مواسم السقاية. لم أصع ردماً أمام لماء الجاري في السواقي لم أطمئ شعله نار لأحد لم أناس مواعيد تقدم القرابين. إلخ

بعد ذلك يؤتى نامبت أمام الميزان فوضع قلبه في إحدى الكفتين وريشة طائر في الكفة الأخرى، وهي رمز معات إلهة العدالة ولطام والحقيقة. والمطلوب هما أن يتساوى بدقة قلب الإنسان (الذي هو مقر العقل والمواطف والأفكار والواي، والتالي يحتوي سجلاً كاملاً لجميع الأعمال) مع رمز الحقيقة والعاود والنظام وبعد أن يقوم انوبس بمحص النيجة يعلمها إلى الإله تحوب الواقف خلقه فيدونها في سجل يمسك به ثم يعلنها لأوزوريس. إذا وجد الميت مذنباً انقص عليه الوحش فالتهمه ومحي من الوجود ذكره، وإذا وجد بريئاً قتده الإله حوروس إلى حصرة أوزوريس وحاطه فئلاً: جئت إليك بعلان الذي وجدنا قلبه صالحاً، وقد احتاز المبران. لقد وُزن قسه وفقاً للأمر لدي نطقت به جماعة الآلهة فامنحه كعكاً وجعة واسمح له بالدحول إلى حصرتك. عند ذك يركع الميت أمام أوزوريس ويخاطبه قائلاً: أنا في حصرتك يا رب ليس في ذنب فأنا ما كذبت عمداً ولا فعلت شيئاً عن سوء نية، فاجعلي بين من آثرتهم بفضلك وجعلتهم في صحبتك، لعلي أصير أوروريساً يؤثره الإله الجميل بمضله، ومحوباً من رب العالمين وهنا يجيبه الجواب امستظر من أوروريس: دعوا لميت ينصرف سالماً متصرفاً دعوه يمضي حيث يشاء، ويعيش في صحبه الآلهة وبقية الأرواح الصالحة

تدعى الحة الأوربية في النصوص المصرية بحقول القصب. وهي عبارة عن أرض خصبة تقع وراء الأفق العربي، وتحتلها شبكة من القنوات المائية العذبة تجعلها أشبه بالجزر لمتقاربة، ونهبها خصباً وخضرة دائمة، فهي ينمو الررع والشجر من كل نوع، وفيها تعيش أرواح الصالحين خالدة إلى أبد الأبدن أما عن علاقة روح الميت بجسده الذي تركه في القبر، فمسألة إشكالية في المعتقدات المصرية. ذلك أن النصوص تشير صراحة إلى أن روح الإنسان الصالح تنتقل من الجسد لتعيش مع الأبرار والآلهة، أما الجسد الفيريني فلا يبعث أبداً ولا يعاد القبر. ومع ذلك فقد استمر المصريون يحافظون على جثث أمواتهم منذ بدايات التاريخ المصري وحتى نهاياته فما فائدة الجسد المادي إذا لم يكن معداً للبعث ولحلول الروح فيه مرة أخرى؟ إن الجواب على هذا السؤال ليس بالأمر السهل، وأي جواب لن يكون قاطعاً بحال من الأحوال فمحزن في دراستنا للدين المصري لا نقف أمام معتقد موحد وثابت، بل أمام معتقد متغير تتداخل حلقاته عبر ثلاثة آلاف سنة، وتحوي كل حلقة من هذه الحلقات على أثر باقي من سابقتها يضاف إلى ذلك أن الكهنة المصريين لم يعمدوا أبداً إلى إنتاج لأهوت متكامل متماسك، ولم يعبروا عن معتقداتهم بطريقة منظمة، مثما لم يدوروا أساطيرهم المتداولة بصوصها الكاملة. بل اكتفوا بالإشارات والتلميحات وإيراد مقتطفات منها ومشاهد نفي بالأغراض لطقسية ولعل الجواب الأكثر إقناعاً عن علاقة الروح بالجسد، هو أن طقوس الدفن وما يرافقها من تعاود وصيغ سحرية تحيل الجثة المحفوظة إلى نوع من الجسد الأنثري الذي ينبثق منها ويتجه إلى العالم الآخر. وهذا الجسد الأنثري الذي يشبه تماماً الجسد المحفوظ، هو الذي تُبعث فيه لروح إلى حياتها الأخرى. يضاف إلى ذلك أن الروح، ولأسباب نجهلها، تبقى بحاجة لأن ترور جسدها من وقت لآخر وتقيم معه لفترات تطول أو تقصر.

تقدم لنا ديانة مصر القديمة نموذجاً عن كيفية الانتقال من مفهوم القطبية إلى شكل من أشكال مفهوم الثنوية، وعن الدور الذي تمارسه الأخلاق في هذا الانتقال، عندما تتحول من شأن دنيوي إلى شأن ديسي، وما ينجم عن ذلك من ظهور فكرة الشيطان، وهي الفكرة التي تؤصل لمعتقد الآخروية والنهائيات ولكن المعتقد الأوزيري لم يصل بهذه الأفكار الديسية جميعها إلى نهاياتها المنطقية، لأن القطبية لم تتحول إلى ثنوية جذرية، ولا حتى إلى ثنوية أخلاقية بامة. فرغم عمو شأن الأخلاق في العبادة الأوزيرية، فإنها لم تطغ تماماً على الطغوس وبقيت التماثيل والتلاوات السحرية وكلمات القوة وما إليها جزءاً لا يتجزأ من الممارسات الديسية الأوزيرية مثلما كانت سابقاً. ورغم كون أوزيريس إلهاً أخلاقياً إلا أنه لم يتحول إلى مبدأ كوني للخير، مثلما لم يتحول سيت إلى مبدأ كوني للشر. فرغم اتخاذ سيت للكثير من ملامح الشيطان الكوني، إلا أنه لم يتمم فعلاً شخصيه الشيطان، لأن أهم سمة تميز الشيطان هي انقلابه على القوة الإلهية وتحوله إلى ملعون ورجيم من قس إله الخير ورهطه السماوي، وهذا لم يحصل لسيت الذي بقي عضواً محترماً في الناسيون الإلهي، وبقي الناس يعدونه ويشبهون به المعابد والهيكل حتى نهايات لتاريخ المصري. وبلغ من إحلال بعض الفراعنة له أن تسموا باسمه مثل سيتي الأول من أواخر القرن الثالث عشر ق م

ومن أهم نواح تقصير ثنوية سيت - أوزيريس (أو سيت حوروس شكلها الحديد) عن بلوغ الثنوية الأخلاقية التامة، هي بقاء التصور المصري للتاريخ أسيراً لمفهوم التاريخ المفتوح، حيث ارمس الدنيوي عبارة عن سانه متدفعه أند نحو اللاهية، والتاريخ الإنساني بمحتواه التكراري يتحرك شكل حصي دون هدف أو غاية من ها فقد غاب عن معتقد الثنوية الأوزيرية أهم عناصر الثنوية الأخلاقية الكاملة، وهو معتقد بهاية العالم، والبحث الأخير الشامل، وتحويل الوحود بأسره إلى مستوى ماجد وحلس في بهاية الزمن وبقيت التصورات الآخروية في حدود القمة الفردية والمصير الخاص لكل روح على حدة، الأمر الذي يترافق مع غياب مفهوم شامل عن الإنسانية والمجتمع الإنساني، ودور الإنسان كنوع متميز وخاص في دراما الخلاص العام

على أن الأوريرية قد قدمت لمفهوم الشوية الكونية والتاريخ الديامي، الذي سنراه في أكمل أشكاله في الديانة الرادشئية، بعضاً من أهم عناصره وهي

1 صلة الأخلاق بالدين، وصلة المصير الفردي بالأحلاق

2 القيمة لفردية، أو الصعري.

3- الثواب والعقاب الأخرويان

4- تصورات مادة واضحة عن جنة الآخرة

وهذه العناصر جميعها سوف تشكل جزءاً لا يتجزأ من عقائد الديانات المشرقية منذ مطلع الألف الأول قبل الميلاد.

### مراجع المادة المعلوماتية للفصل:

1-A. Rosalie David, The Ancient Egyptians, Routledge, London 1982

2- Manfred Lurker, The Gods and Symbols of Ancient Egypt, Thames and Hudson, London 1984

3- E.A. Wallis Budge The Gods of The Egyptians, Dover, New York, 1969.

4- E.A. Wallis Budge, Osiris, Dover, New York 1973.

5- E.A. Wallis Budge, Egyptian Religion, Routledge, London 1975

6- New Larousse Encyclopedia of Mythology, Hamlyn, London 1977, ch.2.

# ديانة مصر القديمة

## الآلهة والأساطير

تأليف J.Viaud

ترجمة: فاروق هاشم

فراس السواح

### مقدمة

إن أي زائر لاحتاح الآثار المصرية في المتحف ليعجب من كثرة الآلهة التي تلقت نظره في كل مكان تماثيل عملاقة منحوتة من الغرانيت والحجر الرملي والبازلت، وتماثيل صغيرة مزخجة، ومن البرونز، وحتى من الذهب يملك بعض تماثيل الآلهة والإلهات رأساً بشرياً، ولكن الرأس الحيواني هو العالب عليها. يتكرر ظهور هذه الشخصيات على المنحوتات البارزة وهي تتلقى صلوات عابدها أو تعطي بركاتها لهم، كما نرى المشاهد نفسها على التوابيت الحجرية وعلى المسلات الجنائزية أو على الأحجار الضخمة المترعة من حدران المعابد، وعلى صناديق المومياءات، مشمسة أيضاً ترين صفحات كتاب الموتى

بطراً إلى كثرة هذه الصور الإلهية، قد يبدو من العريب أن نقتصر على عدم معرفتنا الدقيقة بديانة مصر القديمة، ولكن الأمر لسوء الحظ يبدو كذلك. فعلى الرغم من معرفتنا بكل أسماء آلهة مصر وإلهاتها والمعابد المكرسة لها، إلا أننا لا نعرف سوى القليل عن طبيعتها، ونادراً ما نعرف لأساطير المنصلة بها

إن النصوص الأسطورية الكاملة لم توضع كتابة في معظم الأحيان، ربما لأنها معروفة من قبل كل مصري قديم عن طريق النقل الشفاهي من جيل إلى آخر أسطورة أوزيريس، وحدث (وهو واحد من كبار آلهة البعثيون لمصري) وصلت إليها بتفاصيلها عن طريق المؤلف ابوسابي بلوتارح، الذي كان يعرف الكثير عن الثقافة المصرية رغم كونه يونانياً متأخراً يكتب عن أزمان مفرقة في القدم، ولا أدل على ذلك من أن النصوص المصرية القديمة تذكر أحداثاً متفرقة من قصة أوزيريس تتفق ومرويات بلوتارح، ولا سيما تلك النصوص التي ترجع إلى عصر المملكة القديمة ولتي نقشها فراعنة لأسرة السادسة على الجدران الداخلية لأهراماتهم قبل أيام بلوتارح بحمسة وعشرين قرناً تقريباً

لقد وصلنا أولى تمثيلات الآلهة المصرية من أواسط الألف الرابع قبل الميلاد، أي قبل وقت طويل من ظهور الكتابة الهيروغليفية في تلك الأيام عاش سكان وادي النيل في تجمعات قلية ولكن قبيلة إلهها الذي يتحسد في حيوان بري أو في طائر أو في فيتيش (الفيتيش هو أي موضوع مادي سيخ عليه القداسة للاعتقاد بقوة خارقة تسكنه وتشع منه - المترجم)

في متحف اللوفر هناك مشهد مصور على صفيحة، نحت فيه رجال إحدى هذه القبائل الأوبى متطلقين للبصيد، إنهم ملتحمون على عكس المصريين الحليقيين في العصور التاريخية اللاحقة، ويرتدون ثياباً ونطاقاً متصل به من الخلف دبل مشعر لحيوان، وأمامهم يسير رئيس القبيلة الذي يمسك بإحدى يديه هراوه وبالأخرى عبوداً عليه مستقر لصقر وفي مشاهد أخرى من السوح نفسه قد يستبدل الصقر بأبي منجل أو ابن آوى، أو عقرب، أو قربي ثور، أو سهمين متصالبين على درع، أو رمز الصاعقة هذه هي آلهة القبائل التي تقودها في المعارك وتقاتل عنها عند الضرورة ولهذا تظهر بعض هذه الحيوانات المقدسة سد بشرية تقض مخالها على سلاح لدفع الأعداء، أو على أداة لذلك حصوه

ثم ما لبث الآلهة ذات الشكل الحيواني حتى أصبحت أمحال أمام آلهة ذات شكل بشري، ولم يبق في نهاية عملية التحول هذه من الشكل الحيواني

القديم سوى رأس يعلو جسد امرأة أو رجل وقد يتحول الرأس الحيواني أيضاً إلى رأس شري ولا يبقى منه إلا أثر لأذنين أو قرنين.

منذ عصر الأسرة الثانية في مطلع لدف الثالث قبل الميلاد أخذت لآلهة أشكالها الثابتة لتي لم تتغير حتى بهاية عصور ابونية، وكما هو حال الآلهة التي رسمها فان العصور ما قبل التاريخية وهي ترتدي مكرراً قصيراً بربته دبل حيوان. أما الإلهات فيبدون في ثوب صيق طويل يصل إلى لكاحلين ونمسكه من الأعلى حمالات عند الكتف

لقد احتفظ أغلب الآلهة والإلهات برأس الحيوان الذي صدروا عنه ولكنهم بارتدائهم للشعر المستعار، ومن خلال الطريقة الفنية التي استخدمها لفنان لوصل العنق الحيواني أو المتقار بالعنق، فإن هذه الأشكال لهيئة نادر ما تصدم الحس الجمالي لناظرها الحديث. وهي تبدو لنا حقيقية فعلاً

وعندما يكون الرأس إنسانياً بشكل كامل، فإن الدفن الحبيبة تزينها لحيه اصطاعية تذكر بانوجوه المنحية للمصريين الأولين.

يمكننا التمييز بين الآلهة المحلفة والنعرف عليها فوراً من خلال عطاء الرأس ومن خلال الخصائص الموروثة عن العبيثش الأصلي أو الحيوان الذي صدرت هذه الآلهة عنه وفي بعض الأحيان تسعد الإشارات لهيروغليفية المصاحبة للشكل على تمييزه وكما هو شأن الزعماء القليلين من الإله الذكر يمسك بده عادة صولجاناً مشعاً، والأنثى تحمل حرمة بسيطة من سويقات الردي.

في الوقت الذي تحولت فيه لرموز الحيوانية والفينيشية ما قبل التاريخية إلى آلهة ذات شكل إنساني، كان محاربو الأقالييم القدماء قد تحولوا إلى حياة الاستقرار والزراعة، وأقامت آلهتهم في البلدات التي سوها، فتحوّلت من آلهة قبلية إلى آلهة محلية إقليمية. وصار لكل بلدة وقرية ومقاطعة إلهها الخاص الذي يحمل لقب "إله المدينة"، ولا يسمح لإله آخر بمنافسته وبناء على تصور عبده له على هيئة رجل من نوع خاص حارق القوة، فقد نسبوا إليه متلاكه لنفس حيوي يدعى "سا" بإمكانه تحديده على طريق السماح لإله آخر أقوى أن يسمه

وعلى الرغم من هذا التجديد فإنه لم يكن قادراً على انصمود في وجه الشيخوخة وحتى الموت أحياناً. كما ويحب الإله أن يكشف عن نفسه لعباده فيجلب في تماثيل المعبد أو في حيوان خاص يمكن التعرف عليه من خلال علامات معينة

في البداية عاش الإله لوحده ولا يغار إلا من سلطته الخاصة وبما أن المصري لم يكن يتصور الحياة من دون عائلة، فقد ناشر تزويج آلهته وإلهاته وإعطاهم ولداً يشكل مع كل زوجين ثالثاً مقدساً، لم يكن الإله المدكر فيه على الدوام رئيساً بل اكتفى أحياناً بوصف روح الإله لثي بقيت، كما في السابق، الإلهة الرئيسية للإقليم. وهذا ما حصل في الدلتا حيث استمرت السلطة بيد الإلهة هاتور

يقيم الإله في معبده الذي هو بمثابة القصر، مع زوجته واسمه، ويصمم إليه أحياناً آلهة أخرى ممن يسمح لهم بالإحاطة به وهو لا يسمح إلا للفرعون الذي يدعوهم ببنه بالمثل أمامه. ولكن بما أن الفرعون لا يستطيع ممارسة مهماته الدنية في كل مكان وفي الوقت نفسه، فقد أناب عنه الكاهن الأعلى في كل معبد ليقوم بالإشراف على الصلوات وإقامة الطقوس، بينما لعب بقية الكهنة والكاهنات دور الجهر الإداري الذي يشرف على سير شؤون مملكة الإله.

وفي مناسبات معينة يقرر إله المدينة جلب اسرور إلى نفوس رعاياه بأن يظهر نفسه علناً بكل أنهته، فيترك ظلام المحراب الداخلي للمعبد حيث لا يتمتع سوى ممثلي الفرعون بالتعبّد له يومياً، فيخرج محمولاً في زورق ذهبي على أكتاف كهنته ويطوف الشوارع بعظمة وجلال على السلاسل بأسرها. فقد عند المصريون آلهة الطبيعة الكرى، على الرغم من أنهم لم يقيموا لها المعابد ولم يؤدوا الطقوس، وذلك مثل اسماء والأرض والشمس والقمر، واسل العظيم الذي ينقل هيرودوتس عن المصريين قولهم بأنه حلق مصر.

إن كلمة السماء في اللغة المصرية هي مؤنث ولداً فإنهم جعلوا من السماء المربّية إلهة هي بوت" وهي "هاتور" أيضاً، اللتان صورتا على هيئة نقرة سماوية تقف على أقدامها الأربع المزروعة في الأرض، أو على هيئة امرأة يشكل

جسدها، اسحى فوق الأرض ويلامسها بأطراف أصابع القدمين والكفين، قبة السماء، وبطنها المرصع بالنجوم سماء الليل المتألقة بكواكبها. كما وتخيل المصريون أيضاً أن السماء هي رأس صقر مقدس، وأن الشمس والقمر هما عيانه اللتان يمتحهما ويغلفهما على التناوب

وعلى عكس السماء، فإن كلمة الأرض في اللغة المصرية هي مذكر، لهذا فقد تصوروا على هيئة رجل منبطح أو مستلق على حبه، ومن ظهره تنبعث كل نباتات لأرض، ودعوا اسمه "جب" إله الأرض

كان للشمس أسماء متعددة، اسندت معها تفسيرات متنوعة فهي هيئة القرص دعبت الشمس بالاسم المذكر "أتن" (أتون) وبناء على أحوال الشمس المتعاقبة يومياً دعي القرص بلاسم حبيرا "عند الشروق، وبلاسم رع" عند منتصف النهار، وبلاسم أتوم" عند الغروب كما دعي القرص أيضاً باسم "حورس"، وتحت هذا الاسم اتخذ رع وحكم مصر كنها فيما بعد، تحت اسم "رع - خرحيتي"، الذي يولد كل صباح من البقرة السماوية مثل عجل رصيع، أو من "نوت" مثل طفل ولد. كما جرى تصويره في هيئة صقر يطرئ نثراً جناحيه عر اسماء، أو العين اليمى للطائر المقدس العظيم. وفي تصور آخر كان بصورة نصعها كل صاح إوره سماوية، أو جعلاً عملاق يدرج أمامه كره الشمس المنتهة، مثلها يدرج لحعل المقدس كرة الروث التي أودع فيها يوضه

ولقد دعي لقمر أيضاً بأسماء عديدة فهو. آه ووث وخنوس كان أحياناً اباً لنوت إلهة السماء، مثلما كان أيضاً قرداً برأس كلب، أو على هيئة الطائر أبو مجل وفي تصورات أخرى كان العين اليسرى للصقر السماوي العظيم مثلما كان قرص الشمس عيه ليمنى

لم يقلع كهنة المعابد الرئيسية بمثل هذه الشروح لمبشولوجية لظواهر الطبيعة بل وعمدوا إلى إنشاء نظم كونية تشرح كيفية ظهور الآلهة على التوالي، وكيف جرى خلق الموجودات طراً. ولدينا الآن معرفة جيدة بأربعة من هذه النظم التي كانت تُعلم في لمراكز الدينه الرئيسيه الأربعة هيرموبولس وهيلبومولس

وممفيس وبوريريس، حيث قام الكهنة في كل مركز بحصر فعل الحق بلإلههم الحاصر المحلي وبذلك عُرِث عملية الخلق لكل من ثوث ورع وتتاح وأوريريس، كل على طريقته الخاصة. ففي بعض النصوص نجد أن الإلهة قد شأت من قم الإله لخالق، وأن بقية لأشياء قد خلصها صوته. وهي نصوص أخرى نجد أن البشر قد توبدوا من عرف الإله أو من دموع عينيه، أو أنهم، وكل الكائنات الحية، قد نشأوا عن طين النيل الذي جففته الشمس، أو أنهم قد حصلوا من تربة الأرض وحرى تكويهم على دولاب الخزاف

وعلى غرار كل الشعوب العديدة فقد رُئى المصريين في كل شيء تَجِبْ لتدخل إله ما ولا يوجد شيء غير قابل لاحواء قوة فوق طبيعية، وهذا ما أدى إلى رباة غير طبيعية في عدد الآلهة، حتى أن قائمة من عهد تحوتمس الثالث قد عُدت قرابة سعمئة منهم، ومعظمهم لا نعرف عنهم سوى الاسم فقط، وس يكون من المفيد لنا هه ذكرهم جميع

في هذه الدراسة، سوف يقتصر على الآلهة التي تمتعت بعبادة أصيلة، أو تلك التي كانت لها مكانة حقيقية في لأساطير، مستثنين بدراسة آلهة وبهات مجمع هيليوبوليس، أي بعقيدة التكوين التي علمها كهنة هيليوبوليس؛ بعد ذلك نتقل إلى بالآلهة الحامية للفراعنة وللمملكة لعدددهم في تسلسل كرونولوجي، وفق ظهورهم في عهود لسلالات الملكية المتعاقبة كشخصيات مهمة. يلي ذلك آلهة لهر والصحراء ممن لم ترد أسمائهم في الرمر السابقة، ثم آلهة الولادة والموت، وأخيراً بشر المؤلفون ومنهم الفرعون الحي الذي كان إلهها فعلياً.

ثم نختم بدراسة الحيوانات المقدسة التي كُتبت نحوها بات عصور الوثنية أكثر المؤلهات شعبية في مصر وهنالك ملحق يحتوي لائحة بالمائيات والطيور وحتى بالحشرات لي اسعد منها الآلهة إما خصائصها أو ملامحها

## مجمع هيليوبوليس

### وعائلة أوزيريس

#### نون (أونو)

هو الهويي الأولى ، أو المحيط البدني الذي التقت فيه قبل الخلق بذور الأشياء والكائنات كلها تطلق عليه النصوص لقب "والد الآلهة" ، ولكنه بقي مع ذلك مفهوماً فكرياً مجرداً، ولم تكن له معبد وعبادات مؤسسة يُصور أحياناً على هيئة شخص تخمره المياه حتى وسطه رافعاً ذراعيه ليحمي الآلهة التي تحدثت منه

#### آتوم (أو نوم)

الكلمة مشتقة على ما يبدو من جذر معناه "لا يكون" أو يكون كاملاً. كان في البداية بهاً محلياً لهيليوبوليس حيث كان حيوانه المقدس الثور ميروير Merwer أو (ميسوس Meneus باليونانية) مد الأرملة المبكرة قرنه كهنة بالآلهة رع، إله الشمس المعصم، ورأوا أن المحيط البدني سون كان يحمل في داخله روحاً من دون شكل استطوت على محمل الوجود، هي أبوم الذي أظهر نفسه يوماً تحت اسم آتوم - رع، ثم أنتج من داخله الآلهة وكل من في أنفه نسمة حياة

اعتبر لمصريون آتوم بمثابة السلف الأعظم للحسن الشثري، ومثلوه في هيئة بشرية دائماً واضحاً على رأسه تاج الفراعنة المزدوج (تاج مصر العليا وتاج مصر السفلى). لم يكن متزوجاً، ومع ذلك جرى الاعتقاد بأنه غداً أباً لأول زوجين إلهين دون معونه من زوجة وفيما بعد جرى تزويجه من امرأتين، لأن لاهوت ممفيس قد روحه أحياناً من "أبوس" وأحياناً من "بجيت حوتب"، التي ولدت توأمين هما "شو"، لاهراء، و"تيفنوت" لرطوبة.

## رع (أو فرا):

من المحتمل أن الكلمة تعني "الحالق"، كما أنها اسم لقرص الشمس السيد حاكم السماء. كان له معبد رئيسي في هيليوبوليس، حيث كان كهنة المدينة يؤكدون أنه في هذا المكان تجلى رع في جسم حجري على شكل مسلة تدعى من - بر. وقد جرى الاحتفاظ به بكل ورع في المعبد الذي يطلق عليه اسم هبت بن بن، أي قصر المسلة.

في السابق، صقاً لتعاليم لاهوت هيليوبوليس، كان إله الشمس يقيم في حصن لمحيط البدئي نون تحت اسم آنوم ولكي يحمي ضياءه من الانطفاء حرص على بقاء عينيه مغلقتين. كان يحيط نفسه بحوص من أرهار اللوس، إلى أن جاء يوم أحس فيه بانتعب من حالته غير المجسمة هذه، فهص بإرادته وقوته الخاصة من الهوة، وتجلى تحت اسم رع. ثم أنحب بعد ذلك شو وتيفنوت، اللذين ولدا بدورهما حيب الأرض ونوت السماء، وهذان أحبا أيضاً إريس وأوزيريس وسيت ونيفيس. هؤلاء هم الآلهة الثمانية العظام الذين يشكلون مع رع (أو آنوم - رع، لأن الاثنين كانا يُعدَّان شيئاً واحداً) التاسوع المقدس في هيليوبوليس

عندما أنتج رع من نفسه أول زوجين من لآلهة لم يكن معه امرأة ولم يحدث إلا بعد مضي وقت طويل أن أعطيت له روحه اسمها رات، وهو الصيغة المؤنثة للاسم رع أما البشر فقد خلقوا من دموع رع ونحس ما ربما أمام تلاعب لفظي، لأن كلمة واحدة في اللغة لمصرية تدل على الدموع وعلى الناس

في الوقت نفسه خلق رع كوماً بدئاً مختلفاً عن العالم الراهس، وحكمه من قصر الأمير" في هيليوبوليس حيث أقام بصورة رئيسية. وبصف لنا نصوص الأهرام حياته لملكية، وكيف بعد حمامه الصباحي وتناوله الفطور كان يركب قاربه ويتفقد برفقة كابيه المدعو وينج أقاييم مملكته الاثني عشر، ويقضي ساعة في كل منهما.

حكم رع بهدوء وسيطر على الآلهة والشر طالما بقي شاباً ونشطاً ولكن كبر السير جلب معه الضعف، وها تصفه المصوص كرحل عمور مرتحف القم يسبل اللعاب من طرفيه وسرى فيما بعد كيف أن إيزيس استغلت ضعف رع لتجعله يكشف عن اسمه السري، وحصلت بذلك على قوة الحكم والسلطان، وعندما أدرك البشر أيضاً حالة انهيار رع تأمروا عليه، ووصلت أحرار مؤامراتهم إلى الإله الذي استشاط غضباً واستدعى مجلسه فتشاور مع كل إله على حدة، ثم قرر أن يرمي بعنه المقدسه صد دعاياه الثائرين ولسوف نقص فيما بعد كيف انقضت العى المقدسة على المذنبين وبدأت فيهم دبحاً وتقتيلاً من دون رحمة، إل أن هداً غضب الإله وترفعت رحمته عن إلقاء المحسن الشرى، فوضع حداً سفت الدماء.

لا أن بكران البشر وحجودهم للحميل قد ولد عد الإله كرهاً للعالم ورغبة في الانسحاب إلى حيث لا يصل إليه أحد وها قامب لإلهة نوب ساء عسى تعليمات نون بتحويل نفسها إلى بقرة ورفعت رع على ظهرها عالياً إلى قطرة السماء بينما جرى في الوقت نفسه خلق العالم الحالي

مد أن ترك إله الشمس الأرض متوحهاً نحو لسماء بم تنظيم حياته بصورة ثابتة. وخلال ساعات ضوء النهار الاثني عشرة كان يركب قاريه عبر مملكته من اشرق إلى الغرب. خلال هذه لرحلة كد حريضاً على تجنب عدوه اللدود أيب، لأفعوا الهائل الذي يسكن في أعماق النيل السماوي، ولكن أسب كان يطلع أحياناً (خلال حالات الكوف الكلي مثلاً) في ابتلاع مركة الشمس، وكنه بهرم في النهاية من قبل المدافعين عن رع، ويلقى به إلى الهاوية السحيقة. أما خلال ساعات الليل الاثني عشرة عندما يهبط رع من فوهة المعيب إلى باطن الأرض، فإن المخاطر التي يواجهها كانت أشد هولاً، ولكنه يتعلم عليها ويخرج سالماً من فوهة لشرق بعد أن يعبر من وهذه إلى أخرى في العالم الأسفل. ويتلقى هتافات سكانه الموتى الذين انتظروا بفارغ الصبر ظهور ضوئه، فل أن يعودوا مرة ثانية إلى محبة الطلام

كان رع، كما تقول التعاليم، يولد كل صباح على شكل طفل، ثم يكر حتى منتصف لهار، ثم يأخذ بعد ذلك لاصمحلال لموت في تلك الليل

كرجل عجور. براه وقد مثل بطرق عديدة كطفل ملكي يرتاح فوق رهرة البونس التي انبثق منها؛ أو كرجل جالس أو في وصعية المشي، يحيط رأسه قرص الشمس الذي يلتوي على حوافه يرايوس (أفعوان الصل المصري الرهيب المقدس الذي يقذف اللهب ويدمر أعداء الإله)؛ أو كرجل برأس كش، أو إيفورع الذي تنحسد فيه الشمس الميتة خلال تنقلها الليلي وغالباً ما نجد أيضاً شخصية برأس صقر يحيط به قرص الشمس الذي يلتف حوله اليرايوس وهذا هو رع - هراكتي، إله الشمس العظيم لهيبوليس، سيد مصر وحاكمها إن أشكال وأسماء رع لا حصر لها، والابتهالات الخاصة بالشمس والمنقوشة على مداخل القبور الملكية تعدد أكثر من خمسة وسبعين اسماً وشكلاً.

كإله حالق للكون وحاكم له، غداً رع (الذي تماهت معه في نهاية المطاف الآلهة طراً)، مند بداية المملكة القديمة، الإله المجل عند الفراعنة الذين أطلقوا على أنفسهم لقب "أبناء رع" ونقص علينا إحدى الأساطير كيف أن إله الشمس أدى إلى ريديريت روجة الكهن الأعظم متكرراً في هيئة روحها، فنام معها ونجم عن اتحادهما الملوك (أوائل للسلالة الخامسة وكان يقال أنه في كل مرة يولد أحد امرأعة كان رع يعود إلى الأرض لينزوح من الملكة.

ومن المعبد المقدس المشهور في هليوبوليس، حيث كان الإله يعبد على شكل مسلة عملاقة، وحيث اعتاد أن يتخذ أيضاً شكل الثور ميرور أو شكل الطائر بنو، لم يبق اليوم سوى خرائب لا شك لها، ومسلة هي الأقدم في مصر، أنشئت في عصر السلالة الثانية بعشرة من قبل الملك سوسيرت الأول

## خبيري (أو خبيرا)

ولاسم يعني "هو الذي يكون" ويدل في الوقت نفسه على (الخضراء اسوداء). في هليوبوليس كان يمثل الشمس الشارقة التي تنشق من مايتها الخاصة وتولد منها من تلقاء نفسها مثل الحعل وهو إله التحولات التي تنديها الحياة وهي تحدد نفسها أبداً ويصور كرجل بوجه جعل، أو كرجل يحيط رأسه الجعل، أو بكل بساطة كجعل.

## شو (الهواء)

والاسم مشتق من فعل يعيد الرفع ويمكن ترجمته بالذي يحسك. هو أطلس الميثولوجيا المصرية الذي يدعم السماء أن تقع حرى خلقه وأخته ثمنوت (الرصونة) من قبل رع دون الاستعانة بامرأة فكانا الروحين الأولين في التاسوع المقدس بناءً على أوامر رع، انزل شو بين الزوجين الآخرين في التاسوع جيب (الأرض) ونوت (السماء) اللذين كانا متصقين بشدة، فوصلهما بقوة رافعاً نوت إلى الأعلى حيث أبقاها مستوية على ذراعيه

وهو إله الهواء، لنفسه المؤنه. ولكنه كشأن آلهة الطبيعة العظام، لم يكن له معبد ولا عادة خاصة. يصور على الدوام بشكل آدمي تزين رأسه ريشة نعامة هي شارته المميزة، وهي في الوقت نفسه الرمر الكسائي لاسمه في القلم الهيروغليفي.

حلف شو أباه رع كملك على الأرض، وكان عروسة للمؤامرات أيضاً مثل أبيه وقد تألب عليه أولاد أبيب وهاجموه في قصره ولكنه هزمهم بعد ذلك أقعده المرض حتى أن أتباعه بمخضين تخلوا عنه، عمل من الحكم وينزل لصالح ابنه حيب والثجا إلى السماء بعد أن أحدث عاصفة هوجاء دامت تسعة أيام

## تيفنوت

يبدو أن هذه الإلهة كانت مفهومة لاهوتياً أكثر منها شخصاً حقيقياً ومق لاهوت هيليوبوليس كانت أخت شو الثوام وزوجته. ويبدو أنها كانت في الأزمان القديمة مفترية بإله ما اسمه تيس لا يعرف عنه سوى اسمه

كانت إلهة للمندي والمطر، وفي الوقت نفسه كانت شخصيتها شمسية. صورت على شكل لبوة أو امرأة برأس لبوة وقد قرن لها الإعريق أحياناً بأرتميس نراها في النصوص كنسخة شحبة من شو، تساعده على حمل السماء وتتلقى منه كل صباح الشمس لمولودة من جديد وهي تزعم من وراء الجبال الشرقية

## أنهور

أو أنوريس بالنوبانية، والاسم يعني "هو الذي يقود ما قد احتسى"، كما يمكن ترجمته "حامل السماء" يرمز إلى طاقة الشمس الحلاقة ولكنه سرعان ما قرب بشو تحت اسم أنهور - شو وباعتباره تشخيصاً لقوة الإله الحربية فقد قرنه اليونانيون بأريس إله الحرب يصور على هيئة محارب يرتدي قبعة مزينة بأربع ريش مستقيمة، ويتشح بثوب مطرز طويل، وغالباً ما يلوح برمح. كما يراه أحياناً يمسك الحبل الذي يقوده الشمس وهذا أسطورة كيف تركت عين رع مصر وكيف أعادها من البرية أنهور، وعندما حاول رع وضعها في مكانها شعرت بالعصب لرؤيتها عيناً جديدة حلب محلها، فوضعها رع على جبهته وأصبح ليورايوس الذي يحميه من أعدائه. كان إلهاً محبوباً جداً في عصر المملكة الحديثة، فدعي بالمتقذ وبالإله المحارب. حارب بحماس الأعداء والحيوانات الصارة التي اصطاده من دون رافة وهو يفود عرته الحربية. دامت شعبيته فترة طويلة حتى أن هيرودوتس وصف الاحتمالات التي شهدتها تقام سريميس على شرف إله.

أعطي أنهور مهيبة روجة وهي تبدو مجرد نسخة عن تيفوت الروجة الأخت لشو عُدت في ثنس وصورت كإلهة رأس أسد

## جيب (سيب، كيب)

يشكل مع بوت الزوج الثاني في التاسوع المقدس يقربه نونارك نكروموس وهو بمثابة الإله ت للأرض، والأساس المادي للعالم ولكننا في العصر الكلاسيكي لا نكاد نسين أثره لعبدته وقد شرحنا سابقاً كيف انفصل جيب عن نوب بواسطة الهواء شو، ومنذ ذلك الحين بقي من دون عزاء يسمع نواحه ليل نهار.

غالباً ما يصور وهو يسلقي تحت قدمي شو (بعد أن كافح بقرة للدفاع عن روجته) محاولاً النهوض على مرفق واحد وركبته مطوية وهو في هذه الوضعية يرمز إلى الجبال وتموجات قشرة الأرض وقد تعطي جسمه أحياناً الحصرة النائية لا توجد له شارات مميزة ولكن في بعض الأحيان يحاط رأسه بإورة، وهي لرمز اكتابي لاسمه من هنا تصف بعض النصوص هذا الإله على أنه ذكر

الإور، المقوقىء العظيم، الذي وصعت روحته ببصة الشمس، وفي نصوص أخرى يحدث ثوراً قوياً أحصب القرة السماوية

غالباً ما اشتهر عن حيب ونوت بأهم والد لأسرة لأوزيرية ولهذا السبب دعي حيب بآلي الآلهة

كان حيب الفرعون الإلهي الثالث الذي تربع على العرش بعد شو حفلت فترة حكمه بالاضطرابات ولدينا نص يروي كيف أمر حيب بفتح الصندوق الذهبي الذي احتفظ به بداخله بأفعوانه المقدس (البوراوس) وأودعه في قلعة على الحدود الشرقية لمملكته، كطلسم حطر وقوي التأثير وعندما فتح الصندوق نفخ لأفعوان من فمه نفخة قتلت بطاة حيب وأصاب حيب نفسه بحرق حطير لم يشف منه بلسمه من خصلة شعر رع التي كانت مودعة في الصندوق مع عصاه. وعندما استعاد حيب عافيته حكم مملكته بحكمة، ودون تقريراً أميناً عن حالة كل إقليم من أقاليم مصر، ثم سلم الحكم من بعده لاسه الأكبر أوزيريس، وصعد إلى السماوات حيث أخذ أحياناً دور ثوث كرسون للآلهة ويحكم بينهم

## نوت

وتمثل السماء يقرنها الإغريق بالهتم "رحبا"، ولكننا لا ندري فعلاً ما إذا كان به عدة حقيقة في مصر كانت الأخت التوأم لحيب، تزوجت منه سرّاً ضد إرادة كبير الآلهة رع، فأمر رع إله الهواء شو أن يفصل بين الزوجين، وحكم على نوت ألا تنجب مولوداً في أي شهر من شهور السنة. وعلى ما يرويه بلوتارك الإغريقي، فإن الإله ثوث أشفق على نوت واحتال بذكائه على فرار رع. دعا ثوث القمر إلى لعبة الداما وبيع منه في عدة جولات اثنين وسبعين جزءاً من مموته صنع منها خمسة أيام جديدة لم تكن محسوبة في التقويم لمصري الذي مد أدمه ثلاثين يوماً فقط. وبذلك أتيح لنوت إنجاب خمسة مواليد في هذه الأيام الخمسة الجديدة دون معارضة رع وهم العائدة الأوزيرية المؤلفة من أوزيريس وحوروس وسيت وإيزيس ونيفتيس

عالم تصور إلهة السماء على هيئة امرأة بشكل جسمها موشاً فوق الأرض  
لي تلامسها بأصابع قدميها وكميها، وبطنها البعيد عن شو مرصع  
باسجوم المتلاثة. كما تصور أحياناً في هيئة البقرة، وهو الشكل الذي اتخذته  
عندما حملت رع على ظهرها وهو يعادر الأرض إلى السماء فلقد نهضت البقرة  
حيثك ورتفعت على سيقانها التي تطاولت حتى أصابها الدوار. وكان من  
الضرورة لدعمها تعيين إله لكل من سيقانها الأربعة، التي أصبحت فيما بعد  
أعمدة السماء. كما عمل شو في الوقت نفسه على إسناد بطنها الذي أصبح قنطرة  
السماء التي رينها رع بالسجوم والكواكب لتضيء الأرض.

وعندما تصور في هيئة امرأة غالباً ما نحتها واصعة على رأسها مزهرية  
مدورة، وهي الرمز الكني لاسمها. وبوت هي حامية لموتى، غالباً ما تراها  
تحمل لموتى وقد حضتهم بين ذراعيها لذلك نجد جسدها المرصع باسجوم  
مرسوماً على العطاء الداخلي للتأبوت يراقب المومياء بحنان الأم

## أوزيريس

والاسم هو الشكل الإغريقي للاسم المصري أورير قرنه الإغريو بالعديد  
من آلهتهم، وشكل حصص مع ديونيسوس وهاديس في البداية كان أوريريس  
إلهاً لبطيعة يجسد روح الحصرة التي تموت مع الحصاد لتولد من جديد عندما  
تنبت الحبوب وبعد ذلك عد في مصر كلها كإله لموتى، وسع المرتبة الأولى  
في الباشون المصري

هنالك إشارات عديدة في النصوص الهيرغليفية إلى حبه أوريريس وأعماله  
حلال حياته القصيرة على لأرض ولكن انفصل يعود إلى بلوتارك بالدرجة الأولى  
في تعريفنا بالأسطورة الأوريرية على نحو واضح ومتناسك فقد كان أوريريس  
الابن الأول لجيب وبوت ولد في طيبة بمصر لعلب ولدى ولادته نادى صوت  
عامص معلناً قدوم "سيد الكون"، فتصاعدت صرخات الفرح في كل مكان، ثم  
أعقبها اندمراع والواح عندما أبحر المستهجون بما ينتظر الإله من مأس ومحن  
انتزع رع بولادة حصده على الرغم من الحكم الذي أصدره بحق بوت أن لا تلد  
في أي من شهور السنة، وعندما أحضر الوليد إليه أعلنه وريثاً للعرش.

كن أوزيريس وسمياً ذاكن البشارة وأطول قامه من باقي الآلهة وعند ترك حيت الأرض صاعد إلى السماء، وليه أوزيريس على عرش مصر. واتخذ من أخته إيزيس زوجة وملكة. كانت أولى اهتمامات الحاكم الجديد إلقاء انعامات الهمجية مثل أكل لحم البشر، وتعليم رعاياه شبه المتوحشين فن صناعة الأدوات لزراعه وإنتاج الحبوب والكرمة وصنع الخبز والحمرية والجعة كما علمهم عبادة الآلهة، وبني المعابد الأولى وبحث التماثيل المقدسة الأولى، وسن القواعد الناطمة للممارسات الدينية. وحتى أنه ابتكر المرمارين الأولين لمرافقة لأناشيد انطقسية بعد ذلك بنى امدن ومنح شعبه قوانين عادلة. وبذلك استحق سم "أوزيريس" أي الواحد الطب، الذي عرف به باعتباره المرعون الإلهي الرابع

لم يقع أوزيريس تحصيل مصر لوحده وإنما رغب في نشر فضائل حكمه عبر لعالم قاطبة، فترك مسائل الحكم لإيريس ونائبه أنوبيس وأنووات، ثم سافر وأحضر البلدان باللين وعلم أهلها عن طريق الأغاني والموسيقى، فقد كان عدواً لكل أشكان العف والقسوة وبعد أن طاف بالأرض كلها ونشر فيها الحضرة، عاد إلى مصر فوجد مملكته في أحسن حال ونظام. لأن إيزيس قد حكمت بالعدل خلال فترة عيابه. لم يمض وقت طويل حتى وقع أوزيريس ضحية مؤامرة حاكها أخوه سيت الذي كان يحس بالغيرة لتنامي سلطة أوزيريس ولسوف يفض بالتفصيل فيما بعد (انظر فقرة إيزيس) كيف وقع أوزيريس تحت هربات المتآمرين وكيف وجدت زوجته المخلصة جسده وحمله إلى مصر من جديد، وهناك بمصل قواها السحرية ومعونة ثوث وأنوبيس وحورس أفلحت في إعداده لحياه إليه، فقام الإله ليحرص قصيته أمام محكمة الآلهة التي انعقدت برئاسة جيب

بعد أن نُعت، وجعله هذا البعث في أمان من الموت، كان باستطاعة أوزيريس استعادة عرشه والبقاء حاكماً على الأحياء، ولكنه فضل هجران هذه الأرض والسكن في أحضان "الحقور الفردوسية"، ويستقبل بحرارة أرواح الأترار بحكم علم الموتى. هذه هي باختصار أسطورة أوزيريس.

إن ما نستطيع تجميعه بخصوص أصول هذه الأسطورة هو إن أوريريس كان "فيتيشا" مقدساً لعشيرة غارية حلت في البوصيري (أنبي صير) بمنطقة مصر السفلى، حيث حل أوريريس محل إله المدينة السابق أسدختي، متخذاً شكله وربما اتخذ اسمه أيضاً، لأنه صار فيما بعد في أيدوس بمصر العليا يطلق مع خيتي - أميتي، الإله الدثب، وأضحى إله الموتى العظيم أوريريس - خيتي أميتي، سيد أهل العربو أي الموتى الذين يعيشون حيث تعرب الشمس.

أما بخصوص لتفسيرات اكونية العديدة التي أعطيت لأسطورة أوريريس، فلا يستطيع هنا سوى الإشارة إليها بإيجاز. فكرواح بالحصرة التي تموت وتولد من حديد بلا توقف، يمثل أوريريس القمح والكرمة والأشجار وهو أيضاً النيل الذي يرتفع ويأتي بالفيض ثم يهبط إلى سريه في كل عام؛ وهو ضوء الشمس الذي يحتفي كل مساء ليعود إلى الظهور بريق أكثر عند الفجر أما الصراع بين الأخوين فيمثل لصراع بين الصحراء والأرض الخصبة، وبين الريح المسبية للحفاف والخصرة، بين الحصوبة ولقحط، بين الظلام والنور

ولكن ما جعل أوريريس يتمتع بشعبية عظيمة هو كونه إلهاً للموتى. فلقد منح عباده الأمل بحياة سعيدة أبدية في عالم آخر يحكمه ملك طيب وعادل فلقد عبد أوريريس مع إيزيس وحوروس في كل مقاطعات مصر وشكلوا معاً ثلوثاً مقدساً ولكنه كان مجزأ بشكل خاص في أيدوس حيث كان لكهنة معرضون قبره للحجاج الذين كانوا يتوافدون من كل مكان لزيارته. وكم كان سعيد الحظ من دهن في ظلال الحرم المهيّب، أو من قدم نذراً على شكل نصب حجري يحسن اسمه يقدم في حوار الحرم ليتأكد من كرم إله في لحياء الأخرى

يصور أوريريس أحياناً في وصية الوقوف، أو جالساً على العرش، أو على هيئة مومياء ملفوفة بأقمطة لتحيط، وعلى رأسه التاج الذي يربن جانبيه ريشتا نعام، وهو تاج مصر العليا "أتف". أما الأيدان فمحررتان من الأقمطة ومطوئتان على الصدر، يحمل بهما السوط والصولجان المعقوف، رمز السلطة المطلقة

كانت الأسماء والصفات التي أطلقت عليه لا حصر لها. وهالك نحو مئة منها في تراتيل كتاب الموتى.

وكما هو شأن الآلهة الآخرين، كان أوريريس يبتهج بالتجسيد المادي. فإلى جانب ظهوره في شكل حيوانات عدة منها الثور والكبش والطائر، كان يؤكد حضوره من خلال عمود 'الدجيت' المصنوع من أربعة تيجان متراكبة توحى بالعمود العقري. ولذا زعمت بعض النصوص أنه العمود المقري للإله كان العمود يصنع في الأصل من جذع شجرة التوب أو من نوع آخر من الصووبريات، وربما كان في البداية فتيشاً بسيطاً يقود أتباعه ما قبل التاريخيين إلى المعركة.

لا يسمح لنا المجال هنا أن نصف الاحتفالات التي تحدد التواريخ المهمة في حياة أوريريس. يكفي أن نقول بأن تلك الاحتفالات كانت تجري أمام الجماهير وكان الكهنة خلالها يقومون بتمثيل صامت يدل على عذاب الإله ويعنه.

## إيزيس

والاسم هو الشكل اليوناني لأسيت أو إيسيت، قريها الإغريق بكل من ديمتر وهيرا وسيلين. وبسبب الاحتلاط بينها وبين هاتور فقد قرنت أيضاً بأفروديت. ولقد غدت شعبية إيزيس واسعة حتى أنها امتصت كل خصائص الإلهات في الماثيون المصري ولكنها كانت في الأصل معبوداً متواضعاً في ابدنا. والإلهة الحامية بمدينة يرهبت شمال البوصيري ثم صارت زوجة لأوريريس. له البلدة المحاورة وولدت له حوروس العصور الثاوث في اثنالوث الإلهي. انتشرت شعبيتها مع تنامي شهرة زوجها وبها.

وإليك أسطورتها كما يرويها بلوتارك:

كانت الآلة الأولى لحيب ونوت ولدت في مستنقعات الدلتا في اليوم لكيس الرابع. حنارها أخوها أوريريس روجة له فاعتلت العرش إلى حاسه. ثم ساعده في عملية تحضير مصر عن طريق تعليم النساء طحن الدرة وغزل الكتان وحياسة القماش. أما علمت الرجال أيضاً فن شفاء الأمراض، وعودتهم على الحياة الأسرية. وعندما عاد زوجها في مهمته لتحضير العالم بقيت في مصر تحكم بعدل في انتظار عودته

تملكها حزن طاع لدى سماعها خبر اغتيال أوزيريس على يد أخيهما سيب، فقصت شعرها ومزقت ثيابها وانطلقت تبحث عن الصندوق الذي يحمل حنة زوجها، والذي ألقى به امتـمـر ورو إلى النيل. كان التيار قد حرف التابوت إلى البحر حيث مصب النهر، ومن هناك حملته الأمواج إلى الساحل المسمى حيث استقر عند حدى شجرة طرءاء. كبرت الشجرة بسرعة مذهلة بسبب التابوت حتى أنها احتويه بكاملها في جذعها. عند ذلك أمر ملكاندر ملك مديـة جبيل بقطع الشجرة لتكون دعامة لعصره في قصر الملك فاحت من الشجرة رائحة عطرة داعت شهرتها حتى وصلت مسامع إيزيس التي فهمت في الحال حقيقة لأمر، فتوجهت فوراً إلى فينقيا حيث استقلتها الملكة استارت روجة ملك حبيل وعهدت إليها برعاية وليدها الصغير بنت إيزيس الطفل وأجبت أن يمحى الخلود عن طريق تطهير جسده الفنى نار الخلود، ولكن قل أن تنتهي مهمتها دخت الأم ورحت تصرح بحزن، فأبطل صراحها مقول السحر ولكي يهدى إيزيس من روعها كشفت لها عن شخصيتها وسب وجودها عندما أعطيت الشجرة إلى إيزيس استعرجت منها تابوت زوجها فعسلته بدموعها ثم حملته عائدة إلى مصر حيث أحفته في مستقعات الدك. ولكن سبت استطاع الثور عليه فقطع حسده إلى أربع عشرة قطعة بعثرها في أنحاء متفرقة لكي يستحيل إيجادها.

شرعت إيزيس مجدداً في بحث عن القطع المفقودة فوجدتها جميعاً حلا العضو التناسلي الذي التهمه أحد سراطين الماء، وجمعتها إلى بعضها، ثم أدت لأول مرة في التاريخ شعائر التحيط التي أعادت الإله القتل إلى الحياة الأبدية وقد ساعدها في ذلك كل من أختها بفتيس واس أختها أنويس ووزير أوزير الأعظم ثوث، وحوروس الابن الذي ولد لها بعد موت زوجها، وديك بعمل اتحاد بينها وبين الجثة التي بفتحت فيها الحياة بفصل سحرها

وبكى تفعادى عضب سبت استعجت إلى مستقعات الدلتا وتفرعت لتربية ولدها حتى بكر وتقم لأبيه وعصل فواها البحره حمت حوروس من كل الأخطار التي تعرض لها.

كانت إيريس ساحرة لا مثيل لها، حتى أن الآلهة أنفسهم لم يكونوا محصنين من سحره. وهنالك قصة تروى عنها عندما كانت مجرد إلهة عادية في خدمة كبير الآلهة كان رع قد كبر وشيخ، بمشي متطوحاً نعم مرتجف يسيل منه اللعاب. وكان إيريس تطمح للاستيلاء على قواه الإلهية التي يحتويها اسمه السري. جاءت إيريس بحمئة من نرب الأرض المبلبل بلعاب رع المقدس وصغت منها حية سامة ولدعت الإله الذي انتأه آلام لا تطاق، واستنجد بإيريس عليها تشفيه بقواها السحرية، ولكنها اشترطت مقابل ذلك أن يسوح لها باسمه السري فرفض تعاضم الألم على الإله فأخفى نفسه عن بقية الآلهة، ولكن حالته كانت تؤول من سيء إلى أسوأ. الأمر الذي صطّره في النهاية إلى استدعاء إيريس والكشف به عن اسمه الذي لا يعرفه أحد، وتركه ينتقل من صدره إلى صدرها دون أن ينطق بحرف منه.

يمثل إيريس في الميثولوجيا المصرية سهول مصر بغنية التي أصبحت مثمرة بفضل فيضان النيل السنوي الذي هو أوريريس. ثم جاء ست الذي يمثل الصحراء القاحلة بمؤامراته تلك لكي يفصل بينهما.

نشرت عادة إيريس في جميع أصقاع مصر حيث نقل البحارة والنجار خلال الحفنة الهلنستية والرومانية عاداتها حتى وصلت صفاف نهر الراين وأصبحت إيريس نجمة البحر والحامية الإلهة للمسافرين وفي وادي النيل بقي عباده على إخلاصهم لها حتى منتصف القرن السادس الميلادي، عندما أغلق الإمبراطور حوسنتيان معبدها الرئيسي في فيليبا بأقصى الجنوب المصري وحوله إلى كنيسة.

كانت الاحتفالات الكبرى لإيريس تقام في الربيع والحريف. وقد وصف لنا الكاتب أولوبوس، الخضر عبادة أسرار إيريس، فحامه المواكب التي أعدت لها، وبفضله يستطيع إزاحة طرف من الستار الذي يحفي طفوس التلقين لمن يدخل في عاداتها.

تصور إيريس عادة كمرأة تحمل على رأسها عرشاً، وهو الرمز الكتابي لاسمها. وفيما بعد، يظهر عطاء الرأس على شكل قرص موضوع بين قري بكرة

تحفّ به ريشتان كما نجدها أحياناً بحسب شري يحمل رأس بقرة، الأمر الذي يدل على امتزاجها بهاتور. من هنا كانت البقرة أحد حيواناتها المقدسة. كما كان لها فتيشات مثل العقدة السحرية 'تات'، عقدة إيزيس، والصلاصل التي كانت شعار هاتور أيضاً، وهذه نجدتها في الرسوم والمنحوتات البارزة إلى جانب أوزيريس ناعده أو تحميه بذراعيها المصحفين. وقد تراه تروح وتولول عند أسفل التابوت الحجري، أو تحرس الجره التي تحتوي أحشاء زوجها الميت (وهي الجرار اللازمة جداً لعملية العث) وتظهر من حين إلى آخر في دور الأم وهي ترضع حررس، أو تعاصده في صرعه مع سيت

### سيت (سيت، سوتيج)

دعاه الإغريق طيفون. كان الأخ الشريس لأوزيريس، وعدا أخيراً تحسيداً لروح الشر، المعارض الأبدي لروح الخير يحربا بلوتارك بأنه كان ابن جيت ونوت ولد قبل لأوان في اليوم اكبيس الثالث، عندما اضرع نفسه بعنف من رحم أمه. وكان فظاً ومتوحشاً، وله بشرة بيضاء وشعر أحمر، وهو أمر يفر منه المصريون ويرون فيه ما يشبه جلد الحمار

ولقد غار سيت من أوزيريس، أخوه الأكبر، وتطلع سراً إلى الحصول على عرشه. ولكي ينال متعاه دعاه أخاه بعد عودته ظافراً إلى وليمة وتأمّر لقتله مع اثني وسعين من أنصاره بعد أن أكل لمدعوون وشربوا أمر ست بإحضار صندوق بديع التصميم والحرارة وقال إنه سيعطيه لمن يناسب قياسه بالضبط. لم يناسب الصديق مقاس أحد إلا أوزيريس الذي استلقى في الصندوق غير أنه بالمكيدة، فاندفع المتآمرون وأغلقوه عليه وثثروا المعطاء بالمسامير، ثم ألغوا به إلى النيل حيث حمده إلى البحر، ومن ثم إلى بيلوس على الساحل الفينيقي وكنا قد أّمحنا سابقاً (فقرة إيزيس) إلى ذهب إيزيس للبحث عن تابوت زوجها حتى وجدته في جيل وأعادته فحبّأته في مستنقعات لدلتا، ولكن سيت عثر عليه وقطع حشمان أخيه إلى أربع عشرة قطعة ورعها في أماكن متباعدة شعر سيت بأن سيطرته على المملكة قد تمت، ولكن سروره لم يطل كثيراً لأن روحه نفتيس

التي كانت حاصرة في مأدبة الاغتيال قد هجرته وهرت خوفاً منه متحولة إلى أشكال حيوانية شتى، ثم انضمت إلى بطانة أوريريس وقدمت لإيزيس ما استطاعت من عون في تلك الأثناء كان حوروس ابن إيزيس يقرب من اللوغ في مخنها بمستنقعات الدلت وسوف يرى فيما بعد كيف انتقم لمقتل أبيه وطالب بالملكة من سيت.

وكم فلنا آتياً من سيت يظهر في لأسطورة باعتباره الخصم الألد، وكتجسيد للصحراء وللجفاف والظلام، مقابل الأرض الخصبة والماء والضوء لكل ما ينضوي تحت زهرة البركة والخلق والبركة يأتي من أوريريس، وكل ما ينضوي تحت زهرة التدمير والفساد يأتي من سيت.

على أنه في الأزمان الأقدم لم تكن شخصية سيت قد اتخذت هذا الطابع. ذلك أن نصوص الأهرام القديمة لا تجعل منه أخاً لأوريريس بل أخاً لحوروس الأكبر (وهو غير حورس الأصغر اس إيزيس)، وتتحدث عن صراعات رهينة جرت بينهما نهت فصل حكمة وتدير الآلهة الذين أعلنوا انتصار حوروس الأكبر وحورس الأصغر، وصار سيت عمّاً لحوروس والعدو الألد لأوريريس ويبدو أن سيت كان في الأصل سيد مصر العليا الذي تم خبعه عن عرشه من قبل عاندي إله الأصفر (حوروس). من هنا فإن الصراعات الأسطورية بين الآلهة الإخوة قد عكس أحداثاً تاريخية.

في المنحوتات البارزة للمملكتين القديمة والمتوسطة، يظهر سيت وحوروس يقودان معاً أسرى الحرب إلى الملك، أو يطهران معاً بضاً على قاعدة العرش الملكي وهما يوحدان نباتات مصر العليا والسفلى حول الشعار الذي يعبر عن فكرة الاتحاد.

خلال فترة حكم الهكسوس طابق الحكام الحدود ميت مع إلههم الكبير لمحارب سونيج، الذي شيدوا له معبداً في أفاريس عاصمتهم في الدلتا وخلال عصر المملكة الحديثة بعد حكم الهكسوس، تم يردد رمسيس الثاني الذي كان أبوه يدعى سيتي نسبة على سيت، في إعلان نفسه "حبيب الإله سيت". ومع

ذلك فقد كره عباد أوزيريس أن تكرس عبادة من قتل الإله الطيب، فأمر الفرعون سيتي بإزالة صور سيت الملعونة وشوه وجهه على جدار القصر الذي يعده لنفسه، وطالب بأن يلقب بالأوزيرى بدلاً عن السيتي

ولكن لم يحدث إلا تحت حكم ملوك الأسرة الثامنة والعشرين، خلال أوسط القرن العاشر قبل الميلاد، أن تمت المطالبة بمعقوبة رادعة للإله الشرير وعلى نطاق واسع، فجري تحطيم تماثيله ومنحوتاته البارزة ومحو اسمه أنى وجد. وأحيراً طرد من مجمع الآلهة لمصري وأعطي منصب إله الأنجس وهكذا انتهى الأمر من كان سيد مصر العليا في يوم من الأيام لأن يغدوا شيطاناً وعدواً للآلهة.

وقد جرى الاعتقاد بأن الحمير والظباء وحيوانات الصحراء الأخرى ستمي إلى سيت، وكذلك فرس لهر والخنزير والتمساح والعقرب، لتي التجأ سيت وأعوانه إليها هرباً من ضربات حوروس وتقول الأسطورة بأن سيت قد هاجم أوزيرس في هيئة خنزير أسود وحرّحه في عينه. وفي هيئة الخنزير السري كان يهاجم القمر، حيث التجأت روح أوزيريس، في أحر كل شهر قمري ويلتهمه

يصور سيت أحياناً على هيئة وحش خرافي له خرطوم مسنن ورفيع وأذنين متصبيين ودبل فأس ومشعب، وهذا المخلوق الذي لا يمكن تحديد نوعه يدعى بالحيوان الطيفوني، نسبة إلى الثنين اليوناني طيفون. وقد يصور على هيئة رجل يحمل رأس هذا المخلوق.

### ثيفتيس

والاسم هو الشكل الإغريقي لـ "ثيفيث" يدعوها سوتارك بيفروديت انيل يجري تصويرها عادة على هيئة امرأة تضع على رأسها الزمر الكتاني الهير وعلفي للققها "سيدة القصر"، والذي يتألف من سلة موضوعة فوق الرمز الهير وعلفي للققصر. كانت في الأصل إلهة للموتى، ثم أصبحت في الأسطورة الأوريرية الابنة الثانية لحيب وديت. اتخذها أخوها الثاني سيت زوجة له ولكنها بقيت عاقراً أرادت أن يكون لها ولد من أوزيريس فسقته حمراً حتى سكر ثم أحلته بين ذراعيها وهو لا يدري ما يفعل وحميت بأوزيريس.

تبدو نيفتيس، وفق مضمون هذه الأسطورة، على أنها حامية الصحراء، ولكنها مثمرة أحياناً عندما يفيض النيل في بعض السنوات أكثر من المعتاد، وتصل مياهه مناطق لا تصلها في السنوات العادية.

عندما ارتكب سيت جريمته بحق أخيه هجرته نيفتيس حائفة وانضمت إلى المدامعين عن أوزيريس، فساعدت أختها على تحييط حثة الإله القليل ثم راحت تتناوب معها النواح على الميت. وكما حمنا أخاها الميت كذلك راح "لتوامان"، كما تدعوها الصوص أحياناً، تحمين أحساد لموتى الأبرار ايدى صروا نسحاً عن أوزيريس بفضل أداء الشعائر الجنائزية لهذا بعدهم وقد صورتا على أغطية التوبيت والنوايس (التوابيت المحرقة) وهما تبسطان ذراعيهما المحميين كاية عن الحماية

### حوروس

والاسم هو لصيغة اليونانية - ثلاثية للاسم المصري "حُر". كان إلهاً للشمس وجرى قرنه بأبوللو يمثل عادة على هيئة صقر أو على هيئة رجل برأس صقر. فلقد رأى المصريون في السماء صقراً إلهياً يحلق عالياً. وأوا في الشمس والسر عيناه. وفي الوقت نفسه إله اسمه "حُر" يمت بصلة إلى كلمة السماء في العصور ما قبل التاريخية كان عابداً هذا الإله يحملونه صوطماً أو راية، وكان عدهم بمثابة الكائن الأعلى المبجل من هـا فقد صار الرمز الكتابي للإله حوروس يرسم على شكل صقر واقف على مهبط

كان حوروس يعبد حيثما حل أتباع الإله الصقر. ولكن بمرور الوقت وتعدد أماكن عبادته تنوعت صفاته وخصائصه وأدواره، حتى أصبح بين الآلهة المصرية نحو عشرين إلهاً يدعون بالاسم حوروس. ولكن المهم هنا أن يميز بين حوروس الأكبر المدعو "حارويريس" ومعه عدد من الصقور ذات الشخصية الشمسية مثل "حور هديت" و "حور أدفو"، وبين حوروس ابن إيزيس المدعو "حار سيريس" في أسطورة الأوزيرية، وهو لصل المستقم لأبيه

## حارويريس

والاسم هو الصيغة الإغريقية لـ "حاروير" المصرية وتعني حوروس العظيم أو حوروس الأكبر. كان يعبد في لاتو بوليس تحت اسم حورخيستي إيرتي، أي حوروس الذي يحكم العينين الاثنتين وفي فار بويثوس عبد تحت اسم "حور ميرتي" أي حوروس ذو العينين الاثنتين هو به للسماء نفسها. وعيانه تشكلا الشمس والقمر كان عبده الرئيسي يقام في اليوم الذي يقترن به هذان الجرم السماويان ويقعان في منزلة واحدة من منازل خط السميت.

في نصوص الأهرام نجد حارويريس اسماً لرع وأخاً لسيت أما الصراع الدائم بينهما فيرمز إلى الصراع بين النور والظلام وقد عمد سيت في إحدى المعارك إلى قلع عيني حوروس بينما عمد حوروس إلى إحصاء ست وسوف نرى فيما بعد كيف أصدرت محكمة الآلهة حكماً لصالح حوروس، الذي اعتبر بدءاً من نهايه فترة حكم الأسرة الثانية بمثابة السلف الإلهي للمراعية، وأعطى لقب "حور نوبتي" أي حوروس قاهر ميت

## بحديتي

وهو اسم آخر لحوروس السماوي منبأ على مدينة بحديت، وهي مقاطعة في إدفو لقديمة، التي دعاها الإغريق "أبولينو بوليس ماجا"، وهناك طابقوا هذا الإله مع إلههم أبولو واعتبروه سيذاً لمعبد بحديت. بصور بحديتي على هيئة قرص شمس مجنح، وعشت هذه الصور فوق بوابات المعبد، وغالباً ما يصور في المشهد الحربية على هيئة صقر هائل يحمي الفرعون وهو بسيط جناحيه ويفضض بمعاليه على مذبة، وعلى الحاتم الذي يرمز إلى الأندية. كما وتصوره المنحوتات البارزة في إدفو على هيئة رجل برأس صقر يقود جيوش رع حراحتي وهو الإله الذي يحسد اتحاد رع مع شكل خاص لحوروس المعبود في هليوبوليس.

## حراختيس

وهو الصيغة اليونانية لـ "حراحتي"، ويعني حوروس الأفق وهو يمثل الشمس في محراها بين الأفق الشرقي والأفق الغربي ويسبب احلاطه المبكر مع رع فقد ادعى لنفسه كل أدوار رع، إلى أن اتخذ رع بدوره كل أدوار حوروس وألقاه وشدعت عاداته في مصر كلها تحت اسم حراحتي

## حارماخييس

وهو الصيغة اليونانية لـ حارم أخيت" ويعني "حوروس الذي عند الأفق" وهو اسم السعسكس (أي الهول) الهائل الذي يحمي الهرم الأكبر، والذي نحت قبل خمسة آلاف عام على شبه الملك حمرين (أو خوفو) في صحره تحت ذلك الهرم يمثل الشمس الشارقة، رمز الانتعاش (من أجل راحه روح خمرين) بالرغم من الحجم الهائل للتمثال وموقعه على حافة الصحراء، فإن ذلك لم يحمه من الأيام الحوالي من زحف الرمال ولذب بض للمرعون تحوتموس الرابع يروي كيف ظهر به التمثال في الحلم عندما كان في رحلة صيد ونوقف عنده ليستريح ويتعافى ظله، فظهر له وأمره بإزالة الرمال التي كان يعرق فيها وبعداً بإياه، بعرش مصر، وكان تحوتمس عندها مجرد أمير لقد ناداه أبو الهول آه يا بني، العرش سوف يكون من بصك، ولكن عليك أن تمد ما برعه هؤلاء"

## هارس إيزيس

وهو الصيغة الإغريقية لـ "حور - سا - إيزيت" أي حوروس اس إيزيس - إن الأسطورة الأقدم لإيزيس تقول بأنها قد أنجبت حوروس بقواها الخاصة ودون معرفة من رجل - ولقد دعي هذا لابن بحوروس الأصغر تمييزاً له عن حوروس الأكبر إله السماء العظيم - ومع زيادة شهرة إيزيس كروحة لأوزيريس، صار حوروس ابناً لهما وازدادت شهرته حتى عطف على كل حوروس آخر واستلم أدوارهم وحل محلهم. بعد أن كان إلهاً صغراً ثانوياً في المنطقة المحاورة لبروتو.

تروي الأسطورة الوزيرية كيف حصل إيريس على طفلها من أوزيريس بعد موته، بعد أن أعادت حيوية الجثة بعمل طقوسها السحرية، وكيف ولدت طفلها قل الأوان على حربة شمش العائمة التي لا تبعد كثيراً عن بوتوفي بديه حانه كان يطلق عليه لقب "حارباً حراد" أي حوروس لطفل، أو "حاربوكراتيس".

يصور حاربوكراتيس عادة كطفل عار أو مريض بالجوارح فقط، برأس حليق عدا الضمائر الجانسة التي تتدلى فوق الصدعس ونراه عالماً جالساً في حضن أمه وهي تلقمه نديها أو يمتص إبهامه كأى طفل آخر وهي إشارة أساء الإغريق فهمها وطنوا أن لإله يشير بأصحه دلالة الصمت، الأمر الذي أكسب الإله شهرته كإله للصمت

ربي حوروس في عزلة حوماً من مؤامرات سيب كان ضعيفاً للغاية لدى مولده، ولكنه نجا من الأخطار العديدة التي هددته بعمل قوى أمه السحرية؛ فقد عضته الحيوانات المفترسة، ولسعته لعقارب واحترق بالنار، وانتابه الألم في أحشائه. وخلال مراحل نموه كن أوزيريس يظهر له من حين لآخر ويسريه على استخدام الأسلحة التي ستفيد في شن الحرب على سيب وامتطالبة ميراث أبيه والانتقام له، وهذا ما أكسب حوروس لقب "هابيدوتيس" وهو الصبيغة الإغريقية لـ "حاربوكراتيس" أي حوروس حامى أبيه

ولقد صورت حملات الإله اشباب صد قابل أوزيريس على جدران معبد أدفو، التي كان إلهها العظم القديم قد تسمى في الفترات المتأخرة حوروس، بينما صار سيب أيب العدو الأبدى للشمس، والتنين الذي يترص لالتهامها وفي سلسلة من المنحوتات البارزة، بره تحت اسم 'حاربوكراتيس' أي حوروس حامل الرمح، وهو يحرق أجساد أعدائه برمحه بينما يقوم أتباعه بتقطيع شاع سيب إرباً وهم يحاولون عبثاً الاحتباء في أجساد حيوانات متنوعة

دامت الحرب بين الطرفين طويلاً. ولكي يتم إيقافها دعت محكمة الآلهة إلى الاجتماع ونودي على الخصمين للمثول أمامها ادعى سيب أن حوروس ليس إلا ابناً دعياً لأوزيريس، ولكن حوروس نجح في التوكيد على صحة نسبه

وكان من نتيجة المحكمة أن أعاد الآلهة إلى حوروس ميراثه وأعلنوه حاكماً على المصريين، الأمر الذي أكسبه القاباً أخرى مثل "حوروس الذي يوحد القطرين" و "حوروس سيد الأرضين".

وهكذا أعاد حوروس توطيد سلطة أوزيريس في كل مكان، وحفظ نظام الدورة الشمسية. بعد ذلك أقام المعابد حيث صورته الرسوم بأشكاله المختلفة التي اتخذها خلال حروبه ضد سيت وأتباعه. ثم حكم مصر بهدوء واعتبر فيها الإله الوطني وسماً للفراعة الذين اتحد كل منهم لقب حوروس الحي. عُبد حوروس مع أمه إيزيس وأبيه أوزيريس في طول مصر وعرضها. وهو يظهر في الثالوث المقدس في العديد من لهياكل إما كزوج للملكة أو كطفل إلهي أو كرئيس.

حتى بداية المملكة الحديثة بقيت الصور والمنحوتات السارزة تطهره وهو يعمل مع سيت على تنويع الملك لحديد وتطهيره. أما بعد ذلك فقد حل ثوث محل سيت في هذه المشاهد كما سراه في مشاهد أخرى وهو يقاتل سيت وبطانته، أو ينوح على أبيه ويقوم من أجله بانطفوس الجنائزية. كما نرى له دوراً في العالم الآخر وهو إيصال لمتوفين إلى حصرة "الواحد الطيب". وعالماً ما يرأس جلوس المحاكمة ويزب حسنات ومثبات لمتوفى

## هاتور (أثير)

هو اسم الإلهة المصرية العظيمة، التي كان الإغريق يقرنونها بأفروديت. كنت هي الأصل إلهة للسماء وائمة لرع وروجه لحوروس ومع ذلك دعيت أحياناً بأم حوروس لأن اسمها يمكن أن يعني "مسكن حوروس"، وبهذه الصفة كن إله الشمس يأوى إلى صدره لتغلق عليه كل مساء لكي يولد من جديد كل صباح يشير بعض لمصوص إليها على أنها البقرة السماوية العظيمة التي خلقت الشمس والعالم بكل ما يحتويه. ولهذا جرى تصويرها في هيئة بقرة أو كمرأة برأس بقرة. كما صورت عالماً في هيئة إنسانة يرين رأسها قرنان أو حصلات شعر ملتفة أصرافها تظطر وجهها. وكان لها فيتش هو الصلاصل، تلك الآلة الموسيقية التي تطرد الأرواح الشريرة. وهذا ما دفع مهندس معبد هاتور في دسدره إلى نصب أعمدة الساء على شكل صلاصل صحمة

كانت حامية للنساء والمشرفة على ريتنهن. تمتعت بشعبية هائلة كمبهة للحب والمنعة، ونودي بها سيدة للبهجة وملكة لرقص والموسيقى والأغنية واللهو. كان معبدها بيتاً للسكر ومكاناً للمتعة كما كانت مغذية الأحياء بحبيبتها. نراه في بعض الرسوم وهي ترضع ولي العهد الصغير بينما تضمه بين ذراعيها أو تضعه على ركتها، أو على هيئة بقرة ترضع الملك.

ومع اهتمامها بالأحياء فقد اهتمت أكثر بالموتى ونحت اسم ملكة الغرب " كانت حامية للمقابر في طيبة تظهرها رسوم كتاب الموتى في هيئة البقرة الطيبة وقد برز نصفها من وراء الجبال اللبية (وهي الحد العربي الأبعد للسكن الشري) ترحب بالموتى لدى وصولهم إلى العالم الآخر، وتحمل على ظهرها من عرف طلب هونها بتلاوة التعاويذ السحرية المطلوبة.

دعيت أيضاً بسيدة الجميز، لأنها كانت تحتفي أحياناً بين أوراق هذه الشجرة عند حواف الصحراء، وتترأى للموتى وقد حملت الخبز والماء دلالة على الترحيب كما كانت هي التي تمسك بالسلم الطويل الذي يوصل إلى لسماء من يستحق ذلك من الأرواح الطيبة. بمرور الزمن ازداد التركيز على دور هاتور الجنائزي، حتى صار المومي في الأزمنة الأخيرة يطابق مع هاتور لا مع أوريرس.

كان ميكلها الرئيسي في دندرة، حيث عبدت مع زوجها حوروس المنسوب إلى إدفو، والذي أفسح لها هنا لتكون في المقام الأول. وقد شكل هذان الإلهان مع ابنهما إيهي (العاذف على الصلاصل) ثلوثاً إلهياً مميزاً. يصور إيهي كطفل رضيع يحششخ بالصلاصل إلى جانب أمه كانت احتفلات كبرى تقام في هيكل دندرة أهمها عيد رأس السنة الجديد الذي كان الذكرى السنوية لمولد هاتور. في هذا العيد كان لكهنة يأتون بصورة هاتور إلى الشرفة عند الفجر لتسقط عليها أشعة الشمس لشارقة، يتلو ذلك هتافات عالية تتدلى الكرنفال الحقيقي المحافل بالعناء والعريده.

عبدت هاتور أيضاً في إدفو مع سيد المعبد حوروس وابسهما حار سوم توس، وكذلك في أوموس حيث شاركت هي كلا الثالوثين على حد سواء.

كما وعدت حارح حدود مصر فعلى الساحل الصومالي، الذي ربما كان موطنها الأصلي، كنت سيدة أرض النط؛ وفي سيناء كانت تعرف سيدة أرض ميكيت؛ وفي فيسقبيا حيث ترسخت الأسطورة الأوزيرية مد وقت مبكر كانت تدعى سيدة جبيل

## أنوبيس

وهو الترجمة الإغريقية للاسم المصري أسو، وقد قرره الإغريق بهرمس. كان أنوبيس يفتح للموتى طرق العالم الآخر، ويصور في هيئة ابن أوى أسود اللون ذي ذيل كئيب، وكرحل برأس ابن أوى وبشرة مائلة إلى السواد، أو برأس كلب، وكلاهما حيوانان مقدسان لأنوبيس، من هنا فقد دُعيت المدينة الرئيسية لعدته في اليونان Cynopolis أي مدينة الكلب

منذ عصور فجر السلالات كان أنوبيس يرأس طفوس التحيط، وكانت الصلوات الجنائزية التي يحل فيها الموقع المميز توجه إليه حصراً في تلك الأيام.

في نصوص الأهرام اعتبر أنوبيس الابن الرابع لرع، وكانت ابنته كيبهوت إلهة النصارة. فيما بعد، قبل في عائلة أوريريس وجعل ابناً نفتيس التي لم تحمل من زوجها سيت، ولكنها رنت مع أوريريس وهو سكران وأنجت منه أنوبيس، الذي محرته عقب مولده للقططه إيريس وتريه، حتى إذا بلغ الرحولة رافق أوريريس في رحلته لغزو العالم

وعندما قتل أوريريس الواحد الطيب، ساعد إيريس وبمعتيس على دفنه. وفي هذه المناسبة انكر أنوبيس الطفوس الجنائزية، وحط أوريريس ليمع جثته من العصى بملامة انهواء، لذلك دعي بسيد أقمطة لمومياء، ومد ذلك الحين أمد بالإشراف على لجنازات وغالباً ما نراه في دوره هذا، الذي يبدأ بتحنيط الميت وينتهي باستفصال روحه عند باب القبر. وهو الذي يقوم بالتأكد أيضاً من أن المدمات التي يُقرنها أهل الميت تصله بصورة فعلة وبصفته حاجباً لأوزيريس بمعه وهو يفود الميت من يده إلى قاعة لعدالة لتوزن أعماله هناك.

إن دور إله الموتى هذا قد أكسب أنوبيس عبادة شمولية وأفسح له المجال لدخول دائرة أوريريس ، الأمر الذي أمن له دوام العبادة حتى الفترات المتأخرة عندما منح اسم هرمانيوبس المؤلف من هرمس اليوناني مرشد الأرواح وأنوبيس المصري في الموكب الاحتفالي العظيم الذي يقام على شرف إيسرس (وفق وصف أبوليوس) فإن أنوبيس الذي يحمل رأس الكلب هو الذي يسير في مقدمة الرمور المقدسة حاملاً بيديه الصولجان وسعة النخيل

## أبوات (ويوات ، أفويس)

وهو إله له رأس ذئب أو ابن آوى. ومع ذلك يجب عدم الخلط بينه وبين أنوبيس والاسم يعني هو الذي يفتح الطريق يعود إلى الفترات ما قبل لتاريخية حيث يرى الإله الذئب محمولاً فوق رايته وهو يرشد المحارس من قبلته وهي الفترات التاريخية براه على الشاكلة نفسها في موكبه الاحتفالي الحالى. وفي احتمالات أوريريس تراه وهو مرسوم على درعه الخاص يقود الموكب الجنائري. كما يصور أحياناً وهو يشد قارب الشمس خلال رحلته الليلية ، أو يسحب قاربها على حواف السماء الشمالية والجنوبية كإله سابق للحرب كان بعد أيضاً كإله للموتى خاصة في أبيدوس ، التي كان فيها سيداً لمسطقة المقابر تحت اسم حينى أميتي (حاكم الغرب) وذلك قبل أن يحل محله أوريريس.

كان الإله المحلي لمقاطعة سيوط ، أوليكروبوليس اليونانية. ثم ألحق بالأسطورة الأوريرية وصار حليفاً لأوريريس ووحداً من ضباطه الرئيسين إلى جانب أنوبيس خلال رحلته لغزو العالم وكان الإلهان يصوران على هذا النحو وقد ارتديا الزي العسكري

## ثوث

وهو الصيغة اليونانية للاسم جيهوتي أو زيهوني. فرنه الإغريق بهرمس رسول الآلهة وعبد في جميع أنحاء مصر كإله للقمر ، وكحام للعالم والأدب والحكمة والاحتراعات ، والناطق باسم الآلهة ونقيم على سجلاتهم. ويبدو أن الاسم جيهوتي لا يدل سوى على انتماء الإله إلى جيهوت وهو الاسم القديم

لإقليم مصر السفلى لني كانت عاصمتها هيرموبوليس بارها، قبل أن يسفل هيكل  
ثوث المقدس لرئيسي إلى هيرموبوليس ماجنا بمصر العيا

يصور عادة على هيئة رجل برأس الطائر أي محمل يحيط به سدر صمن  
هلال، أو يصور على هيئة ذلك الطائر كم صور في هيئة قود له رأس كسب،  
الأمر الذي يدفعنا للاعتقاد بأن ثوث العصور القديمة قد طهر نتيجة اندماج إلهين  
قمرين أحدهما على هيئة طائر والآخر على هيئة قرد

وفق لاهوت هيرموبوليس كان ثوث هو الخالق الحقيقي لكون، والذي في  
هيئة الطائر وصع بضة العالم ووفق لاهوت هيرموبوليس ماجنا فإن اخلق قد تم  
من حلال صوته فقط، وذلك عندما أفاق للمرة الأولى في المياه لدائية نون  
وفتح شفثيه فصدر عنه صوت حسد أربعة آلهة ثم أربع إلهات. ومن دون أن  
يكون لهؤلاء الآلهة الثمانية شخصيات حقيقية ساعوا خلق العالم من حلال  
الكلمة، وعنو، ثراتيل في الصباح وفي المساء لتوكيد استمرار الشمس في  
محراها. وبهذا دعيت هيرموبوليس ماجنا خوم، أي مدينة الثمانية

في نصوص الأهرام يذكر ثوث أحياناً على أنه الاس الأكبر لرع، وأحياناً  
دائن لجيب ونوت، وشقيق لايريس وسيت ونفيس. ولكنه بشكل عام لا ينتمي  
إلى العائلة الأوزيرية، وإنما هو وزير فقط لأوريريس وكاتب مملكته بقي محلصاً  
لسيده القنيل وقدم مساهمة فعالة في بعثه بفصل صدق صوته الذي راد من فعالية  
بعريده لسحرية وبفصل فعالية الطريقة التي طهر بها جثمان أوريريس. بعد  
ذلك ساعد إيزيس في الدفاع عن حوروس لصغر ضد المخاطر التي أحافت  
ه، ثم دخل بعد ذلك في الصراع الشرس بين حوروس وسيت، فشوى حراح  
الأول رخصى الثاني. وعندما دعي الخصمان للمثول أمام محكمة الآلهة لني  
اعقدت في هيرموبوليس. كسب ثوث لقب الحاكم بين الفريقين وأصدر حكم  
محكمة الذي ألزم سيت بإعادة ميراث ابن أخيه بعد ذلك أصبح وريثاً  
لحوروس بعد أن كان وزيراً لأوزيريس. وعندما تحلى حوروس عن السطة  
لأبويه استلم العرش بدلاً عنه وخلال ثلاثة آلاف ومئتين من السنين بقي ثوث  
المدوح الأعلى للحاكم المسالم.

ولكونه يتحلى بالمعرفة الكاملة والحكمة فقد عُزي إليه ابتكار كل الفنون والعلوم والحساب والمساحة وعلم الفلك والعرافة والسحر والطب والجراحة، والرسم، والكتابة التي لولاها لنسيت البشرية المادى التي وضعها، ولما استعادت من كشافاته.

وكمحترع للكتابة الهيروغليفية فقد دعي "سيد الكلمات المقدسة"؛ وكرائد للسحرة دعي أيضاً "بالكبير"، وتناهى تلامذته بأنهم وصلوا إلى السرداب الذي أخفى فيه كتب السحر الخاصة به وفكوا رموز صيغها القادرة على التحكم بكل القوى في الطبيعة وبالإلهة أيضاً عرا إليه أنشأه تلك القوة غير المتناهية التي منحها اسم ثوث - المعظم ثلاث مرات - والذي ترجمه الإغريق هيرمس ترمس ماحيستوس، الذي صار فيما بعد هرمز المثلث الحكمة

بعد حكمه الطويل على الأرض صعد ثوث إلى السماء حيث شعل مياصب متبوعة. فقد كان الإله لقمر، أو المسؤول عن القمر، لأن القمر كان يملك اسمه الخاص وهو آح - تي هوتي. وقد أوردنا سابقاً كيف لعب ثوث لداما مع لقمر ورجع منه في عدة جولات اثنتين وسبعين قطعة من صوته صنع منها الأيام الخمسة الكبيسة. وفي بصوص أخرى يرى أن القمر هو ابن ايسرى لحوروس يرعاها الطائر أبو منجل أو القرد ذو رأس الكلب. وهناك نص من كتاب الموتى يقول بأن رع أمر ثوث ليحل محله في لسماء عندما يقوم هو بنشر صوته على المراكس في العالم لأسفل شرع القمر برحلته الليلية في مركبته، ولكن الوحوش أخذت تهاجمه وتلتهمه قطعة قطعة، ولكن حراس القمر المخلصين أحبروهم على لفظ القطع التي ابتلعوها واحدة واحدة في مطلع الشهر القمري الجديد

في دوره كإله قمري قام ثوث بقياس الزمن فقسمه إلى أشهر وأعصى اسمه للشهر الأول ثم قسمه إلى سنوات لكل سنة ثلاثة فصول

كان ثوث القوة الإلهية المدبرة التي أوكل إليها أمر كل الحسابات وإعداد السجلات. براه في إدفو أمام الشالوث المقدس يقدم السجل الذي دون فيه ملاحظاته وتعليقاته بخصوص مقاطعات البلاد وفي دير البحري براه يقوم بعملية جرد دقيقة للكمور التي جاءت بها إلى الآلهة حملة بحرية إلى أرض البط.

كان حارس الأرشيف المقدس والمسؤول عن التاريخ. دونّ بعناية تسلسل  
 حكام مصر، وكتب على أوراق الشجرة المقدسة في هيليوبوليس اسم الفرعون  
 المقبل الذي ولدته الملكة لتوها بعد اتحادها مع سيد السماوات، مثلما دون  
 على غصن نخلة طوبى سنوات الحكم السعيدة التي منحها رع لملك كما كان  
 رسولاً للآلهة، وعالماً ما خدم ككاتب ومعدون لهم نقرأ هي أحد لتصوص 'رع  
 قد تكلم وثوث كتب" وأثناء المحاكمة المخيمة لسموني أمام أوريريس نرى ثوث  
 يزن قلب الميت فإذا وحده كاملاً ونظيفاً من الذنوب يعلن بصوت عال: "غير  
 مذنب"، وهو الحكم الذي كان قد دونه لتوه على لوح القدر

نال ثقة الآلهة واختير من قلمهم كمُحكّم، وبهذه الصفة رأيناه يصدر حكماً  
 عادلاً في صالح حورس ضد سيت، ومنذ فترة المملكة الجديدة حل محل سيت  
 في مشاهد التتويج ومشهد سكب التقدّمات أمام الملك

غالباً ما تزوجه انصوص إلى معات إلهة الحقيقة والعدالة، ولكننا لا  
 نجدهما معاً في أي معبد، كما نعرف زوجتين أخريين من زوجاته هما سيسات  
 ونهماويت وتشكلان معه وولديهما هي هيليوبوليس ثالوثين مقدسين يخرنا  
 بلوتارك أن لاحتفال الرئيس للإله دي رأس الطائر أبي محسن كان يجري في  
 التاسع عشر من شهر ثوث، بعد بضعة أيام من انقمر ابدر في بداية العام.

### سيسات (سيسيثا)

كنت الروجة الأساسية لثوث وبما أنها إلهة للكعبة والتاريخ، لم تكن في  
 الواقع سوى ازدواج لثوث نفسه كانت تصور في البداية على شكل امرأة تحمل  
 على رأسها نجمة مقبوضة ضمن هلال مقلوب تعلوه ريشتان مستقيمتان طويلتان  
 هما الرمز الكتابي لكلمة "أمية السر"، فيما بعد جرى استبدال الهلال بقرنين  
 مقلوبين، وهذا ما أعطاهما لقب سافيج أوبي، أي التي تضع لقرنين.

وكإلهة محمية كنت وظيفتها قياس الرمز، وإلهة عري منكار الاشارات  
 الهيروغليفية، وأطلق عليها لقب سيدة بيت الكتب. كما دعيت سيدة بيت  
 ابعماريس، وصورت كمؤسسة للمعابد تساعد الملك على تحديد محور المعبد  
 وتحديد بمساعدة النجوم، وتحدد مواقع الروايا الأربع للصرح الضخم بالأوتاد.

وكإلهة للتاريخ وحفظ السجلات الحاصلة بالآلهة، نراها وحيدة أو برفقة روحها ثوث تكتب أسماء الحكام والملوك على أوراق الشجرة لمقدسة في هيليوبوليس، أو تسجل على ورقة نخل طويلة سنوات الحكم الممنوحة للفرعون، وتضع مخطوطه وقائع الاحتمالات الخاصة باليوبيل الفضي والذهبي وكسيدة لكتّاب براها تسجل على لوح العائم التي حصل عليها الملك من الأعداء وعندما كنت الملكة العظيمة حتشسوت (من السلالة الثامنة عشر) نعود من حملاتها إلى أراضي النبط، فإن سيئات هي التي تقوم بحرد الكنوز التي جاءت بها كل حملة إلى طيه نقرأ في أحد النصوص أن "ثوث هو الذي حسب الكميات وأن سيئات صادقت على الأرقام .

### الآلهة الحامية للفراعة والمملكة

فما سبق من هذه الدراسة تعرفنا على عدد من الآلهة ممن كانت لهم ميزة خاصة عند الفراعة الذين اعتبروهم أسلافهم المقدسين. فقد كان سيت فعلاً سيد مصر العليا، ولكنه طرد من مجمع الآلهة المصرية فيما بعد وكذلك حوروس الذي يتباهى كـ فرعون بأنه التجسيد الحي له، وكذلك رع الذي ادعى كـ فرعون بدءاً من السلالة الخامسة وأنه اسـ وسوف ستعرض الآن الآلهة الأخرى ذات العلاقة بالسلالات الحاكمة، حسب تريب ظهورهم الزمني

### نيخت

عرفها الإغريق باسم إنيثا حامية الولادة، كانت منذ لأزمان الأولى حامية لمصر العليا، وكان مركز عبادتها يقع في الكـب عاصمة المملكة القديمة في الحوب براها في مشاهد بحروب وتقدمة الدبائح وهي تحوم فوق رأس الفرعون على شكل نسر يحمل المدة ولحتم. كما تصور كـمرأه برأس نسر أصعب، أو تضع تاج مصر العـب لأبيض على رأسها أو على غطاء رأس تتخذ شكل نسر. وكأم كانت يـحب ترضع مواليد العائلة المالكة وغالباً ما براها وهي ترضع الفرعون نفسه

وهو الصيغة اليونانية للاسم بير أودجيت أي مسكن أودجيت، وهو الاسم الذي أطلقه الإغريق على مدن الدلتا وعلى الإلهة التي عدت هناء، الإلهة الحامية لمصر السفلى وتحكي لأسطورة الأوزيرية أن بوتو حاكمة الدلتا قد وقفت إلى جانب إيزيس وساعدت على حماية ابنها الرضيع. وهي التي تلقت العفل حوروس من الجزيرة العائمة شيميس ولهذا يفرها الإغريق مع لانونا أم أبوللو.

كانت بوتو إلهة أفعى، وغالباً ما صورت على شكل كوبرا، متوجة أحياناً وأحياناً طائراً كما تتخذ أيضاً هيئة امرأة تضع على رأسها تاج الشمال الأحمر، مثلما كانت نيخت التاج الأبيض للحنوب. وتظهر هاتان الإلهتان، الإلهة النسر والإلهة الكوبرا، المعروفتان باسم نتي أي السيدتين، جنباً إلى جنب في الوثائق الملكية. وقد تزيّنان جبهة الفرعون لحمايته من أعدائه.

### مونت (ميشو)

كان إله الحرب في طيبة، وبسبب شخصيته الشمسية فقد قرنه الإغريق بأبوللو. ظهر مع بداية المملكة المقدسة، وعبد بشكل خاص من قبل ملوك السلالة الحادية عشرة، الذين تسمى معظمهم باسم ميشو حنوب أي موت راضٍ

يصور كرجل برأس يعلوه قرص الشمس وريشتان طويلتان مستقيمتان. بعد ذلك يظهر كرجل برأس ثور مزين بمثل ما ذكرناه، وكان الثور حيوانه المقدس، ويشكل خاص ثور بوتشيس المشهور، الذي كان يعتني به بوع في هيرمونثيس، هيكل الشمس بمصر العليا. وكانت هيرمونثيس العاصمة السابقة لمصر العليا حيث عبد إله الشمس موت لقرون طويلة، قبل أن يرله للمرتبة الثانية وزيره آمون الذي أصبح ملكاً للإلهة في طيبة.

بعد أن أطاح بموت، رعب آمون في تبي الإله المخلوع لأن زوجه كانت عاقراً ولكن الحاكم السابق للإقليم لم يسره هذا المنصب الثانوي وفصل أن يعيش وحيداً في هيرمونثيس حيث بقي فيها سيداً بلا منازع، وكذلك في ميدامود بضواحي طيبة حيث تقاطر العديد من مرسيه لعبادته برفقة زوجته رات - تاوي

صورت الأعمال انفية مونت كإله للحرب في أيام المملكة الحديدة، فنراه يلوح بسيفه المعروف وبفطع رؤوس أعداء الفرعون، ويجر بالسلاسل الأسرى المهزومين، وغالباً ما تمثله المنحوتات البارزة في المعابد كإله شمس للجنوب مع إله شمس الشمال وهما يحرسان الملك عندما يدخل الحرم المقدس.

### آمون (وضمنه فقرة عن آتون)

الإله المصري العظيم الذي منح غالباً لقب ملك الآلهة، وقربه الإغريق مريوس. لم يكن معروفاً تقريباً في فترة المملكة القديمة، ولا يظهر اسمه حينذاك (والذي يبدو أنه مشتق من حذر كلمة تعني الخمي) سوى أربع مرات في نصوص الأهرامات بهيليوبوليس. ولربما كان يسمي إلى منظومة التكوين الهيليوبوليسية، وواحداً من الذين خرجوا من قم ثوث على ما شرحنا سابقاً.

في ذلك الوقت كانت طيبة، التي شيدت فيما بعد أضخم المعابد لآمون، مجرد قرية في الإقليم أو الولاية الرابعة لمصر العليا، حيث كانت هيرموبوليس مدينة الإله مونت العاصمة بلا منزع.

مع حكم الملك الأول لسلالة الثانية عشره المدعو أميمحات، أي آمون بقود، أخذت أهمية طبة وإلهها آمون تزداد، حتى أن الفاتحين العظام لقرائه الأسره الثامنة عشره، بعد ذلك، ادعوا بغير أنهم أبناء آمون، وكانت طيبة قد عذب العاصمة تحت اسم "نوت آمون" أي مدينة آمون وكان إلهها أراح مونت عن عرشه وغدا سيداً للبلاد بكاملها.

بصور آمون عادة على هيئة رجل ذي شرة نرونية وهو يرتدي تاجاً تنشق منه ريشتان طويلتان متواريتان نراه جالساً بجلال على العرش أو واقفاً ومسطحه مرهوعاً فوق رأسه هي وضعه إله القضيب مين. كما نره على هيئة رجل برأس كش دي قرون ملتفة. وكان في الكرنك كبش مقدس يُعد بمنانة التجسيد لحي للإله، إصافه إلى أوزة وهي الحيوان المقدس الآخر للإله

كان آمون ذو القضب يمثل قوى التكاثر والإخصاب والإحباب، وعالمًا ما دعي بروج أمه، وهو الذي يبعث الحياة الخلاقة ويحافظ على استمرارها وكيله للحصب يجد الملك في حضوره يذر الفصح ويجمع الحزمة الأولى.

كان حاميًا لمعظم الفراعنة الأقوياء، منحهم لصر واعترف بهم أبناء له. فكان من الطبيعي أن يندو إله طيبة إلهًا قومياً دافع لصيت سادى به المؤمنون ملكاً على الآلهة تحت اسم آمون رع ذلك إنه عندما طابقه اللاهوتيون مع رع، الإله الشمس القديم، حل آمون محله كقوة خالقه عالمية، ورئيساً للتاسوع الإلهي العظيم. تراه مصوراً في القبور المنكية مملياً عرشه في قارب الشمس، وأثناء الساعات المظلمة من الليل يصيء العالم الأسفل

وكرر رع لم يشارل مع ذلك عن سلطته القديمة فتحت اسم رع حرخيتي كانت له عبادة خاصة على لداوم ولقد شهدت فترة حكم أمحوتب لثرت ردة لصالح رع بقيت تشجيعاً من كهنة هيليوبوليس الذين تمسكتهم الغيرة حراء ثروة آمون لهائلة، والقوة التي تمتع بها هذا لادم الجديد. وعندما اعتلى العرش أمحوتب الرابع (أخناتون) تلقت عبادة رع حرخيتي دفعاً جديداً في مطلع حكم هذا العاهل، وتحت الاسم المبعث سابقاً آتون لهيار، أي قرص الشمس الذي يصدر ضوء لهيار، دخل رع حرخيتي في صراع مع منافسه آمون وكسفه بشكل مؤقت في السنة الرابعة لحكمه أبدأ أمحوتب الرابع إصلاحاً ديباً واسعاً وأعلن ديانة آمون ديانة رسمية للبلاط ولمصر

كان أون ما يدا به العرعون المصلح، وقد ملكه حماس شديد لإلهه، هو تغيير اسمه من أمحوتب الذي يعني آمون يرضى، إلى أخناتون الذي يعني مجد آتون ثم سارع بهحران طيبة بعد أن بسى له عاصمة جديدة دعاها أحييت آتون، أي أقف الإله آتون، وذلك في مصر الوسطى مجيداً لقرص الشمس.

لم يكن هنالك صور لآتون تمثله هي هيئة بشرية أو حيوانية، وإنما جرى تمثله على شكل قرص أحمر تنبعث منه خطوط أشعه طويلة تنتهي بأباد تأخذ التقدّمات الموصوعة على المدايح، أو تقدم للملك والملكة لشارة الهيروغليفية

التي ترمز إلى قوة الحياة. كان المرعون الكاهن الوحيد لآتون لدي أقيم  
طقوسه في معبد يشبه معبد اشمي في لعمدة القديمة، ودعي مثلها "حيث من  
بن" أي قصر المسلة. فهناك في بهه ناحة ضخمة تبرز مسلة حجرة عالية ترمز  
إلى الشمس كانت العفوس بسيطة وتتألف من تقدمات قوامها الكعك والمواكه،  
ومن ابتهالات جميلة ألفها الفرعون بنفسه، تمجد اشمس كما في الأيام الحوالي  
كخالقة لبشرية ومسبغة لعم على العالم، ولكن من دون الإشارة إلى تلك  
الأساطير القديمة التي امتلأت بها ابتهالات رع في هذه المحاولة باتجاه التوحيد  
يمكن أن يلمح مخططاً لديانة نعم رجا الإمراطورية لا سما وأد سيطرة مصر  
في ذلك الحين كانت تشمل أحرأ كبيرة من آسيا وأفريقيا.

طالما بقي الملك على يد الحياة لم يكن هناك إله رسمي في مصر سوى  
آتون فلقد تم تحريم عادة الآلهة الأخرى ولا سيما آمون وثالوثه المقدس،  
فدمرت معابدها وحطمت تماثيلها وصوره أنى وجدت، ومحي اسم آمون حتى  
من الأماكن التي يصعب الوصول إليها، ومن الألواح والسجلات الملكية بما  
فيها تلك التي تحص أمنحوتب الثالث والد أخناتون.

كانت هذه الديانة الجديدة سريعة الزوال. وبعد وفاة المصلح بفترة قصيرة  
جداً أنكر اسمه اسم أبيه واستعد عدة آمون، وغير اسمه من نوت عح آتون إلى  
توت عح آمون (الصورة لحية لأمون).

بعد أن أعيد آمون إلى سابق بهائه من قبل حور محب وبقية ملوك السلالة  
التاسعة عشر، بوحد آمون بشكل بهائي مع رع، ورأى ثروته تزايد حتى بلغت  
ثلاثة أرباع بقية الآلهة مجتمعين. وقد جرى اختبار كهنته من بين الأسيد الأكثر  
سلطة وفؤد، والذين توارثو منصب الكهانة، وبلغ من قوتهم في عهد احكام  
الضعفاء للأسرة العشرين أن سولو على العرش عندما نصب الكاهن حيرحور  
نفسه ملكاً، وكان آخر من دعي برسيس خلال هذه لفترة المضطربة لم تعد  
طية المقر الملكي والعاصمة السياسية لمصر، وبقيت ملكاً حصرياً لأمون،  
ونوعاً من الدولة الشيوقراطية التي يحكمها الإله، إما مباشرة عن طريق الوحي  
الصادر عنه أو عن طريق الوساطة. ولكن الوسيط الآن لم يعد نبيه الرئيسي وإما

زوجة آمون الأرضية التي كانت عادة ابنة الملك الملقبة بزوجة الإله وعابدة الإله، والتي تمتعت بمصرلة سامية وأشرفت على إدارة الثروة الهائلة لزوجها الإله. استعنت سلطنة آمون إلى ما وراء حدود مصر ووصلت إلى الحبشة، فكان هناك يختار الملوك عبر وحيه في النبظة وفي مروه، وكان يحلهم عن العرش أيضاً وربما يأمر بإعدامهم وقد مارس حكمه الاستبدادي هذا حتى القرن الثالث قبل الميلاد عندما اعتلى العرش إرحامينيس ونزع عن ملده نير الكهنه وأعمس السيف فيهم

كانت سلطنة آمون عظيمة أيضاً على قبائل الصحراء، وحتى الفترات المتأخرة كانت مواكب الحجاج تحتشد بأعداد عميرة في ذلك المعبد - الواحة التابع لآمون حيث حيا لوشي المشهور الاسكندر الأكبر عام 332 ق م ودعاه ابن آمون

إلا أن أكثر معابد آمون قداسة كانت في طيبة على الضفة اليمنى لنهر النيل، في الأقصر وفي الكرنك، والتي ما تزال آثارها حتى اليوم تملؤنا إعجاباً. حيث عبد مع مُت زوجته و معها خونس في المنحوتات البارزة نرى ملك الآلهة جالساً على عرشه يتلقى عبادة الفرعنة، أو سكب بهم الشراب السحري "سا"، أو يعطي لهم نفس الحياة ويمنحهم سنوات حكم طويلة، أو يدولهم سلاح المعركة ويدوس رقاب أعدائهم المهزومين. كما نراه وهو يضع على ركنيه الملكة، التي سيتحد معها وينجب لفرعون التالي، ابنه

مُت

لكونها زوجة آمون رع فقد قرنهما الإغريق بهيرا. وهي إلهة عبر محددة الشخصية بدماء، ويدس اسمها على الأم تصور على هيئة امرأة تضع غطاء رأس على هيئة سر. وهو الرمز الكتابي لاسمها، وقد تظهر وهي تضع شعراً مستعاراً كشفا يعلوه التاج المزدوج الذي كان من حقها كزوجة لملك الآلهة

ارتقت مع ارتفاع زوجها. وعندما صار آمون إله لسموات العظيم تحت اسم آمون رع، صارت هي إلهة شمسبه عرت مع الإلهة ناست فظهرت في هيئة

القطعة ، كما قرنت مع سيحمت واسعارت منها رأس البوبة نقرأ في النصوص أنها كإلهة سماء كانت خلف آمون عندما برز من لجة المياه الأولى وخرج من قشره البيضة الكونية ، وعلى هيئة بقره اعتنى ظهرها وأمسك بقربيها وترجل حيث رغب. وبما أنها بقيت لفترة طويلة بلا أطفال ، فقد تبنت أولاً موت ، ثم خونس الذي شكل معها ومع آمون الثالوث الإلهي المشهور .

### خونس (خينسو)

والاسم يعني "الملاح" أو "هو الذي يقطع السماء في قارب" ، ويدو أنه كان إلهاً محلياً للقمر في منطقة طيبة وغير معروف خارجها إلا قليلاً لا ندري لماذا قرنه الإغريق بهرقل .

يُصوَّر عادة على هيئة رجل ملفوف بالأقماع مثل بتاح وهو يمسك بيديه الاثنتين الصولجان المشعب ، أما رأسه فحليق تماماً إلا في حالة واحدة يدو فيها بصمات الطفل الملكي الغزيرة ويضع على رأسه غطاء رأس يعلوه قرص داخل هلال ارتفع إلى مستوى الآلهة الكبار عندما تباه آمون وروجته مُت وحل محل موت كاس لهم في الثالوث الطبي في عصر المملكة الجديدة أحدث شعبيته بالانتساع بوصفه إلهاً شافياً وطرداً للأرواح الشريرة ، عندما راح المرضى والممسوسون يتقطرون إليه من جميع أنحاء مصر ، وحتى من الأقطار الأجنبية. ولكي يساعد خونس أهل الأقطار البعيدة كان خونس يرسل إليهم تمثالاً به شحنة بقواه حتى صار صبراً له ولدياً يص يروى عن أمير مقاطعة باحتان السورية الذي طلب عون خونس بغير حوب في الكرنك لشفاء ابنته المسمومة ، وكيف أرسل إليه خونس صواباً طرد من جسدها الروح الشرير ، وكيف أعاد الأمير السوري بعد ذلك التمثال مكرماً إلى موطنه في موكب احتفالي بحمل هدايا ثمينة وصعدت عند أقدام خونس نيفر حوتب في معبد الكرنك

كان خونس محلاً كثيراً في طيبة وفي أومبوس ، حيث كان عضواً في ثالوث سييك تحت اسم حوس حور ، والذي صور على هيئة رجن برأس صفر يعلوه قرص داخل هلال أعطى اسمه لأحد شهور السنة الذي دعي باخوس أي شهر خوس .

## سيبيك (أوموخوس باليونانية)

وهو الإله التمساح وأحد حماة فراغة الأسمرة الثلاثة عشرة اسدين حمل أكثرهم اسم سيبيك حوت، أي سيبيك يرصى يصور إما على هيئة رجل برأس تمساح أو على هيئة تمساح. وفي بحيرة ملحقة بمعبد الرئيسى جرى الاحتياط بتمساح حي بدعى بيتى سوخوس، أي الذي يخص سوخوس، وجرى الاعتقاد بأن الإله نفسه يحسد فيه.

لا يعرف إلا القليل عن أصول هذا الإله يدعو أحد نصوص الأهرام ببن نيت ولكن كما أوضح العالم ماسبيرو، فإن وجود مستنقع أو عائق صحري يوقف تدفق ماء النهر لغزير، ربما أوحى لأهل أومو هي القوم بأن الإله الأعلى هو على شكل تمساح ينبغي استرضاؤه بالأصاحي والصلوات. كان هذا التمساح ولا شك هو حالق لعالم الذي انبثق في يوم التكوين من الأعماق المائية التي قبع فيها منذ الأزل، ليمارس بعد ذلك عملية تنظيم العالم، مثلما يخرج التمساح من النهر ليضع بيضه على الضفة وربما بسبب قرب الاسم سيبيك من الاسم جيب (أو سيب) أعطي هذا الإله لقب جيب.

عد سيبيك بشكل خاص في منطقة الفيوم التي كانت تحت حمايته، وقام معبد الرئيسى في شيدت القديمة التي دعاها الإغريقي بمدينة التمساح وكان له أيضاً عادة منظمة في مصر العدا ولا يزال باستطاعتنا رؤية بقايا معبد في كوم أومو (أومبوس القديمة) حيث عبد ثالث سيك، مثلما كان بعد ثالث يرثه حوروس. ويبدو أن سيبيك هما قد حل محل سين الأموي الذي يغضه عدد حوروس ولقد شارك ست سمعته ستة عددا مساعد قائل حيه على الاختباء في هيئة تمساح لينجو من العقاب على عريته، وربما لهذا السبب نحد هذه الحيوانات قدس في مكان وتطارد في مكان آخر

حامي الفنايين واحرفيس في ممفيس حيث قرنه الإغريق بهيفيستوس. يصور عادة على هيئة رجل ملفوف بأقمطة المومياء، يتصب على قاعدة في قاعة المعد الرئيسية، رأسه محسوب بعصابة رأس ويداه الممحررتان من الأقمطة تمسكان بالصولجان المشعب الذي يوحد شعارات الحية والاستقرار والمعرفة الكلية.

عبد في ممفيس منذ وقت مبكر حيث شُيّد له معبد يقع إلى الحبوب من "السور الأبيض" دعي معبد "بتاح ما وراء السور" لابد وأنه كان على الدوام في المقام الأول كحاكم لعاصمة الشعب القديمة مدينة تنويح الفراعنة، ولكننا لا نعرف الكثير عنه قبل استهلال عهد السلالة التاسعة عشرة، عندما بحله بشكل خاص الفرعونان سيتي الأول ورميس الثاني، وتسمى فرعون آخر بـ "سي بتاح" أي ابن بتاح.

بعد وفاة آخر الرعامسة، وارتفاع منطقة الدلتا الصدارة، ارتفع إله ممفيس إلى الصف لأول ولم يكن يضاهيه في الأهمية والثروة إلا آمون ورع. أعلنه كهنة إلهاً أعلى، وخالفاً صنع العالم وسواه يديه

كان بتاح، كما أسلفنا، حامياً للفنانين والحرفيين، وهو الذي أسكر الفنون كلها. كما كان مصمماً ومعمارياً وصاهر معدن حمل كهنته في ممفيس لقباً يشبه لقب "معلم البناء" الذي عمله ناة الكاتدرائيات الكبرى في العصور الوسطى وأثناء تشييد المعابد الجديدة كان بتاح هو موجه المهندسين والناثين.

لم يبق اليوم سوى خرائب لا شكل لها من معبد ممفيس حيث دعا الكهان هير ودوتس لرقية انتقدمات النذرية الشاهدة على معجزات بتاح، ومنها إنقاذه المنطقة من هحوم سحاريب الآشوري الذي غزا مصر. في معبد ممفيس عبد بتاح إبي جانب زوجته سيجمت، وانهما يفرتوم السدي حل محله بعد ذلك السطل المؤله إمحوتب. وهي حوار المعبد كان يُحتفظ بالثور الشهير أبيس، الذي عد بمثابة التجسد الحي للإله.

ومع أن نتاج كان مبالاً لأن يدعى بالحسن الوجه، إلا أنه صورة في بعض الأحيان على هيئة قزم مشوه له سافان معوجتان ورأس صخيم، حليق الرأس إلا من جدائل الصبياد، يصع يديه على جبينه، على هيئته هذه اعتبر حامياً ضد الحيوانات المؤذية وضد كل أنواع الشرور التي تصب الإنسان جرت مطاقته مع إله لأرض القديم والعصر المدعو تن نين، وأيضاً مع سيكر الذي ستحدث عنه باختصار بعد قليل، كانت الدعوات ترفع إليه تحت اسم بتاح تس، أو باح سيكر، أو حتى باح سيكر أوزيريس

### سيكر

أوسوحارس باليونانية كان بلا شك إلهاً نباتياً قبل أن يغدو إلهاً للموتى في منطقة مدافن ممفيس. وبصفته الأخير عبد في هيكل روستو (أبواب الدهاليز) المتصل مباشرة بالعالم الأسفل، على هيئة مومياء خضراء برأس صقر، حرت مطاقته في وقت مبكر مع أوريريس.

وحاء إلى أوزيريس بجميع أتباعه وعباده وفي نهاية الأمر صار له الموتى الكبير يعبد تحت اسم سيكر أوريريس.

### سيخمت

أوساحميس بليونانية وهو اسم إلهة الحروب والمعارك التي تصور على هيئة لبوة أو امرأة برأس لبوة

وفي الواقع فإن اسمها الذي يعني "القوة" ليس إلا لقماً للإلهة هاتور اكتسبته عندما هاجمت في هيئة الدوة أولئك المتمردين على الإله رع في شيجوخته وتم رايها سابقاً فلقد فتكت بالشعر لمتمردين بهياح ودون رافة، حتى خاف إله الشمس من فناء الحسن البشري، فعمد إلى تحصيل سبعة آلاف حرة تحتوي على حبة ممزوجة بعصير ارماء الأحمر، وسحقها في ميدان المعركة فشربتها الإلهة اعصمه على أنها دماء الشر، حتى أسكرها الشراب ولم تعد قادرة على متابعة هجومها وبذلك تم إنقاذ لحسن البشري من الانقراض. ولكي يسترضى الإلهة

أصدر رع قراراً بأن يتم في ذكرى هذا اليوم من كل سنة تخمير عدد من جرر الشراب بعدد الكاهنات في معابد الشمس، للاحتفال بعيد هاتور.

كانت المجرة قد وقعت في اليوم الثاني عشر من شهر الشتاء الأول؛ من هنا فإن تقويم أيام السعد وأيام اسحر يقول "منحوس، منحوس، منحوس" من الثاني عشر من شهر ياي. تفادى رؤية فأر في ذلك اليوم، لأنه اليوم الذي أعطى رع أوامره لسيحمت".

دعيت الإلهة بمحبوبه نتاح، لأنها على الرغم من كونها في الأصل إلهة في لانتربولس إلا أنها انضمت إلى ثلوث ممفيس كروحة لبتاح وأنجبت له ابنه نسر نوم

### نيسر نوم

يدعى باليونانية إيفتميس كان في الأصل الاس الإلهي في ثلوث ممفيس وقد قرنه الإغريق بيروميثيوس، ربما لأن به كان مكشف النار فدعاه الإغريق بناح - هيفيستوس.

يصور عادة على هيئة رجل يحمل الحبيش، وهو نوع من السيف المعفوف أما راسه فتعوه زهرة لوتس تنبعث منها سويقات وقد يصور واقفاً على أسد، أو على هيئة رجل برأس أسد تيمناً بأمه اللوة سيحمت

والاسم نيسر نوم يعني آتوم الأصغر، وهو يشير إلى كونه في البداية بجسداً لأنوم هيليوبوليس، الشمس التي تجد نفسها في الصباح منبثقة من رهره اللوس المقدسة التي كانت مأواها لليلي وكمواطن لمصر السفلى اعتز اساً لبتاح وزوجته سيحمت، وشغل قبل محتوت المرتبة الثالثة في ثلوث ممفيس

### باصت (باستيت)

قربها الإغريق نارتيمس ربما بسبب اختلاطها بتفنوت الإلهة التي تحمل رأس لوة كانت إلهة محبة في بواستين عاصم الأقاليم الثمانية عشرة لمصر السفلى والمشق منها أصلاً من برباست، أي بت باسب غدت باسب الإلهة القومية الكبرى نحو عام 950 ق. م مع صعود الفرعون شيشونق والأسرة الثانية والعشرين الليبية، وتحولت مدينة بواستين إلى عاصمة للمملكة

على الرغم من أصولها كإلهة لواء نحس حرارة الشمس المخصصة، إلا أن حيوانها المقدس صار فيما بعد القطة، وصارت تمثل كامرأة برأس قطة تمسك بيدها السمي إمام الصلاصل (آلة موسيقية) أو درعاً يعلوه رأس اللبوة، وتمسك بيدها اليسرى سلة

كاس على فرانة بإله الشمس الذي يدعى أنا أباه وأنا أحر يدعى أحاه وزوجها. ثم صارت زوجة لنتاح في ممفيس (مثل سيحمت التي اختلطت بها على الرغم من تاعد شخصيتهما) وشكلت معه ثلوثاً كان يفر توم فيه لابن.

على الرغم من أن الإلهة باست صارت وحدة من آلهة مصر بعظمى لكونها حامية فراعنة العاصمة نوباستر، إلا أن شعبيتها لم تبلغ أوجها إلا في القرون الرابع قبل الميلاد. كما نجلت في شكل ثانوي أيضاً تحت اسم بخت، الآلهة التي تحمل رأس لواء أو قطة في سيوس أرتميدوس إلى الشرق من سي حسن

كانت مثل هاتور إلهة للمتعة تحب الموسيقى والرقص، وتمضي الوقت في العزف على الصلاصل امربة بأشكال القطط كما كانت حامية للناس من الأمراض والأرواح الشريرة.

في معبده كانت تقام الاحتفالات الدورية الكبرى، والتي يصفها هيرودوتس بأنها الأكثر جاذبية في مصر، ويروي كيف كان مئات الآلاف من المصريين من جميع المقاطعات يتقاطرون لحضور تلك الاحتفالات، قادمين على قوارب وهم يعرفون على الآلات الموسيقية، ويتبادلون المكات والتعبقات اساخرة مع النساء اللواتي كن يلوحن لهم من شاطئ لسهير في بهجة وحسور وفي اليوم الموعود كان موكب الاحتفال بهيج يشق شوارع المدينة في ذلك السهار الذي يراق فيه من الشراب المسكر ما يفوق بهية السنة.

ولإرضاء الإلهة كن عبدها ينذرون لها تماثيل لحيوانها المقدس، القطة، بأعداد كبيرة وفي ضلال معبدها كانوا يدفنون بتقوى أجساد قطط محتطة، كانت في حياتها مقدسة عند الإلهة

## نيت (نيث)

إلهة الدلتا، وحامية سايس التي صارت عاصمة مصر خلال أواسط القرن السابع قبل الميلاد، عندما اُعلى العرش ساميتك (يسامتيخوس) مؤسس الأسرة السادسة والعشرين، وصمّن للإلهة المحلية الثروة والأهمية. قرنها الإغريق بأثينا بالاس

كانت ببت إلهة مخرقة في القدم، ففي العصور ما قبل التاريخية كان لها فينيش يرسم على جلود الحيوانات على شكل سهمين متصابين، ويحمل على عمود ولديا ملكتان تنتميان إلى الأسرة الأولى حملتا اسمين مشتقين من اسم هذه الإلهة

ربما كان لقبها "تيهينو"، أي اللبنة، يدل على أصولها الغربية بقيت إلهة مهمة في سايس، بعد أن اعتبرت في الأرملة القديمة ربما الإلهة القومية لمصر السفلى، وارتدت في العادة تاج مصر السفلى ذا اللون الأحمر، والذي يدعى "نت" ربما تيمناً باسمها نفسه

عبدت في البدايات على هيئة فينيش يتكون من سهمين متصابين يرسم على التروس أو على الجند المدبوغ ثم صورت في هيئة امرأة ترتدي تاج الشمال وتمسك بيدها قوساً وسهاماً. وبعدها صارت تضع على رأسها مكوك الحياكة، وهو رمزها الكتني الهير وغليني، وشعارها

تبدو نيت في دور مردوج، كإلهة محاربة وكامرأة متمرسة بالفنون المنزلية ولهذا حُررت مطابقتها مع الإلهة أثيا التي لعبت الدور المردوج نفسه.

توطد سلطان نيت مع صعود الأسرة السائسية إلى الحكم، ولعبت دوراً في عدد من أساطير التكوين، حيث جعلت إلهة للسماء، مثل نوت وهاتور، وأما للإلهة عموماً والإله رع خصوصاً، فقد حملت به قبل أن تكون الولادة معروفة.

كذب الحائكة العظيمة التي حاكت العالم مثما تحيك النساء الثياب. وتحت الاسم ميهوبريت ظهرت على شكل لقره التي ولدت السماء عندما لم يكن هناك شيء

تم تقديمها إلى الطقوس الأوزيرية، وامترحت بإيريس فصارب حامية  
الموسى، التي نراها وهي تقدم لهم الحمر والماء لدى وصولهم إلى العالم الآخر.  
وكما تظهر إيزيس وبفتيس معاً في النصوص وفي الصور، كذلك تظهر نبت  
عالمًا مع سيلكب إما كحامية للمومياة وجرار الأحشاء، أو كراعة للروحة

لم يبق اليوم من معبدها الشهير في سبس شيء، حيث قرأ بلوتارك النقش  
التالي: أنا كل ما كان، وكل ما يكون، وكل ما سيكون، وما من بشر فاق قادر  
على إزاحة برقيي".

في ذلك المعد أُلحقت مدرسة للطب تحت اسم بيت الحياة، يديرها  
الكهنة، وعندما استولى الفرس على مصر عمد الملك داريوس إلى إعادة تنظيم  
هذه المدرسة وجعلها تحت الحماية الإمبراطورية.

## آلهة الأنهار والصحراء

### خنوم (ختيمو)

والصيغة اليونانية للاسم هي خنوميس كان إلهاً لأفليم الشلالات بصور على هيئة رجل برأس كبش دي قرون منموجة، على عكس قرون آمون المنحنية. كوله لخصوبة الجنسية والحلق عُبد في هيئة الكبش أو التيس. وكجميع الآلهة التي كانت على هذه الشاكلة، يمثل هذا الإله في رأي ماسبيرو نهر النيل، الذي ينبع من السماء ليحصب الأرض ويجعلها مثمرة. كان معبده الرئيس يقع قرب الشلالات، وليس بعيداً عن المقطة التي حددها المصريون المبكرون كمنبع للنيل، وذلك عند جزيره الفيلة حيث كان خنوم السيد المطلق، وحيث معبده الذي أقام فيه مع زوجته: ساتي وأنوكيس اللتين بقيت دون أولاد، وكان يراقب منابع النهر.

والاسم خنوم يعني الحراف. وهو وفقاً للعبيم الكهنوتية من شكل البيضة الكوبية على دولاب الحزاف وفي فيلدا دعي بالحراف الذي شكل البشر والآلهة ولدا تصويره بعض الرسوم وهو يشكل أعصاء الإله أوزيريس، لأنه كم يقولون مشكل الأجساد ومنجب لآلهة والشر

ويهدده الصيغة نراه يكون جسد الفرعون الصغير وفي أرمات نح أن هذا الفرعون الصغير ليس سوى ابن كليوباترا ويوليوس قيصر، الذي يُطابق ها مع الطفل لإلهي هارسومتوس

انتشرت شهرة خنوم عبر الحدود لقرية على النوبة الذي كان إلها المدعو دودون بعيد أيضاً في هيئة الكبش أو في هيئة به برأس كش، وهذا ما سهل إجراء المطابقة بين الإلهين، وجدد مريداً من العاندين إلى جزيرة القبلة

## هارشاييس

وهي الصيغة اليونانية للاسم هرشف، ويعني ساكن البحيرة وهو إله آخر براس كبش قرنه الإغريق بهرقل، وكان معده الرئيس في هيراكديويس ماجناً في الضيوم. ويرجع ماسبيروا أن يكون هار شاييس إلهاً للنيس. وكبقية الآلهة التي تحمل رأس كبش، كن موضع تقديس منذ الأرماب القديمة، ولا أدل على ذلك من أن أحد فراعنة الأسرة الأولى قد كرس له مقدساً

## ساتي (ساتيت)

كانت الزوجة الثانية لخنوم، وحامدة لشلالات يرى ماسبيرو أن اسمها يعني "النبي تمر كالسهم". كانت بمثابة النبالة التي تدفع مياه النهر مسرعة كالسهم تصور على هيئة امرأة تنبس تاح الجنوب الذي يحف به قرنان وغالباً ما تحمل قوساً وسهاماً في يديها مثل الإلهة بت عبت في أقصى الجنوب حيث كن مسكنها المفضل في جزيرة سيهل، وأعطت اسمها للإقليم المصري الأول الذي دعي أرض ساتي كانت عاصمه الإقليم تدعى أبو، والتي دعاها الإغريق جزيرة القيلة هالك أدمت ساتي في معبد خنوم إلى جانب الزوجة الأخرى أنوكيت

## أنوكيت

اليونانية أنوكيس. كانت الزوجة الأخرى لخنوم تصور على هيئة امرأة تلس تاجاً طويلاً ذا ريش، ويبدو أن اسمها له علاقة بمعنى الاحتضان، فهي لتي تحضن أو تعانق ضفتي النيل وتضعه بين صحور فيليا وسيني عبت في جزيرة القيلة مع خنوم وساتي كإلهة محلية للشلالات

مين قرنه الإغريق بإلههم بان، وهو إله قديم يرى شعاره الصاعقة على رايت عصور ما قبل التاريخ تصور على هيئة رجل يلس تاجاً تعلوه ريشتان طويلتان، استعارهما من آمون على ما يبدو. وهو دوماً في وضعية لوقوف ومتصب القصب، يرفع المدبة فوق رأسه باليد اليمنى، ويبدو أن القصب استصبت يشير إلى أنه خالق العالم غالباً ما يعطى مع حوروس. ودل اسمه لم يكن في الأرماب لأولى إلا اسماً خاصاً من أسماء إله الشمس.

ومهما كان الأمر ، فقد عبد مين في العصر الكلاسيكي كإله لطرق السفر وحامي للمسافرين في الصحراء وكانت كوتبوس ، مدينة القوافل ، ومفترق خطوط التجارة ، مقر رئيساً لعادته. هالك لم يكن رؤساء لقوافل ينسون توجيه الصلوات والدعوات إلى مين ، إله الصحراء الشرقية وسد اللدان الأجسة

عبد أيضاً كإله للخصوبة ولات وكحام للمحاصيل نرى على حدران المعبد مشاهد تصور الاحتفالات التي أقيمت على شرفه كإله للحصاد والمحاصيل خلال تتويج الملك الجديد ، حيث يبدو الفرعون وهو يقدم له حزمة القمح الأولى التي حصدها للتو ، كما نرى مشاهد تجميل الثور الأبيض المقدس ، حيوان الإله مين

إلى جانب مدينة كوتبوس عبد مين أيضاً في مدينة أخمين ، وهي شيميش القديمة التي دعاها الإغريق بانوبوليس وقرنوا إلهها مين بإلههم بان كانت الألعاب الرياضية السنوية تقام على شرفة وربما لهذا السبب قال هيرودوتس عن أهل بانوبوليس بأنهم المصريون الوحيدون الذين أحبوا العادات اليونانية

## هاني

وهو سم للنيل المؤله يعطى غالباً شكل رجل بدين وشبوط ، له أذناء تشبه ما للنساء ولكن أقل صلابة ، يلبس زيّ النوتي وصياد السمك ، مع حزام يستند بطنه الضخم ، ويضع على رأسه تاجاً مصموغاً من البانبات المائية ، التي هي اللوتس إذا كان يمثل نيل مصر العليا ، أو ابيردي إذا كان يمثل نيل مصر السفلى وهنالك إلهتان تمثلان صفتي النهر ، نرهما أحياناً وافقتان بأذرع ممدودة تتضرعان لكي يندمعا الماء بالخصوبة

اعتقد المصريون أن اسبل يصدر عن نون" المياه الدثية التي تروى العالم المرثي وغير المرثي وقيل أحياناً بأن هلي يسكن قرب لشلال لأول في كهف ويصب ماء من حرة هائية. نحو أواسط شهر حزيران / يوبيه / ، يرتفع النهر ، وعندها يؤكد عاد أوزيريس بأن حص الماء الذي يعتمد عليه إزدهار البلد ، ناجم عن دموع إيزيس التي تبكي على روحها القتيل. كان ارتفاع الماء خلال الفترة

اليونانية الرومانية يلع ستة عشر ذراعاً، يمثلها ستة عشر طفلاً في تمثال النيل الشهير المحفوظ الآن في متحف الفاتيكان. ولمساعدة النيل على الفيضان كان المصريون في حريان يقدمون القرابين إلى هابي مصحوبة بصلوات وأاشيد ذات إيقاع شعري مميز

فيما عدا هذا، لا يبدو أن هابي قد لعب دوراً مميزاً في الحياة الدينية، ولم يكن له صلة بأي نظام لاهوتي في المعابد نراه في دور ثانوي يقدم متحاته الزراعية، إبي الآلهة الكبرى وعلى أساسات الأبنية غالباً ما نرى موكباً من الآلهة والإلهات يماثلون هابي ويدعون بالأبيال (جمع نيل)، وهم يصرون عن انتقيمات الثاوية للإقليميين الرئيسيين، يقدمون لسيد المعبد من متحات كل لأولم الرئيسه

## آلهة الميلاد والموت

### تاويريت (ايت، أويت)

والاسم يعني "العظمة" كانت إلهة شعبية للولادة، وتمثل الأمومة والإرضاع تصور على هيئة أنثى تمسح تضع في عنقها قلادة على شكل مومياء، وتقف منتصبه على قائمتيها الخلفيتين، ممسكة بيدها الرمز الكتابي "س" الذي يدل على الحماية، ولقافة من ورق الردي. عادت في طية شكل خاص، حيث تمتعت بشعبية عظيمة خلال فترة المملكة الحديثة، سمى الناس أولادهم باسمها، وزبوا بيوتهم بصورها

إلى جانب دورها كحامية فقد لعبت تاويريت دور الإلهة المستقمة. وفي هذه الحالة فإنها تصور في هيئة أنثى تمسح ذات رأس لبوة، وتلوح بحجر مهددة.

### هيكيت

كانت على هيئة ضفدعة أو إلهة برأس ضفدعة تمثل على ما يبدو الحالة الجنسية للحوب لما فونة في الأرض، وهي تستعد للإبتاش وكإلهة بدئية، تقول تعاليم كهوت أبيدوس إنها ولدت من قم مع شو، وكانت مع شو السلفين المقدسين لكل الآلهة كما كانت واحدة من القبايلات اللواتي يساعدن لشمس على الولادة الجديدة كل صباح. وفي دورها هذا تبدو كحامية للولادة.

### ميسخت

تصور أحياناً على هيئة امرأة تضع على رأسها ورقتي نحل طويلين مفوفين في هاتفيهم كانت إلهة للولادة، وتمثل القرميدتين اللتين تحثم عليهما النساء المصريات عندما يأتيهن المخاض ونراها نفسها على شكل قرميدة تنتهي برأس إلهة.

تحضر ميسخت عند سرير المحاص في اللحظة نفسها التي يحرق فيها الجنين من رحم أمه. وبهذا الدور يقد بأنها تمضي الوقت وهي تسعى من ست لأحر لحلب الراحة للنساء من آلام المخاض وعالب ما تلعب دور بحية العرابة، التي تتنأ بمستقبل المولود

## الهاتوريات

وهن حبات عربات يظهرن عند سرير الميلاد للتنبؤ بمستقبل المولود الجديد، مثلما تفعل مسختن. يظهرن في مجموعة من سبع أو من تسع. يصورهن مشهد في دير البحري على هيئة صيات يحصرن مولد الفرعون أحمنس وسراهن في مشاهد أخرى يحصرن مولد موتيمويا في الأقصر، وكليوباترا في أرمات

قد تأتي نبوءة الهاتوريات سعيدة وربما لا وفي كل لأحوال لا يتجو أحد من القدر الذي يتبأن به.

## شاي

وهو لقدر مصور على هيئة إلهة. وقدر الشخص يولد معه، ويكبر معه، ويرافقه حتى مماته، ومهما يقرره شاي لا مفر منه بعد الموت. وعنده تورن الروح في حضرة أوزيريس، نحد هذه الإلهة تحضر المحاكمة للتأكد من إصدار الحكم الدقيق، ولكي تحهر الميت لأحوال الحياة الأخرى

## رتينيت

إلهة تشرف على الرضاع، وتعطي المولود اسمه وتعذبه بنفسها ومع الاسم الذي تعطيه فإنها تحدد شخصيته وحظه. وبعد السمات نراه حاضرة إلى جانب شي حلسة المحاكمة. تصور أحياناً على هيئة امرأة دون شعارات خاصة بها، أو على هيئة امرأة برأس حية أو برأس لبوة أو برأس البورايوس، مرتدية ثيابها وعلى رأسها ريشتان طويلتان

كليلة للرضاع تمثل رتييت التغذية بشكل عام، وتدو في بعض الأحيان كإلهة للحصاد تحت لقب سيدة مخزن الغلال المزدوج وقد أعطت اسمها لأحد شهور السنة، وهو اشهر لثامن في لتقويم لمصري، خلال الفترة المتأخرة.

إلهة السنة، والربيع، والشباب تمش مرور الرمن وتدعى سيدة الأبدية. تصور على هيئة امرأة تضع على رأسها ورقتي نخل طويلتين ملتصتين عند نهايتهما. وهما الرمز الكتابي لاسمها.

### بيس

يظهر غالباً عند الميلاد، ولكنه بشكل رئيسي إله للزواج، ومشرف على زينة النساء كان إلهاً شعبياً، وربما يرجع في أصوله إلى بلاد السنت، التي دعي أحياناً بسببه بصور في هيئة قزم غبظ وبهيجي، ذي رأس كبير، وعين واسعين، ووجتين بارزتين، ودفن مشهرة، ولسان يبرز من فمه المفتوح وعلى رأسه حزمة من ريش اسعام، ويضع على حقويه منطقة من حلد الفهد الذي ترك ذبه يتدلى بين الساقين وهي المنحوتات البارزة يظهر في وصعية جبهة (على عكس بقية الشخصيات التي تظهر عادة في الوصعية لحانية) ويداه على حقويه، وأحياناً يظهر وهو يقفز بمرح ولكن دون رشاقة، وهو يعزف على الهارب أو ينقر على الدف، أو يدوح بخبجر عريض

كان إلهاً مرحاً ومقاتلاً في الوقت نفسه، ولعب دور مهرج الآلهة الذين راق لهم شكله العريب، واستمتعوا بعروضه مثلما استمتع الفرعنة بعروض اقزامهم المهرحين.

في البداية كان بيس ينتمي إلى زمرة ديا من الجن الذين تبجلهم الشرائع الشعبية ولكن شهرته تامت في عصر الممكة الحديثة، وصارت الشرائع الوسطى تضع صورته في منازلهم وتسمي أولادها باسمه. في هذا العصر نجد صورته في حجرة الأمومة في المعبد، أي في بيت الميلاد حيث تحصل ولادة الآلهة وهذا يعني أنه قد صدر مشرفاً على الحمل. نراه في دير البحري مع تاويرت وبقية الجن المحفظة قرب سرير ولادة الملكة، باعتبارهم حراس الحامل في المخاض

شرف بيس أيضاً على دنه النساء اللواتي حبين رسم صورته على مقبض المرأة وقارورة العطر وعلبة الروح. كما عثر على أسرة نوم زيت رؤوس قوائمها بأشكال مختلفة له، لأنه كان أيضاً حارس النوم الذي يطرد الأرواح الشريرة ويجلب لنائم الأحلام العذبة.

إلى حاب كونه حامياً من الأرواح الشريرة. كان بيس أيضاً حامياً من الحيوانات الخطرة مثل الأسود والأفاعي والعقارب والتماسيح. لهذا غالباً ما حفرت في البيوت صورته غير لمريحة للنظر على مسلة صغيرة نقشت عليها تماثيل ونعاويد سحرية. نحو أواخر عصور الوثنية صار بيس حامياً للموتى، وبهذه الحضيضة نال من الشهرة ما لأوريس نفسه

بعد انتصار المسيحية لم يختف بيس بسرعة من ذاكرة الناس. وشاعت قصص شعبية تتحدث عن جني حيث اسمه بيس في أيام النبي موسى كان يزجج الناس بظهوره، وكان على موسى تلاوة لتعازيم لتخلص لاس من أذاه وإلى هذه الأيام يقال أن قرماً ملتوي الساقين ذا رأس صحم ولحية كثة يسكن عند البوابة المحوية لمعد الكرنك، ويول للذي يمر به عند الغسق ويسخر من شكله العريب، لأنه سوف يفقر عليه ويخفه إنه بيس المصور القديمة، الذي لم يختف من المسرح الذي شهد في يوم من الأيام عظمته.

### سيليكيت

هي الإلهة، العفرب القديمة، التي صورت في هيئة امرأة تصع على رأسها عقرباً، هو حيوانها المقدس، أو في صورة عقرب ذي رأس امرأة

نحدها وفق بعض المصوص ابة لرع، وعالباً ما لعبت دور حامية الروحانية. يصورها مشهد من دير لحري تسند مع نبت الرمر اليه لروغليعي للسماء، وفوقه يضصع آمون والإلهة الأم في وضع الجماع، بينما تحرسهما الأبهتان من أي إزعاج

تلعب سيليكيت دوراً حاصماً في طقوس لتحيط فتهي حامية الأحشاء وحراسة الجرار الخاصة التي بوضع فيها أحشاء المومياء بعد تحنيطها.

وكما ألمحنا سابقاً فإن سيليكيت غالباً ما توحد في صحبة ببت، مثلما تظهر يفتيس في صحبة إيزيس. ومثل هذه الإلهات الثلاث تقوم سيليكيت بدور حامية الموتى، وتنفش صورتها وهي باسطة جناحيها على لجدران الداخلية لتوايست الحجرية (النووس)

## أولاد حوروس الأربعة

كانوا أعضاء في التسوع الإلهي الثالث، ومن المقترض أنهم أولاد إيزيس ولكن روايات أخرى تقول بأن سيبيلك بناء على أوامر رع قد رفعهم من الماء بشبكة حي كانوا على رءره لوس لهذا نجدهم في مشاهد محاكمة الموتى واقفين معاً على هذه الزهرة أمام عرش أوزيريس

ولقد عهد إليهم أبوهم حوروس بحراسة الجهات الأربع، كلما كلمهم أيضاً بحراسة قلب وأحشاء أوزيريس وحمايته من الحوج والعطش ومنذ ذلك الوقت صاروا الحماة الرسميين لهذه الأحشاء. ذلك أنه منذ عصر المملكة القديمة جرت العادة على فصل الأعضاء لداخلية للمتوفى خلال عملية التحنيط ووضعها في جرار خاصة تحفظها. أما مسؤولية حمايتها فكانت تقع على عاتق عدد من الآلهة والآلهات إلى جانب هؤلاء. وهكذا فقد كان أميسني مسؤولاً مع إيسيس عن حراسة الحجر التي تحتوي على الكبد، وكان هني ذو رأس الكلب مسؤولاً مع بعتيس عن حراسة الحجر التي تحتوي على الرئة، وكان دو مويتف ذو رأس ابن آوى مسؤولاً مع نيت عن حراسة المعدة، وكان قهينسون مسؤولاً مع سبلكت عن حراسة أحشاء البصن.

### آمينت

والكلمة عبارة عن لقب بسيط يعني "العربية"، نسبة إلى الغرب، وهي تصور على هيئة امرأة تضع على رأسها ريشة نعام، وأحياناً صقراً كانت اريشة هي اريشة المعهودة لليسين، وكانت في الهيروغليفية تمثل الرمر الكتلي لصفة الغربي، وبالتالي ملائمة تماماً لأمنت التي كانت في الأصل إلهة الأراضي اللبية الواقعة إلى الغرب من مصر السفلى.

بعد ذلك صارت كلمة "الغرب" تدل على عالم الموتى، وصارت إلهة العرب إلهة لأرض لموتى. فعند بوابات العالم على مداخل الصحراء كان بالإمكان رؤية الموتى الذين ترحب بهم إلهة يبرز نصفها من بين أوراق شجرة وتقدم لهم الحبر وأماء فإذا أكل الميت وشرب يعدو "صديق الآلهة" فيسير

وراءهم ولا يعود أبداً. أما الإلهة التي ترحب بالموتى فهي عادة أمنيث، على الرغم من أنها تكون أيضاً إما نوت أو هاتور أو نيت أو معات، وجميعهم محل محل إلهة الغرب.

### ميرتسيجر (ميرسيجر)

ويعني اسمها "صديقة الصمت" أو "محبوبة الصامت"، وهو هنا أوريسيس. كانت إلهة أفعى تحرس منطقة لمدافن هي طيبة. وبشكل أكثر تحديداً كانت مختصة بإحدى فمم جلد منطقة المدافن، وهي القمة التي تتخذ شكلاً هرمياً وتعلو على بقية القمم. ومن هنا جاء لقب الإلهة "تا - ديهت أي القمة تصور على هيئة امرأة برأس أفعى، أو على هيئة أفعى ثلاثة رؤوس، هي رأس لامرأة يعلوه قرص تحف به ريشتان ضمن ريشتين. ورأس أفعى مزين بمثل ما ذكر. ورأس نسر وعلى الرغم من حبة هذه الإلهة إلا أنها كانت تعاقب أيضاً والدليل على ذلك نص تركه مستخدم في منطقة المقبر يقول فيه إنه قد ارتكب خطيئة عافته عليها ميرتسيجر بالمرض، وأنه شعبي بعد أن طلب الصفح والغفران من "قمة العرب"

### قضاة الموتى الذين يزنون الروح

بعد أن يحاصر المتوفى البطاح المرعة الفاصلة بين أرض الحياة ومملكة الأموات، بفضل الطلسم الموضوع على موميائه. ومقاطع من كتاب الموتى تزوده بكلمة السر، يجد نفسه في حضرة أوبيس، أو حورس، الذي يقوده للمشول أمام قضائه المحلين بعد تقيله لعنته فاعه ابعداله المزدوجه (وهي فاعه فسيحة يتصدرها أوزيريس الحالس على عرش في مقدسه، أوزيريس الطبيب والمخلص، الذي ينظر ابنه القادم من الأرض)، يقترب من الميزان المنصوب في لوسط، والذي تقف إلى جانبه معات إلهة الحقيقة والعدالة، ويحشم خلفه امين أميات، ملثمهم الأرواح الذي يتخذ شكل وحش هجين مؤلف من أسد وتمساح وفرس نهر، والمأهب لافراس قلب المذنب وعلى محيط القاعة عن يمين ويسار أوريسيس يجلس اثنان وأربعون إلهاً يمثلون أقاييم مصر، حاهزون لفحص ضمير المتوفى.

يبدأ المتوفى بتلاوة نص اعترف الميت الذي يعدد فيه عدم ارتكابه لكدا وكدا من الذنوب، متوجهاً بالخطاب إلى كل إله من الاثني والربعين باسمه. ومعلناً أمامه عدم ارتكابه واحدة من الخطايا الكبرى الاثني والأربعين يلي ذلك عمية ورن الروح، حيث يوضع قلب الميت في إحدى كفتي الميزان وريشة معات أو معات نفسها في الكفة الأخرى يراقب ثوث الميزان ويكتب النتيجة على لوح في يده قبل أن يعلنها لأوريريس فإذا كانت الكفتان في توازن تام بطل أوريريس حكمه لمصلحة المتوفى الذي ينصرف سالماً غاملاً ليعيش في مملكة أوريريس في سعادة أبدية

### معات

تصور على هيئة امرأة واقفة أو جالسة على عفيها، تصع على رأسها ريشة نعامه هي الرمر الكتاني لاسمها ونعي الحقيقة أو العدالة كانت إلهة للعابون والحق والعدالة تصفها النصوص بأنها الابنة المحببة عند رع وعوصوع ثقتة، وبأنها زوجة ثوث قاضي الآلهة الذي يدعى سيد الحقيقة.

وهي عضو في طانة أوريريس كما أن القاعة التي يعقد فيها أوريريس جلسة المحاكمة تدعى قاعة العدالة المردوجة، لأن صورتين متطابقتين لمعات كدا تصدران الجدارين الأماميين للقاعة الفسيحة

وفي الحقيقة فإن هذه الإلهة هي فكرة مجردة تم تأليها وتجسيدها في شخصية إلهية وكان الآلهة، وفق النعالييم اللاهوتية، يحون أن يتغذوا على الحقيقة والعدالة. بهذا فإن أكثر ما يسرهم هو التقديمات لني تقربها إليهم معات. كما يرى الملك وهو في ذروة مكانته القدسية يقدم لإله المعبد تمثالاً صغيراً لمعات، بلقي القبول بديه أكثر من كل التقديمات بالغاً ما بلغ من قيمتها.

### ني هيه (هيه)

وهو الأبدية، فكرة أخرى مجردة تم تأليها. يُصور إله الأسية على هيئة رجل مفرفص على الطريقة المصرية، ويضع على رأسه قصة ملتفة عدد بهايتها على هذه الشاكلة نجد صورته محفورة على الأثاث المنزلي وغيره من الأشياء التي تقتنيها، وهو يرفع بيده الرمر الكتاني لملايين السنين. وشارات أخرى تدل على السعادة وطول العمر.

## البشر المؤلهون وإله الفرعون

### إمحوتب (أو إموثيس باليونانية)

واسمه يعني "هو الذي يأتي في سعادة" كان أشهر الحكماء القدماء الذين أعجب الناس بهم في حياتهم وعبدوا بعد مماتهم مثل لألهة.

عاش إمحوتب في بلاط الملك زوسر أشهر مسوك الأسرة الثالثة، وكان المعماري العظيم الذي شيد زوسر أقدم هرم في مصر. وفي عصر هاتين الشخصيتين استخدمت الأعمدة الحجرية للمرة الأولى في تاريخ العمارة، على ما تدل عليه المكتشفات الأثرية. كانت شهرة إمحوتب خلال فترة المملكة الحديثة ما تزال واسعة، وإليه يعزى تأليف "كتاب أساسات المعبد" خلال فترة حكم فراعنة سايس، اردادت شهرته عاماً بعد عام، ولم يحل العصر العارسي حتى ساد الاعتقاد بأنه لم يولد من بشر وإنما من بتاح نفسه. جرى تقديمه إلى ثلوث ممفيس تحت لقب 'ابن بتاح' فحل بذلك محل بفر توم.

يصور على هيئة رجل حليق مثل الكهنة، ولكن من دون الذقن المقدسة، أو التاج والصولحان، ويلبس كأي رجل عادي براه مرفصاً أو متربعاً وهو يقرأ في لفافة بردي مبسوطة أمامه

كان حامياً للكتابة، ولكل امشتغلين مثله بالعلوم والسحر، وحامياً للمشتغلين بالكتب وبالنسبة لعامة الشعب، الذين تناقلوا أخبار ما يجري على يديه من شفاء عجائبي، صار إلهاً للطب، أو بكلمة أدق نصف إله، وبهذا قرنه الإغريق بأسكليبيوس. نحو نهايات عصر الوثنية يبدو أن إمحوتب قد دفع أبه إلى المرتبة الثانية وصار أكثر الآلهة تقدسياً في ممفيس.

## أمنحوتب ابن هابو

أو أميرفيس دايونانية كان وزيراً لأمنحوتب الثالث عاش في القرن الخامس عشر قبل الميلاد

نوصفه حكيمًا ومتضلعا في الأسرار نملى أمنحوتب حمال ثوث، فسم يصاحبه أحد في زمة تعمقا في العلوم والأسرار. بقيت الصروح المعمارية التي شيدها تذكر أهل طيبة به عبر العصور، ومنها صرح المعبد - المقبرة الذي بناه لسيده الملك، والذي لم يبق منه اليوم سوى مثالين يزينان الواحة لقديمة، وهما مثالان عملاقان خضع أحدهما لعمليات انترميم والتجديد عبر العصور تحت اسم تمثال ممون. استمرت شهرة أمنحوتب بالاردياد حتى اعتبر في عصر الأسرة السابعة رجلاً شارك في الطبيعة الإلهية بسبب حكمته، ونسبت إليه كتب السحر، ورويت عنه الحكايا لعجائبة

في معد الكرنك كان هنالك تماثيل لأمنحوتب تلقى الاحترام والتبجيل، ولكنه لم يرتفع قط إلى مصاف الآلهة مثل إمنحوتب ابن تاح ومع ذلك فقد تم تجليه مع الآلهة الكبار في المعد الطنمي الصغير في دير المدينة

## الفرعون

يجب إدراج الفرعون أيضاً بين آلهة مصر، لأن ألوهية الملك تشكل جزءاً من العقائد الدينية القديمة، وهو بالنسبة إلى رعاياه بمثابة إله الشمس يحكم على الأرض، ويضع على رأسه نورايوس الذي ينفث اللهب ويبد أعداءه إن كل التعابير المستخدمة في الحديث عنه وعن قصره، وعن أعماله، يمكن في الوقت نفسه استخدامها في الحديث عن الشمس وتقول التعاليم بأنه كان بالفعل يديم حركة الشمس في مساره. وكلما تغير الملك قام رع بالزواج من الملكة التي تد له ابناً يعتلي بدوره عرش الأحياء.

في المعابد، ولا سيما معابد النوبة، كان الكثير من الملوك اسلافين، واملت الحي نفسه، يعبدون إلى جانب الآلهة العظام من هنا نرى صوراً للفرعون الحي وهو يصني لتمثاله الشخصي.

## الحيوانات المقدسة

من بين جمهرة الحيوانات المقدسة التي كانت تعبد في وادي النيل، لا سيما في العصور المتأخرة، فلن نشير هنا إلا إلى أكثرها شهرة، والتي عبدت تحت أسماء خاصة بها في المعابد.

### آيس

الصفة اليونانية للاسم المصري هاني هو الثور آيس الأكثر شهرة اليوم بين الحيوانات المقدسة المصرية. كان معجلاً في جميع أنحاء مصر، وبشكل خاص في ممفيس حيث كان موضع عناية كبرى وعبدة، ودعي مجد حياة بتاح. اعتبر الحيوان المقدس للإله بتاح، وجرى الاعتقاد بأن الإله يتقمصه. تقول التعاليم إن بتاح قد ضاع في هيئة نار سماوية عجلة عدراء، وولد منها هو نفسه في هيئة ثور أسود. بمقدور الكهنة التعرف عليه من خلال علامات سرية خاصة فمعي جبهته مثلث أبيض، وعلى ظهره شكل نسر باسط جناحيه، وعلى جنبه الأيمن هلال، وعلى لسانه صورة جمل، وشعر ذيله مزدوج

طيلة حياته كان الثور المختار يغذى بما لذ وطاب في المعبد الذي بناه له املك قالة معد بتاح في ساعة معينة من كل يوم كان يطلق سراحه ليدهو كما يشاء في باحة ملحقة بالمعبد، حيث يجتذب لعبة المرح حمرع الأتقياء، مثلما يجذب أيضاً الفصوليين من السباح الذين كانوا يؤمّنون مصر بأعداد كبيرة خلال العصر اليوناني - الروماني، وكانت زيارة الثور المقدس بالنسبة إليهم مناسبة لا تفوت

كانت كل حركة من حركات الثور تُفسر باعتباره سوء من نوع ما وينذر الناس في هذا المجال أن خيرمانيكوس قبل وفاته بقليل قدم له طعاماً ولكن الثور لم يقبل أن يأكل منه

في العادة، كان أبيس يترك ليعيش حتى يوافيه الأهل. ولكن أمينانوس مارسيلينوس يجبرها أن تلور إذا طل عمره فوق حد معين يلقى في الماء بغيرق ويجري المبحث عن ثور آخر. حلال فترة الحكم الفارسي لمصر تم اعتبارال الثور المقدس مرتين. والمجال لا يتسع هنا لوصف حزن المصريين لموت أبيس، ولا فرحهم عندما عرفوا أن الكهنة قد عثروا على خليفة له. كما لا يتسع المجال لوصف الغرف السفلية التي اكتشفت في مقبرة، حيث دفنت جثث محتطة للثيران المقدسة في توابيت حجرية ضخمة من الحجر الرملي أو الغرانيت القرمري.

فوق هذه الردهات السفلية قام معبد كبير لم يبق منه اليوم شيء، وكان يدعى باللاتينية اسيريوم. هذ كانت مقام طفوس دفن الثور المقدس، الذي صار أوزيريساً مثل كل الموتى الصالحين، وعبد تحت اسم أوزيرس أبيس، الذي لُفظ باليونانية أوزوراس. وهذا ما جعله يمتزح بسرعة مع الإله الأجسي سيرابيس، الذي كان معبد وفق صفوس يونانية صرفة في السيربيوم الضخم بمدينة الإسكندرية. وكذلك للعالم الأسفل امتزح سيرابيس في ممفيس مع أوزورابيس وعبد معه في المعبد - المقررة الخاص به. ولهذا السبب دعي ذلك المعبد بالسيرابيوم

### ثيران مقدسة أخرى

لغرض الاختصار، سن نتعرض هنا، لا لثلاثة ثيران أخرى مهمة في العبادات المصرية وهي:

مَنُوس. وهو الاسم اليوناني للثور مبروير كان الحيوان المقدس لرع أتوم في هيليوبوليس، ويبدو أنه كان فاتح اللون، على الرغم من أن بلوتارك يتحدث عن جلده الأسود

بوخي. أو موخيس باليونانية كان الحيوان المقدس لدى مينتو في هيرمونثيس. وعلى ما نقتله لماركوبرس، فإن شعر جلده يمو بشكل معاكس لبقية الحيوانات ويغير لونه كل ساعة. وقد جرى اكتشاف الردهات المقطرة الواسعة التي دفنت فيها أعداد من مومياءات هذه الثيران المقدسة وذلك من قبل روبرت موند في أرمانت، الذي عثر في وقت سابق أيضاً عام 1927 على مدائن الأبقار التي ولدت الثيران المقدسة

بيتيسوخوس. وهو الصيغة اليونانية بكلمة مصرية نعني الذي ينتمي إلى سوخوس (أو سيبك). كان التمسح المقدس الذي تنغمس فيه روح سيبك إلى منطقة الفيوم، الذي كان له معبد رئيسي في "كروكو ديلو بوليس" عاصمة الإقليم، والتي دُعيت أيضاً أرسينوي منذ أيام بطليموس الثاني. قرب هذا المعبد حفرت بحيرة عاش فيها التمسح المحور بيتيسوخوس، الذي زينت أدناه بالأقراط وقائمته الأماميتان بالأساور وعاشت معه عائلته المؤلف من عدد من التماسيح، حيث كان الطعام يقدم لهم بانتظام ويلقون الاحترام والتعجيل

خلال العصر الروماني اليوناني كانت تماسيح أرسينوي تجتذب إليها السياح. ويحبرنا استرابو أن الغرباء القادمين لمشاهدة بيتيسوخوس كانوا يقدمون له أطيب الطعام من خبز ولحم وصيد

بعد زوال عصور الوثنية زالت معها عبادة بيتيسوخوس. ولكن سكان منطقة بحيرة فيكتوريا - سنزا ما زالوا إلى يومنا هذا يقدسون لوتيجي، وهو تماسح عجوز، يقترب منذ عدة أجيال نحو شاطئ البحيرة، في كل صباح وكل مساء ليلتقط من أيدي الصيادين ما يقدمونه إليه من سمك. وهذا ما يراه الزائرون ليوم إلى هذه المنطقة ويشاركون فيه بدافع الفضول، ويدفعون لصيادس أعلى الأسعار لشراء السمك الذي يقدمونه إليه.

## الأكباش المقدسة

كانت الأكباش المقدسة عديدة في مصر، وأشهرها بانيب دجيت، الذي يعني روح الرب دجيت، الذي هو أوزيريس وقد اختصر الاسم في اللهجة الشعبية ولفظ باناديد، الذي تحول في اليونانية إلى مينديس وقد جرى الاعتقاد بأن روح أوزيريس تنغمس فيه ولقد قصي ثوث بمسه، على ما يقوله الكهنة، بأن يأتي المرعون شخصياً بتقديماته إلى "الكش لحي"، وغلا حلت المصائب بالشعب. فإذا مات الكبش حزن الناس وأعلن الحداد. ثم ابهحوا لسماعهم بأن كسناً جديداً قد عثر عليه الكهنة، أقيمت الاحتفالات الكبيرة بهذه المناسبة التي ينصب فيها سيدياً جديداً على عرش حيوانات مصر

## الطائر بينو

وهو طائر أسطوري، ومع ذلك يحب إدراجه في قائمة الحيوانات المقدسة، لأن هدماء المصريين لم يشكوا قط بوجوده عند في هليوبوليس باعتباره روح أوزيريس كما كانت له صلة بمعادة رع، وربما كان شكلاً ثانوياً من أشكاله. يقرنه البعض بالفيونيكس (الفينيق) الإغريقي، على الرغم من أن هيرودوتس يصف الفينيق بأنه يشبه النسر في شكله وحجمه بينما يشبه سنر ال الطائر أسو طبط، أو مالك الحزين. ويقال بأن افينيق يظهر في مصر كل 500 سنة، بعد أن يولد في جزيرة العرب ويحلق طائراً إلى معبد هليوبوليس حاملاً حبة آية التي تدهن هناك نورع

## قائمة بالحيوانات التي تتخذ الآلهة رؤوسها

نستشي من هذه القائمة الحن والآلهة الثانوية الكثيرة التي تظهر سرؤوس حيوانية في رسوم القبور والبرديات الحنثية، ونكتفي بالآلهة الرئيسية.

الثور أورورابيس (انظر أيضاً آيس)، موت.

القطعة باست، وأحياناً موت.

البقرة: هاتور، وإيزيس عندما تُطابق مع هاتور (انظر أيضاً نوت)

الشمس سبب

القرود ذو وجه الكلب: هي، وأحياناً نوت

الحمار: سبت (في العصور المتأخرة)

الصقر: رع - خراختي، حوروس، موت، خوس، حور، قوبهيسوف.

الضفدع: هيكت

فرس النهر: تاوريت.

أبو منجل نوت.

ابن آوى: أنوبيس، دومونيف

الأسد: أحياءاً فرتوم

اللبوة: سيحمت، بفتوت، وأحياءاً مُت وريينت.

الكبش بقرون ملتوية: آمور

الكبش بقرون متموجة: خوم، هرشف (أوهرايس)

الجعل خييري.

العقرب سلكيت

الأفعوان بوتو (نظر أيضاً ميرتيحير ورييت)

اليورايس (نظر الأفعوان)

النسر نيخب

الذئب: أبو وات (\*).

---

(\*) تمت ترجمة هذا الفصل من:

New Larousse Encyclopedia Of Mythology, Hamlyn, London 1977



## الباب الثاني

# ديانات سورية القديمة



# الديانة الكنعانية

تأليف: Alan M. Cooper

Michael D Coogan

ترجمة: فاروق هاشم - فراس السواح

## 1 - نظرة عامة

تستخدم المصادر القديمة والمصادر الحديثة تعبير "الكنعانيين" بصورة مختلفة. وبشكل عام فإن التعبير يشير إلى سكان منطقة فلسطين لأصليين، ممن تقوى الرواية النوراتية إن العزاة لإسرائيليين قد أرحوهم وحلوا محبهم في أواخر الألف الثاني قبل الميلاد ولكن هذا الاستعمال الشائع يتميز بصيغه من الناحية الجغرافية من جهة، وهو مشحون بصعوبات تاريخية واجتماعية من ناحية أخرى أما في هذه المقالة، فإن تعبير "دين الكنعانيين" سوف يدل بشكل أساسي على الديانة الأوغاريتية، وهي ديانة سامية شمالية غربية أصبحت الآن حسنة التوثيق بفضل الاكتشافات الأثرية في موقع رأس شمرا على الساحل السوري قرب موقع مدينة اللادقية الحديثة. ومع ذلك يجب أن نذكر بأن المصادر القديمة قد لا تدعم المطابقة بين أوغاريت وكنعان، إذا كانت تعابير هذه لمطابقة لغوية أو عرقية أو سياسية، وأن معلوماتنا بخصوص أوغاريت لا تسهل الحصول على وصف يمكن تعميمه على الديانة الكنعانية (أو على الديانة السامية الشمالية الغربية، نستخدم مصطلح أكثر دقة)

قبل القرن التاسع عشر كان هالك مصدران لدراسة اديانة الكنعانية:

الأول هو كتاب التوراة الذي يحتوي على إشارات عديدة للكنعانيين، وبممارساتهم التي توصف عمومًا بأنها أعمال بعبسة (راجع على سبيل المثال

سفر اللاويين 18 و 3 و 27 - 28) وفي وقت مبكر من القرن الأول قبل الميلاد قال الشارح التوراتي فيدو الإسكندراني إن كنعان كانت ترمز في التوراة إلى "الرديلة" التي كان الإسرئيليون مطالبين باحتقارها (De conng 85 - 83)، ولكن المتفق عليه اليوم بين الباحثين هو أن لشهادة التوراتية حول الديانة الكنعانية ذات طابع جدالي ولا يمكن الركون إليها، وأن الدليل التوراتي يجب استخدامه بحرص شديد وبلا اشتراك مع المصادر غير التوراتية

وكان المصدر الثاني للتعرف على الديانة الكنعانية هو النصوص الكلاسيكية التي احتفظت لنا بوصف لبعض جوانبها. ولعل أفضل هذه النصوص هو كتاب التاريخ الميسيني لفيلو الحيلي، وهو كتاب مفقود وردت أجزاء منه في كتب للمؤلف يوسيبوس عنوانه Praeparatio Evangelica، وكذلك كتاب الإلهة السورية الذي ينسب إلى لوقيان السميساطي إلا أن موثوقية كتاب فيلو الجيلي كانت مدار جدل علمي والرأي السائد لأن هو عدم التركيز كثيراً على مقارنة ما ورد في كتاب التريخ الفينقي مع معلوماتنا الموثقة بخصوص كنعان إذ معلومات فيلو، في أفضل الأحوال، تلقي ضوءاً على ديانة الفينيقيين خلال الفترة الهلينستية المتأخرة ولا تقدم دليلاً مباشراً على ديانتهم في الألف الثاني قبل الميلاد. ولعل الشيء نفسه ينطبق على كتاب لوقيان، على الرغم من اعتراضات علمية قليلة تشير إلى العكس

تأتي لدلائل المباشرة بخصوص الثقافة الكنعانية خلال الألف الثاني قبل الميلاد (أو عصر البرونز الوسيط وعصر البرونز الأخير) من الشواهد الفنية التي أفاض بها العديد من المواقع الأثرية، ومن الشواهد النصية التي وردت من ثلاثة اكتشافات عظيمة.

(1) الأرشيف الملكي لمدينة مارى السورية في القرن الثامن عشر ق م (موقع تل الحريري على الفرات الأوسط قرب مدينة دير البرور الحالية)

(2) وثائق تل العمارنة، وهي مجموعة مراسلات دبلوماسية حرت بين المصريين أمنحوتب الثالث وأصحوتب الرابع وعدد من حكام دولات بلاد

الثام، خلال منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد)، وتم العثور عليها في موقع تل العمارنة الذي يقع نحو 33 كم إلى الجنوب من مدينة القاهرة، حيث بسى المنحوتب الرابع (أحاتون) عاصمه جديدة له.

(3) نصوص أوغاريت التي اكتشفت في رأس شمرا و لتي تعود إلى القرن الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد.

إن المصنوعات اليدوية والشواهد الفنية بلعب دوراً حاسماً في فهم الثقافة المادية والتطورات الاجتماعية الاقتصادية، وتحركات السكان، وما إلى ذلك. مثلما تروود أيضاً بمعلومات من عادات الدفن. وبعن أهم ما يعيدن في دراسة الدين هو تلك التماثيل الصغيرة، أو الدمى، التي يعتقد بأنها تمثل الآلهة والإلهات، والتي تم استخراجها من كل موقع أثري هذه اللقى سوف تناقش فيما يلي، مع مظاهر أخرى من اديانة الشعبية السائدة.

كانت مدينة مارى تقع على أطراف محالي تأثير الرافديني والسوري وعلى الرغم من كونها من اناحييتين الثقافية واللغوية سامية غربية بشكل و صبح، إلا أن إطلاق صفه الكتابية عليها أمر ينخطى الدليل سما يشكل إطلاق صفة «لامورية» عليها، نوعاً من التسوية الأكاديمية إن كل نصوص مارى تقريباً تعني فعلياً بالنواحي الاقتصادية والقصائية والإدارية. وبخصوص المسائل ادينية لديها نص يشهد على لانتقائيه وتنوع الأصول في عادات ماري خلال القرن الثامن عشر قبل الميلاد. فالنص يعدد الخراف التي قدمت كأضاح إلى الآلهة والمعابد العديدة، وقائمة الآلهة هنا هي مزيج من الآلهة السامية، وغير اسامية من الشرق ومن الغرب، مع بعض الآلهة التي تفرد بها ماري إلى جانب هذه القائمة لدينا عدد يريو على 140 اسماً من سماء العنم المركبة التي أضيف شطرها الأول إلى شطر ثان يشكل اسماً من الأسماء الإلهية (كقولنا عطاء الله بالعربية)، دريتن منها على الأقل سابعه عربي

ويلفت نظرنا بشكل خاص في نصوص مارى مجموعة صغيرة من النصوص اسوتية، وتظهر تشابهاً مع النصوص السوتية لتوراتية التي ظهرت بعد ذلك بألف

عام. ويدو أن بعض هد لخطاب البوئي قد دوو من قل القيمين على شؤون العبادة، وبعضه الآخر عباره عن رسائل نقلتها الآلهة عبر أدس عاديين. وفي كلتا الحالتين فإن هذه النصوص تشذ عن القاعدة الناطمة بين عالم الآلهة وعالم البشر في الشرق القديم، والتي تقوم على تقييدات العرافة لا على الوحي والبوئة، أي إن ظاهرة "النوءة" كانت تمثل نوعاً خاصاً وثابوياً في العلاقة مع عالم الآلهة لدى السامسن الغربيين عموماً

بما يتعلق بوثنائق تل العمارنة، فإن معظمها عارة عن تقارير رفعها حكام المقاطعات السورية إلى البلاط المصري بخصوص القضايا الاقتصادية والسياسية والعسكرية للمنطقة المشرقية وقد كتبت هذه الرسائل باللغة النابية، التي كانت لغة النديولمسية في ذلك العصر، ولكن أسلوب الرسائل يكشف عن طابع كنعاني مميز، من حيث الأسلوب الكتابي واسماء الأعلام، وعلى وجه الخصوص استعمال المفردات الكنعانية المميزة. وعلى الرغم من عدم اهتمام رسائل تل العمارنة بالمسائل الندينية، إلا أنها تقدم لنا معلومات مهمة يمكن استنتاجها من أسماء الأعلام المركبة التي يحتوي شطرها الثاني على أسماء إلهة، مثلما يمكن استنتاجها من صيغ دينية وطقوسية جرى إدماجها في السباق الأسلوبى للرسائل. فعلى سبيل المثال يكتب أمير أمور المدعو ابن عارير و إلى البلاط المصري قائلاً: "أنتم تعطوني الحياة، وأنتم تعطوني الموت. أنظر إلى وجهكم، فأنتم حقاً سيدي. لذا فليسمع سيدي ويصغي إلى عله" إن مثل هذه التعابير المتكررة في المراسلات، ربما تكون مستمدة من صيغ طقوسية مستعارة من صلوات كنعانية مفقودة، ولربما كانت مشابهة لمزامير التوراتية. ولعل دراسة منهجية لمثل هذه الصيغ تنقي صوءاً على مفاهيم الديانة الكنعانية في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد

ودون التنبيل من أهمه لشواهد التي تقدمها نصوص ماري ووثنائق تل العمارنة، فإن النديين الأهم حتى الآن على ديانة كعان في الألف الثاني قبل الميلاد يأتي من أوغاريت. فسد بداية الألف الثاني وحتى تدمير المدينة على ايدي شعوب البحر بحر 1180 ق. م، كانت أوغاريت مركزاً تجارياً عالمياً مزدهراً.

في عصر الروبوت الوسيط (2000 - 1600 ق م)، شهدت أوغاريت حركة توسع هائلة، كان من جملتها بناء معبدتين كبيرين، أحدهما للإله بعل والثاني للإله داجان، وذلك فوق خرائب أدم تشكل فعلاً أكروليس المدينة. يلقى الفحارية لهذه الفترة كعناية بشكل مؤكد، كما وتدل الشواهد المادية الأخرى على وجود صلات قوية مع مصر وبحر إيجه وبلاد الرافدين. وذلك في الوقت الذي تزايد فيه عدد السكان بفضل الشرائح الحورية واختلاطها بالسكان المحليين.

إن الفترة الأكثر توثيقاً في أوغاريت هي القرنان الأخيران من حياتها، وإلى هذه الفترة يعود تاريخ النصوص الأوغاريتية، على الرغم من أن بعض النصوص الدنية التي دوت وقتها يرجع إلى زمن أبكر. خلال هذه الفترة تم تطوير واحد من أهم مبتكرات البشرية، وهو شكل من أشكال الكتابة لأبجدية المسمرية، وذلك خلال حكم الملك نغمد الثاني (نحو 1360 - 1230 ق م) وقد جرى تطوير هذا الابتكار لبتلاءم مع اللغة الأوغاريتية ومن المحتمل أن الاختراع كان يهدف بشكل خاص إلى وضع الأدبيات الدينية القديمة في صيغة كتابية، لأن النصوص الخاصة بالديبلوماسية ولأمور الإدارية كانت تدون غالباً باللغة الأكادية. وبناظر تشجيع الملك نغمد الثاني فقد نشرت النصوص الميثولوجية الكبرى، والتي هي من صلب الديانة الأوغاريتية، على أسوار من الطين المشوي، وحفظت في مكتبة الكاهن الأعظم التي أسست على الأكروليس بالقرب من المعبدتين.

إلى جانب النصوص الميثولوجية من مكتبة الكاهن الأعظم، جرى اكتشاف أرشيفات أخرى في أوغاريت وموقع رأس ابن هاني المحاور، يحتوي على نصوص ميثولوجية ذات صلة بالأولى، ونصوص طقسية، وقوائم لأصاحي، وقوائم بأسماء الآلهة، وصلوات وأناشيد طقسية، وبعايزيم، ونقوش تكرس وجميعها مما يمكن الاستفادة منه بحد في وصف الديانة الأوغاريتية.

## الآلهة

نستمد معلوماتنا الأساسية حول الآلهة الأوغاريتية من نص يحتوي على قائمة بآلهة أوغاريت، ومن نص طقوسي آخر يحتوي على أنواع لأصاحي وأسماء الآلهة المقدمة إليها، وهو يكرر الأسماء التي وردت في النص الأول. من هذين النصين نعرف أن عدد آلهة أوغاريت يبلغ زهاء ثلاثة وثلاثين بهاء. ولكن المشكلة التي تواجه الدراسات الأوغاريتية هي عدم التوافق التام بين قائمة الآلهة هذه و الآلهة التي يرد ذكرها في النصوص الميثولوجية. وهذا من المحتمل أن الأساطير تمثل طوراً أقدم لديانة أوغاريتية، أعيد تفسيره فيما بعد على ضوء التطورات اللاحقة التي طرأت على العادة

هنالك رأيان في تفسير ترتيب الآلهة في القائمة، فيما أن الترتيب يعكس أهميتهم النسبية، وأما أنه يعكس الترتيب الذي تصطف وفقه رموزهم في المواكب الدينية

لدينا أولاً ثلاثة أسماء مسحوة من الاسم إيل، وهو الكلمة السامية التي تعني إله، مثلما تدل أيضاً على الاسم الخاص برئيس السانشون الأوغاريتي في النصوص الميثولوجية. الإيل الأول ويدعى إيل سابان مرتبط بجبل سابان (أو صمون)، وهو الأوليمس الكعاني الذي عرف تقليداً بالجبل الأقرع، ويقع على مسافة خمسين كيلو متراً إلى الشمال من أوغاريت عند مصب نهر العاصي. (وكان الجبل نفسه مؤلهاً، ويظهر في قائمة الآلهة في الفقرتين 14 و15) ويبدو أن تعبير سبون لذي يعني الشمال يؤخذ هنا بالمعنى المجازي باعتباره معبد الإله نفسه، وليس كاسم جغرافي بسيط (وذلك مثل جبل صهيون في التوراة) وعلى هذا يكون إيل سابان هو الروح أو القوة التي تعبر عن حضورها في الحرم المقدس، الذي يعتبر النموذج الأرضي للمسكن السماوي. وهذا يجب أن نلاحظ أن جبل سابان (أو صمون) ليس مسكناً لإيل في النصوص الميثولوجية وإنما مسكناً لبعل.

الإيل الثاني هو إيل - إب والمقارنة هنا مع الملة الأكادية والحدورية تظهر أن هذا الاسم منحوت من كلمتين، الأولى تعني إله والثانية تعني واند أو أب ولكن الدلالة الدقيقة لهذا التركيب غير مؤكدة، ومن المحتمل أنها تشير إلى روح الأسلاف، تلك القوة لقسدية التي تعبر عن نفسها في عدة الموتى الأوغاريتية ففي ملحمة أقيهاث الأوغاريتية يطلب دانيال (أو دانيال)، الذي تظهره أنقابه باعتباره واحداً من الأسلاف المؤلهين، من الآلهة أن تنهه ولدأ يقسم بعد موته نصباً حجرياً لـ "إيل - إب الخاص به، أي من أجل الروح لمقدسة لأبيه المتوفى وتظهر الرابطة بين إيل هذا وعبادة الأموات في أوغاريت، هي شذرة نص ميثولوجي نجد فيه إيل - إب يشارك في عيد يدعى مارزيح (وهو عريضة إباحية تشبه عريضة سسوس ليرتانية)، المائدة لطقسية بعبادة الموتى، ويشرب إيل حتى اسكر، ويكون على اسه الوفي حمله إلى البيت (وهذا أيضاً من واحات الاس المعددة في ملحمة أقيهاث)

الإيل الثالث هو رئيس الباشيون الأوغاريتي في النصوص الميثولوجية. وتعطينا هذه النصوص والنصوص لطقسية صورة لا بأس بها من الوضوح عن شخصيته. فهو أبو الآلهة جميعاً والذين يدعون بعائلته أو أولاده، ويلقب بأبي البشر وباني الأنسية ولربما اعتبر خالقاً للعالم، ولكن البنية البصية على ذلك غير كافية بخصوص هذه لقطعة كما أنه يحمل لقب الثور، الذي يدل على المحولة ولقوة (على الرغم من أن أحد النصوص الميثولوجية يلقي ظلالاً من الشك حول هذه المسألة) وهو هاديء في دعامته، ومصدر للحكمة لأبدية، وهو الرحيم العطوف

هؤلاء الإيلات لثلاثة يعكسون الأشكال الرئيسية للالهية الأوغاريتية، وهي:

(1) القوة الحكيمة والمتحكمة التي أوجدت الآلهة والبشر

(2) القوة التي تسكن في أي مكان مقدس

(3) الحضور المموس لأرواح الموتى.

الإله لثاني في القائمة هو داجان ابذي شهود بصوص مدينة مارى على مكانته في مناطق حوض الفرات الأوسط (ولا سيما في مدينة تروا) والتفسير الشائع بين الباحثين لاسمه يربطه بكلمة سامية غربية تعني القمح (أو الحبوب)، ولكن هذا أمر غير مؤكد، وهابك اشتغافات أخرى عديدة مقبولة أيضاً بعضها غير سامي وقد حصص لهذا الإله واحد من المعبدس الأوعاريتيين في منطق الأوروبوليس، على ما تدل عليه بلاطنان حجريتان وجدت قرب المعبد، وعليهما كتابة منقوشة تصيد تقديم قربان من ثور ومن خروف إلى إله ددان على الرغم من حضوره الواضح في الطقوس والعبادات، إلا أن داجان لا يلعب أي دور في الميثولوجيا الأوغاريتية، على الرغم من أن الإله بعل يحمل لقب "اس داجان" وهذا أمر إشكالي في حد ذاته، لأن المعروض أن إيل هو أب لكل الآلهة، ولحل هذه الإشكالية هابك ثلاثة تفسيرات محتملة

(1) كان داجان بمعنى ما متطابقاً مع إيل.

(2) يمثل لقب بن داجان موروثاً محتملاً بشأن أبوة بعل

(3) ربما يجب عدم النظر إلى صفة "ابن" ها حرفياً، ولكن كدلالة على أن بعل ينتمي إلى صنف معين من الآلهة اتخذت داجان نموذجاً لها

بعد داجان يأتي سعه آلهه باسم بعل، الأول هو بعل جبل ساد (أو صفون) الذي يقيم في المكان الذي يقيم فيه بعل البصوص الميثولوجية، أي جبل سبان (وقد رأينا أن اسم هذا الجبل يدل في الوقت نفسه على معبد بعل المعروف في أوغاريت)، إن الصيغة الأكاديه للاسم بعل هي أداد، اني تدل على اسم له الجبل وإله الطقس، الأكثر شهرة لدى الساميين العربيين. وإذا رجعا إلى نص الصلاة الأوعاريتية التي بذكر رحمة وعطف الإله إيل، سجدها أيضاً تؤكد التطابق بين أداد (أو هدد البصوص الميثولوجية) وبعل جبل ساد، وبعل أوغاريت

أما بخصوص الأعمال الستة الآخرين فإن أهميهم غير مؤكدة (وحميهم لا يحملون ألقاباً خاصة به، وتقرنون أيضاً مع أداد)، وربما يمثلون تحليات محبة لبعل في معابد متفرقة، أو رموز عبادة له، أو خصائص متميزة من خصائصه

والاسم بعل مشتق من الاسم السامي الذي يدل بشكل عام على الرب أو السيد أو الزوج واللقب لكامل للإله في النصوص المشلولحة هو "الأمير بعل لأرض" أي سيدها وربها وصفته الأساسية هي "علين" أي شديد القوى، ويدعى أيضاً "علي" أي العالي، و"فارس العيوم" وفي كلا الاسمين إشارة إلى شخصيته كإله للطقس

في مقابل إين المفارق للطبيعة، فإن بعل يمثل القوة الكامنة في العاصم، والمفعلة لظواهره، فإذا أخذنا بالحسبان ندرة الأمطار في معظم الأقطار الشرقية، لا يهاحتنا كون إله العاصف الأكثر أهمية وحضوراً بين الآلهة (قارن مع الإله الفينيقي الكلي الحضور بعل شميم، أي سيد السموات، والمواجهة الشهيرة بينه وبين الإله الإسرائيلي في سفر الملوك الأول. 18)، والذي يقع على عاتقه عبء إحلال الخصوبة ووفرة إنتاج الأرض وهو لهذا مبجل بين الآلهة الذين أعلنوه ملوكاً عليهم

ولكن نوع الإله الكامل في العاصم الطبيعي تحدده مجريات هذا العالم نفسه وهكذا نجد بعل في النصوص المشلولحة يواجه ثلاثة أعداء، العدو الأولان يمثلان قوى التدمير الكسمة في الطبيعة، وهما الإله يم - البحر، وآلهة الصحراء المدعور بالمعترسين، والعدو الثالث هو "موت" الذي يعني سمه الموت والعناء لقد نجح بعل في إخضاع يم وآلهة الصحراء، ولكنه ينهزم بدوره أمام موت (وسم هذا الإله غير وارد في النصوص الطقسية)، لأنه لا أحد في هذا العالم محصن ضد الموت بما في ذلك الآلهة أنفسهم

بعد الأعمال السبعة تأتي القائمة على ذكر "الأرض والسماء"، بالأوغاريتية أرس وشمسم ووصفة هذا إله عر واضحة، ومن الممكن أنه يدل على تأليه مجال حكم إله بعل. عداً بأن الآلهة شائمة الاسم، كما ورد في قولنا أعلاه أرس وشمسم، شائمة في 'وغريت وهي إم من قبيل جمع ثنين في مركب واحد، كما في هذه الحالة. أو هي من قبيل الإشارة إلى إلهين كاسا مستقلين ثم اندمجا في شخصه واحدة. ومن الآلهة التي تتخذ أسماء جغرافية في أوغاريت لدينا إلهان آخران، الأول هو سابان المذكور أعلاه، وله آخر مردوج التسمية هو

"الجبل و نوادي ؛ ودلالة هذا الأخير غير واضحة، إلا إذا كان يدل على محال حكم الإله عثر الوارد ذكره قبلهما في القائمة.

الأسماء المقدسة الباقية على القائمة يمكن أن تجمع في عدة رمز

(1) الهة وإلهات معروفة، أو على الأقل مذكورة في النصوص الميثولوجية.

(2) آلهة أقل أهمته تجمل في مجموعات

(3) المعبودات الحورية

(4) آلهة غير معروفة أو ضعيفة التوثيق

إن الإلهتين الأكثر شهرة في النصوص الميثولوجية هما أثيرات (أو عشيرة) وعناة وأثيرات هي زوجة إيل وبهذه الصفة فإنها الأعلى مرتبة بين إلهات الباشور. لقها الكامل هو "أثيرات سيدة البحر (أو ربما هي التي تحطو على البحر). وهي أم الآلهة وتحمل لقب خالقة الآلهة" وتدعى أيضاً إيلة (أو إيلات)، الصيغة المؤنثة من الاسم "إيس" فعلبانها في النصوص الميثولوجية ليست واضحة تماماً ولكن يبدو أنها كانت تلعب دور المناقح والمدافع عن نفسها من الآلهة

على عكس إلهة الأمومة أثيرات، فإن عناة هي إلهة عبيدة للحب الحسي والحر وهي: أحت ("أو زوجة) الإله بعل، التي هزمت عدوه 'موت'. لقها الأساسي هو العلدراء "تحياً لجمالها وشبابها وجاذبيتها الجنسية إلا أن المشاكسة وحب القتال ميرتها الرئيسية في النصوص الميثولوجية، مثلما في ملحمة أقيقات. حيث براها تعطي القوس السحرية لأقيقات بطل الملحمة، وهي انقوس التي تسببت في موته

إن الأعمال التصويرية من أوعاريت نفسها، ومن محيطها، يمكن ربطها بكل من الروحين الإلهيين الرئيسيين. إيل - أثيرات، أو بعل - عناة. يصور إيل وأثيرات عادة كزوجين ملكيين إما واقفين أو جالسين على العرش. أما الصورة النموذجية لبعل فهي في وضعية الوقوف وهو يرفع ذراعه في وضعية التسديد،

بينما تصور عاة عارية وشهوانية، رافعة ذراعيها وممسكة بيديها الاثنتين نبات أو حيوانات، وهي تضع على رأسها الشعر المستعار للإلهة المصرية هاتور وقد تصور في هذه لوضعية وهي تقف على أسد. من بين هذه الأعمال التصويرية يمكنك التعرف بصورة أكيدة فقط على عناة، لأن نحتاً بارزاً مصرياً يمثلها في نفس الوضعية، نقش تحته بالهروغليفية هتشو - أشتارت - عناة

وعلى الرعم من أن الدلالة الدقيقة لقدشو غير مؤكدة (ربما يدل على أثيرات نفسها)، إلا أن النقش المصري يوضح على ما يبدو حصول اندماج بين الإلهة السمية بغربية عناة مع إلهة بلاد الرافدين الكبيرى عشتار (أثارت الأوغاريتية، وعشتوريت التوراتية). هذا الاندماج واضح من التسمية المزدوجة أثارت وعناة، التي ترد في ترينيتين أوغاريتين، والتي تشكل مصدراً لرئيسي والمهم عن اسم الإلهة السورية أنرعاتس في الألف الأول قبل الميلاد، والذي هو مريج من الاسمين أيضاً. هذا مع أن أثارت بقيت تسمع باستقلالية خاصة في بعض النصوص لمثولوجية والطقسية الأوغاريتية) وهذا يجب أن نلاحظ احتفاء عناه في التوراة، وإلحاقها بعشتوريت)، وبقي جمانها مصرب المثل، ولكن حصيستها الرئيسية تبقى المشاكسة وحب اقتال كما أنها إلهة صيادة مثل عناة

إن الشواهد النصية والتصويرية تشير إلى أن الملمح الرئيسي للدين الأوغاريتي هو التركيز على تجيل ثنائين إلهيين يمرر الثاني الأول إلى السلطة الملوكية على العالم، سطة إيل وأثرات، ويمرر الثاني الثاني إلى الأخ والأحب بعل وعناة، الواقعين في خضم حركة العالم، والمشتعلين في صراع دائم من أجل البقاء والسيادة

هناك إلهات أخرى على القائمة الأولى هي شيش، الشمس التي نرى الكل، وتلف بجرم الآلهة المصية (وفي بلاد الرافدين هي إله مذكر على عكس أوغاريت) ولدبنا ثلاث إلهات ملقين بيات البعل، وهن بيداري (لعلها البدنة)، وأرصاي (لعلها الأرض، على أساس المقابل الأكادي، وتالاي (الدى) وهالك أيضاً إلهتان غير كمعيتين، جاء بهما الحوريون على الأرجح، على الرغم من أنهما ليستا بالضرورة حوريتين، الأولى أو شهراري (إشارا)، الإلهة المعقرب، وهي

نبرر في عدة نصوص طقسية ولكنها لا تظهر في النصوص الميثولوجية، والثانية هي دادميش، وربما كانت إلهة محاربة، ولكن الوثائق بخصوصها قليلة جداً الإلهة الأخيرة الباقية على القائمة هي أونته (ولفظ الاسم غير مؤكد. وقد رجحنا حسنها المؤث اعتماداً على لاحقة التأنيث وهي الناء في اللغة الأوغاريتية) ربما كان أصلها رافدينياً. وهي على الأغلب شكل مؤله لمحرق النخور.

يبقى على القائمة من الآلهة الذكور سبعة، وكلهم مذكورون في النصوص الميثولوجية، عدا واحداً، وهم يارح، وهو إله القمر، يظهر بشكل رئيسي في قصيدة تصف زواجه من إلهة القمر المدعوة بيكال والنص بلا شك حوري الأصل تمت صياغته بالأوغاريتية لدينا إله نحمي آخر هو شاليم، وسئل الشفق المسائي أو الزهرة كحمة للمساء وبما أن الحدرش م، الذي نحت منه الاسم، يعني النهاية أو التمام، فإن شاليم هو أفضل ما نحت به القائمة. ولكن في مصادر أخرى نجده يشكل ثانياً إلهياً مع شهر (السحر) الذي هو الفجر أو كوكب الزهرة كنجمه للصباح ومولد شهر وشاليم موصوف في قصيدة أوغاريتية معروفة

يلعب ثلاثة من الآلهة أدواراً مهمة في النصوص الميثولوجية المتعلقة بعل، فلدينا أولاً يم، وهو واحد من أعداء بعل الرئيسيين نجد رفيقته وحشين بحريين مخيفين هم (لبنان (لواياتان لوراتي) وتوسان (تسين التوراتي)، ولعل هدين الوحشين ليسا إلا الصورة التي يتبدى بهاييم باعتباره المحيط المائي البدئي ولدينا أيضاً أثير (الصيغة المؤنثة لأثارت)، الذي عالم ما يطبق مع إله عربي جبوبي يحمل الاسم نفسه. ولكن الترجمة الأكادية لاسمه تطابقه مع الإله المحارب الحوري أشتابي عندما يقتل موت بعل، يعين أثير الموصوف بالطاغية ملكاً بدلاً عنه. ولدينا ثالثاً، إله كوثر (أي المهر ويدعى أيضاً كوثر وحاسيس، أي الماهر الحكيم) وهو الحرفي الإلهي الماهر نجده في نصوص مختلفة كبناء، وصانع أسلحة، وساحر، وخباز.

توجه منحمة كرت اليوم للإله رشاب (رشف التوراتي). والاسم يحمل معنى اطاعون ومعنى الذهب أيضاً) لمسؤوليته عن قتل عدد من أفراد أسرته. ولكن أهمية هذا الإله تظهر بصورة أوضح في النصوص الطقسية، حيث يوصف بأنه

ملقي الأضاحي الكثيرة. وهو إله سامي قديم يظهر في نصوص إيبلا التي ترجع إلى أواخر الألف الثالث قبل الميلاد، كواحد من خمسة ملوك إيبلا كما شق طريقه إلى مصر حيث كان الإله النصير للمرعون أمنحوتب الثاني، وواحدًا من أشهر الآلهة في عبادات عصر الأسرة التاسعة عشرة.

تطابق النسخة الأكادية لقائمة الآلهة الآوغاريتية الإله رشاب مع الإله الرافديني ترجال، ملك العالم السفلي وهذه المطابقة إذا أضيفت إلى بينات كنعانية ومصرية أخرى، تقودنا إلى افتراح أن رشاب هو الإله نفسه الذي يدعى في أحد النصوص رابيو، أي الشافي وهو حامي الموتى المؤلمين من اسشر، وهم الرابيوم (الرفائيون الثوراتيون)، ولكن معظم اسحثين يعتبر أن رابيو هو لقب لإيل.

الإله المبقي على القائمة ه كنار، وربما يمثل القنطرة المؤلمة لا يعرف عنه الكثير، ولكن لبعض يقرنه بالنطل القبرصي كينيرياس والد أدونيس

أخيراً، يرد في القائمة أربع تسميات جماعية، الأولى هي الكوثرات، وتشير إلى فرقة من المغيبات الإلهيات، اللواتي يظهرن في لمناسبات السعيدة أو الحزينة، كما في ملحمة أفهت، وقصيدة نيكال (وربما أيضاً في المزمور 68: 7) ومع أن للتسمية صلة مع اسم الإله كوثر، لا أننا لا نستطيع قول أي شيء بخصوص هذا التشابه. وهن يحملن بعضاً إشكالياً من الناحية اللغوية، ربما تكون الرحمة الأكثر قبولاً له هي "السويوات سات" لأغنية المرححة"، و"يضاً" سات نجم الصباح اللامعات (وربما سات القمر الحديد)

التسمية الجماعية الثانية ندل على حليفني يعمل الاثنين، وربما رسولاه، اله. عوين من وأوعار (الكرمة والحقل). التسمية الثالثة وهي بوهر إيليم. أي اله. الآلهة، تشير إلى حمهرة الآلهة غير المذكورين اسبياً في قائمة الآلهة، اله. اشكلون ذرية إيل وأثيرات. وفي نصوص أخرى نجد هذا التجمع يحمل اسمها "أبناء إيل" و"عائلة أبناء إيل" وهناك كثير من الجدل حول هذه التبعات اله. ندو في اتفاق مع الفكرة السائدة في الشرق الأدنى بخصوص اله. إلهي "يسيطر عليه إله واحد.

التسمية الجماعية الأحررة هي مالكيوم، وتعني حرفاً الملوك وهي تشير إلى موت أوغاريت الموتى المؤلهين، والأعضاء البرزين في مجمع الأسلاف المؤلهين الأوسع المدعو رايوم ويحري استحصار أرواح المالكيوم في بريلة طغسية أوغاريتية معروفة بعنوان وثيقة عبد أرواح الأسلاف الحمية. وباستطاعتنا التخمين بأن رئيس المالكيوم هو الملك الكلي لحصور (مولوح النوراني) اسدي يمكن مطابقته مع الموت نفسه.

### الديانة الشعبية

كما هي الحال عموماً في الشرق القديم، ههنا لا يستطيع سوى قول القليل مع درجة من اليقين، بخصوص الديانة الشعبية في أوغاريت، لأن النصوص المكتوبة لا تتحدث إلا عن الملوك والكهنة وأفراد النخبة كانت نصوص أوغاريت، على ما يبدو، جزءاً من التقاليد الكتابية الكوزوموبوليتانية في أوغاريت، وهي تنسخ على موال المدارس الكتابية البابلية وكان اكتبه السدين أنتجوا نصوص بعل متمرسين أيضاً لكتبه اساله المسمرية، وعملوا على استساخ نصوص بابلية وسومرية من كل حس أدبي تقريباً. ولدينا شواهد على أن النخبة المثقفة في أوغاريت كانت مطلعة على قصص حدجامش الراهديي، وعلى أدب الحكمة والأمثال، والصيغ العاقوبة، براهينية أيضاً، مع أن القليل من هذه المادة قد انعكس في النصوص المكتوبة باللغة الأوغارسة

إنه لمن غير المؤكد أبداً، كم تسرب من التقاليد الأدبية الرسمية إلى عامة اساس في أوغاريت ومع ذلك فإن تخميناتنا حول الديانة الشعبية يمكن أن تقوم على شواهد من ثلاثة مجالات

(1) أسماء لعلم وما تحمله من تصورات عن الآلهة

(2) لتمثيل النذرية الصغيرة.

(3) لسحر والعرفة.

(4) لتعاليم الأخلاقية أو الحكموية المشتقة من النصوص

إن التصورات الشعبية للآلهة قد تدور ما من خلال أسماء العلم، لأن نسبة كبيرة من هذه الأسماء مؤلفة من اسم إلهي وعصر آخر هو اسم أو فعل. ولقد جمع الباحث Franke Grondahl في قائمته لأسماء العلم الأوغاريتية ما يزيد عن الخمسين سماً إلهياً ملصقة بها وأكثر هذه الأسماء الإلهية وروداً في أسماء العلم هي إيل، وبس، وعمو (عم)، وعدة ومعادلها الذكري عاسو، وعشتر، ويم، وكوثر، ومالك (ملك)، وبدر (ربما مذكر بذاري)، ورايو، وشيس. في بعض هذه الأسماء يوصف الإله بأنه أب أو أم أو أخت أو عم لحامل الاسم، وذلك مثل "رشاب أي" أي الإله رشف هو أبي، وفي أسماء أخرى يوصف بأنه خادمه أو عبده، وذلك مثل "عبدي - رشاب أي عبد الإله رشف. وهناك شريحة واسعة من الأسماء تصف ميراث لآلهة، وذلك كقولهم "إيلي ميلكو أي إيل هو ملك، و"دابي إيل" (داسل، أو دايال فيما بعد "أي إيل يحكم، و"يللصدق" أي إيل عادل وقد تصف، إيداع الإله أو حبه ورحمته، مثل "ياكون إيلو" أي إيل يؤسس، و"يني إيلو" أي إيل يني، و"هاني إيل" أي إيل رؤوف.

هناك نوع آخر من الشواهد بخصوص الديانة الشعبية، هو التماثيل المعدنية الصغيرة التي يُصنَّعُ عموماً أنها تمثل الآلهة والإلهات. وقد أعدت اساتذة أوراجي Ora Negbi كتاباً شاملاً بهذه التماثيل الصغيرة (1976)، نصف أكثر من حوالي 1700 قطعة منها من المحتمل أن هذه التماثيل قد استعملت كتماثيل نذرية، وأنها كانت نسخاً مصغرة لتمثيل إلهية حشبية قد صاغت الآن. وبما أن الكثير منها قد وجد في أماكن عديدة فإن من المرجح أنها لعبت دوراً طقسياً ما. وحول هذا الموضوع نقول مؤلفة الكاتانوغ إن التمثيلات المعدنية قد استخدمت كطلاسم وتعاويد ذات عرص سحري في العادات المنزلية والحضارية.

نشهد التماثيل الصغيرة في أوغاريت، أيضاً، على شيوخ نوعين متميزين من الأرواح الإلهية التي يمثلها هذه التماثيل. فلدينا شكل ملك ومكة، هما إيل وأثيرات، وإله يتسم بالقوة والبطش وإلهة شهوانية، هما بعل وعناة، وهذه الأخيرة تصوراً أحياناً كإلهة محربة وتمثلات بعل وعناة هي أكثر توثقاً في عصر البرونز الأخير، ووحدت داخل وحول كلا المعبدتين على الأكروبوليس.

ولدتنا بعض الشواهد النصية بخصوص السحر والعرافة في أوغاريت، منها  
نسحتان لتوحيد طويلة صد عصاة الأفعى السامة، وهي يستنهض عده آلهة مهمة  
وتستدعيها من مساكنها الأسطورية، لتقديم المساعدة خلال تلاوة التعويذة

وتظهر بمدح محارية لركائز وأكاد حيوانات، أن تقنيات التنبؤ من خلال  
تفحص أحشاء الحيوانات كانت شائعة أيضاً، وهي تقنيات مستمدة ولا شك من  
بابل، مع إعطائها قالباً كنعاناً مميزاً، وذلك بدعمها بطقوس تقديم الأضاحي  
وهناك استعارة أخرى من البابليين موثقة في ثلاثة نصوص تنصف القيمة السوتية  
بلميلاد غير العادي للشر أو الحيوانات، وهي تشبه سلسلة معرفة الطالع  
المشهورة في بابل والمعروفة بعنوان شوما - إزبو ولكنها لسوء الحظ مهشمة  
وغير واضحة السطور في معظمها

أخيراً، يقدم أحد نصوص الشائكة شيئاً عن الوحي الإلهي بالقول "عندما  
اقترب سيد الآلهة العظمى العذبة (إيل؟) من ديتان، التمس ديتان وحيلاً  
بحصول الطفل" (هناك شيء مشابه في ملحمة كرت)، والمعنى هو، أنه يمكن  
الوصول إلى إيل عن طريق وسيط وحي هو هذا ديتان، حامى الأسلاف المؤلهين  
المعروفين باسم "مجمع ديتان" ثم يتابع نص سلسلة من التعليمات المتقطعة  
وغير لواضحة في النقش، من شأنها تمكين السائل من الحصول على  
الاستجابات المطلوبة.

إذا أخذت هذه النصوص مجتمعة، فإنها تدل على مدى الاهتمام بنصوص  
الكهانة في أوغاريت، ولكن هذه النصوص وغيرها لا تقدم لنا من الناحية العملية  
معلومات بخصوص العائمين على تلك الفنون وربما يرجع السبب في ذلك إلى  
أنهم كانوا يمارسون موبهم على هامش المؤسسات الدينية الرسمية.

إن الجانب الأكثر إشكالية بلدياسة الشعبية، هو تفسير النصوص الدينية  
الأوغاريتية وعلى فرص أن تلك النصوص كانت معيارية (normative) وأنها كانت  
تداول شفهاً، فإنها يجب أن نجسد "العالم" الديني في أوغاريت ومع ذلك لم  
يصلنا تفسيرات للنصوص، أو نبيان لمبادئ الدينية التي تشرح ماهية التعاليم،

أو تأثيرها على حياة مجتمع من المؤمنين. يمكن قراءة النصوص المدحمة والأسطورية الأوغارية (في مقابل النصوص الشعائرية الوصفية) باعتبارها عطات دنية حصوص طبعه العالم الذي يعيش الناس فيه كان قراء هذه النصوص القديمة، أو المستمعون إليها، يفتشون عن مكانهم لخاص في "العالم" الذي تصفه تلك النصوص ومن الممكن أن المؤمنين الأوغاريين، مثل نظرائهم في العصر الحديث، قد صاغوا تطبيقاً خاصاً للنصوص المقدسة على حياتهم الخاصة

تؤكد نصوص بعل على حقائق أزلية في مجال رمزي ليس بعيداً فعلياً عن الخبرة الإنسانية. فالآلهة تختبر العرج والحزن، و بحرب والسكينة، ولحياة والموت، والسلطة والمعحر. إن أقوى الآلهة "بعل" يواجه تحديات العالم ويتعلم عليها نجاح، حتى يلقى الموت، العدو الوحيد الذي يحصع له الآلهة والبشر على حد سواء إن انتصارات بعل والمحن التي يعمرها، لوضح ذلك النحاس والتداخل بين كل أشياء العالم. فالآلهة والطبيعة والنظام السياسي والحياة افساسية، كلها جزء من نظام موحد وعدم يهرم البطل يهار النظام السياسي، و يعود الأرض إلى حالة الفحط، ليس لأن بعل يرمز إلى النظام والخصونة بطريقة بسيطة، بل لأن التوازن المعقد والديق للعالم قد تهدم كما نجد أن الاضطراب يحصل للنظام الطبيعي، عندما يصاب كرت، وهو ملك بشري، بمرض عضال.

إن لدى يهيمس من الأعلى على محريت العالم، ولا يحضع لها، هو الإله إيل، الحكيم والرحيم وفي الأوقات المرححة من قصة بعل نجد أن الآلهة تقصده، أو ترسل له معوثين، للحصول على مرصاته وتلقي النصع والمشورة منه. وبعد فناء عائلة الملك كرت من قبل قوى حاكمة، نجد إيل يظهر في حلم الملك مواسياً له، وبعد ذلك يقدم له العلاج اللازم لشفاة من مرضه. وفي ملحمة أقيمت نجد بعل سوسط لدى إيل من أجل درية لد نيل العاقر يوافق إيل ويظهر لدانييل مع أبناء سارة وفي كل حالة يدي عيل قوة متعالية تُستخدم بعدالة استجابة لتضرع مُلح.

هذ وتو ري ملحمتا كرت وأقيمت النصوص الأسطورية ونكملها (ربما من الأفضل إطلاق صفة الأسطورة التاريخية على هذين النصين) وهم يتحدثان عن

المواجهة بين بشر وآلهة، حيث يصبح الأشخاص التاريخيون (أو شبه التاريخيين) أمثلة أو نموذجاً صحيحاً للسلوك الإنساني.

إن الأزمات التي تحرك حكمة نص أفيات تظهر الارتباط والتداخل بين عالم البشر وعالم الآلهة. فدينيل الذي يتقل من حاله البشري إلى الألوهية، (أي واحداً من الرايوم المؤلهين) يُعد تجسيداً لذلك التداخل. ودينيل هو نموذج مثالي، بقي وعاد، وهو يتضرع أمام الآلهة من أجل ولد يحلعه ويرثه، بكل خضوع وتذلل، ثم يلقى مكافأته. ويست الطقوس التي يؤديها في بداية النص إلا مثلاً عن لتقوى

وهناك جوانب من ملحمة أفيات تشف عن تعاليم أخلاقية أيضاً فلابن الذي طل انتظار مولده يصور كصائد نموذجي يتلقى القوس السحري لدي صنعه الإله الحر في كوثر ولكن القوس لا يتكشف عن بركة صرفة، فهو ينير غيرة عامة من حجة، ويجعل أفيات يشعر بالأمان الذي تؤمسه قوته البدنية، إلى حد أنه يطرد الإلهة بوحدة وحماسة أفيات هو تشبه حماسة بعل عندما شعر بالأمان في قصره الجديد (وهو من تصميم كوثر أيضاً) فتحدى الموت بجرأة منقطعة النظر. ولكن أحذق المبتكرات من تؤم الحماية لمن يتجاوز حدوده ويحل على نفسه لعص الإلهي تتقم بوغاب أخت أفيات لموته، وهي نموذج للحب والإخلاص، مثلما نصرفت أخت بعل بابة عنه في النصوص الأسطورية

بدأ ملحمة كرت، مثلما بدأت ملحمة أفيات، بإبطال الذي حرم من الذرية، ولكن ليس بسبب العقم وإنما بسبب كارثة أفنت أسرته وبنشاً توتر درامي من الوضع الذي يجد الملك نفسه فيه من دون وريث، الأمر الذي يهدد بتمزيق النظم السياسي والنظام الطبيعي معاً. تصور القصة هشاشة سلطة، والعلاقة الحساسة بين البشر والآلهة

يستدر كرت عطف إين "أبو اسر"، الذي يدعو الملك "بارووف غلام يل"، ويعطيه التعليمات بإقامة سلسلة من الطقوس الدينية لكي يضمن النصر في المعركة، والحصول على زوجه جديدة تعطيه سلاً جديداً. يفد كرت بأمانه ما طلب منه وبعد أن يخرج بجيشه إلى مملكة أدوم للمطالبة بآبنة ملكها زوجه له، يتوقف في

فينق لينذر نذراً في معبد أثرات ربه صور وصدود ولكن هذا لعمس الساع من  
التقوى الشخصية سوف يؤدي إلى كارثة. يحقق كرت انتصاره ويأتي بالزوجة  
الموعودة ويؤسس عائلة جديدة، ولكنه يصاب بمرض عضال جراء سبانه الوفاء  
لنذره للإلهة أثرات ومرة أخرى يتدخل "أنوه" الرحيم إيل لصالحه وتنتهي القصة  
مع محاولة ابن كرت اغتصاب العرش متهماً أباه بالابتعاد عن البر والعدل في حكمه  
(ومن الواضح أن هذا السب كان كافياً لخلع ملك ما) ولكن تشوه ألواح الملحمة  
يحول بيننا وبين معرفة نهاية القصة؛ وإنما تسمر تغلبات الحكم على ما يبدو

تؤكد هذه النصوص على عنصر مكافأة الفضيلة وانتقوى، والعقاب على  
الشر والكفر والحقاقة. ومع ذلك فون بإمكان من يلقي عقاباً بهياً عدلاً أن  
يتصرع إلى إيل الرحيم، الذي يلتفت بإحباب لضررته

ما تبقى من الديانة الكنعانية

يمكننا تتبع ما تبقى من الديانة الكنعانية في لألف الأول قبل الميلاد في  
محيطين ثقافيين هما المحيط لسوري (بلاد الشام) والمحيط الإيجي تمثل  
الديانة لفينيقية، سواء في موطنها الأصلي أم في مجلها المتوسطي الأوسع،  
استمرارية للتقاليد الكنعانية كما كانت العبادة الرسمية في دولة السامرة، ولا  
سيم في مناطقها الشمالية من بين ورثة الديانة الكنعانية ولبس الهجوم انذي شنه  
المحررون التوراتيون على العبادة الكنعانية التي اضطغت بها السامرة (انظر سعر  
هوشع على سبيل المثال)، إلا من قبيل محاربة فكرة أن الإله (وهو هنا إما بعل  
أو يهوه) كامن في حركة العالم الطبيعي وحاض لمجرباته؛ في الوقت الذي كن  
فيه الإله يهوه قد تطابق مع إيل في الفكر الديني التوراتي وفي محيط بحر إيجة  
يحد أن مدى التأثير الكنعاني مسألة خلافية بين الباحثين. ولكن هنالك دليل قوي  
على احتكاك وتواصل الثقافة السامية العربية مع اليونانية في العصر الميسيني،  
الأمر انذي ترك هبالك مراثاً من الأسماء السامية، و لموضوعات الأدب،  
والممارسات الدينية، الي غدت جزءاً من الميراث الثقافي الهليني

Allan M. Cooper

## 2 - الأدب الكنعاني

يحتاج مجال هذه المقالة الدنية إلى التحديد فكلمة "كنعاني" تشير إلى ثقافة المنطقة التي تعرف غالباً - المشرق (Levant)، وتشمل بصورة تقريبية الدول الحديثة: سورية ولبنان، والأردن، وفلسطين وأما لمدى الزماني لهذه الثقافة فيمتد من بداية ظهور السجلات المكتوبة في الألف الثالث قبل الميلاد، إلى العصر الهيلينستي في القرن الرابع قبل الميلاد. في القديم لم يكن التعبير 'كنعاني' يتحلى بمثل هذا التحديد العريض فكنعان، بصورة عامة، وبشكل خاص في كتاب انورا، هي القسم الحواري الغربي من هذا الإقليم. ومن ناحيتها، فإن المصادر الحديثة ليست مجمعة على هذا الاستعمال، والكثير من الباحثين المعاصرين يطلقون التسمية على المنطقة التي انقسمت في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد إلى وحدات سياسية أبررها. فينيقيا، والسامرة (فيما بعد السامرة ويهودا)، وعمون، ومؤاب، وأدوم، ويصم البعض إليها آرام، وبخاصة آرام دمشق.

وبخصوص تعبير "الأدب" والنصوص الأدبية، فإننا سنتعامل هنا للدلالة على تلك النصوص المطبوعة والمؤلفة بأسلوب شعري، وعلى وجه الخصوص تلك الدرينات العديدة من الألواح الفخارية المنقوشة بالحظ الأبجدي المسماري، التي وجدت في أوغاريت القديمة (موقع رأس شمرا) على الساحل السوري، خلال حفريات بدأت عام 1929 وما زالت مستمرة وعلى الرغم من أن القسم الأعظم من النصوص الأوغارية يصم عدداً هائلاً من الوثائق البعيدة عن موضوعنا، مثل المراسلات الدبلوماسية، والنصوص الاقتصادية، ووصفات للاعتناء بالخيل وهداياها، وقوائم القرائن ذات الصلة بالطقوس الدينية، إلا بعض هذه الوثائق يحتوي مع ذلك على أدلة قيمة تفيد في معرفتنا بالممارسات الدينية، ولا سيما تلك الوثائق التي تعدد القرائن وأسماء الآلهة التي تقدم لها، ووثائق متنوعة تذكر أسماء أعلام تنصمن في أحد شطريها أسماء إلهية.

وحدث معظم النصوص الأدبية في منطقة المعابد في أوعاريب القديمة على الأكروليس إن وجود هذه النصوص في منطقة المعابد ليس نتيجة للنشاط الكتابي في الهيكل المقدس. إن أرشيفات ومكتبات أخرى وجدت في أماكن متفرقة من المدينة، بل إن وجود هذه النصوص في منطقة المعابد يدل على أنها كانت تملك وظيفة دينية ما

كتب النصوص الميثولوجية و الملحمة الكسرى على ألواح من نطير. كانت نشوى بعد أن نقش على كلا الجانبين في عمود أو عدة أعمدة، وكانت الأسطر تكتب بشكل متواصل مع علامات تقسيم تفصل بين الكلمات. وقد حمت بعض الألواح أحياناً عواناً في بدايتها، مثلاً هو الحال في ملحمة كرت حيث يجد جرثيين من الأجراء الثلاثة التي تؤولف الملحمة يحملان عنوان "حون كرت"، كما نجد لوحاً في ملحمة بعل وآخر في ملحمة أقهاب يحملان عنواناً مشابهاً. ولربما جرى استخدام هذه الوسيلة للأرشيفية بشكل منتظم من قبل الكتّاب، ولكننا لا نستطيع تأكيد ذلك لأن معظم الألواح وصل إلينا مكسوراً في بدايتها التي يفترض أنها تحمل العنوان كما أن الحالة السيئة التي وصلت بها الألواح، يجعل من الصعب علينا تتبع التسلسل الأصلي للألواح وللقصة التي تسردها، وهذا ما يجعل من تفسيرها أمراً تخمينياً

لدينا أربعة ألواح تحمل في نهانها تنديلات منشبهة، نستطيع قراءة أوصحها على الشكل التالي: "الكاتب كان إيلي ميلكو من شوبانو، تلميذ أنابوريباني، الكاهن الأعظم، ورعي القطيع الأكبر، تحت إشراف نيقمادو ملك أوغريت، سيد ياركوب، وموي ناروماني". وكما تدل هذه الكلمات في نهاية اللوح، فإن النصوص كانت تدون تحت الرعاية الملكية، وتوضح الارتباط الوثيق بين القصر والمعبد. والأهم من ذلك تدل هذه الملاحظات الحتمية على أن النصوص كانت تملأ على الكاتب على أي حال، فمن هنا أمام أدب شفهي من حيث الأصل، وفي المرحلة التي كان يتحول فيها إلى أدب مكتوب.

ومن المرایب لمشاركة بين الأدب الكنعاني وآداب شفوية أخرى، هالك استعمال نفس المحرور من النعوت للشخصيات الإلهية والبشرية وهذا أسلوب مألوف جداً في الإلياذة والأوديسة وهكذا نجد إيل، رئيس مجمع الآلهة، يدعى بالثور، وخالق الحميع، وأبي السنين، واللطيف الرؤوف، والملك كما نجد أن بعل يدعى بالأمير، ولعاري، وسيد الأرض وجد كبير يدعى بالرحيم، والنبل، وخدم إيل ونجد دانبل يدعى بالنطل، والرجل الشافي ومن الواضح هنا أن الشعراء كانوا يختارون في كل مرة الصفة الأكثر ملائمة للموضوع والأكثر تمثيلاً مع الوزن الشعري

وطريقة أخرى مألوفة في المقصائد الهوميرية نجدها مستعملة في الأدب الكنعاني هي استخدام صيغ منمائية لسرد مشاهد نمطية متكررة، مثل تقديم أصحية، وضع سرج على حمار، وتحصير مائدة، ورحلة إله إلى مقر كبير الآلهة، وما إليها، ولكن ومع إدخال تعديلات تناسب العدد والجنس في كل مرة إن الأبيات اللطيفة التي تصف دخول عناة على أنبها إيل تتكرر نحو ست مرات في نصوص البعل.

ثم توحجت نحو إيل

عند سبع الهرين

عند مصدر العمرين العظيمين

فتحت الخيمة ودخلت

مقام لملك أبي لسين

عند هدمي أين ركعت وسجدت

وأذلت نفسها وتعدت

ومن مرات الأدب الكنعاني أيضاً التكرار الحرفي لعدد كبير من الأبيات في مواضع معينة، وذلك مثل إعطاء أمر ثم تنميد ذلك الأمر، ووقوع حلم لشخص ما، ثم قيام صاحب الحلم بقص حلمه على آخر، في هذه الحالة فإن كل الأبيات

التي ترد في إعطاء الأمر سوف ترد حرفياً في تنفيذه، وكل ما قانه لنا الشاعر عن حلم رآه أحدهم سوف يكرره صاحب الحلم وهو يسرد حلمه

وأخيراً، فإن هذا الأدب الكنعاني الشفهي أصلاً، كان أدباً شعرياً، مثل آداب منطقة شرقي المتوسط وبلاد الرافدين وبما أن نصوص هذا الأدب كانت تكتب بالحروف الساكنة فقد كان من الصعب تكوين مبادئ خاصة بالوزن تميز الشعر، كما أن القافية لم تكن مستعملة. ولكننا نستطيع تمييز خاصية شكلية واحدة تميز لبعض الشعري هي التواري وهذه خاصية لحسن الحفظ لا نطمسها الترجمة. إن العنصر الأساسي في الأسلوب الشعري القائم على التوازي هو وحدة تتألف من بيتين أو ثلاثة بحري من خلالها توسيع فكرة واحدة عن طريق التكرار وإعادة الصياغة أو التضاد. لننظر إلى الأبيات التالية على سبيل المثال:

دعي أحبك أيها الأمير بعل

دعني أكرر يا راجك العيوم

هو ذا عدوك، سوف تقتنه

ها أعداؤك، سوف نفيهم

ولسوف تفور بالملك إلى الأبد،

وبالسلطان إلى أبد الأبد

إن المقطع أعلاه يتكون من ثلاث وحدات تعبر كل منها عن فكرة كاملة ومثل هذا لأسلوب مألوف في مصدر آخر من مصادر الأدب الكنعاني، هو التوراة العبرانية، حيث نجد النصوص الشعرية تقوم في كثير من الأحيان على أسلوب التوازي الذي صدقناه في الشعر الأوغريتي. لننظر إلى المقطع التالية من شعر المزامير على سبيل المثال

لأنه هو ذا أعداؤك يا رب

هو ذا أعداؤك بيدون

كل فاعلي لأثم ينددور

المرمور: 9: 92

ملكك، ملك كل اندهور

وسطانتك في كل دور فدور

المرمور: 145: 13

يرجع هذ التشابه في الشكل والمصمود إلى أسباب ثقافية: ذلك إنه على الرغم من العروق الشاسعه من لتاحيه الرمزية والجغرافية بين أوعاريت والتوراة، إلا أبهما كانا حزاء من وحدة ثقافية أوسع، وكانت لهما مفردات شعرية ودينية مشتركة وهذا ما يساعدا على فهم كثير من مواضع العموض في النص الورتاتي، مثلما ساعدنا على مزيد من الفهم للأدب الأوعاريتي

### النصوص الميثولوجية

سوف ستعرض ها نصوصا أبطالها الرئيسون من الآلهة، ولا يرد فيها أي ذكر لشخصيات بشرية بعينها، كما أنها خارجة عن أي إطار تاريخي أو جغرافي.

#### نصوص البعل:

وهي مجموعة النصوص التي تدور حول بعل، الإله الرئيسي في الباشيود الأوغاريتي وعلى الرغم من أن الإله ين كان يعد في أوعاريت، مثلث هو الحال في كل أنحاء العالم السامي، وله مكانة خاصة في عدد من النصوص، إلا أن بعل كما يبدو قد أراحه وحل مكانه كإله رئيس في أوح الألف الثاني قبل الميلاد؛ وهذا ما تؤكدنا أيضاً شواهد من النصوص الطقسية، ومن أسماء الأعلام التي صار أغلبها يحمل اسم بعل بدلاً من اسم إيل

لدينا نحو دزينة من الألواح تحتوي قصصاً مختلفة تدور حول بعل، وتؤكد أهميته في الحياة الدنية الأوغاريتية ولكن معظم هذه الألواح عبارة عن قطع غير كاملة من ألواحها الأصلية، وجرى العثور عليها غير مرتبة وفق نظام معين وغير

مُعبوه. الأمر الذي يجعل من الصعب علينا متابعة حبكة القصة في ترتيبها الأصلي. ولكن الشيء المؤكد هو أن هذه الألواح تحتوي على ثلاثة أحداث مهمة في دورة حياة البعل وهي:

(1) معركة بعل مع يم.

(2) بناء بيت لبعل.

(3) المواجهة بين بعل وموت.

### بعل والبحر (يم)

يبدو أن الإله إيل، رئيس البانثيون الأوغاريتي قد شجع المنافسة بين إلهين من الجبل الأصغر هما البحر يم (الذي تدعوه النصوص بحبيب إيل، والأمير يم، والقاضي نهر)، وبعل الملقب بـسن داجان (وداجان تعني القمح، أو المحبوب بشكل عام) في البداية يبدو يم متفوقاً ومعتدً بقوته، وهو يرسل إنذاراً إلى مجمع الآلهة يطلب فيه تسليمه بعل:

رسالة يم مولاكم

سيدكم القاضي نهر:

يا إيل (أو أيها الإله) ادفع لي صر تحفيه

(سلمني) من جميعكم يؤويه،

ادفع لي ببعل وأعوانه (أو وقواه)،

بن داحون حتى أرث مستلكاته.

ومع أن إيل والمجمع ميانون للمواقفه على مطلب يم، إلا أن بعل يرفض مضمون الرسالة ويستعد لعراك يم، وبمعونة هراوات يصعها له الإله الحرفي كوثر - حاسيس (أي الماهر والحكيم) يهزم بعل حصمه.

رقصت الهراوة بين يدي بعل،

وانتفصت كنسر بين أصابعه،

أصاب يَم في حمحمته ،  
أصاب القاضي نهر بين العينين ؛  
فترنح يَم ، ووقع على الأرض ،  
اهتزت مفاصله ، وتهوى سانه  
أمسك بعن باليم وشربه ؛  
قصي على القاضي نهر

هذه القصة المختصرة لا يمكن فهمها تماماً دون الرجوع إلى أساطير مشابهة أكثر تفصيلاً، من المشرق الأدنى القديم نفسه، ولا سيما أسطورة التكوين البابلية (الإينوما إيليش) فهناك نلقى أيضاً مجلس الآلهة الذي تلقى تهديد الإلهة البدائية تيامة (السر)، وكيف عهد إلى إله العاصم الشاب مردوخ مهمه إنقاذ الآلهة ولقد وافق مردوخ على التصدي لتيامة ومن مشى في ركابها، شريطة أن يعطى لسلطة المطلقة على الآلهة وعلى الكائنات البشرية بعد المعركة التي وصفت بتمصيل مسهب، يعمل مردوخ على صنع الكون من جثث أعدائه المهزومين، ثم يبادى به حاكماً مطلق الصلاحه وبعض النص من الاختلاف في التفاصيل، يبدو وكأننا أمام نسختين اثنتين من قصة واحدة تحكي عن صعود إله شاب واستلامه سدة القيادة على أقرانه ولدينا ما يشبه أسطورة التكوين هذه في كل من الأناضول والهند واليونان إن بعن في أسطورنا الأوغاريتية بشبه مردوخ من حيث كونه إلهاً للعاصفة، ويدعى راكب العيوم (فارن مع النعت الهوميري لزيوس بأنه جامع للغيوم)، وسلاحه هو الرق، ومسؤول عن الأمطار في مواسمها

ومن ناحية أخرى فإن العديد من مآثر بعن يعزى في كتاب التوراة إلى يهوه،  
فها هو امزمور 68 يطلق عليه أيضاً لقب راكب العيوم

الحامل السحاب مركبته

الماشي على أجنحة الريح

اجعاج ملائكته رياحاً

وخدامه ناراً ملتهمة (مزمور 104: 3 - 4)

وهالك أيضاً إشارات متفرقة عديدة إلى صراع بدني بين يهوه والبحر؛ من ذلك مثلاً ما نقرؤه في سمر أيوب:

بقوته يرفع البحر

وفهمه يسحق رهاب

بمخته السماوات مُسفرة

ويده أداة الحجة الهاربة (أيوب 36 12 - 13)

ومع ذلك فإن البصير التوراتية لا تقدم لنا سحرة مطورة عن هذا الصراع البدني، لأن لحدث المؤسس في الرواية التوراتية ليس حدثاً ميتولوجياً بل تاريخياً. إنه هزيمة جيش فرعون في لبحر الأحمر. ولكن غالباً ما كانت اللغة المستخدمة للاحتفال بهذا الحدث مشتقة من الأسطورة الكنعانية وهذا ما نراه في المزمور 77 الذي يذكر أفعال الرب القديمة.

فككت بذراعتك شعبك بني يعقوب ويوسف

أبصرتك المياه يا رب، أبصرتك المياه ففزعت

ارتعدت اللوح أيضاً

سكبت العيوم مياه

سها منك طارت أيضاً

صوت رعدك في الزوينة

والبروق أضواء المسكونة

ارتعدت ورجعت لأرض

في البحر طريقك وسُبلك في المياه الكثيرة

هدبت شعبك كقطع بيد موسى وهارون (المزمور 77: 15 - 20)

علاوة على ذلك فقد استخدم شعراء التوراة تعبير يشبه تلك المستخدمة في وصف بعل :

هل على الأنهار حمي غضبك يا رب

هل على الأنهار حمي غضبك

أم على لحر سخطك (حبقوق 3. 8)

وفي لمزمور 114 أصفى الشاعر انشوراتي، جرئياً، الصفة التاريخية على الصيغة المركبة المعروفة في الشعر الأوغاريتي بحر - بهر .

عند خروج إسرائيل من مصر

وبيت يعقوب من شعب أعجم

اسحر رآه فهرب

الأردن رحع إلى حلف

وفي النص الثري المطور لقصة خلاص بني إسرائيل، فإن حادثة شق البحر الأحمر تتكرر لدى عبور نهر الأردن وهذا ما يظهر محدداً استوازي القديم بين الأديين.

بناء بيت بعل :

بعد نقطاع لا بأس به في سياق القصة، يتابع النص فيصف مأدبة تقام على شرف انتصار بعل الغوري، الأمير سيد الأرض.

أمسك بيده كوباً

وطاساً بكلتا يديه

كوباً كبيراً نادي العظمه

وسريعاً يدهل الأحياء

كأساً مقدسه لا ينبغي للنساء رؤيتها  
 كأساً لا ينبغي لعشيرة أن تلمحه بعيها  
 ستلم ألف إريق خمر  
 مرح عشرة آلاف في وعاء مزحه  
 يحدث هنا انقطاع آخر في السياق، ثم يصف لنا النص بإسهاب معركة شستها  
 عناة، وهي الإلهة الأكثر حيوية في الثلوث الإلهي المؤث الأوغريتي.  
 تدحرجت الرقوس تحتها مثل كرت  
 وطارت الأيدي فوقها مثل الجنادب  
 أيدي المحاربين مثل أسراب الجراد  
 ثنت الأيدي إلى طهرها  
 ربيطت الأسدى إلى حرامها  
 وغصت حتى ركتها في دم الحنود  
 وحتى مكيبها في دم المحاربين المتخثر  
 بهراوة دفعت أعداءها  
 وبوتر قوسها صردب حصومها  
 (بعد هذه المعركة تقوم عناة بتطهير نفسها):  
 سحبت الماء واغتسلت  
 بندى السماء، وريت الأرض  
 بمطر راكب العيوم  
 بندى السماء المسك  
 بمطر ينهمر من انجوم

(في المشهد التالي يبعث نعل برسله لاسدعاء عماء في أنشودة غائية)

رسالة نعل الظاهر

كلمة قاهر المحاربين

أزيلي الحرب من الأرض

أنشري الحب في الأرض

اسكني السكنة في قلب لأرض

وليتهطل لحب محترقاً جوف الأرض

أسرعني ، هلمي ، اندفعي

اركضي إليّ تحملك قدماك

تساقني إليّ تحملك قدماك

فلدي كلمة أسرها إليك

لذي قصة أسرها إليك

كلمة الشجر وسحر الحجر

همسة السماء إلى الأرض

وسحوى البحار إلى السجوم

فأنا أفهم البرق الذي لا تعرفه السماء

واكلمة التي تجهلها الكائنات الشريرة

تعالني ، وسوف أكتشفها لك

في وسط جبلي ، صفون المقدس

في حرمي ، في جبل ميرثي

في لمكان المنهج ، في المرتفع الذي عروت

عندما ترى عاة رسل بعل يمسكها الخوف من أن يكون بعل مهدد من قبل عدو آخر، وتأخذ في تعداد الأعداء السابقين لمفهورين وعلى رأسهم يم، الذي يعطيه سلسلة من النعوت بما فيها "النين" و"الشبان المتحوي"، و"الوحش ذو الرؤوس السبعة". ومن العجيب هنا أن عاة تسب لنفسها التعلب على يم وعلى نية الأعداء المذكورين، لأن النصوص المتبقية بين أيدينا لا تصور عناة كمسهمه في المعارك التي أدت إلى هزيمة هؤلاء الأعداء كما أننا لا نملك صفاً نصف المعركة بين بعل وبعض الأعداء المذكورين مثل "العجل المقدس"، المتمرد" و"عاهرة إيل، النار" و"ابنة إيل، زيوب" وهذه العجوت هي معلوماتنا ما هي إلا تذكرة مفيدة بالطبيعة لمحدودة بما لدينا من عيانات من الأدب الأوغاريتي، وبصعوبة دمج أرواح ملحمة البعل في سلسلة متتابعة الحلقات.

عندما يؤكد رسل بعل لعاة عدم وجود خطر يهدد بعل، ويقولون لها رساله، تشرع عناة في رحلة لزيارة بعل وببما يتابع لسر السرد، نعرف رغم لنقص الحاصل في الرقيم أن بعل يرغب في الحصول على بيت خاص به. والبيت في لغة الأوغاريتية قد يعني بيتاً عادياً للسكن، وقد تعني أيضاً معبداً للإله؛ والمعنى الثاني هو المفضود هنا. ذلك إن بناء معبد للإله الذي انتصر على قوى الفوضى هو فكرة متكررة، ونجد نموذجاها في ملحمة التكوين البابلية فعد أن يحج الإله مردوخ في عرض النظم الكوني، ويخلق لكائنات الشربة من دم الإله كيغو القتل زوج الإلهة تيامة، يقوم الآلهة ببناء معبد لمردوخ، وبعد الانتهاء منه يحضر كل الآلهة مأدنة التشيين وبالمقابل. فإن ارتقاء الإله بعل إلى منصب الملوكية على الآلهة والبشر، يبقى ناقصاً طالما أنه لا يملك بيتاً كسائر الآلهة.

تنوجه عاة إلى مقر كبير الآلهة إيل للحصول على موافقة بشأن بناء معبد لبعل، ولكن طلبها كان، كما يبدو من المقطع التالي، يتضمن تهديداً بالدخوع إلى العلف في حال الرفض.

بقوة ذراعي الطويلة أهشم رأسك

وأجعل شعرك الرمادي يتصرح دماً

وبحتك ذات الشيب تكتسي بالدم المتخثر

قبل أن يعطي إيل موافقته كان على عشرة زوجته أن توافق أيضاً ولهذا العرض حرى استرصاصاً بهاذا ثمانية صعبها الحرفي الإلهي كوثر - حاسيس وها هي أيضاً تتشفع بعن:

أنت إيل العظيم ، بك حقاً لحكيم؟

لحيثك الرمادية حقاً توحه خطاك

ها بعن الآن سوف يبدأ موسم الأمطار ،

موسم الوديان التي يعمرها فيض الماء؟

سوف تردد العيوم صدى صوته ،

ويضيء الأرض ببرقه .

دعه يصنع سته من خشب الأرز ،

دعه يرفع بيته من لبنات اعرميد

تأتي عاة بأبناء موافقة إيل ، ثم يجمع بعن مواد البناء اللازمة من قصة وذهب ولازورد ، وبكلف كوثر للبدء بالبناء . وبينما هما يناقشان المخطط بوصي كور بفتح نافذة في البيت ، ولكن بعن يرفض العكرة ينتهي ساء البيت فيحتفل بعن بالمناسبة ويدعو الآلهة إلى وليمة عامرة ، ثم يقوم بجولة في أنحاء مملكته . ولسب غير واضح يغير بعن رأيه بخصوص النافذة ، ويطلب بعد عودته من كوثر أن يفتح له واحدة ، ومن هذه النافذة التي توصف بشكل ملائم على أنها شق في العيوم ، يصدر صوت لبعل هادراً راعاد ، فتتهر الأرض ويولي أعداؤه الأذمار . عدها يكتمل تنويجه ملكاً .

بعن وموت :

تنتهي الأحداث الموصوفة أعلاه بإعلان يصدر عن بعن .

لا ملك آخر ، ولا غير ملك

سوف مرضى سلطته على الأرض

لن أرسل بأناوة إلى موت ابن إيل

ولا فدية للبطل حبيب إيل

دعوا وت يصرح على هواه

دعوا حبيب ابن يتذمر بينه وبين نفسه

لأبي أنا وحدي من سحكم على الآلهة

أنا وحدي من سيغذي الآلهة والشجر

وأنا وحدي من سعل جموع الأرض

نستطيع تفسير هذا التحدي لإله الموت بطبيعة انتصار عمل غير الكامل؛ فقد هزم البحر ونودي به ملكاً، ولكن قوة الموت بقيت مسيطرة لقد كان موت أباً لإيل مثل يم وكان على عمل الخلاص من هذا المنافس لكي يكتمل سلطانه على الآلهة ويستقر حكمه. وما ربما يستطيع فهم الخلاف غير المرر بين عمل وكوثر بخصوص فتح نافذة في البيت وتردد بعمل بهذا الخصوص، وذلك بالرجوع إلى مقطع من سفر إرميا في التوراة يقول:

لأن لموت طلع إلى كور

دخل قصور

يقطع الأطفال من خارج

والشباب من الساحات (إرميا 9. 21)

منذ أن حُلّت رموز اللغة لأوغاريتية، صار الوضح أن العديد من المقاطع لتوراتية التي تذكر الموت تحتوي إشارات غير مباشرة إلى الإله الكنعاني الذي يمثل الموت (موت)، في العبرية والأوغاريتية على السواء) وليس مجرد الدلالة على توقف الحياة؛ والنص المقتبس أعلاه عن إرميا يعتبر عينة من هذه الإشارات، ويمكن أن يعكس اعتقاداً شائعاً بأن الإله موت يدخل إلى أسبوت من بواضها فإذا ما فهم الأمر على هذا النحو، فإن سبب تردد عمل في فتح نافذه في

بيته راحع إلى أنه يحشى أن يلح مها الموت إليه ؛ ولكن بعد احتفال التندشين  
والمسيره لظافره في أنحاء المملكة ، اعتقد بعل بأن سلطته تركز الآن على  
أرض أكثر صلابه ، وأن باستطاعته تحدي الموت

بعد ذلك نرى بعل يرسل إلى موت رسولين اسم الأول منهما جاس والثاني  
أوحار ، ومعهما الكرمه والحقل . وبذلك يعلن عن نفسه كإله للمصفاة التي  
تجلب الحصوبة ، ويتوقع المصافة القادمة مع خصمه وقيصه . وقبل انطلاقيهما  
يحذرهما بعل من الاقرباء كثيراً من به الموت

لا تفرياً كثيراً من موت الإله

حتى لا يجعلكما إلى فمه كما الحمص

ويسحقكما بين فكيه كما الجدي

اقطعا آلاف الهكترا

وعند قدمي موت قفا واركما

اسجدوا له وعظماء

قولاً موت

أعلننا للطل حبيب ؛ بل

رسالة عليان بعل

وكلمة العلي المحارب

لقد بنيت بيتي من الفضة

وقصري من الذهب

بعد أن يتلقى الرسولان تحذيرات بعل يحملان الرسالة إلى مملكة الموت ،  
وهو عالم يقع بعيداً في خوف الأرض ، وهو مثل القمر مكان كثب ومظلم  
ورطب . ولكننا لا نعرف ماهية رسالة بعل ، ولا الذي جرى من حوار هالك بين  
الطرفين ؛ ولربما نستطيع التخمين بأن بعل قد أرسل دعوة لموت يعين فيها رغبته

في استصافته في قصره الجديد. ولكن موت لا يستسيع مثل هذه الدعات  
الكريمة، ويعمل محكوم عليه بهلاك لتدمير يم، وما تمخص عن ذلك من نتائج  
كوبية. وهكذا يعود الرسولان مع جواب موت:

شفة في الأرض، وشفة في السماء

يمد لسانه إلى النجوم

يجب على بعل أن يدخل في جوفه

هابطاً من فمه

تجف أشجار اريتون

ونتاج الأرض وثمر الشجر

(ومن دون أن يلدي بعل أي نادرة للمقاومة يرسل إلى موت قتلاً).

تحية يا موت اس يبل

إنني خادمك؛ إنني لك إلى الأبد

واللوح مهشم هنا، ولا يظهر من سطوره سوى ما يكفي لمعرفة الخطوط  
العامة للمحدث: فعندما يتوجه بعل إلى مملكة الموت عليه أن يصطحب معه  
مرافقيه وغيرهم ورياحه وبروقه وأمطاره. ومن الواضح أنه قد فعل ذلك، لأننا  
نقرأ في موضع واضح من اللوح عن رسولين يتفعلان لإبل خبر وفاة بعل،

حب إلى بعل فإذا هو ساقط على الأرض

بعل المتصبر كان قد مات

(اتسمت ردة فعل إبل المبدئية بالحرن)

حشا التراب على رأسه علامة حرن

ولوث بالطين، الذي تمرغ فيه، حمجته

وضع على خاصرته قطعة من وبر الإبل

شطط بشرنه بسكين

وأحدث جروحاً بموسى

وشطط ذراعيه بحزمة قصب

حرث صدره كما يفعل بحقل

وثلم ظهره مثل واد

رفع صوته وصرخ

عن مات، ماذا سيجل بالبشر

يا ابن داحن، ماذا سيصيب الجموع

في هذه الأثناء تكتشف عناة جثة بعل وتندب أحاه بمثل ما ندبه به إيل. ثم تحمض جسد بعل بمعونه الشمس شش إلى حل صفون حث ندوته وتقدم ما يلزم من قرايين، ثم تتوجه إلى مقر إيل لتعلن له عن موت بعل. يقترح إيل على عشيرة زوجته أن تقدم أحد أولادها ليحل محل بعل؛ فيحاول اثنان منهما ذلك لكنكشفا أنهما غير أهل للمنصب

بعد انقطاع لا بأس به في النص نحدد عناة على وشك المواجهة مع موت.

مثل قلب بقره على عملها

مثل قلب شاة على حملها

كذلك قلب عناه على بعل

تمسك عناة بتلابيب موت وتضر على أن يعيد إليها أحاه، فيرفض موت أو على الأقل بظهر عدم قدرته على تلبية هكذا طلب. يمر الوقت، ويسود الجفاف في غياب بعل، و"أخذت لسماء تترنج تحت وطأة موت بن إيل"، مرة أخرى تقترب عناة من موت، ولكن ليس ثمة كدمات متبادلة بينهما، لأنها في هذه المرة تعبر عن حزنها بالعنف

أمسكت بموت ابن إيل،

بسيف شطرته قسمين .

وبمنجل عربلته

ويطاحونه يدوية طحنته .

وفي الحقول بذرتة .

هذه اللعبة الزراعية لافتة للنظر . فلنكي يستعد بعن إبه الخصوبة الميت إلى الحياة ، ولكي يدسّر الموت إله الجذب الحي ، فإن لعملية العمضة للدورة الطبيعية يجب أن تكرر بطريقة طموسية . ومن المهم أن نلاحظ أننا لا تعامل هنا مع دورة سوية ، ولكن بالأحرى مع كارثة دورية يمكن للحصاف الطويل أن يسببها ؛ فإذا استجبت أمطار الشتاء مانحة الحياة ، فلن يكون ثمة محاصيل ، ولن تجد الكائنات البشرية والحيوانات ما تأكله وعلى المستوى الأسطوري يجري تمثيل هذه المسألة بالصراع بين بعن وموت ؛ فإذا فارق بعن الحياة بسود الجذب ، ولا يمكن استعادة بعن إلى الحياة إلا بموت موت الذي لا تعرف شهيته الشمع ، والذي ابتلعت أشداقه لغائرة بعلاً وكأنه حمل أو جدي

في المشهد التالي يتراءى لإيل حلم مبوني يبشره بعودة بعن إلى الحياة ، ويستنتج نتائج هذه العودة

في حلم إيل ، الرحيم الشفوق

في رؤيا حائق الكل

أمطرت السماء زيتاً

وجرت الدوبان بالعسل

يستعيد بعن سلطته ؛ وعلى حد تعبير وريث التراث الكنعاني فيما بعد نقراً في رسالة بولص الأولى إلى أهلي كورنث .

بتلع الموت إلى غلبة

أين شوكتك يا موت

أين غلبت يا هابوية الموت (1 كورنثة 45 - 15 - 55)

ونقرأ في سفر أشعيا

يُبلغ لموت إلى الأبد

ويمسح السيد الرب الدموع عن كل الوجوه (أشعيا 8 : 25)

وفي سفر هوشع، من يد هاوية لموت أفديهم

من الموت أخلصهم

أير أوباؤك يا موت

أير شوكتك يا هاوية (هوشع 14 : 13)

إن سلسلة قصص بعل لا تنهي هنا، فقد بقي أمامه الانتقام من خصوم آخرين، وصراع نوح آخر مع موت بعد مرور سبع سنوات. وهذا ما يؤيد تحليلنا لصراع بعل وموت بأنه تمثيل أسطوري لحدث عرسي أكثر من كونه واقعة سنوية دورية

إن العلاقة بين إيل وبعل كما تعرضها هذه النصوص هي علاقة معقدة؛ فنحن لا نستطيع من خلال السرد، إلا الإحساس بأن قبول غيل لسلطان بعل تشويه قلّة الحماسة ففي القصة الأولى بجده راغاً بتسليم بعل إلى يم حبيب إيل، وفي الحكاية الثامنة نجد كلاً من إيل وعشيرة يردي من بعل لأنه لا يملك بيتاً مثل الآلهة الآخرين؛ وفي القصة لثامنة نجد إيل، على الرغم من حرّنه الحقيقي (الذي يعبر عنه هنا بطريقة مبطنّة) يسارع إلى ترشيح بعض أفراد أسرته للحلول محل بعل. علاوة على ذلك، فخلال سلسلة كلها يبقى إيل رئيساً للناشون الأوغاريتي ومسطراً على مجلس الآلهة ومع ذلك فهذه السلسلة، وهي الأطول بين ما وصلنا من نصوص أوغاريت، تتحدث عن ارتقاء بعل إلى نوع ما من سدة السلطان أمام هذه التعارضات. يمكننا الركون إلى رأي معاده أن الإيديولوجيا، لكنعية لم تكن ساكنة، وأن الأدب الميثولوجي يعكس هذه الطبيعة البعيدة عن لصرامة لقد أصبح بعل الإله الحامي لأوغاريت، ولكن هذا لم يعن أن الأوغاريتيين قد تخلوا عن عبادة إيل، أو عن الوعي التقليدي لدوره في عالم الآلهة.

## نصوص ميثولوجية أخرى:

لدينا نصوص تنتمي إلى نفس السياق الأركيولوجي الذي ينتمي إليه سلسلة البعل، يتخذ فيها إيل الدور الرئيسي أو حتى الحصري وسوف نتعامل هنا باختصار مع بضعة نصوص وصلت إلينا في حالة سببها، وذات صلة أيضاً بموضوع الآلهة الكنعانية

### مولد الآلهة الجميلة واللطيفة:

بحلاف النصوص التي عالجتنا سابقاً فإن هذا النص (الذي بقي منه سبعة وستون سطراً) يجمع المادة الميثولوجية إلى قواعد الأداء الطقسي؛ بحيث تكون الأولى، على الأغلب بمثابة النص المرافق للقواعد الطقسية.

يصف الجزء المركزي من اللوح الحمل بإلهيس هما الفجر (شهر) وانفسق (شاليم) وولادتهما. في البداية نجد إيل عبد شاصىء لحر، وهنالك امرأتان تستدرا لى رؤيتهما فحولته في البيتين التالين يجب أن تفهم كلمة "يد" باعتبارها تورية للقصيد.

يد إيل امتدت بطون البحر

يد إيل استطالت بطول المحيط

(بعد ذلك يصطاد إيل طيراً ويشويه، ثم يقوم بإغواء المرأتين)

أضحى المرأتان روحتين لإيل،

روحتين له إلى الأبد

انحنى عليهما ولثم شعاهما

شفه حلوة كالرمان

عندما تبدلا انقبل حملت المرأتان

عندما عبقتهما أصبحتا حبلاوين

حاءهما المحاص وولدتا العسق والفجر

وهكذا بولد زوج من الآلهة لإيل وهو في عموان محوله ونشاطه، ويرضعان من ثدي زوجته عشيرة مرصعة الآلهة. ولكن الإلهين بكشفان بعد ذلك عن شهية لا يعرف الشبح كشهية إله موت، لأن النص يصف شهيتهما باستعمال صيغة كت نصوص البعل قد مستخدمتهما في وصف موت.

شمة في الأرض

وشمة في السماء

وإلى فوهيهما دخلت

طيور السماء

وتكون النتيجة أن إيل يأمر بفيهما إلى الصحراء؛ وبعد سبعة أعوام يُسمح لهما بالعودة إلى الوطن، ولكن النص يقطع هنا.

إن هذا الملخص ليس بداية للتعامل مع المشكلات العديدة التي توجه التفسير، والتناجمة عن النص الكبير في النص كما أن العلاقة بين انقسام الأور الذي يتضمن المواعيد الطقسية، والقسم الثاني الذي لخصه أعلاه غير واضحة. فالروح يبدأ بتضرع إلى الآلهة الجميلة واللطيفة؛ وهنا إشارة إلى شهر وشاليم، الشخصيتين الثانويتين في الباشيون الأوغاريين والمهمتين في الوقت نفسه. ولعل في نفيهما إلى الصحراء تفسير ميثلوجي لأصلهما؛ ذلك أن الليل والنهار من وجهة النظر القديمة قد بررا من اشرق، حيث كانت الصحراء السورية بمثابة التحم اشرقي لكنعان.

وتفاصيل الشعائر عامصة للعاية، فهالك كلمات معينة وحركات معينة تكرر سبع مرات وتؤدي في حصرة الملك والملكة وبطانتهما. وهناك ذكر لآلهة عديدة، وأصاح مختلفة سفي تقديمها ورعم وحود بعض التراط الكلامي بين النص الميثلوجي والقواعد الطقسية، فإنه من الصعب علينا تفسير الكل بشكل مترابط، على الرغم من وجود تربط ما في النص ككل ويمكن من الواضح أن الأسطورة تصف إيل وهو بكامل قواه الخلاقة، وعيه فمن المحتمل جداً أن هم الأسطورة والطقس هنا هو دوام الحصوبة.

## زواج نيكال من إله القمر:

هذا النص الموجز نسبياً هو نوع من أعنة رهاف تحتفي بزواج إله القمر يارح (مصباح السماء) من الإلهة نيكال وإيب إن الشطر الأول من أسم هذه الإلهة مشتق حتماً من اسم إلهة قمرية سومرية هي سجا، أي السيدة العظيمة، أما الشطر الثاني وله صفة بكلمة تدل على انفاكة.

يفتح اللوح بضراعة إلى نيكال وخرخيب والثاني إنه غير معروف في نص آخر يدعى ملك الصيف. ثم يروي النص مشاعر لحب التي يكنها القمر نحو نيكال وللحصول على عروسه المنشوده يلجأ القمر إلى خدمات خرخيب وسيط الزواج الإلهي. عارصاً على أبيها مهراً مقداره ألف قطعة من الفضة وعشرة آلاف قطعة من الذهب وجواهر ولارورد، إضافة إلى قطعة أرض.

بعد موافقة الأهل يقترح خرخيب على القمر أن يوجه بيت بعمل المدعوة بيداري (الصايب)، أو أخرى غيرها، ولكن القمر عيب لا يبين، ورأيه قد استقر على نيكال التي تم دفع مهرها.

أبوها أعد عاتق الميران

أمها أعدت صواني الميزان

إخوتها رسو المعايير

وأخواتها اهتممن بالأوزن

ينتهي هذا الجزء من اللوح بضربة أخرى: "دعني أغني لنيكال وإيب، صوء لقمر؛ فليعطكم القمر الضياء"

انقسم القصير الثاني للروح من صراعة ترتيلية لإلهات الولادة، النساء الحكيمات (كوثرانو)، المدعوات أيضاً بالمعنيات السنونات، فحضورهن كما سرى في وصف مولد فوهات يصمن الحمل والولادة السليمة

## وليمة إيل:

يرودنا هذا النص بلمحة صريحة عن الآلهة، لا سيما إيل، وهم يشدركون في مأدبة طقوسية. يدعو إيل الآلهة على بيته ويعد لهم وليمة، وكان بين الحضور لقمر وأستارت وعماء.

أكل الآلهة وشربوا

شربو الحمرة حتى انتشروا

حمرة حديدية حتى صاروا سكرى

عند ذلك يسود الهرح والمرح وتقلب الجلسة إلى فوضى، فيتدخل حارس البوابة ويوخ الآلهة على سلوكهم، فيصيب إيل نفسه بعضاً من التقرح لسماحه ببطل هذا السلوك المنفلت. ثم ما يلبث إيل حتى يشعر بالدوار ويقرر الاستحاب والراحه، وفي الطريق نصيبه هلوسة كحولية فيتراءى له ظل كائن له قرنان وذيل طويل (ربما نحن هنا أمام نموذج جنيني للشيطان)، وعلى الرغم من استناده على ذراعي مرافقيه، إلا أنه يقع أرضاً ويسرع في الأوساخ. أم الوجه الخفي من الرهيم فمشوه جداً، ولكن يبدو أنه يحتوي وصفة تعالج الأعراض التي تسبب المرء عقب الإسراف في الشراب أو في صباح اليوم التالي.

في وسط النص يوصف إيل على أنه حالس، أو مترعب، في المرة "الخاصة به (م ر زة). هذه الكلمة تدل على مؤسسة طقسية كانت معروفة على نطاق واسع في العالم السامي الغربي، وورد ذكرها في أماكن جغرافية متعددة وأزمنة مختلفة. فإضافه إلىصوص أوغدرت التي وردت فيها مرتين على الأقل، فقد جاءت في نصوص التوراة مرتين أيضاً، وذلك في سفر إرميا 6، 5، وعاموس 6، 7 (ودعيت في الترجمات العربية للكتاب بيت السواح)، ووردت فيصوص فيبقية وبنوية من صيدون ومارسيلييا، ونصوص آرامية من حزيه القبلة بمصر العلي، ونصوص ببطية من لتراء، ونصوص تدمرية. وقد اختلف الدحثون حول وطيفة وميرات هذه المؤسسة، ولا سيما حول صلتها بالممارسات الجنائزية وعلى أي حد، فإن النص الذي بين ايدينا يعطي شيئاً ما عن خلفيتها الميثولوجية.

## النصوص اللحمية

إن سلسلتين الأدبيتين لكنعائيتين الرئيسيتين المتعلقتين بشخصيات بشرية هم مدحمتا أفهت وكرت (أو كرتا) وكما في لملاحم الكلاسيك الأكثر شهرة، وفي ملاحم الشرق القديم كملحمة حلجامش الراقدية، فإن الآلهة تلعب دوراً مهماً؛ ومن الباحية الرمزية، فإن الأحداث على المستوى الإلهي والمستوى الإنساني تحصل في حيز متصل واحد وعلى الرغم من عدم وجود إشارة في هذين النصين إلى زمن محدد، إلا أننا نتعامل بلا شك مع فترة تُعد تاريخية، بمعنى أن النظام الكوني قد تم تأسيسه

### أفهاث

يظهر العنوان "أفهاث" في بداية اللوح الرئيسي الثالث من هذه السلسلة، كوسية أرشيفية مميزة، ومع ذلك فإن قصة أفهاث تشكل جزءاً من قصة أطول حول أبيه المدعو "دانييل"، وهو شخصية ملكية كانت حكمتها واستقامتها موضوعاً ملحماً قديماً، وورد ذكرها في كتاب التوراة (راجع سمر حرقبال 28، 2، 14، 20، 14، 14) إن ما تبقى لنا سليماً من هذه السلسلة يروي عن علاقة دانييل بابنه أفهاث في بداية القصة، بشكلها المتبقي، نجد دانييل يزدري طقوساً خاصة بسبب عقمه وعدم قدرته على الإحباب، تدوم سبعة أيام.

إن فترة سبعة أيام، أو سبعة أعوام، ترد نحو خمس مرات في سلسله أفهاث، كما ترد أيضاً في سلسلة البعل عندما دامت هزيمة بعل سبعة أعوام. وكما سري ها، فإن دانييل يلعب الأرض املاً أن تحتفي قوى بعل التحلاقة مدة سبع سنوات.

لسبع سنوات فلتفشل قوى بعل

لثماني سنوات قوى راكب العيوم

لا بدى، لا رخات مطر

لا حيثان ماء في الحرين

لا نفع من صوت بعل

وهذا ما يذكره تعاقب سنوات الوفرة السبع والسنوات العجاف في قصة يوسف التوراتية هذا الاستعمال المتكرر للرقم سعة مسح على الأيام أيضاً، ففي كلا المصوص التوراتية والأوغاريتية تدوم الرحلة التقليدية سبعة أيام، والوحي الذي يوشك داويل أن يتلمهه يعي إلى الأذهان بدء يهوه لموسى في اليوم السابع (سفر الخروج 24. 16) وهالك أمشة توراتية أخرى مثل أيام الخلق السبعة في بداية سفر التكوين، وسقوط أسوار أريحا بعد أن طاف بها سبعة كهان يعزفون على سعة أنواق مدة سعة أيام إن هذا الاستعمال المتكرر للرقم سعة ليس مجرد اصطلاح أدبي، كما أن وروده المتكرر في الأدسين الأوغاريتي والتوراتي يدل على عمق العلاقة بينهما

في اليوم السابع والأخير من قيام داويل بطقوسه، يقوم الإله بعلم حامي داويل بمخططة مجمع الآلهة بيانة عنه:

بس له ابن كما لإخوته

ولا وريث كأولاد عمومته

ومع ذلك فقد قدم دبيعة لطعام الآلهة

وماء قربان لهم ليشربوا

(استحباب إيل وبارك داويل معدداً الفوائد التي تنجم من الحصول على ابن):

عندما يقبل زوجته سوف تصبح حاملاً

وعندما يعانقها سوف تلد

سوف تسمى حاملاً، سوف تلد، سوف تنجب

وسيجد في بيته أنا

ووريثاً داخل قصره

ليقيم نصباً حجرياً لسلته المؤله

ومصلى في الحرم المقدس

ليحرر روحه من الأرض

ويحاذر أن تلمس خطواته لقفازة

ليسحق الذين يثورون صده

ويطرده مصطهديه

ولياكل ذبيحته في معبد بعل

ونصيه في معبد إيل

ويؤخذ بده إذا سكر

ويسند عندما تملأ الخمرة جوفه

ويُدخل سقف بيته إذا رشح

وتغسل ثيابه يوم تنسخ

يتقوى قلب دانييل بعد هذا الوعد الإلهي ويعود إلى قصره، حيث يحدث الحمل بمعونة النساء الحكيمات إلهات الرواح والإنجاب.

إن قائمة الطغوس وواجبات القرابة المذكورة أعلاه، ربما كانت لتؤكد أحد الأهداف الأساسية لهذه الملحمة، وهو هدف تعليمي تربوي يرمي إلى لفت نظر مستمعيها إلى قواعد السلوك الاجتماعي اللائق، والذي لا يتضمن فقط مسؤوليات الابن تجاه أبيه بل يتجاوز ذلك إلى سلوك الملوك النموذجي، وسلوك البنات والأخوات، وفي الحقيقة سلوك كل لكائنات الشربة في علائقها المتعددة مع بعضها البعض ومع الآلهة.

إن صورة الأب العقيم شائعة في الأدب الكنعاني؛ وكما سرى من افتتاحية قصة كرت تشبه بصورة ملحوظة افتتاحية قصة دانييل وعلاوة على ذلك، فإننا نجد في سمر الكوين الورتاتي أن كلاً من إبراهيم وإسحاق ويعقوب كان في البداية بلا ذرية من زوجته الرئيسية أو المفضلة. وفي كل حالة يتم الوعد بالذرية من قبل الإله الحامي. وفي قصص توراتية أخرى، كما في قصة صاموئيل،

وشمشون، وإلى حد ما يعقوب، نجد تويجات على هذا الموضوع. وفي سفر التكوين الذي حفظ لنا سيرة الآباء المؤسسين في القصة الورتية، نجد أن الإله الحامي للسلف والذي يصدر الوعد للإلهي بالإيجاب يدعى إيل، تماماً كما في الأدب الأوغاريتي (انظر سفر الخروج 6: 3، وقارن مع سفر التكوين 14: 19 - 20 و 25: 25) وكما توضح ألقابه في الأدبيات الورتية، ولا سيما في سفر التكوين، فإنه هو نفسه إيل كنعان ورئيس البانثيون الأوغاريتي. ومع أن الإله بع هو حامي دايل في ملحمتنا، إلا أن الماركة والوعد يصدران عن إيل، بينما يلعب بع فقط دور الوسيط

إن الحدث الأوسط من اللوح الأول للملحمة مفقود تقريباً، وهو يصف ولا شك مولد ابن لدانيل يدعى أقهات، ثم تتابع القصة أحداثها. فبينما دانيل عند بوابة المدينة يمارس القضاء العادل، ويحكم لصالح الأرامل واليتامى (وهو نشاط ملكي مطلق في لشرق القديم)، يرى عن بعد إله كوثر وهو يقترب منه ومعه قوس وسهام ويعصهم هدية بدانيل ليقدّمهم إلى أقهات. وبعد أن يتناول وجبة أعدها زوجة دانيل للصيف المقدس، يعادر الإله.

في الحبكة التالية يرى عناء القوس بيد أقهات وتدهشها برعة صنعه، فتعرض عليه شراءه منه، ولكنه يرفض ويعرض عليها تزويدها بمواد خام يصنع منها كوثر سلاحاً لها. فذهب عنه أبعد من ذلك.

إذا أردت الحياة الأبدية يا أقهات البطل،

حتى لو أردت الحياة الأبدية، فسوف أهيبها لك،

لحلود سوف أضعه بين يديك

ستستوي مع بع لسنوات الحياة

وستتوي بالشهور مع أبناء إيل

(يرفض أقهات كرة أخرى، ولكن جوابه هذه المرة يتخطى حدود اللبقة)

لا تكذبي علي أيتها العذراء

لأن أكاذيبك مضيعة للوقت مع السطل  
الإنسان ذن وما هو نصيبه في النهاية  
ماذا يأخذ الكائن البشري من دياه  
يصب الحصص على رأسه  
وانكلس على حميمته  
سأموت مثل كل إنسان فان  
كفنة الموتى، نعم، سأموت  
شيء أحر أريد فوه لك  
الأفواس معدة لرجاء  
هل عرفت الساء بصيد قعد؟

على الرغم من واقعيتها، فإن ردة فعل أقيات في قسمها الأول سيئة بما فيه  
الكفاية، فهو ينكر صمناً مقدرة عناة على ما وعدت به، لأنه من وجهة نظره لا  
الشحوخة ولا الموت يمكن النجاة منهما أما في القسم الثاني الذي ينكر فيه  
أهليتها للسلاح فإنه يتحدى جوهر الإلهة ذاته. ترد عاة بالتهديد والوعيد وتمضي  
لتشكو أقيات إلى أبيها إيل.

اللوح الثاني والأقصر ما زال يحتفظ وعمودين من أعمده الأربعة الأصلية.  
في أحد هذين العمودين يوفق إيل بتردد على انتقام أقيات، وفي للعمود الآخر  
تنفذ عاة انتقامها بعد أن أعدت خادماً يطغان لمهمة خاصة، فسوف تحوله إلى  
سر يطير بين سرب بسور ثم ينقص على أقيات.

عدما جلس أقيات ليأكل

ابن دانيال لتناول وحنه

انقضت السور عليه

سرب من الطيور حوّم فوقه  
 من وسط لنسور شفت عاة طريقها  
 وجعلت يطعمان خادمها يركب فوقه  
 سدد له صربتين على جمجمته  
 وثالثة على أده  
 كحرار جعل دمه يسيل  
 ومثل قصاب جعل الدم يسيل إلى دكته  
 جرحت روحه كعصبة ربح وكنسمة  
 مثل بخار بسعث من منخره

نهاية هذا اللوح وبدايه مهشمة بشكل سيئ، ويبدو أن عاة قد دمت على فعلتها ووعدت بإعادة أقهات إلى الحياة، ولا سيما وأن موته لم ينفدها بشيء، لأن قوسه قد سقط إلى البحر وضاع أثناء عملية القتل. وعندما يصبح اللوح مفهوماً نجد دانييل حالساً من جديد عند بوابة المدينة يقضي بالعدل. نلاحظ انته بوغة أن الحضرة قد دبلت وأن النسور تعير على بيت أبيها، وكلا الإشارتين تمان عن العنف والموت غير الطبيعي خرج دانييل مع استه تنقذ حقوله الجافة وهو يصلي لانهمار المطر، ولكن الأرض كانت قد دخلت في دورة حمام لسبع سنوات بسبب موت أقهات. في هذه الأثناء جاء من يخبرها بموت أقهات. أقام دانييل مناحة ودعا إليها، للذابات دامت سبع سنوات. بعد ذلك يقوم بصرف الندابات ويقدم للآلهة الفقرايين. تأتي به بوغة وتطلب إليه أن يسمح لها بأخذ انثار من قاتل أحبيها فيمنحها بركته. تتكرر بوغة نزي جدي وتنفذ خنجر وتلس فوق ذلك كله ثوب مرأة، وتذهب للبحث عن يطعمان خادم عناة وعندما تحده يدعوها إلى لطعام ولشرب، فتسقيه حتى تلعب الخمرة برأسه ويأخذ بالتياهي نقل أقهات. يصعد الدم إلى رأسه وتهتاج هياح أفعى وهما يتهشم اللوح الأخير وينتهي النص فجأة

إن تفسير هذه الملحمة صعب بسبب الفحوصات في النص والانتقاع المفجئ في القسم المحفوظ لنا منه ، ولكن مصادر قديمة أخرى يمكن أن تلقي بعض الضوء على الخطوط العامة للقصة فالمحاربة بين عاة وأقها تذكروا بأحداث مشابهة في الأدب الكلاسيكي ، كما تذكروا على وجه الخصوص بمقطع من ملحمة جلجامش ، حيث نرى الإلهة عشتار تحاول إغواء جلجامش اسدي يصدها ويذكرها بطريقة متكبره ومهينة بالطريقة التي عاملت بها أحبابها وعشاقها الساقين وكان من الطبعي أن تستشط الإلهة عصاً وتمضي إلى أبها آو كسر الآلهة تشكو عجرة جلجامش وإهاته لها ، وتطلب أن يعطيها ثور السماء لتهلك به جلجامش. يتردد آو ويحبرها أنه إذا وافق على طلبها فسوف تسمو الأرض سبع سنوات من الجفاف ، ولكن عشتار تحبره بأنها قد أعدت عدتها لذلك وحزنت ما يكفي من القمح لإعالة الناس خلال هذه الفترة ، فيسلمها قيادة ثور السماء الذي يهبط إلى لأرض يعيث فيها فساداً ويطارد جلجامش وصديقه أنكيدو لقتلها ولكنهما نصرعانه

إن السمائل بين هذه الحكاية من ملحمة جلجامش وما جرى بين عاة وأقها واضح للعيان. ولكن بينما عاة هي نظيرة لعشار كإلهة خصب وحب وحر ، فإن جلجامش وأقها ليسا توبيعين أدبيين على خلفية واحدة ويسو من غير المحتمل أن يكون لقوس في الملحمة الأوغاريتية بمثابة بديل رمزي لعصو أقها التسلي وفق بعض التفسيرات ، لأن القوس قد صنعه إله الحرف كوثر ، ويمكن صنع قوس آخر شبيهه ، كما أن لقوس قد وقع إلى البحر عقب وفاة أقها

تقدم أسطورة أوزيريس مجالاً آخر للمقارنة فهي هذه القصة المصرية تترجع إريس جثمان أخيهما القتي وتدفنه باحتقان لائق ثم تشجع ابهما حوروس على الانتقام لأبيه ، وأوزيريس على ما نعلم جيداً هو إله الخضر المتجددة.

من الواضح إذن أنه لدى مجموعة معقدة من الأفكار في قصص جلجامش وأوزيريس وأقها يجمعها حيط واحد مشترك ألا وهو التهديد الذي يحيق بالحصونة. ويمكن الاستنتاج من هذه الروابط بين القصص الثلاث أن بوجهة قد انتقم لأخيها وقتلت قتله ومن ناحية أخرى إذا أخذنا بالحسبان التوكيد في

ملحمة أقيمت على عدم وجود وريث لدانييل، والطريقة الإيحائية التي ذكره بها مؤلف سمر حزقيال لتوراتي، نجد من الصعب ألا نفترض أن دانييل، مثله مثل أبواب التوراتي، قد أعيد إليه اعتباره وحرى تعويضه عما فقده، بحيث أن الأرض استعادت خصوصيتها، وأن ابناً سبلاً ولد لدانييل، وذلك في بقية الألواح المفقودة لسلسله داس

### ملحمة كرت.

وصلنا ملحمة كرت (أو كيرتا) على ثلاثة ألواح غير كاملة، ولكن هالك على الأغلب لوح رابع مفقود لأن اللوح الثالث ينقطع فجأة وفي منتصف الجملة، أما نطل الملحمة كرت (والاسم ينطق بشكل قريب من لفظة كيرت) فكان ملكاً مثل دانييل، ومثل دانييل تبدأ القصة وكرت يسدب حظه العثر إذ لا وريث له، لأن زوجته هربت وبقيت أسرته ماتت بالوباء، فبقي وحيداً يئس ويسأل الإلهة أن ترزقه ولداً. تحن عليه إيل وطهر له في حلم، مثلما ظهر قبل ذلك بدانييل ومثلما ظهر أيضاً لأباء سمر التكوين التوراتي سأل إيل لماذا يئس كرت "أتشد ملكاً أوسع أم تعصب مالا؟ أحاب كرت: مالي وللذهب، مالي وللفضة وللحيل والمركبات؟ أريد ولداً أمره إيل أن يجهز جيشاً عرمرماً وأن يحسن إعداده ويكثر من المؤن، لأنه مقل على عرو أدوم بلاد الملك فاس ليحصل على عروس تتيق به وتحب له ولداً، هي حورية بست فابل، التي جمالها جمال عناء، وحسبها حسن أسنارت.

انطلق الجيش مثل حشد من الجراد، وبعد مسيرة ثلاثة أيام وصلوا إلى معبد الإلهة عشيرة في مدينة صور، وهناك نذر نذراً مضمونه تقديم صعب مهر العروس إلى الإلهة عشيرة. في مساء اليوم اساع وصل أدوم وصر صرا حول المدينة

هاجموا المدن

وعروا البندات

أعدو الحطابين عن الحقل

وادمعي القشر عن أرض درس الحب

وأزاحوا مستقي الماء عن الشر

والنساء اللواتي يملأن جوارهن من النبع

بعد سبعة أيام من الحصار بدأ فابل بالتفاوض مع كرت عارضاً عليه الفضة والذهب والعربات مقابل فك الحصار، ولكن كرت يرفض ويصر على أنه قد جاء لأمر واحد فقط:

أعطني فقط ما ليس في بيتي

أعطني السيدة حورية

أجمل من ولد لكم

حملها شبيه بجمال عاة

وحسنها مثل حس أستارت

حاجباها من اللارورد

وعياها كرتان من الحوامر

إلى هنا وتنتهي قصة تنفيذ كرت لأمر إيل، وينتهي أيضاً اللوح الأول من السلسلة اللوح الثاني تألف في مطلعها، وعندما يستعيد النص سياقه، يوافق فابل وهو أسف على مطلب كرت

مثل نبرة تخور على عجلها

كما يشتاق الحنود إلى أمهاتهم

كذلك سوف تنأوه أدوم

بعد عدة أسطر تالفة، انعقد مجمع الآلهة ليشهد ماركة إيل رواج كرت، ويهيم إيل الثور، وبعل العازي، والقمر الأمير، وكوثر - حاسيس، وعناة العذراء

لقد اخذت روحه يا كرت

لقد جئت بزوجه إلى بيتك

لقد جئت بعذراء إلى بلاطك

سوف تملك لك سبعة أبناء

سوف تحب لك ثمانية

سوف تحمل يصب الفسى

اندي سوف يرضع حليب عشيرة

ويمتص ثدي عناة العذراء

مرصعتي الآلهة

إن الرابطة الوثيقة بين نسل الملوك البشر، والآلهة، هو ملمح من ملامح الإيديولوجة الملوكية الكنعانية.

مرت سبع سنوات أثبتت خلالها ركة إيل فعاليتها، ولكن عشيرة تملكها العصب لأن كرت قد نسي ندره. في ذلك الوقت كان كرت يخطط لوليمة يدعو إليها وجهاء الآلهة، ولكن مرضاً خطيراً بصيبه، من الواضح أنه عقوبة من عشيرة.

مع بداية اللوح الثالث محد ابن كرت المدعو إيليهو يعمر عن حرقه مريض أبيه.

كيف يقال أن كرت هو ابن إيل،

سل القدوس اللطيف؟

وهل يا ترى تموت الآلهة؟

نن يعيش ابن القدوس اللطيف؟

ونشاركه أخته المدعوة تمانيت خوفاً (واسمها يعنى الثامنة، أو أوكتافيا) مرددة كلماته لحائرة. وبعد فحوة في الصن تصيح السائح الكارثية لمرض كرت.

رفع الملاحون رؤوسهم

وانتصبت ظهور من يبذرون الحبوب

لقد احتفى الطعام من مخزون غلالهم

ونضبت الحمرة من دولهم

بعد انقطاع آخر في النص، تدخل إس شخصياً طلاً من مجلس الآلهة أن  
يتدخل أحدهم لثناء كرت، وعندما لا يلقى استحابة منهم يأخذ المهمة على عاتقه:

سوف أصنع سحراً

سوف أحسب الراحة

سوف أطرد المرحص

سوف أبعث العنة

ثم يخلق لهذه العاية، يخلق الإلهة شعته (شافيه امريض)، ويبعث به، إلى  
كرت حيث تحج في مهمته و"يقصم ظهر الموت" عندما يسترد كرت عافيته  
ويعود إلى ممارسة مهامه يتحدى سلطته ابنه لأكبر المدعو يصب، ويتهمه بأن  
ضعفه قد أفقده عن أداء مهامه الملكة

أت لا تقصي فضاء الأرملة

ولا تسمع نداء المضطهدين

ولا تطرد من يهب المساكين

ولا تطعم اليتامي قبل أن تتناول صعامك

ولا الأرملة التي نفق وراءك

يستجيب كرت لهذا التحدي بأن يلعن ابنه العاق متصرعاً إلى الإله حارن (أو  
حورن) وهو من آلهة العالم الأسفل، وإلى الإلهة ستارت، كي يحطما رأسه

حارن، ليحطمن حارن يا بني رأسك

وأستارت، سمية لعل، لتحطمن هامك

تسفطن من حبل أوهامك

بحسبك ورحسك، فأحاب

(هـ) ينتهي اللوح بتوقيع كاتبه إيل ميلك)

كنه وحرره إيل ميلك البيل

(ولا نعرف كيف تنتهي القصة لأن اللوح الأخير مفقود، وربما هنالك أكثر من لوح).

إن حبكه هذه السلسلة تسير بشكل خطي، على الأقل في الأحراء النافذة لنا، وهي تنقل لنا نكل وضوح الإيديولوجيا الملكية لكنعانية. فمن بين واحبات الملك المحافظة على لنظام الاجتماعي من خلال الوقوف إلى جانب الضعفاء والمضطهدين، وبقية الشرائع المذكورة في عدد لا يحصى من مصادر اشرف القديم بعسرها مسؤولية الملك لخاصة، سواء أكان إلهياً أم بشراً من ها، فإن انقلاب ابن كرت في هذه الملحمة يجد مرره فيما رعمه من نقص الاهتمام بعدالة المحرومين (وهذا م نعهه أيضاً في قصة خروج أشالوم على أبيه داود مندوعاً بسررات مشابهة - (سفر صموئيل الثاني: 15) وهالك جاسب آخر من جوانب الحفاظ على النظام الاجتماعي، يتمثل في تأمين حلف للملك من دريته يحكم بعده، وليست رغبة كرت، وأيضاً دابيل، في إنجاب ورثة ذكور إلا من قبيل الإقرار بهذه المسؤولية الملكية.

على أن الملمح الأكثر تعقيداً في الإيديولوجيا الملكية الكنعانية، يتمثل في المنزلة شبه الإلهية للملك. وكما يظهر من تساؤلات أولاد كرت، فإن هذا الملمح كان مثابة لغز: "هل تموت الآلهة؟ ألن نعيش ابن القدوس اللطيف؟" من المحتمل أن سلسلة كرت تسرد الحكاية لأسطورية لمؤسس السلالة لمسيكه الأوغاريتية ولكن بينما نجد دلائل توحى بأن ميوك أوغاريت قد ألهو بعد مماتهم، إلا أنه ينقصنا الدليل على وجود نسب إلهي لهم ولأنه أن نعت كرت بأنه ابن إيل، لا يحمل أي مضمون بيولوجي، وإنه هو محرد تعبير بلغة ميشولوجية عن العلاقة الوثيقة بين الحكم البشري والحكم الإلهي وهكذا، فكما كان الإله بعل مسؤولاً عن استمرار خصوبة الأرض، والتي انتكست خلال فتره

حصووعه للموت، كذلك فإن الملك يشارك في هذه المسؤولية ذاتها، فعندما  
ومع كرت مريضاً اختل نظام الطبيعة وفي كتاب التوراة هالك أكثر من موضوع  
يشير إلى أبوة يهوه المجازية للملك راجع على سبيل المثال المزمور 2، 9،  
وصموئيل الثاني 7، 14، وأشعيا 9، 2-7 والمزمور 89، 26.

أخيراً، لابد من الإشارة في نهاية هذه المقالة، إلى أننا قد تعاملنا بصورة  
أساسية مع مجموعة الأدب الكنعاني من أوغريب، ولم نعرض بالتفصيل  
للمصدر الكنعانية العديدة الأخرى، بينها مئات النقوش من الألف الأول قبل  
الميلاد، من آرامية ومؤابية وعموية وأدومية، إضافة إلى النقوش المكتشفة  
حديثاً في موقع إيبلا بالشمال السوري والتي ما زالت في بداية عملية الشر. ولم  
نفهم بصورة كاملة بعد. ومع وجود استثناءات قليلة، فإن هذه المادة لا تنتمي  
إلى مجال الأدب كما حددناه أعلاه.

## ملاحظات حول المراجع

### 1 - نظرة عامة

هناك معالقات ممتازة وشاملة عن العمارة، وماري، ورأس شمرا في (قاموس التوراة، التكملة) (بالفرنسية) مج 1، الأعمدة 207 - 225 تأليف إدوارد دورم، المجلد الخامس، الأعمدة 882 - 905 تأليف تشارلزف جين، المجلد 9، الأعمدة 1124 - 1466، على التوالي (بريس، 1928) ومقالة رأس شمرا، من قبل عدة أخصائيين متميزين، رائعة - أفضل بحث يمكن أن يوجد في أي مكان. باللغة الإنكليزية نشرت دورية (الأثاري التوراتي) Biblical Archaeologist عدداً من المقالات الدراسية لجيدة حول ماري، تأليف جورج إي. ميدنهال، مج 11 (شباط 1948) الصفحات 1 - 19، ومن تأليف هربرت ب. هوفمان، مج 31 (كانون الأول 1968)، الصفحات 101 - 124 (حول النصوص النبوية)؛ حول العمارة بقلم إدوارد ف. كامبل، مج 23 (شباط 1960) ص 2 - 22؛ عن أوغريست من تأليف هـ ل جيسبرغ، مج 8 (أيار 1945)، الصفحات 41 - 58، ومن تأليف أسون ف. ريني، مج 28 (نـا، 1965)، الصفحات 102 - 125 كل هذه المعالقات قد أعيد نشرها في (قراءة الآثار التوراتي) The Biblical Archaeologist Reader تحرير دافيد نويل فريدمان وج أرنيست رايت، المجلدات 2 و3 (حاردين سيتي، نيويورك 1961 - 1970) والأحدث من (الأثاري لتوراتي) ج 47 (حريوان) 1984 إصدار خاص مخصص لماري

وعن أوغريست شكل خاص، هناك مقدمة عامة ممتدة بقلم جرائيل سعادة (العاصمة الكنعانية) (بالفرنسية) معلومات ببيوغرافية كاملة والكثير من التوصيات ومعظم المعلومات التقنية مشتقة من مقالات في الدورية (سوريا) Syria بدءاً من المجلد العاشر (1929)، ومن المجلدات في سلسلة (بعثة رأس شمرا)، 9 مجلدات، من تحرير كلود ف. إي شيفر (باريس، 1936 - 1968) وهناك

عملان آخران مفيدان عن المعلومات لأثرية، وهما كتاب باتي حيرستيليب (المشرق في بداية العصر البرونزي الوسيط، وينا ليك، إسدب، 1983) وكتاب أوراسجي (الآلهة الكنعانية في المعدن، تل أبيب، 1976)

هناك بحث مفصل جيد عن تاريخ أوعريت من تأليف ماريو لفراني (قصة أوعاريت بالإيطالية (روما، 1962) ووصف لم يسبقه أحد عن المجتمع لأوعاريتي وهو كتاب أنسو ف ريني (التركيب الاجتماعي لأوعاريت) باللغة العبرية، (القدس، 1967) ويمكن لقراء الإنكليزية أن يراجعوا بحث رسالة دكتوراه ريني المعنونة بـ (الطبقات الاجتماعية في أوعاريت جامعة برانديزي، 1962).

أما بخصوص دراسة الديانة الكنعانية قبل اكتشاف أوعاريت، هناك بحث ممتاز قام بألفه م ح مولدر وعوانه Von Seiden bis Schaeffer بالألمانية، في الدورية الأكاديمية الأولى المكرمة للدراسات الأوعاريتية، (دراسات أوعاريتية) Ugariyt Forschungen المجلد 11 (1979) 655 - 671 وأفضل مقدمة عامة للديانة الكنعانية بحث كتبه هارتموت حيس (الديانات السورية القديمة والعالم) بالألمانية (شتوتغارت، 1970) الصفحات 3 - 181

وحول الآلهة الكنعانية، ما يزال المؤلف الأساسي هو بحث مارش هـ بوب وولفحانح روليش (سوريا)، في (قاموس الميثولوجيا) من إعداد هـ وهاوسيج، مجلدأ، (شتوتغارت، 1965)، الصفحات 219 - 312 وحول الشعائر الدينية والموظفين الحاصين بالعدة، هناك شرح ممتاز للبيات والمعطيات من تأليف جان - ميشيل دي تيراحون (ديانة أوعاريت) بالإيطالية (روما، 1981) وهناك نقاش نظري ممتعة بصورة استثنائية حول الديانة الكنعانية بقلم ديفيد ل. بيترسن ومارك وودوارد في بحث الديانة السامية الشمالية لغربة دراسة عن التراكيب العلائقية) في (أبحاث أوعاريتية) 9 (1977) 232 - 248 والممثل الأشهر لتفسير الأسطورة - الشعبية هو كتاب ثيودور هـ. جاستر Thespis الطبعة الثانية (1961، نيويورك، 1977)

لا يوجد حتى الآن ترجمة إنكليزية مع مقدمة وتعليقات كافية لمصووص الأوعاريتية. وأفضل ترجمة إنكليزية هي تلك التي قام بها هـ ن حسبرع في كتاب

ج. ب. برينشارد (بخصوص الشرق الأدنى القديم المتعلقة بالمعهد القديم)، الطبعة الثالثة (رنستون، 1969)، الصفحات 192 - 155. وتلك في مراجعة ج. سي. ل. جيسون لكتاب ح. ر. درايفر (الأساطير والخرافات الكنعانية)، الطبعة الثانية (أدنبرهو 1978) والطلاب الجاد عبد أن يستشير (النصوص الأوغاريتية) بالفرنسية، ترجمة وإعداد أندريه كاكو وأحرش (ماريس، 1974)، والكتاب الإنساني الأكثر شموية من تأليف حريجوريو ديل أولمو ليتي، (أساطير وخرافات الكنعانيين، مدريد، 1981) والذي أكمله المؤلف نفسه في (تفسير الميثولوجيا الكنعانية، فالنسيا، 1984).

وهناك مقدمة وترجمة أكثر شعبية والتي تتحلى بكونها حديرة بالفراء وذات نوعية جيدة وهي (أسلاف الآلهة)، من تأليف ساولو كسلا، بالإيطالية (فيروب، 1982) وهناك مجدد يمكن المقارنة به ولكنه أقل قيمة باللغة الإنكليزية وهو (فصص من كنعان القديمة) إعداد وترجمه محائيل د. كوحان (فيلادلفيا، 1978)

والمؤلفات حول أوغاريت والتوراة كثيرة ونوحه عناية لطالب الجاد لكتاب (نظائر رأس شعرا) من إعداد لورين ر. فيشر، 2 محمد، (روما 1972 - 1975) والمساهمات في هذا العمل ليست مناسبة في نوعيتها، ولكن الشابهات لكثيرة المقترحة تُقدم مع معلومات بيليوغرافية كاملة. وهناك بحث في لدراسات المقارنة نجده عبد بتر جريحي في (أوغاريت والتوراة)، وفي كتاب (أوغاريت المرجوع إلى الماضي) من إعداد جوردون دوغلاس يونغ (وينونا ليك، إنديانا، 1981)، الصفحات 99 - 111 ولقد أصبح مؤلف جون جراي (تراث كنعان) الطبعة 2، (لايدن، 1965) عملاً قياسياً في هذا المضمار، وشدة المعلمية والأصالة فيه تشوهها الانحرافات، خصوصاً في ترجمة النصوص الأوغاريتية ومن أجل دراسة الدراسة الكلاسيكية الأكثر أهمية حول الديانة (الكنعانية)، أنظر العمل الذي قام به ألبرت باومجرتن، (التاريخ الفينيقي لميلو الحبيلي، لايدن، 1981) والتأثير السامي على العالم الإيحي هو واحد من الأفكار الرئيسية لكتاب سيروس ه. جوردون الحاث على الدراسة (قس التوراة الخلفية المشتركة لحضارتين اليونانية والعبرية، لندن، 1962)؛ ومؤلف أكثر التفاتاً نجو التقنية نجده في عمل ميخائيل أماتور البار (الهيلينية - السامية) Hellenosemitica (لايدن، 1968).

## 2 - الأدب الكتعاني

الشعر الرسمي للنصوص الأوغاريتية الرئيسية هام به ألدريه هيردريه (مجموعة من الألواح باللغة المسمارية الأبجدية المكتشفة في رأس شمرا - أوغاريت من 1929 إلى 1939، باريس 1963) بالفرنسية، ويحوي المجلد الأول النصوص، تسبقها سيوغرافيات شاملة ومفسرة بعزرة، والمجلد الثاني يحوي صوراً ونسخاً يدوية وهناك نشرة أوسع، معدة على إعادة تمحص الألواح الفعلية، قام بها منفريد دينريش، وأوروالد لورينس، وجواكيم سان مارتين، بعنوان

Die Keilalphabetischen Texte aus Ugarit einschliesslich der Keilalphabetischen Texte ausserhalb Ugarits

(النقوش، ألمانية العربية، 1976) بالألمانية

هناك عدة ترجمات يمكن الحصول عليها من أجل الفاريء العام والترجمات في هذه المقالة معظمها مأخوذ من (قصص كتعان القديمة) Stones from Ancient Canaan قمتُ بنشرها وترجمتها (فيلادلفيا، 1978)، ويتضمن هذا العمل أيضاً مقدمة مفيدة لكل من السلاسل الأربع المترجمة، وأيضاً للمواد الكتعانية من أوغاريت بشكل عام.

وهناك ترجمة قياسية قام بها أحد الرواد في الدراسات الأوغاريتية، وهو هارولد لويس كيسسرح، في بحثه (الأساطير والملاحم والخرافات الأوغاريتية)، في كتاب Ancient Near Eastern Texts relating to the old Testament (النصوص من الشرق الأدنى القديم المتعلقة بالعهد القديم) الطبعة 3، بإشراف ح ب بريشرد (ينستون، 1969)، الصفحات 129 - 155 وهذا الكتاب م رال مفيداً على الرغم من أسوبه التوراتي القديم وكتاب سيروس هرتزل جوردون) Ugaritic Literature: A Comprehensive Translation of The Poetic and Prose Texts (الأدب الأوغاريتي، ترجمة شاملة لنصوص الشعرية والنثرية، روماء، 1949) يحوي عدداً من النصوص غير الأدبية بالإضافة إلى الأساطير والملاحم

هناك كتابان حديثان نسباً ومشروحان بصورة شاملة يمكن الاستفادة منهم بصورة خاصة للقراء الذين يعرفون اللغة الأوغاريتية، ولعبرية، واللغات السامية القديمة:

Mythes et Legends (نصوص أوغاريتية) Texts ougaritiques المجلد الأول من (أساطير وخرافات، ترجمتها ونشرها أندريه كاجو، موريس سزيسمر، وأندريه هيردبر (دريس، 1974) Canaanite Myths and Legends (الأساطير والخرافات الكنعانية)، لطعة 2، تحت إشراف جون سي، ن جيسون (إدسه، 1978)

والترجمات والشروحات المذكورة أعلاه تعتمد على دراسة منهجية للمجموعة الكاملة للنصوص من أوغاريت.

وهناك دراستان رئيسيتان تعالجان لغة النصوص الأوغاريتية وهما: Ugaritic Textbook (النصوص الأوغاريتية) 3 مجلدات، تأليف سيروس هرتزن حوردون (رو، 1965) A Basic Grammar of the Ugaritic Language (القواعد الأساسية للغة الأوغاريتية) بيركلي، 1984).

لقد عالجت أعداد من الدراسات بشكل خاص العلاقة بين مجموعة الكتابات الأوغاريتية والتوراة، وواحد من الدراسات الأكثر تأثيراً، من تأليف فرانك مور كروس

مد اكتشاف وقت رموز هذه النصوص، كان هناك تدفق مستمر من البحث والتقصي ومن بين أهم هذه المعالجات نجد كتاب أومبروتو كاسوتو The Goddess Anath Canaanite Epics of the Patriarchal Age (الإلهة عناة الملاحم الكنعانية للعصر الأبوي)، ترجمة إسرائيل إبراهيم (القدس، 1971)، وكتاب ثيودور هاستر Thespis: Ritual Myth and Drama in the Ancient Near East (الطقوس والأساطير، والدراما في الشرق الأدنى القديم، نيويورك، 1950)، وكتاب حورن حري The Legacy of Canaan: The Ras Shamra Texts and Their Relevance to the old Testament (تراث كنعان، نصوص راس شمرا وصحتها بالعهد القديم)، الطعة الثانية (لايدن، 1965) ومؤلف مارفين هوب El in the Ugaritic Texts (إيل في النصوص الأوغاريتية)، (لايدن، 1955)

لقد عالجت أعداد من الدراسات بشكل خاص العلاقة بين مجموعة الكتابات الأوغاريتية والتوراة وواحد من الدراسات الأكثر تأثيراً، من تأليف

فرانك مور كروس Canaanite Myth and Hebrew Epic: Essays in the History of The Religion of Israel (الأساطير الكنعانية والملحمة العبرية). مقالات في تاريخ ديانة إسرائيل، كامبردج، ماسوشوستس، 1973) ولقد قام العديد من طلاب كروس بكتابة دراسات أكثر تفصيلاً حول الموضوعات المذكورة، ومن بينها جلد مؤلف ريتشارد ج. كينفورد: The Cosmic Mountain in Canaan and The Old Testament (الحل العالمي في كنعان والعهد القديم، كامبردج، ماسوشوستس، 1972)، و The Divine Warrior in Early Israel (المحارب المقدس في إسرائيل القديمة) من تأليف داتريك د. باتريك (كامبردج، ماسوشوستس، 1973) وكتاب ثيودور مولس الأسن. The Divine Council in Canaanite and Early Hebrew Literature (المجلس المقدس في الأدب الكنعاني والعبري القديم، كامبردج، ماسوشوستس، 1980).

أخيراً، ظهرت دراسة تعد مقدمة شعبية حديثة حول الاكتشافات من أوغاريت، مع سلبوغرافيا مشروحة وذات قيمة، قام بها بنر سي. جريججي، بعنوان Ugarit and The Old Testament (أوغاريت والعهد القديم، راند رايدر، ميشيغان، 1983).

## الديانة الفينيقية

تأليف: Donald Harden

ترجمة: نادر ديب

كشفت التنقيبات في أوغاريت، وبيبلوس (جيبيل)، ومواقع فلسطينية عديدة، أشياء كثيرة عن الديانة الكنعانية لقدمية في مختلف جوانبها وصار بمقدورنا أن نرى أن تلك الديانة كما تتحلّى في مقاماتها، ومزراتها، ومعابدها، وتمثيلها الصغيرة، وأختامها الأسطورية، وسواها من المكتشفات ذات الأغراض الدينية

يبد أن أهم الشواهد على الديانة الكنعانية هي تلك التي تأتت عما حققه كلود شيفر في أوغاريت من اكتشاف رائع لسلسلة من النصوص العائدة إلى القرن الرابع عشر ق. م، والمكتوبة بلسان كنعاني على ألواح طينية بأبجدية مسمارية، ويشتمل هذا الأرشيف العظيم على كثير من النصوص السحرية والدينية التي تُعنى، على سبيل المثال، بعمادات الخصب وعبادة الموتى، فضلاً عن عدد من القصص البطييرية أو قصص الأبناء المؤسسين التي يجري كثير منها على غرار الحكايات التوراتية ومقابلاتها السومرية والبابلية.

هكذا، نتا نعرف الكثير عن أرباب وربات مجمع الآلهة أو الدثيون الكنعاني ففي البدء كان ثمة إيل، الإله والملك، لأرفع، الذي يُصوّر في بعض الأحيان على هيئة ثور. وكان إيل يعيش في لغرب، في الحقول المسماة باسمه. كما ظهر أيضاً بوصفه الإله - الشمس وكانت لإيل زوجه هي عشيرة يَم التي تُعد أيضاً على أنها الرثة الأم. أما ابن إيل وعشيرة فهو بعل، إله الحبال، والمطر، والعواصف، الإله المتي هي ريعان شابه والذي تُظهره التمثيل الصغيرة أفرن يلوّح بالعصا ويحمل سلاح الصاعقة

ويشمل أحد النصوص على وصف لامت لقيام الآلهة ببناء معبد لبعل  
بتشجيع من عشيرة يمّ ويصف هذا الصنّ كيف يقطع بعل أشجار الأرز كيما  
تُستَخدم في السّء، وكيف يقوم (بعل) علبن بفتح المنور أو كوة السقف في حين  
تقوم وصيفة عشيرة بصنع الآخر وتشكيله. بل إن هذا الصنّ يصف لنا كيف  
جمعت عشيرة المال من أجل العمل وأقامت حزينة للمعبد. ولقد كشفت تنقيت  
شيفر في أوغاريت عن معد مكرّم لبعل يعود إلى بداية الألعابة الثابتة على  
الأقل، وكان لا يزال مردهراً حين سقطت المدينة أمام شعوب البحر في أواخر  
القرن الثالث عشر ق م، وكان هذا لمعبد مؤلفاً من مزارين خارجي وداحلي  
تسبفهما ساحة مفتوحة فيها مذبح

وتصف الألواح أيضاً مدى خصوبة بعل علان وصفاته المرتبطة بالعالم  
السلمي فبعد نصراع مع موت - حرّ الصبف - ينزل بعل علبان إلى رحم  
الأرض. وتمضي عناة، أخته وزوجته، صارية في كل اتجاه بحثاً عنه.

مرّة يوم ومرّت أيام

وعناة البتول تفتش عن بعل

كقبت بقرة إثر حملها

كذلك هلب عناة (يعن) لبعل

وفي النهاية تجد عناة جثته في مسكن الأموات فتحملها إلى أعالي صافون<sup>(1)</sup>  
وتدفنها هناك بعد أن تقدّم أضحيات كثيرة. ومن ثمّ تسعى وراء موت وتقتله.

بمديّة تقطعه

بمنسف تسفّه

بالنار تطحنه

(1) صافون هو الجبل المعروف اليوم باسم "الجبل الأنزع" إلى الشمال من مدينته أوغاريت  
على بعد نحو 40 كم (م)

في الحقول تنثره ..

وهذه إشارات واضحة إلى الحصاد السنوي أما بعد ذلك فتعد عناة نعل إلى الحياة وتجلسه على عرش موت وهكذا يمكن لتعاقب الفصول أن يبدأ من جديد.

قبل اكتشاف هذه النصوص كان ادليل القيم الوحيد على الآلهة والعبادات الفينيقية هو ورد من إشارات في الأدبيات البابلية، واليوانية، والمصرية، وبخاصة العبرانية، وكذلك في شذرات من عمل ليلو الجبيلي (القرن الأول الميلادي) نقلها عنه كتاب لاحتقون ويُرجم أن كتاب ليلو هو ترجمة لكتاب آخر وضعه سنكو نبثون، وهو كاهن فينيقي ولد في بيروت في القرن الحادي عشر ق. م (مع أن البحث الحديث لا يقبل مثل هذا التاريخ اساكس) وعلى أي حال، فقد صار من الممكن الآن تحري هذا الأمر، حزيت على الأقل، على ضوء المكتشفات الأثرية، لا سيما المدونات الدينية المكتشفة خلال القرن الأخير وقبله، والتي نُشرت في المدونة السامية الشاملة " Corpus Inscriptionum Semiticarum". وعلى الرغم من كل هذا، فإن معرفتنا بالعبادات والممارسات الدينية الفينيقية لا تزال قليلة بالقياس إلى ما نعرفه عن تلك الخاصة بمعظم الشعوب القديمة الأخرى ويعود ذلك في قسط كبير منها إلى أن آداب الفينيقيين أنفسهم لم تصنأ بشكل مباشر.

أما الصعوبة الأخرى في تقوم الديانة الفينيقية، في الشرق خاصة، تتمثل في أننا لا نستطيع أن نفرق على الدوام بين العناصر الفينيقية الحقّة ولاستعارات الوافدة من عبادات أخرى. فلتأثير المصري طويل الأمد على مدن الساحل السوري - بل السيطرة المصرية في بعض الفترات - ترتب عليهما قدر كبير من السامس مع الديانة المصرية، والاعتقاد الشعبي كان يقرآن بين الآلهة لميفيقية، والتماثيل الدينية الفينيقية الصغيرة وبين مقابلاتها المصرية وعلى سبيل المثال، فإن الرثة بعلات الجبيلية كانت تُطابق مع إيريس / هاتور كما عملت العمارة الدينية الفينيقية على استعارة الكثير من مصر، الأمر الذي يمكن أن يتنبه بوضوح

في العصور المعمارية المصرية البادية في كثير من الأعمدة الحجرية أو البلاط  
الفينيقية، سواء في لشرق أم في الغرب.

كما كان هنالك، بالمثل قدرٌ كبير من الاستعارة من بلاد ابرافدين، الأمر  
الذي يبدو طبعياً حين تذكر الأصل السامي المشترك لكل من البابليين والكنعانيين  
حيث تجلّت هذه الاستعارة في الممارسات الدينية أكثر مما تجلّت في العمارة.  
وهذا ما يظهر بوضوح في تلك المشاهد الدينية المصوّرة على لأعمدة الحجرية،  
كما يظهر أيضاً في تفاصيل لباس ورموز الموحدة على التماثيل.

ولا شك أنّ الديانة الفينيقية قد اشتملت أيضاً على بعض العصور الإيجية  
من العهود المسيية. غير أنّ الوقت لم يطل حتى بدأت لتأثيرات اليونانية  
الكلاسيكية بالسيطره في النصف الثاني من الألفية الأولى ق. م. فمذ ذلك الوقت  
فصاعداً، عدت الأدوات المحصّصة للعبادة، والتماثيل، والعمارة، بس حتى  
التواست، يونانة الروح في جوهرها، بل من صنع فنانين من اليونان في كثير من  
الأحيان وهذا ما يصحّ على قرطاج أيضاً منذ القرن الرابع فصاعداً، الأمر الذي  
يمثل دليلاً على سعة انتشار تأثير ليوناني وما كن من استحالة أن تصمد أمام  
هجومه الضاري أيّ أمة من الأمم بما في ذلك روما ذاتها.

هكذا يمكن أن نشيّن في الديانة الفينيقية، رمس التوسع الفينيقي في البحر  
المتوسط، لا العاصر الكنعانية وحدها، بل أيضاً كثير من الاستعارات المستمدة  
من عبادات مجاورة إلّا أنّ هذه الديانة طلّت كنعانية الروح في جوهرها ولأنّ  
المستعمرين الفنيقيين كانوا قد جلبوها معهم عبر البحار، فإن الآلهة ذاتها كانت  
تُعبّد (ولو بتلك الأسماء في بعض الأحيان) والممارسات الدينية ذاتها كانت  
تُمارس في قرطاج، وموتيا، وفادس وسواها، على النحو الذي كانت تحري  
عليه في ارض الوطن الفينيقي. وإذا ما كان قد بدا أنّ العرب قد أدخل آلهة  
وممارسات جديدة، فربما كان ذلك ناجماً عن معلوماتنا الناقصة ولعلّ  
الاكتشافات المقبلة تبيّن أنّ ممارسة ما، مثل لتضحية بالأطفال، والتي نعرف  
الآن أنها كانت واسعة الانتشار في لغرب، كانت أكثر شوعاً في المدن لأمّ مما  
تشير الأدلة الورتية بل إن الأمر سيبدو مذهشاً لو تبيّن خلاف ذلك

الإله الرئيسي في الصوص، الأوغارتية هو إبل، غير أن هذا الاسم ليس سوى الكلمة السامية التي تعني الإله، وهذا ما يبدو، مثلاً، في لكلمة لتوراتية إلهيم (وهي صيغة جمع) أما الكلمات الشائعة الأخرى فهي بعل وبعلات، أي 'السيد' و'السيدة'؛ ملك، أي 'ملك' أو 'حاكم'؛ وأدون (أدوناي بالعبرية) أي 'سيد' ويمكن لهذه الألقاب أن تُستخدَم وحدها أو مرتبطة باسم إله محصوص. هكذا كان إله صور الرئيس، ملكارت، (أو ملقارت) وبسبب من سيادة صور وتوقها، إلهاً رئيساً لمينقيين عمومًا، خاصة لقرطاج، المدينة الشقيقة لصور، وكان من الشائع أن يُدعى بعل ملكارب. ويشتمل اسم ملكارت على كلمة ملك، ومعناه 'حاكم المدينة' وملكارت، الذي يوارى هرقل عند اليونان، كان في الأصل إلهاً شمسياً، لكنه اكتسب لاحقاً صفات بحرية أيضاً، حين راح الفينيقيون يطورون اهتماماتهم الملاحية ومما يشير إلى أهميته في قرطاج، لتي واطت سوات طويلة على إرسال الاترامات والأموال إلى مزار ملكارت في صور، عدد من الأسماء التي تحوي في جرتها الثاني على اسم ملقارت مثل هاملكار، وبوملكار التي شاعت هناك

وكانت عبادة ملكارت شائعة في قادس أيضاً على الساحل لأسباني الجنوبي، حيث أقيم معبد لهذا الإله، أقامه فينيقيون من صور منذ القرن الثاني عشر ق. م، كما راحت صورته تظهر على النقود الفادسية بعد ذلك بكثير. ويصف سيلبوس إيتاليكوس (من أهل إيتاليكا، قرب إشبيلية)، في القرن الأول الميلادي، هذا المعبد المذكور بأنه "ظل قائماً تضرّر"، وأن الكهنة ظلّوا يقومون على خدمته بالطريقة الفينيقية القديمة، حفاة متلفعين بالكتان وكانت النار في المعبد دائمة الاضطرام، دون أية صور دينية مهما تكن. كما كان لمكارت أيضاً معبد قرب ليكسوس على ساحل الأطلسي

وكما كان لمدينة صور ملكارت الحاص بها، كذلك كان لصيدون إشمون انخاص بها، والذي يوارى أسكليبيوس لدى اليونان. فقد كان في الأصل إلهاً للعالم السفلي، لكنه كان أيضاً يشرف على الصحة والشفاء، شأن أسكليبيوس.

وكانت أسطورة الخصب الأرضي والحصد، لتي سبق أن أوردناها عن النصوص الأوغاريتية، شائعة في كل مكان من الشرق الأدنى فهي معروفة في الأدب على أنها أسطورة فينوس وأدوبيس، أو عشتروت وإشمون، بحسب الاسمين الصيقيين التقليديين، واللذين يطهران في نابل على أنهم عشتار وتموز، وفي مصر على أنهما إيزيس وأوزيريس

هكذا لم يكن إشمون بأي حال من الأحوال محرد إله صدوني محلي، ولقد كان في قرطاج لاحقاً إلهاً أشد بأساً من ملكارب على الصمد جميعاً. وفي معبد في القلعة، أو بيرسا، حدث الفصل الأخير من فصول الصمود والدفاع عن المدينة في العام 146 ق. م

وكان ثمة آلهة فينيقية شرقية مهمة أخرى من بينها رشف إله البرق والنور، الذي يوازي أبولو، لكنه يختلف اختلافاً واضحاً عن حدد وتيشوب السوريين الشماليين. ولقد عُبد رشف، أيضاً، في قرطاج في معبد (كـ "أبولو" كما تقول النصوص القديمة) يقع بين الممرانيه وبيرسا ومن هذه الآلهة أيضاً دجن، الذي كشف عن معبد في أوغاريت، وكان إلهاً للقمح وبسفي الأ نخط سين دجن وبين الإله ذي ديل السمكة المصور على النقود الأروادية، أو بين وبين بوسيدون الذي أقام له هامو معبداً بعداً على ساحل شمال إفريقيا.

أما في الغرب فلجد إلهاً رئيساً آخر، هو بعل هامون. وفي أيام روما، كان هذا الإله القرطاجي، الذي تواجد أيضاً في مستعمرات غربية أخرى، يقابل ستورن (كروپوس)، الذي ذكر هامو والآخرون معبد في قرطاج. ولعلّه قبل ذلك كان يقابل زيوس أيضاً (والد هرقل / ملكارت) ذلك أن الإله الأساسي الذي ذكر مرتطاً مقسم هنسار على أن يظل على عداوة أبدية مع روما هو زيوس، الذي أطلق هذا القسم أمام مذبحه وهناك كثير من الأصباح الحجرية الفينيقية الغربية الموقوفة لبعل هامون وتانيت (الملقبة ببني - بعل) معاً، حيث يظهر بعل هامون على أنه لأقل شأناً بين الاثنين. غير أن بعل هامون يظهر أيضاً على بعض الأصباح الحجرية وحيداً، وكانت له مقاماته الخاصة كما في جبل بومرس مثلاً، ذلك الحل الذي يطل على قرطاج عبر الخليج ولعل بعل هامون

كان يمثل ضرباً من التداخل بين بعل المصقي الشرقي وإله افريقي (ليبي) مشاهه لربوس آمون في واحة سيوة حيث يوضح الحدث جل، مطلقاً من حجاج لغوية، أن بعل هامون لا يمكن أن يكون آمون وحده وقد كُتب اسمه بحروف اللغة المينيقية، على الرعم من أنه غالباً ما كان يُصوّر مثله بقرون كبش ولحية

أما الآلهة الإناث فلم يكن هنالك في الواقع سوى إلهة واحدة على اتساع فيبقيا، ألا وهي عشترت آلهة الحصب والآلهة الأم (عشتوريت بالعبرية)، والتي عرفت في الغرب القرطاجي باسم تانيت. ومع أن حل واثق من أن الاسمين يشيران إلى الآلهة ذاتها، فإن من لغريب أن أسماء أشخاص مثل بود عشترت وعبد عشترت كانت شائعة في حين أن قلة من الأسماء هي التي كانت تحمل اسم تانيت، على الرعم من علمه هذا الاسم على الآلهة وبالمثل، فإن "تانيت لم يكن موحوداً كما يبدو كاسم للآلهة في الشرق، في المراحل القديمة عن الأقل. وكانت عشترت بوصفها إلهة الخصب تقابل عشتار وأفروديت، غير أنها كانت أشدّ تعدداً منهما في مراياها ولدا كانت تقابل أيضاً هيرا، ملكة السماء، وسبيل، الإلهة الأم أمّا تانيت، التي كانت تُقابل في أيام روما مع جونو كايستيس، فقد تغلبت لديها مرايا الملكة أو الزوجة على مرايا الخصب وسمها الثالث في النقوش هو تانيت بيني - بعل (حرفياً تانيت وجه لبعل) حيث دارت نقاشات حادة حول هذا الاسم فمعظمهم يعتقد أنه يعني "صورة" أو "وجهاً" من صور بعل أو وحوهه، في حين يعتقد بعضهم الآخر (مع أن من المنعذر قبول ذلك) أن اسم تانيت هو اسم محلي يرد كموازٍ للاسم اليوناني بروموبون ثيو (وجه الإله) لدى سكان أحد الرؤوس لبحرية شمال سيسوس

بيد أننا لا نزال بعيدين كثيراً عن معرفة النسب الذي جعل عشترت في اشرق تغدو تانيت في الغرب وغياب أي أداة شرقية مازكة تشير إلى تانيت يغدو مارراً مريداً من اسرور في ضوء اكتشاف نصب حجري يعود إلى حوالي العام 200 فوق صريح على تلة سان مويك في قرطاج، وقد نُصب تكريماً لـ "عشترت وتانيت لسان" ويشير إلى مقامات موقوفه لهاتين الإلهتين وتانيت اللبناية ("الجل لأبيض"، إنما ليس لسان السوري بالضرورة) ينبغي أن تكون إلهة أخرى مختلفة

عن تانيت، ولعلّ عشترت، أيضاً، أن تكون صرباً من انتقال إلهة من صور فلا يعني أن تطابق مع تانيت فلقد عرفت قرطاج أيضاً مزارات لعشترات أخريات (مثل عشترت إريكسية). لكن هذه الإلهات، مهما تعددت أسماءهن وتبديت، لم تكن الواحدة منهن نخسف كثيراً عن الأخريات في الجوهر، ويمكننا أن نسطر إليهن جميعاً باعتبارهن تحليات مخلفة للإلهة الأثني الأساسية لدى الفينيقيين

وتانيت إلهة سماوية، ربما قمرية أساساً، ولعلّ الهلال والقرص، اللذين يظهران كثيراً على عدد كبير من اللقى في المواقع الفينيقية الغربية، قد قُصِدَ منهما أن يشيرا بصورة دائمة إلى هذه البرية وعشيرها بعل هامون. غير أننا نجد رموراً أخرى على أنصاب هذه الآلهة، خاصة رمر الكف اليمى المرتفعة، و"الصولجان"، و"علامة تانيت"، والكف، من الواضح أنها للبركة والحماية وهي رمر يوجد اليوم على شكل تميمة في البلاد العربية جمعاء، بما فيها تونس والصولجان لا يشترك سوى بالاسم مع صولجان هرمس / ميركوري اليوناني والروماني<sup>(1)</sup>، بل يتخذ شكل هلال وقرص بعلوان عصا أمّ علامه تانيت فهي رمر غامض أشدّ لغموض، ومحلّ نقش وجدل واسعين وهي تتألف من مثلث بعلوه قرص، وتفصل المثلث عن القرص ذراع أفقية؛ مما يجعل الرمر ككل أشبه بهيئة بشرية ولقد ربط بعضهم بين هذا الرمز ورمز الغنّج المصري، لكنه ربط بنقتر إلى الأدلة والبراهين هذا الرمز بمر عربي بالدرجة الأولى ولا يظهر في مصر كثيراً، إذا ما ظهر أصلاً، قبل القرن الخامس ق م. وكلّ الأمثلة الشرقية النادرة عليه هي أمثلة متأخرة، ولعلّ من الواجب تفسيرها على أنها مشتقات أو مستوردات عربية.

ويرى بيكار أنّ بمقدورنا أن نشيّن بغيراً عظيماً طراً على الديانة السامية في قرطاج في القرن الخامس، أصبح فيه الثنائي ملكارات وعشترت المجلد أمم بعل

(1) هذا الأخير هو صولجان بنف عليه حيتن وفي أعلاه حجابان، وهو شعار مهة الطلانة (م)

هامون وتانيت، حيث يورد في دعم هذا الرأي أنصبا حجرة باكرة موقوفة لعل وحده ويرى بيكار أن مثل هذا لتغير إنما يشير إلى انقضاء الصلات الدينية مع المدينة، لأن، وإلى تدفق الأفكار الدينية المليية، والذي يتوافق زمنياً مع تعبر مكافئ في التحالفات الساسة صم المدينة أما التقوى التي واصلت العائلة البارسيدية الأرستقراطية إظهارها تجاه ملكات فينمي النظر إليه إذ على أنه صرّت من الثروة المحافظة. بيد أننا يجب ألا سابع في مثل هذه التحمينات. فمن المؤكد، بالمقابل أنه قد كان هنالك تدفق لعبادة ديمير / كور التي لم تتأخر كثيراً بعد 400 ق. م. وهذا ما يعرفه من النصوص القديمة كما يعرفه من تماثيل هاتين الإلهتين التي وجدت بكثرة بعد ذلك في قرطاج ويحربا ديودور أن هذه العبادة قد أذخبت تكفيراً عن تدمير مقام لديمير / كور خارج سراقوسة على يد الحيش القرطاجي في العام 396. ويعتقد بعضهم أن ثمة توارٍ بين ديمير وتانيت لكن الثوري بين الأولى وسيريس وبين الثانية وجونو كايستيس أيام روما هو حجة ضد هذا الرأي. ويبدو مؤكداً على أية حال أن النبي لم يقتصر على ديمير وكور بل نعداه إلى الشعائر والطقوس اليونانية المرسطة بهم. وعلياً بالمثل ألا نقرص أن هذا التدفق قد عنى أي هليّة واضحة للمديانة القرطاجة بوجه عام وربما كان علياً أن نحدد حدو حل في رفض راي عوكلر أن ثورة دينية قد حصلت وأعدت بوحية تقاليد انديانة القرطاجية الشرقية والسامية بحسب نموذج هليني. فذلك كان يحتاج إلى انقلاب أعظم بكثير. لكن عبادة هاتين الإلهتين تواصلت كما يظهر، مثلاً، من الصب المحوري الجميل المكرّس من قبل ملكياتون في قرطاج لبر سيفون، بما يشتمل عليه من طراز هلنستي

ويمكن ستاداً إلى أسماء العلم الثيوفورية (أي التي يدخل في تركيبها اسم إله)، ولكثير من الأدلة الأخرى، أن نتحرى وجود آلهة أخرى كثيرة في كل من الشرق والغرب غير أن علياً أن تقتصر على تلك التي ناقشها. فالعبادات المحلية وافرة وغزيرة على الدوام في العالم القديم لكنه قد يكون من الملائم أن ملتصت إلى الآلهة لمصرية الكثيرة الممثلة على التماثيل التي اكتشفت في مواقع فينيقه، علماً أنه سيكون من المخطأ أن نستح من ذلك أن هذه الآلهة كانت جزءاً

اساساً من السائثيون الفينيقي ونحن نجد رأس هاتور على أعمدة العمارة الفينيقية، ونجد آلهة مصرية، مثل إيريس وأوزيريس، على سكاكين نحاسية قرطاجية وعلى العديد من الجعل السوداء. والأكثر مصدقة من بينها هو "بيس"، نصف الإله القزم، الذي يبدو أنه كان يحظى بشعبية خاصة لدى الفينيقيين. ومع أن كثيراً من التماثيل الصغيرة الخاصة ببيس قد حاءت من مصر، إلا أن قالب العطين النضيج الخاص بصناعة تماثيل بيس والذي وجد على مواقع في دير ميش يشير إلى أن مثل هذه الأشياء كانت تصنع محلياً أيضاً، وهو ما تثبتته تلك التشكيلة من تماثيل بيس، لطيشه التي وُجدت في ثاروس مصنوعة هناك أو في قرطاج، أي خارج مصر تماماً.

## المعابد والمقامات

لا نتطوي تلك البقايا الرهيبة من المعابد الميسيقية على كثير من المعلومات التي يمكن أن يفصي بها إلينا. غير أننا قد نجد بعض العون، من حيث الأطرزة المعمارية، في تلك المزارات والأعمدة الحجرية بحيرية الخشنة التي كانت تُستخدم في المقامات الميسيقية. كما يمكن أن نجد أن بعض الأشياء المتعلقة بالوجهات والتصاميم في هيئاتها اللاحقة على الأقل، مرسومة على الأوجه الخلفية لبعض النفود الرومانية.

تعود معابد بيلوس وأوعاريت الشهيرة إلى أواسط عصر البرونز وهي أقدم من أن تكون بؤرة لقاشنا الحالي، غير أن أدلة قيمة على المعابد الكنعانية العائدة إلى القرن الثالث عشر ق م، أواخر عصر البرونز، والتي لابد أنها كانت شديدة الشبه بمعابد فينيقي عصر الحديد، قد وُجدت في بيت شان، وألااح وحاصور، علماً أنه وُجدت في ست شان أيضاً معابد من عصر الحديد كما وُجد مؤخرًا في نل مكبش في سهل شارون مقام "فيقي" من النمط ذاته، كان لا يزال يُستخدم على نحو نشط في القرنين الخامس والرابع ق.م. وشير طريقة نسوية الحجارة الكبيرة في جدران هذه الأبنية وطريقة إكسائها، وكذلك تصميمها العام، إلى تأثير فيقي واضح بما فيه الكفاية.

ويعطي وصف التوراة المفصل لهيكل سليمان في أورشليم إلى والدي بُني بأيدي عمال فينيقيين، بعض الإشارة على ما كانت تبدو عبه المعابد الفينيقية المهمة هيكل سليمان كان بناء ثلاثياً يشمل على قدس الأقداس، وقعة، وردة أمامية وذلك بالإضافة على حشرات حربية على محيط البناء في ثلاثة أدوار أو طوابق وفي المقدمة كان ثمة عمودان مكسوآن بالنحاس الأصفر أطلق عليهما «سما ياكين وموعر، متصير وحدهما بصورة مستقلة عن البناء (كما اعتقد بعضهم) أو يشكّلان جزءاً من عمارة الواجهة، كما أشار ميريس ويدي المعبد الذي اكتُشف في المنطقة H في حاسوب الشكل الثلاثي ذاته مع ردة أصيق بعض الشيء من بقية الساء، يلها ثلاثة من الأجنحة وهناك قاعدة عمودين درتان متصتان في الردة على جانبي المدخل إلى القاعة الأساسية. وتمكن مقارنة هذا المعبد مع معبد آخر لم يُحفظ جيداً لكن له المحيط ذاته، وكان وولي قد اكتشفه في حقبات القرن الثالث عشر في الألاح، وكذلك مع معبد من القرن لتاسع وحد في تل طعبت في سوريا له السية الأساسية دتها، إنما من دون حشرات حربية ولا شك أن ساني ممثلة قد تواجدت في معظم المدن الفينيقية، إن لم يكن في جميعها وعادة ما كانت هذه الأسية محاطة بساحة مفتوحة ويسدو أن العمودين في المقدمة كنا شئعين ويذكر هيرودوت أن معبد ملكارب في صور كان مشملاً على مثل هذين العمودين، "أحدهما من ذهب والآخر من زمرد".

كان هنالك أيضاً مزارات أصغر بكثير محاطة بأسوار. وكان لمزار الموجود في مراثوس (عمريت) من القرن لسادس أو الخامس ق م مؤلفاً من صرح صغير قائم على منصة مرتفعة مساحتها نحو خمسة أمتار مربعة، ويعنوه إفريز مصري، ويتصب على جزيرة صغيرة في بحيرة مقدّمة مسوراً بجدار يحيط بنحو خمسين متراً مربعاً وقد وُجدت مزارات مماثلة في قرص، في بافوس مثلاً، كما وُجد في إيداليون نموذج من الصين الصيغ لمرار له عموداه المتوّحان باللوس في الأمام والعايدون الأتقياء يقفون على نافذته ونبين قطع النقود لعائدة إلى المراحل المتأخرة، سواء كدت قبرصية أم فينيقية، مزارات متفنة بواجهات ذات أعمدة، وتحتها يقع تمثل العبادة في مكان بارز. وتبدي قطعة نقود من بيلوس القرن

الثالث للميلاد فناء يتم الوصول إليه عبر درجات ويقع في وسطه حجر مقدس محروطي الشكل، وإلى جانبه مرار ذو سطح جملوبي. ولد أن نفترض أن المزار كان ضمن الفناء، مع أن الفناء وجد من الأسهل أن يرسمهما الواحد إلى حد الآخر. وتبين بقود وميداليه ذهبية من بافوس فرص أن المقام السابق (نسبة إلى بافوس) كان محلقاً فقد كان مشتملاً على مقامين أصغر على جانبي المقام الأساسي وكل منها يحتوي حجراً مقدساً محروطي الشكل أو أشياء أخرى مخصصة للعبادة، وعلى الأسقف الجانبية حمامات أو ورود؛ واسقف الأساسي معلوه هلال وقرص وقد وجدت أعمدة حجرية كثيرة في المواقع الغربية على هيئة مزارات مربعة أو مستطيلة في وسطها تمثال العبادة أو الحجر المقدس المحروطي.، مشتملة في الغالب على تفاصيل معمارية مصرية؛ بيد أن البقايا المعمارية للمرارات في الغرب متأخرة جمعاً من حيث الزمن (معظمها يعود إلى ما بعد سقوط قرطاجة)؛ ولعل من أنكرها مرار صغير وجد في ثيوروبامبوس في نطاق قرطاجة، ويعتقد أنه يعود إلى النصف الأول من القرن الثاني ق. م.

أما "المرتفعات" التي عالياً ما يشير إليها إليها العهد القديم على أنها مقامات كنعانية فكانت مختلفة عن المعابد، كونها موضع مفتوحة في انبواء انطلق تحط مدبح أو حجارة مقدسة. ولا بد أن مثل هذه المرتفعات كانت شائعة في فينيقيا أيضاً، حيث بقيت طويلاً قيد الاستخدام، على الرغم من أنها، وهذا ليس مستعرباً، لم تترك سوى القليل من البقايا المميزة. فحتى في القرن الأول للميلاد، حين مضى فيسبانيان لاسشارة العراف أو وسيط الرحي في جبل الكرمل، لم يجد تمثالاً ولا معبداً، بل مذبحاً في الهواء الطلق ليس غير، وكان كثير من هذه المقامات، مثل الذي في جبل الكرمل، قائماً على التلال، خاصة حين تكون مرفوعة لآلهة معنة بانطقس والظواهر الطبيعية من أمثله ذلك في العرب مقام بعل هامون الشهير على جبل بقرين وهما وصل المقام الروماني بخاص بسانورن بالكارا نيبس والذي أعقب المقام السابق، وأصل كونه موضعاً مفتوحاً دون أية مبانٍ كبيرة. ولكن هذه المقامات العربية بخلاف الشرقية، عالياً ما كانت تقع في المنخفضات على الساحل، قرب الموانئ، وذلك لسبب

واضح هو أنَّ المستعمرين لم يكونوا في العادة بحاجة لأن يسيطروا سيطرتهم على مساحة واسعة، بل كانوا يكتفون بمنطقة صغيرة يستقروا عليها ويمارسون تجارتهم. وعادةً ما كانت المقامات الكنعانية والقنيصية من هذا النوع مشتملةً على كثير من الأنصاب الحجرية مزدوجة في داخلها. فهذا ما نجده في المقام العائد إلى القرن الثالث عشر والذي اكتشف مؤخرًا في حاصور، وكذلك، أبكر بكثير، في المنطقة المقدسة من عصر البرونز الأوسط في بيلوس. وثمة أمثلة على ذلك في الغرب أيضاً، مثل المقام القرطاجي الجديد الموقوف لسانتون في عين توبعا، كما وُجدت في قرطاج ذاتها آلاف الأنصاب لحجرة، بعضها منتصب في موضعه الأصلي كما كان وبعضها الآخر ساقط، وذلك في دير ميش وسواها بين بيرس والبحر. وقد كان كثير من هذه الأعمدة منتصباً وحده، في حين كانت أعمدة أخرى علامة على مكان دُفنت فيه أشياء أو حيوانات أو أطفال ووضعت رعادهم في قدور.

وهذا الأمر الأخير يصل بنا إلى آخر نمط من أنماط المقامات، فناء الفرائين أو الأصاحي، أو "التوفة" كما ندعى في التوراة، والذي يقوم في وادي سي هنوم خارج أورشليم فقد وجدت أمثلة على هذا في نورا، وسولكيس، وسواها في ساردنيا، وفي موتيا، وفي مواقع عدة شمال إفريقيا، خاصة في حدرمينوم (سوسة)، حيث قام سبتاس بالكشف عن واحد منها بين طبقات عدة تمتد من القرن السادس ق. م وحتى العصر الروماني. غير أنَّ أهمَّ هذه الفناات هو فناء تانيت في مالاو، قرطاج، فهنا تجتمع للمره الأولى أدلة تكفي لأن تبين بصورة حاسمة أنَّ الفصص القديمة عن تقديم الفينيقيين والكعابيين الأطفال فرائين ١ "مولك" (أو "مولوخ") هي قصص صحيحة كل لصحة، وأنَّ توفه أورشليم التي يحسها يوشيا لدى تدميره لممارسات الوثنية في يهودا كان حقاً مكاناً يمكنه للشخص أن يصحّي بابه أو ابنه قريناً لمولك "ونجس توفة النبي في وادي بي هنوم لكي لا يُعبر أحدٌ أبه أو ابنته في النار لموت" <sup>(١)</sup> ومن الواضح الآن أنَّ مقت شعوب أخرى للفينيقيين من أهل مثل هذه الممارسة كان قائماً على وقائع.

(١) الملوك الثاني، ١٠: ٢٣ (م)

ففي هذا الفناء الفسيح، الذي لم يُنقَّب بعد كاملاً، وُجِدت آلاف من الجرار الحاسوبية على رفات من أحرقت حثتهم من الأطفال، بعضهم في الثانية عشرة، لكن معظمهم تحت الثدية، كما وُحِدت في بعض الحالات رفات طيور وحيوانات صغيرة كقرايبي بديلة. وهذا الفناء الذي لا يبعد عن العياء أكثر من خمسين متراً هو فناء مستطيل استمر طوال حياة المدينة ويتألف من ثلاث طبقات أو أربع طبقات أثرية (كما يعتقد بعضهم) وأدى هذه الصفات تلك المستندة إلى صخر صلد عند مستوى المياه الحالي وأدى منه وهي تعود إلى القرن لثامن وأوائل لسابع، وتحتوي على جرار من أنماط باكرة، ملونة بالأحمر مع خطوط سوداء تزيينها. وتحتوي الجرار ذاتها على عظام أطفال محروقة وقد وُضعت كل جرة على صخرة وغطيت بركام قليل من الحجارة. وفي بعض الأحيان وُضعت تماثيل صغيرة بالمرب منها، والطبقة الثانية، التي تفصلها عن الأولى طبقة من الطين الأصفر اللزج، هي طبقة محتلة تماماً، وبحسب الأدلة الخزفية، فإن التحول من الواحدة إلى الأخرى قد تم خلال القرن السابع. والحرار في هذه الطبقة أكثر عدداً بأربع أو خمس مرات، ولم تعد مدهونة بالأحمر وندرجاته، بل هي أبسط وأبعد عن الصقل وُضعت تحت حجارة خيرية لها شكل عروش أو (لاحقاً) شكل شواهد قور مستطيلة وبسيطة. وفي بعض الحالات، وُحِدت عدة جرار تحت عمود حجري أو بلاطة واحدة. وهذه الأعمدة الحجرية أو البلاطات حامية من النقوش في العادة، مع أن نقشاً يوقف العمود لجهة ما ويكرسه لها قد يوجد في بعض الأحيان بالمصادفة في إحدى الحالات كـ ٥ ثمة بلاطة خيرية مصقولة جميلة التعريفات وقد نُقش عليها ما لا يقل عن أسماء سبعة عشر جيلاً من كهنة تانيب - وقد تُركت أمام عمود حجري خيري بعيد عن الصقل - لكن الغريب أن تحمل تصويرات فحة بلخمل أو علامة تانيب وما شابه ذلك منقوشة أو محفورة على نحو بارز وفي بعض العترات من تاريخ هذه الطبقة كان ثمة تحول إلى البلاطات أو الأعمدة الحجرية الخيرية الصلدة المصقولة المشككة في العدة على غرار المسلات الفحة في ثلاثة من وحووها والمصقولة على الوجه الرابع، والتي غالباً ما تحمل على كل هذه الوحوه نقوشاً، أو رموزاً، أو بريسات أخرى بدأ هذا التحول حوالي نهاية القرن الخامس، إذا ما حكمنا على ذلك من

العقار، حيث اعتبر بعض المتقنين هذا العقار طقةً جديدة، وسلك يغدو عدد الطبقات أربعاً بدلاً من ثلاث غير أن هذه المدافن تحب البلاطات أو الأعمدة الحجرية الحجرية الصلدة قد وُضعت بين أنماط المدافن القديمة، وإن يكن على مستوى أعلى نسبياً، فلا يمكن أن يميز أي تحول حقيقي في مستوى الدفن

وقرب أعلى الطبقة، نجد في بعض الأماكن قشرة من الحطام المحترق، والرماد الخ، مع أن ذلك ليس ثابتاً على الدوام ولا واحداً في سماكته، ولا يشكل خطأ فاصلاً ثابتاً بين هذه الطبقة والتي تليها. ولعل هذا أن يكون بقايا محارق الدفن في أجزاء من الفناء وقد استُخدمت بصورة مؤقتة، وليست مستوى ثابتاً ومحدداً أما الطبقة، فليعلها بدأت قبل فترة قصيرة من العام 300 وتمثل الـ (150) سنة الأخيرة من عمر المدينة القرطاجية. وهي تحوي على عدد أقل من الحرار وعلى قليل من الأعمدة أو البلاطات الحجرية، لكنها مخططة بأعمار لاحقة جرت على الموقع، بما في ذلك سرداب روماني يفضي إلى رصيف الميناء، وأعمده حجرية محطمة ربما تُشكّل كثير منها وسُرق بقصد استخدامها في الماسي الحجرية. ولقد بقي هذا الفناء قيد الاستخدام حتى سقوط قرطاجة

والحال، أن لقرب هذا الفناء الشديد من الموانئ دلالة المهمة ولقد وجد سيتاس، الذي حفر جزءاً منه، بناءً صغيراً في التربة العذراء تحت المدافن الجرابية العائدة إلى الطبقة الدنيا، وهو بناء يُعتقد أنه كان مكاناً للعبادة يؤمه الحجرة، بل المزار الأساسي الأقدم بالنسبة للمستعمرين لأوائل، مع أن اللقى التي وحدها فيه لا تعود إلى القرن العاشر، كما زأم، بل إلى نهاية القرن التاسع بالنسبة لأقدمها، والصف الثاني من القرن ثامن بالنسبة لمعظمها، ولا بد أن تكون هذه الفترة هي تاريخ إيداعها هنالك.

ليس هناك، إلى الآن، ما يصاهي هذا المقام من حيث حياته القرطاجية امديده، فحتى مقام سوسه بدأ بعده، أما سوى سوسه من المقامات في شمال أفريقيا، مثل تلك التي في بير بوكنيسة، وسياغو، وقسطنطين وغيرها، فمعظمها يبدأ في فترة الحروب القرطاجية، على الرغم من استمرارها في أغلب الأحيان حتى المرحلة القرطاجية الجديدة

## الكهنة، الموظفون، الشعائر

لابدّ أن جميع هذه المقامات والمعابد قد احتاجت إلى كهنة ومساوهم من الخدم والموظفين، وتذكر النقوش وجود كهنة من الجنس، وتبيّن أن ماصب كهنوتية من نوع خاص كانت في بعض الأوقات حكراً لعائلة محدّدة على مدى أجيال عدّة. وفي قرطاج، إضافة إلى النقش الحجري الذي يذكر سعة عشر جيلاً من الكهنة، ثمة نقش على ضريح يذكر خمسة أجيال دفنت في قبر واحد، علاوة على أننا نجد كهنة متزوجين من كهات وكان الكهنة مجرد خدم للديانة وليسوا، كما بعض البلدان، حكاماً أو قضاة أيضاً بحكم ماصبهم. ومع ذلك، يبدو في بعض الأحيان أن أشخاصاً معينين قد راوجوا بين هذين الدورين. كما كان للملوك والملكات في فينيقيّا وطوائف كهنوتية وهذا ما فعه العقدة الأرستقراطيون أيضاً، مثل ملخوس في قرطاج القرن السادس ويشير بيطر إلى أن الكهنة قد كنوا، علاوة على وجباتهم الدينية، أعمدة الحياة لفكرية والتقاليد الفيفية، وأن الكهانة هي التي رسّخت العادات واللغة الفيفية طويلاً في شمال إفريقيا وهو رأي معقول تماماً.

ويشير سيلبوس إيساليكوس، في سياق كلامه على كاهن ملكرت في قدس، إلى ارتداء هذا الكاهن قبعة وعاء كهنوته بسطة ضيقة بلا حزام حول الخصر وهناك ثلاث مسلات حيرية من قرطاج توفرّ صوراً أفضل لهذا الأمر فعلى إحداها ثمة كاهن ملتح على رأسه لماع، وعلى كتفه الأيسر دثار طرسل، يرتدي عاء شفاة من الكتان، حاملاً صحيفة وقرورة؛ وعلى الثانية كاهن برّس حليق (وهي عادة ذكرها سليوس إيتاليكوس) يقدم ابركة؛ أما على الثالثة فثمة كاهن ثوب شفاف يحمل بسراه طفلاً صغيراً، ربما حكم عليه بأن يقدم قرباناً. أما الشخصية الكهنوتية على التابوت الذي وجد في قبر على نلة سان مونيك، فهي أيضاً ترتدي عصبة للرأس وتضع دثاراً طويلاً على الكتف، لكن ثوبه أكمل وييدي بعض التأثيرات اليونانية في تصميمه. كما يظهر العمود الحجري الخاص بعل ياتون في كوينهاغن، وهو من فينيقيّا، كاهناً مرتدياً على

الحودادته ويمكن أن نلاحظ أيضاً أن إكراهه على عطاء تاسوت من ساد موبيك، لها ساقان معلّقتان بجاسحي طائر. غير أن آيا من هذه الأمثلة لا يعود إلى مرحلة باكراً، فهي بمعظمها لا تعود إلى ما قبل القرن الثالث.

وتذكر النقوش موظفين آخرين غير الكهنة؛ كتبة، خدم، موسيقيون، حلاقون ووجود الحلاقين يشير إلى أن الحلاقة وإزالة الشعر (السَّمَط) الدينيين كانا جزءاً من الشعائر. ومن بين الحدم كان ثمة عاهرات ديبيت، من النساء والعلماء. فمثل هذه المدرسة كانت شائعة في المقامات العينية، لا سيما في الشرق. ويشير هيرودوت إلى وجودها في قرص، كما كان لدى الأبناء الأواثل الكثير مما يقولونه عن ذلك في فيسيفيا. غير أن هذه الممارسة كانت موجودة في الغرب أيضاً، ذلك أن تصوير "غللمان المعد" تكرر أكثر من مرة على لأعمدة الحجرية القرطاجية.

ومن الآثار التي تلفي الضوء على الشعائر العينية تمثال صغير من المرمر يتصح من أسلوبه نصي أنه لابد أن يكون شرقياً من القرن السابع أو السادس ق م. غير أن القبر الذي وُجد فيه ربما لا يعود إلى أكثر من القرن الرابع وفي هذا التمثال ندو عثرت مترعة على عرش يحيط بها كائنات محدن من كل جهة وهي تحمل طاسة كبيرة تمدّها تحت ثدييها المفتوحتي الحلمة من الواضح أن هذا التمثال كان يُستخدم في اجتراح المعجرات أو استحداثها، حيث كان يمكن للحليب في وقت محدد من طقس العبادة أن يجري في الأثناء إلى لطاسة من فراع يُملأ عن طريق الرأس وإلى أن تُجرى المعجزة كان الثعبان يُسندان بالشمع، أو أي مادة أخرى يمكن أن تُزال بالتسخين اللطيف.

وثمة معلومات، أيضاً، عن الممارسات القرمانية فالأشياء التي كانت تُقدّم كقرابين في بعض الأحيان هي أشياء كثيرة طعام وشراب، طيور وحيوانات، وحتى البشر. وهناك نقشان من فداء تانيت في قرصاح بدكران التصحية للأطفال على نحو يبيع ومن القصص لمعروفة جيداً قصة ديودور عن مثال بروسزي وُصِف بين يديه لأضحكي كي يلقبها في السر، في حين راح الأقراء (وهذه

إضافة من مبيكوس وترتليان) يرتبون على الأطفال لمعهم من السماء. فحسن  
 يعرف هذه القصة من عمل قلوبير، سالامبو، على الأقل، وإنه لمس المعقول أن  
 نفكر أن قرابين الأطفال قد غدت بادرة مع مرور الوقت حيث استبدلت بها  
 الطيور والحيوانات الصغيرة التي عدت التضحية بها أكثر شيوعاً. ويمكن لنا أن  
 نأمل أن هذا ما سوف تكشفه محويات حرار نبيت عندما تُدرس الدراسة  
 الوافية كل ما يمكن أن نقوله الآن هو أن عظم الطيور والحيوانات لصغيرة  
 تواحد في الحرار في ظل هيمة طاغية لعظام الأطفال من البشر. أما التضحية  
 بالبالغين في الأراضي الفينيقية فهي أندر، مع أن التاريخ يروي عن بعضها،  
 كالتضحية بـ 300 سجين في حميرة عام 409 تكفيراً عن مقتل هاملكار في  
 معركة وقعت هناك عام 409 تكفيراً عن مقتل هاملكار في معركة وقعت هناك  
 عام 408 (ما لم يكن هذا مجرد انتقام متأخر)، وكذلك التضحية السنوية بقربان  
 بشري واحد من أهل ملكارت في قرطاج

وكانت التعرقة القرانية موجودة في قرطاج وثمة شذرة عن ذلك من قرطاج  
 في المحف البريطاني، غير أن تلك التي وُحِدَتْ في مرسليليا، والتي تشير إلى  
 معبد بعل صافون في قرطاج، هي الأكمل، إنما دلتوازي مع شذرات وُجِدَتْ في  
 قرطاج. وقواعد التعرقة القرانية هذه تشبه تلك القواعد التوراتية في الإصحاحات  
 الأولى من سفر اللاويين وهي تفصل لنا، بـ الكهنة ينبغي أن يحصلوا على  
 مدفوعات تختلف باختلاف القرابين. يبدأ النص المرسليلي على البحر التالي  
 "معبد بعل صافون. الرسوم التي بُتِّها مراقو النفقة لكل ثور، سواء كانت  
 الأضحية ذبيحة خطيئة أم سلامة أم مُحَرَقَة، للكهنة عشر قطع من الفضة لكل  
 منها وعلاوة رنة ثلاثمائة من اللحم بذبيحة الخطيئة" ثم يتواصل النص ليُمرَّ على  
 الحيوانات الصغيرة والطيور، وصولاً إلى الزيت، والدهن، والحليب. وتوضح  
 الأنصوب الحجرية أيضاً هذه القرابين، حيث تُسَدِّي رسومها حيوانات عديدة  
 وأدوات قرانية مختلفة

## مراسم الدفن، والقبور، والتوابيت

شعيرة ابدن الأساسية لدى الفينيقيين هي اللحد، لكن إحراق الجثث كان يحصل. أيضاً في حالات الدفن العادية علاوة على حالات الدفن القردية التي سبق أن تطرقنا إليها. ولقد وصلت هذه العادة إلى بلدان شرق المتوسط مع الغزوات البربرية في القرون الثاني عشر. م وثمة كثير من مقابر الإحراق في حماة، وقرقيش، وديف حيوك وسواها في سورية وتركيا تعود إلى تواريخ مختلفة بين القرون الثاني عشر والقرون السابع. وثمة غيرها من مناطق مختلفة على الساحل الفلسطيني تعود إلى القرنين الثامن والسابع فلا حاجة لأن ندهش، إذاً، من أن إحراق الجثث، بوصفه شعيرة، يظهر إلى جانب اللحد أو الدفن في التراب في القرن السابع أو أكر من ذلك في قرطاج، أو من أن الدفن في موتيا في المقبرة القديمة على الحرية كان يتم بإحراق الحث أساساً

ولقد تمّ التخلي عن هذه العادة في عتليت (على الساحل الفلسطيني)، وفي قرطاج، وموتيا في لقرن السادس على الأكثر، لكنها عادت من جديد ف يافرون الثالث في قرطاج وغيرها من المواقع العربية، بتأثير يونان من غير شك، وإن تكن عودتها في الشرق ليست واضحة. ومع ذلك، فقد بقي اللحد سائداً في قرطاج حتى نهاية المدينة عام 146 ويشير مرلين وسواه إلى أن اختلاط المراسم في قرطاج القديمة يدل على اختلاط أصول السكان، وقد يكون الأمر كذلك بالفعل. ولذلك كانوا يحرقون الجثث في عتليت وسواها من مدن الشرق لعلمهم كانوا من أصول ليست سامية، وفدوا إلى المشرق وارتبعت مصائرهم بالفينيقيين بل وهجروا معهم عرباً.

ومهما تكن الشعيرة التي يستعملها الفينيقي، فقد كان يروق له أن يكون القبر جيداً، وعلى الأقل لضريح، سواء كان نابوتا أم حرة، وما كان ليرضى في العادة بمجرد حجرة في الأرض وكان القبر لفينيقي متأثراً بعض التأثير بالنماذج المصرية ففور سلوس التي عاصرت الأسرة الثبة عشرة في مصر (حوالي 1800) كانت عبارة عن حجرات واسعة محفورة في الصخر على عمق ستة أمتار أو أكثر،

يُدخل إليها من خلال درج منحدر يُدلف إليه من فتحات مرور عمودية. وكانت الحجرات تحتوي على توابيت وتقدمت للدفن وهذا ما كانت عليه النماذج الأصلية للقبر الفينيقي. وقبر المذبح أحيرام (أوائل القرن العاشر) لم يكن الأمر محتشفاً، وقد استمر هذا النمط في صيدون في الفترة الفارسية، مع اختلاف واحد هو أن الحجرة كانت تفتح مباشرة على فتحة المرور دون الدرج الذي يصل بينهما. ومثل هذه القبور كانت معتادة أيضاً في القرن لخامس والقرن التالية في المقابر الكبيرة في برج جديد، وصاد موبك، وسواها من الأماكن في قرطاج وغالباً ما كانت هذه القبور تبلغ 20 - 30 متراً عمقاً، وهذا عمل شاق من حيث بنائه، ومرره بيس واضح، ما لم يكن الحيلولة دون سرقة القبر، لأنه لم يكن هنالك في الغالب أكثر من حجريين إلى ثلاث حجرات تعضي إليها المداخل ومداخل القبور العميقة هي مداخل عمودية مع عتبات أو موطىء أقدام على الجوانب. أما القبور لأقل عمقاً فعالباً ما يكون لها درجات، غير أن ذلك لم يكن ممكناً إلاّ حين يكون القبر محفوراً في الصخر، الأمر الذي يوفر مادة مناسبة للمدرجات، كما هو الحال في جبل مليز.

ولقد تواجدت أيضاً القبور المبنية، أو شبه المبنية. فقد كان لإشمينصر الثاني في صيدون قبر قليل العمق محفور في الصخر مع حجرة دخول مبنية بالحجر فوق مستوى الأرض وقبور كثيرة قديمة في قرطاج هي عبارة عن حجرات مبنية متوضعة عند حفر قبيلة العمق، كما أن القبر الفينيقي العادي في مالطا كان يتصف بأن له فتحة دخول قليلة العمق محفورة في الصخر تعضي إلى حجرة مغلقة بلاطة حجرية أما في غير ذلك من الأماكن، وخاصة إذا كانت المنحدرات الصخرية أو الرؤوس البحرية متوفرة، فكسبت القبور تحفر عالياً على جانب المربع وهناك أمثلة واضحة في كاغباري من القرن الرابع وبعده، فضلاً عن أمثلة كثيرة في شمال إفريقيا، وإن كنا لا نجد ذلك في قرطاج ذاتها. علماً أن القبور في المواقع القصية عن المركز غالباً ما كانت أضرمحة عمودية بسيطة محفورة في سبورات الصخرية الماتنة على سطح الأرض.

وإذا ما كان العيسقي يعصل القبور المحفورة في الصخر، فقد استخدم أيضاً حفراً بسيطة في بعض الأحيان، لا سيما حين لم يكن الصخر متوفراً ففي قرطاج وأوتيكا، كانت مدافن قديمة كثيرة من هذا النمط، وفي مونيما، حيث لم يكن الدفن في القبور الصحرية عادة مألوفة، كان الدفن يتم في حفر قليلة العمق مع توابيت مونوليثية (من كتلة صخرية واحدة) في العادة.

ومن المحتمل، لا سيما في المراحل المبكرة، أن هذه القبور لم تكن في العادة تُسم أو تُعلم بآثار أو تُصب فوق الأرض تدس عليها، خوفاً من نابشي القبور فإذا ما وُسمت أو عُلِّمت، كانت الآثار أو المعالم من خشب أو أي مادة فانية أخرى، ذلك أنه لم يطل الوقت كثيراً حتى بدأت تظهر شواهد القبور، كما في مقبرة سان مونيك في قرطاج، ربما متأثر العادات اليونانية

وقد عرفت السنوات اللاحقة أيضاً قُور السمط المقترن بالنُصب والمعالم، حيث كانت تتألف من حجرة تحب الأرض بقضي إليها درج، وكانت تُعلَى فوق الأرض بمعلم أو نصب حاص بالدفن والمدافن. والأكثر شهرة بين هذه القبور في البلد الأصلي هي ثلاثة في ماراتوس (عمريت)، وواحدها عبارة عن قبر امصواني ثلاث طبقات، والآخر بشكل أسطوانة مستدقة قليلاً فوق قاعدة رباعية الوجوه ويعود هرم خماسي الوجوه، والثالث اسماً هرمي الشكل في الأعلى، لكنه موشوري في الأسفل وينهض على قاعدة ذات درجتين. وأول هذه القبور هو أقدمها، ولعله يعود إلى القرن الخامس أو الرابع ق. م، ذلك أن تفاصيله المعمارية تتم على صلات فارسية؛ أما الآخرين فعملهم يعودان إلى قرن لاحق أو قرين لاحقين وثمة معلم أو نُصب من هذا النوع من الغرب، هو النُصب المشهور في دوغ، في تونس، حيث يظهر انقش عليه بالنبية والقرطاجية أنه نُصب عيبان بن أيماث بن نلو، بناء المعماري القرطاجي أباريش بن عبد عشتريت، ومساعده رمار ومابعي، فصلاً عن النجارين والحدادين وحجرة الدفن في هذا القبر في انطابق الأول، ومدخلها في الحجاب الشمالي للنُصب ولا بد أن عتيان هذا قد كان ملكاً أو أميراً بوميدياً من أواخر القرن الثالث أو أوائل القرن الثاني ق. م ويبدو أنه قد كان لماسيسيا نفسه قبر مماثل في كرويس، قرب سرتا (قسنطين)، عاصمته.

ونجد على لحدارين الشرقي والغربي من قل جبل مليرا أبية مرسومة مؤلفة من طبقتين، وإلى جانب كل منها مذبح فهل هذه صور قبور، كما اعتقد من بقوها، أم أنها صور مرارت؟ قد يكون القارق واضحاً لأن الأضرحة أو القبور الفسفة ربما كانت مرارت أيضاً

ويمكن للمرء أن يتوقع أن القور الحقيقية كانت خارج المساطق المألوفة على الدوام. وإد ما كان الأمر كذلك فعلاً، فإن تل سان لوس وتل جونوفي قرطاج، اللذين صمماً أقدم القور، لم يدخلوا في نطاق المدينة إلا بعد انصرام القرن السابع بيد أن التعليل القائل إن تل سان لوس كان داخل الحصن منذ القديم هو تقيد منح وفي موتيا، ربما كانت المقبرة الأولى على لجزيرة خارج المنطقة المألوفة لأصلية، ذلك أن جدار السور، الذي لم يُبن قبل القرن السادس، يقطع هذه المقبرة. ومهما يكن الأمر في القديم، فإن من المؤكد أن جميع القور كانت ضمن السور حين كانت المنطقة المسورة تشعل معظم الرأس البحري، حيث لم يكن ثمة مكان آخر لها في واقع الأمر. بل إن تسمي الحي التجاري قد انتهت المقبر القديمة وأدى إلى نسيانها. ومن جهة أخرى، فقد نقل الموتى من مقبرتهم إلى البر الرئيس في القرن السادس

وكان بعضهم يستخدم التوبيت، سواء في الشرق أم في الغرب، طوال الفترة التي تناولها ولا شك أن هذه العادة كانت عادة الرجل الغني وكان بعض هذه التوابيت مونوليثياً من قطعة حجرية واحدة ضخمة، مسطحة بسيطاً بأغلبية جملوية أو مسطحة؛ عما أن النمط الحملوني كان شائعاً في الشرق بينما كان النمط المسطح أكثر شيوعاً في الغرب، على الرغم من تواجد اجملونات على التوبيت القرطاجية في أزمته لاحقاً. ولقد تواجدت التوابيت المونوليثية في أتিকা وقرطاج في القرن السادس لتفسح المجال من ثم، في أتিকা على الأقل، أمام التوبيت المبنية من الألواح الحجرية أو البلاطات في القرن الرابع كما عرفت أتিকা ذاتها التوابيت المسية من الحجر. أما التوابيت الحشوية فقد تواجدت أيضاً في بعض الفترات في كل من الشرق والغرب، وقد وجد ديلا تار بعضها في مقبرة سان مويك.

وليس للتواييت البسيطة، على الرغم من شيوعتها، سوى أهمية ضئيلة. وأغنياء فيبيقيا كانوا يفضلون التواييت المزخرفة. وأقدم هذه التواييت هو تابوت أحيرام، وهو تابوت من القرن الثالث عشر أعاد أحيرام استخدامه في القرن العاشر ولا يبدي شكل هذا التابوت أي تأثيرات مصرية. أما التواييت الطينة المزينة بشكال شبه إنسانية فكانت شائعة في لبنان والسوحل الفلسطينية في هذه الفترة وقبلها مباشرة، ولعلها كانت استيراداً فلسطينياً، أي إيجياً. ولقد استمر استخدام هذا النمط أيضاً خلال الألفه الأولى ومن حين لآخر، حتى في مستعمرات مثل مالطا

وبعد أحيرام ثمة فحوة في سلسلة من التواييت المزخرفة في الشرق إلى أن تصل إلى نابوتي تابنيت وابنه اشممنصر الثاني. وهذان كسا ملكين من الأسرة الصيدونية التي ينسبها الباحثون إلى اقرن السادس، أو إلى أواسط القرن الخامس، أو إلى 233 - 280 وكلا هذين التابوتين من البازلت الأسود، وهما مصريان تماماً من حيث الطراز أو الأسلوب، وتابوت تابنيت هو تابوت مُعاد استخدامه ولا يزال يحمل نقش المهيروغليفي لمستخدمه الأول، علاوة على نقش تابنيت الفيبيقي لحاص. أما تابوت اشممنصر فكان جديداً، ربما سُري من مصر. ومن ثم، فإن تابوت تابنيت وُجد في سرداب للموتى تحت الأرض احتوى أيضاً على أربعة نواييت مشهورة ذات طراز يوناني تعود إلى النصف الثاني من القرن الخامس وحتى الربع الأخير من الرابع ولا شك أن علينا أن نعيد التابوتين المصريين إلى حقة أقدم من هذه الحقبة، أي إلى التاريخ الثاني على الأقل من بين التواريخ الثلاثة المذكورة أعلاه، والأرجح أنهما يعودان إلى التاريخ الأول، على أساس افتراض أن تابنيت وشممنصر قد حكما كلاهما في اقرن السادس ق.م.

وتكمن أهمية هذين التابوتين في أنهما، شأن سواهما مما يشابههما، يبدوان كما لو أنهما يرستخان طرازاً لسلسلة من التواييت المرينة بهيئات شبه إنسانية سواء كانت من الحجر أم من المرمر، والتي استُخدمت في فينيقيّ ذاتها، وفي بعض المستعمرات العربية، وتغطي القسم الأعظم من القرنين الخامس والرابع، إذا ما حكمنا من خلال أسلوبها. ولقد وحدت هذه التواييت بأعداد كبيرة في صيدون،

وبأعداد أقل في كل من قبرص، وصقلية، وقادس أما في قرطاج. وهذا أمر لافت، فلم يوجد أي منها، ربما لأن لموصة كانت قد بطلت قبل أن يتمكن العنانون اليونان من عرس مهتهم هناك بعد الحروب الصقلية والحال، أن هذه التوابت ذات الأسلوب اليوناني - المصري كانت مستخدمة في الفترة ذاتها التي استخدمت فيها لأنماط اليونانية المخلصة المكتشفة في سرداب تاهيت.

ومع أن قرطاج لم تُفتح أبداً من هذه التوابت، إلا أنها قدمت أربعة توابت تجسيمية تعود إلى أوائل القرن الثالث ق. م وجدت في مقبرة سان موبيك ويظهر اثنان من هذه التوابت كهنة متحنين يحملون صُحيفات، في حين يُسدي تانوت آخر، وهذا أشدّ لفتاً للانتباه، عن هيئة أنثوية، لعنّها كاهن، على رأسها وشاح، وتتردي ثوباً جلياً فضفاضاً، وتحيط بها أحصنة الطيور (نسور؟) لتي تشي على ذاتها أمام الحسد. وهي تحمل حماسة بيده اليمنى وحاسمة بيده اليسرى أما فوق وشاحها فتمة رأس صقر، مما ينم عن تأثيرات مصرية، مع أن الزيّ والأسلوب العام هيلينستياني. ومعنى هذه الهيئة هو محل شك فقد رأى معظم الذين تناولوا هذا الأمر أنها كاهنة أما سكار فقد رأى أنها إلهة وإدانا كان المقصود منها هو أن تمثل الميسة المسحاة في التناوب، فإن في ذلك مبالغة زائدة، لأن العظام في الدحل هي عظام حيزبون درداء بأنف كبير معلطح ولكير باتتين، وهي من أصل إفريقي بل رجعي ربما ولقد اشتمل الصريح ذاته على كل من هذه الكاهنة الطائر واحد لكهنة، على هيئة زوج أو ثنائي أما التانوت الرابع في هذه المجموعة فهو تانوت سيدة مرتدة كما كاب الثياب التي توضع على تماثيل الدهن العادية. ولا بد أن هذه لتوابت جميعاً قد كانت عملاً يونانياً. أما لكي يرى ما كان عليه الحث المحلي في تلك الفترة، فلنا نلجأ إلى تابوت خمر من مقبرة سان موبيك حثت على نحو فط في حجر حيري محلي مع صورة أمامية مسطحة لراب (Rub) قرطاجي بيل، اسمه نعل شلّيك يتطلع إلى العالم كله مثل تماثيل نحاسي من القرون الوسطى

عادة ما كان الدهن الفينيقي، شأن معظم الدهن الوثني القديم، يشمل على دهن أشياء مع الميت. حيث يمكن لهذه الأخيرة أن تكون أوعية فخارية أو معدنية

لحمل الطعام والشراب، وأوعية خشبية، أو خرفية، أو زحاحية صغيرة للعطور، ومواد نجميل وما شابه فضلاً عن الأمشاط، والملاعق، والسكاكين وسواها من أدوات الزينة وغيره من الاستخدامات، وكذلك المصبيح كما كانت تدعى أيضاً مواد أخرى مثل املاس، أو لدنارات (مع أن هذه لم يبق منها ولو شذرة إلا في حالات نادرة جداً)، والمجوهرات، ودبابيس الشعر، والتمائم، والعقود وأشياء أخرى مما كان يمكن للمسحج أو المسجلة أن يرتديه فضلاً عن النعود (ما إن بدأ سككها)، والأقعة والتماثيل الصغيرة ذات الأهمية الشعائرية بل إن حشرات الجثث المحروقة في فناء تانيت غالباً ما كانت تحتوي على نصائم ومجوهرات صغيرة فضلاً عن مصباح صغير أو قدر صغير في بعض الأحيان. أم سرب الحرة فقد وجدت في بعض لحالات آنية للشراب وأشياء أخرى. وقد احسب محرق عثليت على أشياء كثيرة من هذا النوع، شأنها شأن المدافن الأقدم في غير مكان، كيببوس مثلاً. أمّا المدافن الحاوية على توابيت في صيدون فلم تقدم سوى القليل من الأشياء المرافقة، إذا استثنينا زهرة المرهم لكن لقي القبور في قرطاج وغيرها من المواقع الغربية كانت أكثر شيوهاً بكثير. والحق، أن جميع الأشياء القرطاجية في متاحفنا تكاد تكون آية من المدافن وما كُنّا لسلم الكثير عن المخار وسواها من الأشياء التي استخدمها الفينيقيون في حياتهم اليومية لو لم تكن هذه الأشياء توضع في المدافن. ومن الجدير بالذكر أن القصور القديمة، في جميع المواقع الفينيقية، قدمت مكتشفات تفوق بكثير مما قدّمته القبور اللاحقة فالقبور القرطاجية هي القرنين السابع والسادس كانت، بوجه عام، أغنى من تلك التي تعود إلى القرنين الخامس والرابع. وحين نصل إلى السروات الأخيرة من حياة المدينة القرطاجية، فإنّ كلاً من القصور وفناء تانيت يندى عن فقر سسي، وعن عاب الاهتمام بنفاق قدر كسر من المال على لموتى<sup>(\*)</sup>

**Donald Harden**

(\*) تمت ترجمة هذا البحث من كتاب:

Donald Harden, 'The Phoenicians', Pelican Book, 1971.

## ببليوغرافيا

- Schaeffer, C.F. A. The Cuneiform Text of Ras Shamra, British Academy, 1939.
- Gray, The Canaanite. No. 38, In Ancient Peoples and places, 1964
- Picard, G, Carthage, London, 1964.
- Picard, G – c, The life and death of Carthage, London 1968.
- Giutolis, V, Le Origin della Dea Tanit, Saggi Monografie, I, Palmero, 1970.
- Cotenau, G, La Civilisation Phenicienne, Paris 1949.
- Gsell, s, Histoire ancienne de L, Afrique du Nord, Paris 1913
- Warmington, Carthage, London. 1960.
- Moscatti, S, The World of the Phoenicians, London 1973
- Lagrange, M. J, Etudes sur les religions semitiques, 2. Ed. Paris 1905.
- Picard, G, C, Les Religions L, Afrique antique, Paris 1954.
- Dussaud, R, Les religions des Hittites et des Hourrites, Des Pheniciens et des Syriens, (Dussaud, R- Dhorme, E: Mana: Intord. A I, hist. des religions, I, Les Anciennes religions orientales, II: Paris, 2ed. 1949.

## الديانة الآرامية

تأليف Javier Teixidor

ترجمة: عبد الرزاق العلي

غير معروف متى ظهر الآراميون في الشرق الأدنى القديم. اسدلائل الأولى على آرام كاسم مكان وُجد في نقش لـ (نارام سن) ملك أكد في نهاية لألفية الثالثة قبل الميلاد، وفي بصوص ماري في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وفي أوغاريت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد. ولكن لا يمكن أخذها كبرهان على الوجود المبكر لمجموعة إثنية مستقلة. على الرغم من ذلك وأثناء الألف الأول لقب بعض الملوك الآراميون أنفسهم "ملك آرام". تميّز الآراميون بأسمائهم ولهجاتهم، الشيء الذي يفاجئ المؤرخ عندما يقاربههم بالأسماء الأكادية الموحدة من قبل، وباللغة المستخدمة في ما بين لهرين.

عُرف عن الآراميين أنهم سيطروا على مناطق واسعة من السحراء السورية وكذلك على طرق قوافلها في نصف الثاني من القرن الحادي عشر قبل الميلاد، ونجحوا في تشكيل تحالفات مهمة في سورية الشمالية، وحول دمشق، حيث سادت اللهجات الآرامية شفاهة وكتابة، وانتشرت الدويلات الآرامية على المنعطف الكبير للفرات، وعلى الحاور الأعلى والأدنى، وفي الشمال السوري الداخلي في شمال وأرباد وحلب وحماه وتأثيا بعض المعلومات عن الآراميين من مصادر توراتية والتي تنصّ على أن داوود قد هزم (هدد عزر) في آرام صوة قرب حماه الحديثة. وقد وصل نفوذهم السياسي إلى جنوب عمود عبر الأردن نتيجة التفاعلات المستمرة بين يهوذا وإسرائيل التي ساعدت على بهوض دمشق كقوة آرامية في سورية. من جهة ثانية لم يسمح الآشوريون نهديد نفوذهم في الشرق الأدنى. مهما يكن فإن آشور بصر بال الثاني (882 - 859 قبل الميلاد)

وشلما نصّر الثالث (858 - 824 قبل الميلاد) أحصعا انولايات الآرامية في سورية الشمالية. وحول تجلات فلاصر الثالث (744 - 727 قبل الميلاد) دمشق إلى مقاطعة آشورية

حافظ الآراميون رغم هزيمتهم على مستوى لغتهم، وأصبحت آلهتهم التي دعوا إليها ونصوصهم الدينية تعطي كامل سورية، وبقيت هكذا إلى القرون الميلادية الأولى. لم يشوئ الحصور الحاشد للقبائل العربية (التابعة للفرس والتابعة للإغريق والموجودة في فلسطين الجنوبية وحوذان ودمشق والصحراء السورية وحتى في سورية الشمالية) طرق العيش التقيدية والعبد، لأن انقادمين الجدد قد نشوا ثقافة ولعة الآراميين وأي تحليل للديانة الآرامية يجب أن يأخذ في الحسان كل النقوش المكتوبة - لأرامسة، من النقوش الأولى في القرن التاسع قبل الميلاد حتى القرون الثلاثة الأولى الميلادية (النقوش المأخرة مكتوبة بالسرانية وهي لغة أصلها آرامي وما رات تعكس تأثير العبادات الوثنية القديمة في سورية الشمالية).

### عبادة حدد وسن

وحد نقش ثنائي اللغة (أكادية وآرامية) عام 1979 في تلّ لمخارية قرب تلّ حلف على الحدود بين سورية وتركيا، يرفع فيه "حدد يسي" حاكم سبكانو وعورانو امتاناه إلى حدد سبكانو وكلّ من النصّ امكتوب والقرينة التاريخية يرجحان أن المصوثة التي نقش عليها لنصّ، وهي تمثال بالحجم الطبيعي للحاكم، تعود إلى النصّ الأول من القرن التاسع قبل الميلاد وهذا أقدم وأهم نصّ وحد في الآرامية حتى الآن، وذكر لاله حدد (في الأكادية آداد) هنا يصبح ذا أهمية قصوى في تاريخ عبادته بين آراميين.

يُمجّد حدد في كلتا اللغتين في صيغة عالماً ما تستخدم في تمجيد آداد في النقوش الأكادية في بلاد ما بين النهرين ويُلقب لاله بـ "مفتش مياه السماء والأرض" والذي يسكب الخصب ويمسح المرعى والحقول الندية إلى كل اسلدان"، وهدد هو الذي يمدّ الآلهة، إخوته، بالسكينة والرزق "هو ربّ

سيكانو العظيم، "إله رحيم"، ربّ تصعه خصائصه الإلهية فوق الآلهة الآخرين وتجعله للبشر إلهاً للعاصفة وإلهاً للطقس.

على الرغم من مرله آداد الدنيا في ناثيون ما بين النهرين، والتي لا تقارن بتفوق نظيره في سورية الشمالية وبين الآراميين عامة، فإن اسمه يظهر كاسم مركّب لبعض الأسماء السامية الشخصية ممّا قل العهد السرجوبي وبعد عهد سرجون أكاد (آخر الألفية الثالثة قبل الميلاد) وحفيده نارام س، حمل الحكّام الساميون الأوائل الذين أسسوا إمبراطورية في أراضي ما بين النهرين أسماء مركبة مشابهة أصبحت تتردد غالباً المفردة آدو (آداد/ حدد) تردّ غالباً في الأسماء الشخصية في منطقة ما بين السهرين السورية وتظهر رسائل من ماري على الفرات الأوسط شعبية الإله في بداية الألفية الثالثة قبل الميلاد.

وُحد تمثال ضخم لـ حدد في عام 1890 في قرية تقع على شمال الشرقي من زنجيريني (تركيا)، وبحسب النقش لمحفور على النصب الذي شيده الملك بانامو، ملك يادي (شمال في زنجيريني) يعترف بانامو أن نفوذه الملكي مُستمد من حدد. وعلى الرغم من أن بانامو لم يكن مديناً فقد منح ابنه اسماً سامياً هو مارسور، ومجدد الآلهة السامية في نقشه. وإلى جانب هدد في النص، يوجد كل من إيل الإله السامي المعبود في أوغاريت وكنعان، ورشف الإله السوري القديم إله الصاعون والعالم السحي ولكن أيضاً صاحب البحر (ويقادله نرحال في بلاد ما بين النهرين، وابولون عند الإغريق)؛ وراكب إيل الذي يُفسّر اسمه بـ (سائق مركبة إيل)، وبذلك يغدو بقياً ملائماً لإله القمر، حيث يمكن تخيل الهلال كقارب يبحر عبر السماوات. (معقوبة هذا التفسير تتوضح بذكر شمش على النقش، إله الشمس، مباشرة بعد راكب إيلو وكأد القصد أن يظهر الجرماد السماويان وقد شكلا موكب حدد)

وتعترف على سلالة نامو من نقش آرامي آخر مكتوب على تمثال أقامه الملك نار - راكب لوانده بانامو الثاني، روى الملك فيه حياة والده للسياسة وكيف أنقذه حدد من اللعبة التي حلت بسلالة عائلته. واتّباعاً لتقاليد العائلة الدينية

كان يبتهل بار - راك إلى حدد وراكب إيل إله سلالة ملوك شمال وشمش ويقش بعد عدة سنوات نصاً آخر بجانب نحت نافر يمثله بالري الآشوري قل فيه إنه "نتيجة لاستقامة والدي واستقامتي فإذا ربي راكب إيل ، وسيدي تجلات فلاصّر نصّلتني على عرش والدي". وعلى نحت نافر آخر هي حران شمال شرق ما بين النهرين ، أعلن الحاكم بعسه عن إيمانه بإله القمر بتصريحه أن ربه هو بعل حران.

وكان بعل إله القمر في حران معروف باسم سن والدي هو تطوير لاحق للاسم به القمر لرفديبي "سوين" ويبدو أن الأكاديين هم الذين أطلقوا اسم إله القمر في سومر الجنوبية ، حيث قرّن سوين بإله القمر السومري نانا ، إله مدينة أور التي انتقلت منها عبادة إله القمر إلى حران مع البدو الأراميين الرحّل. اكتسبت عبادة إله لقمر شهرة وسعة في حران وعسر إليم ما بين النهرين السوري ، ولكن النقوش الآرامية تصوّر أسوب منوعاً للحياة الدينية في هذه الأراضى : حجارة دفن منقوشة لكاهنين لإله القمر اكتشفت في النيرب (جنوب شرق حلب) ويعود تاريخها للقرن السابع قبل الميلاد ، تكشف أن الكهنة حملوا أسماء أكادية مركبة تحتوي في أحد شطريها على الاسم سن ، ولكنهم عدوا هذا الإله تحت اسم اسامي الغربي "سهر"

أصبح إحصاء الشعب الآرامي لإله القمر (تحت كلّ الأسماء) معلماً بارزاً للتدّين في سوريا الشمالية ، ولا سيما عندما خضعت المنطقة للحكم البابلي بعد تدمير الامبراطورية الآشورية في نهاية القرن السابع قبل الميلاد ووطّن نابو سولا صرّ (625 - 605) ونبوحد نصرّ (604 - 562) البابليين في البلدان المتعددة التي أخصعوها. وعرف الدين فترة ازدهار في ظلّ حكم نابو يبدو آخر ملوك بابل حيث أعاد بناء الـ "إلهول" حرم سن في حران والدي دمره الميديون عام 610 قبل الميلاد عندما سحقوا البقية الآشورية في المدينة. ومن كلمات نابو يبدو نفسه وكلمات أمّه ، كاهنة الإله في الحرم ، أن سن هو ملك الآلهة. وباستثناء الملك الآشوري آشور باتييال (866 - 627 قبل الميلاد) الذي نصب بعسه على حران ، وسو نبدو ، لم يُعرف عن ملك آشوري أو بابلي آخر أنّه منح ربّ حران هذه الصفة والتي كانت تمنح إلى الإلهين آشور ومردوك

هالك ما يرحح وجود صلات دينية بين الآراميين في حوران والقائل العربية في ديدان وتيماء في شمال الجزيرة العربية. ويذكر أحد المصادر المتعفة بإحضار الولايات الآرامية لسيطرة الملك الآشوري آداد نراوي الثاني (911 - 891 قبل الميلاد) وجود ثلاثة مشايخ تيمائيس في المنطقة، كما أن الإقامة الطويلة لـ ساسو يبدو (والمحتمل أنها لدافع ديني) في تيماء لا يمكن إلا أن تقوي هذه الروابط. وتشت النقوش الآرامية من القرن السادس قبل الميلاد والمكتشفة في تيماء صحة هذا، حيث اكتشف غالباً رؤوس ثيران مع النقوش، وهذا يبدو أنه يدبر على وحود عبادة القمر بين الشعوب المتكلمي الآرامية في الصحراء العربية.

### تحالفات الآلهة:

بدون النقوش القليلة التي تزودنا بالمعلومات عن الديانة الآرامية أثناء القرون الثامن والسابع والسادس قبل الميلاد المشاعر الدينية للطبقة الحاكمة فقط. ولم يكتشف أي إشارة تدل على الحياة الدينية للعامة في الحليل النهائي من دراسة ديانة الشرق الأدنى القديم تصل إلى وضع ترتيب للأسماء الإلهية، ولكن مع بعض اللمحات العابرة لما يجب أن يعنيه الإله المذكور بالمفهوم الحسي وكانت تحالفات الآلهة من أصول مختلفة شائعة في النصوص المنقوشة، ولكن من المحتمل أن تكون هذه التحالفات قد قمت نتيجة اتصالات سياسية حيث أن قبائل وجماعات مختلفة سوف تتهل إلى آلهتها الخاصة من أجل أن تضم عهودها المشتركة. وستحق التفاتة خاصة في هذا المجال

(1) نصب لملك زاكور

(2) المعاهدات المعقودة من قبل متع إيل ملك أرباد الآرامي

كان زاكور ملكاً على حماه، ولو عاش (في محيط حماه الحديثة) وقد وصلت البراعات في هذا الجزء الغربي من سورية إلى حد ما ساوي في بداية القرن الثامن ق م ويحبرنا النقش أن زاكور، وهو مغتصب للعرش، قد أقام نصباً له إله، ليحر عن امتنانه له بعل شمين لمساعدته له على التخلص من أعدائه الآراميين الكثر ويص النقش على أن زاكور رفع يديه إلى الإله بعل

شمش خاطبني بعل شميم عبر العرّافين والرسل وقال بعل شميم لي لا تجزع لأنني أما اندي بصبتك ملكاً".

إذا كان الأمر كذلك فمن غير الواضح لماذا أُقيم لعبس ل(إل وير) وليس ل(بعل شميم). وذكر الإلهاء مرة ثانية معاً بالإضافة إلى شمش وسهر على لوجه الأئمن من النصب وإل وير هو التهجئة الآرامية للاسم الرعدي إر مر، إله العاصفة الذي صادف أنه تمثّل في هدد. أما بعل شميم (في الفينيقية بعل شميم) فهو بعت يعني "رب السماوات" والذي كان يُستخدم في نقوش الشرق الأدنى لتقديم لتسمية الإله الأعظم لأي بانتون محليّ. وقبل العهدس الإغريقي والروماني كان يُعبد هدد ويعر شميم/ بعل شميم من قبل جماعات إثنية مختلفة؛ فقد عبر الآراميون هدد في سورية الداخلية وعبد الفينيقيون بعل شميم على ساحل المتوسط. ويمكن أن يكون المقصود من تحالف إله السماوات العسقي مع إل وير/ حدد في نقش زكور هو نوع من الإجراء لسياسي ليكسب الملك إلى حاشه تحلف بعض الشعوب الغربية.

تشير المعاهدات الموقعة بين الحكام الآراميين إلى الدور الفعّال الذي كانت يلعبه الآلهة في الحياة اليومية، حيث إن الآلهة مدعوون دائماً ليشهدوا على توقيع المعاهدات، ولتحل لعنائهم السماوية على أي انتهاك لوثائق عقد متع إيل ملك بيت حوزي الآرامي (والتي عاصمتها أرباد وتبعد نحو تسعة عشر ميلاً عن حلب شمالاً) معاهدة مع آشور بيراري الخامس (754 - 745 ق. م) ولكي يؤمّنها ضد الانتهاكات المحتملة، دعا الملك الاشوري الآلهة أن تلعن متع إيل إذا ما اقترف إنثماً ضد المعاهدة" وتمّ مناشدة كل من سن وحدد بأسلوب خاص: أرحو من الرب العظيم سن والذي يقطن في حرّاد أن يُلْفَح متع إيل وأولاده وموظفيه والناس الذين في أرضه بلخدام كعباءة، ويتوهون في السلاذ المفتوحة ولطردهم من رحمة أرحو من حدد أن يقصى على متع إيل وأرضه والدرس في أرضه نيحة الحووع والمافة والمحاعة حتى يأكلوا لحم آبائهم وبنائهم ويتلدّدوا به كما يتلدّدون بلحم حراف الربيع وليحرموا من رعد آدا حتى يحرموا من المطر، وليكن العبار طعامهم والقطران مرهمهم وبول الحمير شرايهم. والأسل (القش) لاسهم، وليكن نومهم في رواب الجدران"

## الديانة الآرامية المتأخرة

لقد كن من نسيحة التعرض للتأثيرات الآشورية واسابلية امسنمر بالتقاييد الكنعانية، أن بنى الآراميون عبادات ومعتقدات أخرى. فقد احتلقت ديانات الآراميين ومعتقداتهم ولم يكن لهم شيء واضح خاص بهم. ويلاحظ الثاين في الديانة الآرامية بشكل أوصح في نصوص القرن الخامس ق م في مصر (ممفيس وجزيرة القيلة وسوان) حيث استقرت جماعة من المهاجرين واللاحثين والتجار الناطقين بالآرامية، بالإضافة إلى مرتزقة يهود وآراميين عند هذا المجتمع الخلط حشداً من الآلهة. ثبين لنا انقوش من سنها الإله نابو والآلهة نابيت من بابل والأرباب الآراميين بيت إيس وعسة بيت إيل، وملكت شيمين (ملكة السماء) ويظهر الإله بيت إيل في اسمين لرتين احرين لا يقلال شعبية، هما إشم بيت إيس (اسم بيت إيس) وحرَم بيت إيل (حرَم بيت إيس)

ويتجلى في هذه الوثائق التوافق الدينى الذي رعاه الآسويون في المجتمع المصري الذي كان تحت سيطرة الفرس، حيث عاش لإغريق والصقليون والفينيقيون واليهود والسوريون معاً ويظهر هذا التوافق من خلال القسم الذي يقسم به ليهود بالآلهة المصرية والآرامية (بالإضافة إلى القسم بيهود) ومن خلال الأسماء الآرامية الشخصية التي تكشف عن عبادة بعل وشمش ونرحال وأوتار، بالإضافة إلى آلهة المصريين

مع ذلك لا شيء معروف عن ديانة الآراميين الذين عاشوا في مصر. وكان على المؤرخ أن ينتظر حتى محيء العهود الإغريقية و لرومانية كي يُكَم تكامل المشهد، حيث تمدن النقوش السامية والإغريقية بالوثائق لازمة للديانة السورية. في العموم، فإن الديانة في الشرق الأوسط لم تكن حاضعة لتحدي الفكر التأملّي والفدي الذي أثر على الحياة ليومية في بلاد الإغريق في ذلك الزمن، حيث لا تعكس المحوطات تأثير الأنماط الحديثة

تدو اديانة السورية والميتقية أكثر ترابطاً أثناء الاحلال السلوقي في القرن الرابع قبل الميلاد وتظهر عبادة الإله الأعظم أب كانت اسماءه (بعل، بل،

حدد، نعل شمين) أكثر توحداً ومن المحتمل أن هذا حصل بعد عبادة زيوس من قبل الملوك المحدد. ومن كفر يوسف قرب نرلمايس (في الوقت الحالي عك) ظهر لوح من الحجر الجيري من القرن الثاني قبل لميلاد يحمل نقشاً إغريقياً نقرؤه كالآتي "إلى حدد وأثر حانس الإلهين للدين يصغياد إلى المصلي ديودوتس ابن نيو توليموس، بالبابا عن نه وفيينا زوجته والأطفال وقد كرس هذا المذبح وفاء بندره. في هذا الوقت أحى هدد هويته تحت أسماء مختلفة. في هيلبوليس (نعلبك حالياً) أصبح جويتر هيليو بوليتانوس، وفي دورا أوريوس، زيوس كوريوس، وفي الطيب قرب تدمر استخدم لقب زيوس ميغستوس كرونيوس لبل شمس وذلك في نقش إغريقي تدمري من عام 134 ميلادي يكشف أحد أهم صفات حدد المعروفة (الرعاد)، وصف تقليدي لسياده الإله على المطر والزراعة وهذا يُعبّر عنه بشكل مختلف في حوران تحت اسم (ريوس ايبكاريوس) (حالب الفواكه) والموجود في الهيكل الإغريقي في بصرى

وقد قد رحل الدين السوريون الفينيقيون انفسهم إلى أن يصوغوا فكرة الاعتقاد بسمو هذا الإله في مفهوم لاهوتي جديد وهو (لسموات الحادثة) وكان من المعروف أن يترع الإله، لكوني فوق مجرى الجوم، وبذلك كان ممثلاً بنقش محروس بمعاونين، (الشمس والقمر) وتقدم تدمر مثلاً جدياً على هذا الطور اللاهوتي في عام (32م) وفي الوقت نفسه الذي دشنت فيه العبادة في معبد بل، والذي كان الإله الوطني للمدينة والريف المجاور، قدمت نقوش تدمرية (بيل شمين) باعتباره "رب العالم" غير أن نقص الدليل الأركيولوجي والنقشي لا يسمح بهم متكامل لهاتين العبادتين المهمتين في تدمر من المهم أن نشدد على أهمية المواكب الطقسية، مثل التي كانت تقام في ناس بمناسبة رأس السنة، في دورها في توحيد العبادتين، ولابد أن يؤحد وجود معسدي بل وبيل شمين كدليل على أن هاتين العبادتين نتجتا عن التعايش بين جماعتين اثنتين مستعنتين أصلاً في المدينة

قدّم لشاط التجاري لتدمر لتي تقع على مفترق طرق انقو فل التجارية الرئيسية حواً سمحاً لأشكال من لتعبد التوافقي وفي الوقت نفسه فإن نني تدمر الاجماعية، والمظمة بطريقة قبلية، فرضب أنماطاً على كال الحياة الدبية في

المدينة. وتوضح أهمية الإله يرخون في الدور الذي لعبه عدته والدين ستقوا في جوار نع إفك في بداية الألف الثاني قبل الميلاد لقد تجاوزت سلطة يرخون، التي مارسها من خلال النوءات، منطقة إفكا على ما تدل عليه أسماء العلم، وتعاصر القسم باسمه، والأراضي الموهوبة لمعبده. ولم تضعف مسؤولياته الدينية أبداً طوال ناريج ندمر الكامل. وعدت جماعة قبلية أخرى الإله عجبيون إله القمر، وملك بل (ملاك بل) إله الشمس والنسبة للتدميريين الذين عاشوا في روم كان ملك بل هو سول سكتيسوس (الشمس الأكثر قداسة) ووصلت عبادة الشمس إلى درونها في روما في عهد الأمباطور السوري إيلجا بالوس (هيليو جابلوس)، ونتيجة لنشره عبادة الشمس نجح في دمج عبادة الأنطرة مع عبادة سول إنفكتوس (الشمس التي لا تقهر). وفي عام 274 ميلادي أصبح عبادة الشمس ديس الدولة في عهد أورليان. وانتقلت هذه الأنماط الدينية إلى غرب المتوسط من سوريا وعذكها الفلاسفة الرومان بحيث أصبحت الشمس الصورة الحاصرة أبداً للإله المدرك

كانت الرثات مشهورات في الناثيون الآرامي غير أن دورهم في الحياة الدينية لم يكن دائماً واضحاً لأن ملامحهن الشخصية غالباً ما كانت ضبابية في النصوص ولم تبلى عبادة أثارجاتس، والتي هي عند الآراميين الربة بامتياز، المستوى الذي بلغته في هيرابولس (منبع حالياً) وبحسب لوقيانوس (في كتابة الربة السورية 33 - 47) فإن تمثالي هدد وأثار حاتس كانا يحملان إلى البحر في مركب مرتين في السنة، وكان يأتي الناس إلى المدينة المقدسة من كل أنحاء سوريا ومن الجزيرة العربية وحتى من وراء الفرات وفي نقش بارز من دورا أوروبس تظهر أثارجاتس وزوجها يجلسان حباً إلى حب، ولكن أثارجاتس المحاطة بأسديها أضخم من حدد وتمثلت، حدد المميزة (الثور) بمستوى أصغر من الأسدين وكما الحالة في هيرابولس فإن عظمة إله الطفقس قد غطت عليها شعبية شريكته الأنثى. ويمكن أن نشاهد اليوم الرمر الأعظم للإلهة في تدمر على لوح من الحجر الجيري الضخم في معبد سن. وعلى اللوح يبدو بل في عرته بها حم وحشاً، وتشهد على القتال ست ربّات إحداهن أارجانس التي عرفها من حلال السمكة عند قدميها، تقليد فني مرتبط بأسكالون حيث صور أثارجاتس كحورية بحر

أثناء العهود الإغريقية الرومانية اتخذت الإلهة العربية اللات بعض صفات الربات الأحرىات، يظهر في المنقوشات التدمرية مثل أثينا الإغريقية وأتارجاتس السوريه تم التنقيب عن حرمها في السعنيات من القرن لعشرين والذي يوحد بجوار معبد بل شمين، وتضيف هذه الحقيقة ميرة خاصة إلى الحي الغربي من المدينة، حيث استقرت القبائل العربية أثناء القرن الثاني ق م واكتشف نقش إغريقي حديث في هذه المنطقة يساوي اللات بأرتميس يُبرز هذا الوجود المتعدد الأشكال للات تأثير الكير للقبائل العربية على الشعوب الناطقة بالآرامية في الشرق الأدنى مهما يكن فقد استمرت التقاليد الآرامية وحكم إقليم ديس (أورفه حالياً) الذي سماه الإغريق أسرهوني من قبل سلالة من أصل عربي من العام 132 ق م ولكنه بقي مموحاً على التأثيرات الثقافية القادمة من تدمر والقدس واديابن وعلى الرغم من وجود المستعمرين المقدونيين وعدة قرون من النشاط لتجاري مع العرب والشرق الأقصى فإن العبادات التقليدية بقيت حية

وفي بداية لعصر الحديث أصبحت موفاتار هارابسي، نحو خمسة وعشرين ميلاً شمال شرق حران، المركز الديني المكرس لعبادة سن

## التواصل مع القوى الغيبية

كان لتفتيش أحشاء حيوانات القرابين لأغراض العرافة شعبية كبيرة في منطقة ما بين النهرين. ومؤكد هذا من خلال مجموعات العال الموجودة وقد انتشرت بالتأكيد هذه التقنية من التواصل مع القوى الخارقة على امتداد سورية وفلسطين من جانب آخر فإن مفسري الأحلام والعرافين أصبحوا عصباً أساسياً في الحياة الدينية الآرامية، وقرأ في النقوش الآرامية عن الملك سامو الذي أقدم مثلاً لحدد بناء على طلبه، وعن الملك راكور الذي أعنه بل شمين عن العرافين والرسل

خلال العصور الإغريقية الروميه كتبت نصوص بين لحين والآخر بلهجات تدمر وحترا (قرب الموصل) وسوماتا هراييسي (سحوا أورفه في تركيا) لتشير أيضاً إلى معابد وتمائيل أقامها أفراد بناء على طلب الآلهة.

على الرغم من أن النصوص الأرامية من كل الفترات تذكر أسماء آلهة متعددة، وبين الحين والآخر تنقل الصوت لتي يوجهها الأفراد إلى الآلهة، فإن المادة المكتوبة نادراً ما تقدم دليلاً على الإيمان بالآخرة. وتؤكد النصوص الخاصة بالدفن على حرمة القبر، إلا أن هذا يُعد شأناً إنسانياً كونياً. النقش الرائع المكتوب على صريح أحد كهنة النيرب في بداية القرن السابع ق. م هو مثال جيد على هذا الشأن:

"مي جاباري، كاهن سهر في النيرب. هذه هي صورته. بسبب من استقامتي في صريقه فقد منحني اسماً صالحاً وأمدني في أيامي وفي اليوم الذي مت فيه لم أحرم من الكلام وبعمي تمتعت بالأطفال من الحبل الرابع. بكوا عليّ وكانوا منذهلين بشده لم يصعوا معي أي إناء من الفضة أو البرونز. مددوني في كمني لثلاثين شهراً وناووسي في المستقل أياً من تكس أنت الذي أحطأت بحصي وسرقتني، فليُمنك سهر ونيكال ونُشت ميةً بئسة ولهلك دريك".

يطلب النقش الملكي لـ بانامو الأول ملك يادي، والمنقوش على تمثال حدد، من الابن الذي سوف يمسك الصولجان ويجلس على عرش بانامو، أن يقدم الأضاحي لـ حدد ويقول النقش: "فلتأكل روح بانامو معك، ولتشرب روح بانامو معك لكن هذا النص شيء غير معهود. فهذا الإقليم الكيليك الذي كان بانامو ملكاً عليه لم يكن أرضاً سامية أبداً. ولذلك فإن لنقش الآر مي يمكن أن يعبر عن عقائد ليست سامية. لا النصوص الأرامية من مصر ولا النقوش التدمرية تكشف عن أحوال الموت والآخرة ويحجم هذا الصب على تدمير خاصة، حيث شاب النقوش المتعلقة بالدفن تقدم اسماً مختصراً للمتوفى، بطريقة متكررة تقريباً، ويبقى المؤرخ ميلاً إلى الاستنتاج بأنه التدميرين لم يكن لديهم أدنى اهتمام بالآخرة<sup>(\*)</sup>

Javier Teixidor

(\*) تمت ترجمة هذا البحث عن:

Mecia Eliade, Ed, Encyclopedia Of Religion, MacMillan, London, 1987

## ببليوغرافيا

Abou - Assaf, Ali, Pierre Bordeuil, and Alan R. Millard. La ststue de Tell Fekherye et son inscription bilingue assyro - arameenne. Recherche sur les civilisations, etudes assyriologiques, no. 7 paris, 1982.

Drijvers, Han J. W. Cults and Beliefs at Edessa. Etudes preliminaires aux religions orientales dans l'empire romain, Vol. 82 Leiden, 1980.

Dupont Sommer, Ander. Les Arameens. Paris, 1949.

Gibson, John C. L. Aramic Inscription, vol 2 of Textbook of Syrian semitic inscriptions, Oxford, 1975.

Greenfield, Jonas C. "The Zakir Inscription and the Danklied' In proceeding of the Fifth World Congress of Jewish Studies, vol. I. Jerusalem, 1971.

Greenfield, Jonas C. "Aramic Studies and the Bible" In Vetus - Testamentum Supplement, vol. 32, Congress Volume, Vienna 1980 Leiden, 1981.

Grelot, Pierre Documents arameens d'Egypt. Litteratures anciennes du proche - Orient, vol. 5. Paris, 1972.

Lambert, W. G "Nabonidus in Arabia" In Proceedings of the Fifth Seminar for Arabian Studies, Held at the Oriental Institute, Oxford, 22 and 23 September 1971 London, 1972.

Levy, Julius. "The Late Assyro - Babylonian Cult of the Moon and Its Culmination at the Time of Nsbonidus" Hebrew Union College Annual 19 (1945 - 1946): 405 - 189.

Malamat, Abraham. "The Aramaeans" In Peoples of old Testament Times, edited by D. j. Wiseman. Oxford. 1973.

Oppenheim, A Leo ancient Mesopotamia: Portrait of a dead Civilization. Rev. ed Chicago, 1977

**Porten, Bezalel.** *Archives from Elephantine: The Life of an Ancient Jewish Military Colony* Berkeley, 1968.

**Pritchard J. B., ed** *The Ancient Near East Supplementary Texts and Pictures relating to the Old Testament.* Princeton, 1969.

**Roberts, J. J. M.** *The Earliest Semitic Pantheon A Study of the Semitic Deities Attested Yk Mesopotamia before Ur III.* Baltimore and London 1972.

**Teixidor, Javier.** *The Pagan God: Popular Religion in the Greco – Roman Near East.* Princeton, 1977.

**Teixidor, Javier.** *The Pantheon of Palmyra. Etudes Preliminaires aux religion oriental dans l' empire romain Vol 79* Leiden, 1979

## ديانة إيبلا

تأليف: Paolo Matthiae

ترجمة: فراس السواح

### مقدمة:

قبل اكتشاف أرشيدف إيبلا عام 1974 من قبل البعثة الإيطالية برئاسة بالو ماتيه كان كل ما في حوزتنا من الوثائق الكتابية في سورية، والتي تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد، عبارة عن بصعة نصوص بذرية قصيرة منقوشة على تماثيل قديمة في معبد عشتار ومعبد نينزرا في ماري، إضافة إلى كسرة رقيم واحد في بيلوس، ودزينة من النصوص السومرية من ماري أيضاً وهي ترجع إلى العصر السومري الحديث وهذا ما رسخ الاعتقاد في الأوساط الأكاديمية بأن سورية لم تعرف الكتابة طيلة الألف الثالث قبل الميلاد، على الرغم من انتشارها واستعمالها الواسع من قبل الشرائع البيروطراطية في كل من مصر وبلاد الرافدين. ولكن اكتشاف أرشيف مدينة إيبلا الهائل، والذي يحتوي على ما ينوف على 16000 رقيم وكسرة رقيم محاري، قد غير هذه الصورة تماماً، ووضعها وجهاً لوجه أمام حضارة سورية راقية نشأت في واسط الألف الثالث قبل الميلاد، عاصرت عصر فجر السلالات في كل من مصر ووادي الرافدين، وكانت صمواً لهم في كل مناحي الثقافة والنمذ.

ولقد تبين من القراء الأولى للنصوص أنها قد كتبت بالقلم المسماري ابرافديني، ولكن لغتها تنتمي إلى اللغات السامية الغربية، فجرت تسميتها باللغة الكنعانية المسكرة. وهكذا فبحن مع إيبلا أمام عصر سوري يمكن تسميته بعصر فجر السلالات الكنعاني كان أول قارئ للنصوص الإيبلاية الاختصاصي الإيطالي بالحطوط القديمة جيوفاني يثينانو، الذي خرج على العالم بعد قراءه

متعملة لنصوص، بأن لنصوص إيبلا علاقة بأسماء اشخاص ومواقع ثوراتية. ولكن جامعة روما التي نرعى تنقبت إيبلا، سارعت بناء على طلب من المديرية العامة للآثار والمتاحف السورية بتشكيل لجنة دوليه لقراءة نصوص إيبلا مؤلفة من علماء يطلين وغير يطلين، انكبت على قراءة الرقم وفتدت كل مراعم بيتيناتو الذي فقد سمعته العلمية، واضطر أحياناً إلى التراجع عن كل أطروحاته في عدد من المقالات التي نشرها لاحقاً وفي هذ لصدد يقول باولو ماتيه في مقدمة كتبه الذي اقتبس منه هذه المقالة ما يلي:

إنه لما يؤلمي قيام دعاوى نشئة عن تخمينات بخصوص وجود صلاب مدعاه بين نصوص إيبلا وبعض الشخصيات وانقصص والأحداث الثوراتية إن الاهتمام لذي أثارته مثل هذه لدعوى التي لا تقوم على أساس هو أمر مهموم، ولكن ما يحب قوله بهذا الصدد هو أن الدلائل الوثائقية عنيها غير موحودة باتاً، والتخمينات بشأنها تجد أصولها في نصريحات غير مدعمة. والبعة الإيطالية لم توافق عليها".

لقد كتب وقبل بأن الأرشيف الملكي لدولة عيبلا يحتوي على ما يزيد وجود الآباء لثوراتيين، ووجود عبادة يهوه في إيبلا، وإشارات إلى مديتي سدوم وعمورة، ونصوص يحتوي على قصة الطوفان وهذه كلها بخرصات بلا أساس.

لقد أبانت مكتشفات إيبلا عن لغة جديدة وتاريخ جديد، وحسارة جديدة. وإن الشواهد التي تجمعت لدينا حتى الآن، وما زالت نشأ عن هذه المكتشفات ينبغي دراستها وتقييمها من وجهة نظر تاريخية حقيقية. وهذا ما تعمل البعة الإيطالية على تصفيه اطلاقاً من موقف علمي وأخلاقي وصادق"

تقع مدينة إيبلا القديمة في موقع تل مردوخ، على مسافة خمسين كيلو متراً إلى الجنوب من مدينة حلب. الحالية، شرقي الطريق المؤدي إلى دمشق وقد تحكمت خلال فترة إرهارها بكامل المنطقة الواقعة بين جبال طوروس شمالاً ومدينة حماه جنوباً، وبين الفرات شرقاً وسورية بالمجوفة غرباً.

قراى السواح

## ملامح الحياة الدينية في إيبلا

بظراً لاقتصاد الأرشيف الرسمي الإيبلائي، في جلد، على المسائل الإدارية، فإنه لم يتعامل بشكل خاص مع مسائل الحياة الدينية. ومع ذلك يمكننا الحصول على معلومات قيمة بخصوص ديانة إيبلا خلال الفترة التي دوّن فيها الأرشيف (أي مستوى مريدخ IIBI، فيما بين 2400 و2250 ق م) وذلك من موجودات قاعة الأرشيف L.2769 بشكل خاص، أو من بقية موجودات الأرشيف عامة. وهي تفيدنا في رسم الملامح العامة للحياة الدينية بمستوياتها المختلفة. فعلى المستوى الرسمي لدينا عدد من قوائم الأضاحي الواجب تقديمها للآلهة من قبل الملك وحاشيته، وهي تلقي الضوء على نواحي الحياة الدينية الرسمية وطقوسها المعتادة. وعلى مستوى الشرائع المتعلّمة لدينا رقم قاموسية وتعليمية جاءت من الرف الشمالي للأرشيف الرئيسي، بينها رقم تحتوي على نصوص أسطورية وعلى مستوى عامة، لدينا عدد كبير من أسماء الأعلام التي تحتوي في أحد شطريها على اسم إلهي، وهي تمثل على الأقل خمسة أجيال هي الفترة التي يعطيه الأرشيف، وتفيدنا في إلقاء الضوء على جوانب من الدين الشخصي.

يتميز الباشون الإيبلائي بذلك العدد الكبير من الآلهة التي تم التعرف على أسمائها من النصوص وعددها خمسمئة<sup>(1)</sup>. ولكن المرجح أن كثير هؤلاء الآلهة ورثس الباشون في إيبلا كان الإله "داجان"، الذي دعي في كثير من الأحيان بسيد البلاد، وهو لقب تقليدي من ألقاب الإله إنليل في بلاد الرافدين. والآلهة المماثلة له ويبدو أن لقب السيد أو الرب، كان أكثر استخداماً في إيبلا من الاسم الشخصي للإله داجان كما يبدو أن أشكالاً عديدة من الإله داجان قد عدت هـ،

---

(1) لما كانت الشعوب السامية مولعة بإطلاق الألقاب والصفات على آلهتها واستخدامها كدلل على الاسم الأصلي، فإن الرقم الهائل من أسماء الآلهة، الذي يورده ماتيه هـ، لا يبدو أن يكون ألقاباً وأوصافاً لعدد أقل بكثير من الآلهة الإيبلاية (المرحوم)

وهي على الأغلب آلهة محلية لمدن معينة. إن قائمة لقرايين المقدمة على الآلهة تتضمن من جملة ما تتضمن: "داجان كانا نوم" الذي تواجهنا صعوبة في تفسيره، على الرغم من أن البعض يترجمه بآله كنعان. ولكن مثل هذه الترجمة عليها أن تحل عددا من الصعوبات المتعلقة بالصوتيات، فـس أن نستطيع النظر إليها بشكل حدي وهالك صعبه كثيرة التكرار في النصوص، ويمكن اعتبارها دليلا عن اسم داحان، وهي "سيد للآلهة" وأحيانا "سيد النجوم" هذه الشواهد وأمثالها، تدل على أن داحان كان بمثابة كبير الآلهة، ورئيس الباشيون الإيلاني.

ومن الآلهة الرئيسية لدينا "رشف"، الذي صار اسمه "رشف" في أوغاريت، ولدينا "سبس" ويعادل "شيش" في أوغاريت، و"أدا" وهو "هدد الكنعاني اللاحق. و"عشتار" الحبة عن التعريف، و"كاميش" وهو الشكل الأقدم بـ "كيموش" إله مؤاب في شرقي الأردن ومن الآلهة التي تأتي في المرتبة الثانية، ولكنها كثيرة الوجود أيضا في النصوص، لدينا "أشثارو" و"عشيرا" اللتان ستعدوان إلهتين مهمتين في باشيون أوغاريت وغيره من مدن الساحل السوري، ولدينا مالك الذي يتصل بالملوكية، و"كاشلا" المقابل ربما لـ "كوثر" الأوغاريتي.

إن الخصائص المميزة للآلهة لإيلائية أمر من الصعب استنتاجه اعتماداً على وثائق الأرشيف الرسمي، ولكن من الممكن الإشارة بشكل عام إلى هذه الخصائص اعتماداً على الوثائق الراديوية المعاصرة وعلى المقارنه مع الثقافات السورية اللاحقة. ومن الممكن الحصول على بعض النتائج من المقارنة بين الآلهة الإيلائية والآلهة السومرية، اعتماداً على بعض اقوائم ثنائيه اللغة التي وجدت في قاعة الأرشيف L.2769، على الرغم من أن المقابلة بين الأسماء قد تكون لفظية بدرجة الأوبى، كما هو الحال في اسم كبير الآلهة لسومرية "أنليل" الذي يقابله "إيليلو" في الإيلائية ولكن هذا معظم الأسماء المترجمة في القوائم ثنائيه اللغة تلقي صوءاً على الآلهة الإيلائية، وتؤيد أن التفسير هذا قائم على التقاليد المتوارثة. فالإله رشف يعاقب مع الإله نرحال إله الحرب والأوبشة العتاكه، وشش يعادل أوتو إله الشمس

من الصعب علي أن نحدد بدقة دور وخصائص الإله داحان، الذي يُطابق مع الإله إنليل في بلاد الرافدين، وأحياناً مع أن. فمع بداية فترة التدوين خلال العصر الأكدي، براه في الوثائق الرافدينية كإله تقلدي لمدن نهر العفرات السوري فيما بين ترقي وتوتول وخلال عصر أسرة أور الثالثة يبدو أنه عد في "نورريش داجان" وفي "إيسين". ومن المرجح أنه كان إلهاً للحياة الزرعية، وأن خصائصه وطريقة تمثيله كانت قريبة من إله القمح في العصور الأحدث. ولعل السبب في مطابقته مع الإله إنليل هو دوره ككبير للآلهة في منطقة الشمال السوري والمنطقة الشمالية من بلاد الرافدين.

فيما يتعلق بالآلهة الأخرى الرئيسية، هالك "عشتار" انتي ربما تلعب هنا دور الإلهة الكبرى والإلهة الأم، وهذا ما يفسر معدلتها بإنانا في لقوائم ثانية اللغة الإيبلاية؛ وهالك "سبس"، وهو الشكل اسامي الشمالي العربي، وربما الأقدم، للإله "شمس"، وهو بالتأكيد إله الشمس، و"رشم" إله الحروب والأوشه العتاكه وبالتالي ينتمي إلى آلهة العالم الأسفل. ولربما كانت له خصائص أخرى ثانوية كإله للعاصفة. يلي هؤلاء وعلى درجة أقل من الأهمية الإله "أدا"، إله العاصفة الذي ربما اعترف في إيبلا ابناً للإله داحان، لأننا نعرف عليه بهذه الصفة في وثائق من شمال بلاد الرافدين تعود إلى العصر البابلي القديم.

على مستوى الحياة الدينية الشخصية، لعب الإله "دامو" على ما يبدو دوراً مهماً ورئيسياً وعلى الرغم من أن لا نعرف على اسم هذا إله في قوائم الآلهة التي تقدم لها القرابين، إلا أنه يرد بكثرة في أسماء الأعلام، وبخاصة في دوائر الأسرة الملكية التي حكمت قبل الاحتياح الأكادي لها نحو عام 2250 ق م ويبدو أنه كان الإله الشخصي الحامي للملك إيبريوم مؤسس هذه السلالة، وأنه إيسي شيبس على أي حال فإن شخصية الإله دامو تسمح له باتخاذ مثل هذا الدور ففي النصوص الرافدينية يظهر كإله للصحة والشفاء والعقابر، وبالتالي له علاقة بالسحر والتعازيم وعلى الرغم من أنه ينسب إلى الإلهة "نسينا" إلا أنه يظهر في الطقوس الرافدينية على صلة وثيقة بالآلهة "عولا"، وهي من أقدم آلهة الولادة الرافدينية؛ وعلى صلة أيضاً بالإله دوموري، هذا ما يظهر روابطه بالعالم

الأسفل ومن املت للنظر أن اسم الإله داجان لا يتكرر كثيراً في الأسماء الشخصية، على عكس آلهة أخرى مثل "أدا" ربما لتبونه مركزاً ممتدراً لأول مرة خلال فترة الأرشيف الملكي، ومثل الإله "مانك"، وربما لعلاقته بالملوكية

فيما يتعلق بالطقوس والعبادات، فإن أكثر ما يميز في هذا المجال هو لاتحة الآلهة التي تقدم لها لغرايين، والتي يوضح نوع وعدد القرابين المقدمة لكل إله، ومواعيدها، وشخصيات الناذرين، وهم الملك، والملكة، والأمراء، وأعضاء آخرون في الأسرة الملكية، وكبار موظفي الدولة والقرابين تقدم شهرياً للآلهة في معبدها المتنوعه من قبل من يقع عليه الدور من الناذرين وعلى الرغم من ندرة الإشارات إلى الكيفية التي كانت تطم بها الطقوس والعبادات، إلا أن بعض وثائق الأرشيف تقدم لنا إشارات بخصوص طقوس الكهان والمعابد القائمة في المدينة. ومنها نعرف أنه بجانب المعابد الرئيسية لداجان ورسف وعشتر وكاميش، كانت هناك معابد، أو ربما مقدمات لعبادة آلهة المدينة الأخرى مثل "داجان سومد"

ومنصوص الأرشيف، نعرف أيضاً أنه إلى جانب الغرايين الحيوانية، كان هنالك تقديمات من نوع آخر مثل لشرب والحرر وكذلك أيضاً تقديمات من بضائع عالية الثمن تأتي غالباً من القصر الملكي، بعضها تسليمات من ذهب وفضة تدخل في صناعة أثاث المعبد، أو في إنتاج موضوعات ندرية ذات قيمة عالية من ذلك مثلاً ما ورد عن تسليم عشر ميات من الفضة تمتاز داجان كنا نوم، وتسع مينات و36 شيكلاً من فضة لعربة محلتين لداجان توتون، وكمية غير معينة من الذهب لترصيع منصده وصناعة مزهريه، وذلك هبة من الملك إيبيريوم لداجان توتون

إن النصوص الأدبية في أرشيف إبلا، والتي تتضمن من جملة ما تتضمن نصوصاً ميتولوجية، وشذرات من راتيل وعبريم، تطلعتنا على سواح أرقى من تجليات الحياة الدينية الإبلاية، ولكن بينما تحافظ التعازيم ضد الحيوانات المؤددة، مثلاً، على معتقدات شعبية معرقة في القدم مصاغة بالأسلوب الأدبي اسائد نفسه، فإن النصوص الميتولوجية على ما يبدو كانت تتاح التأملات

اللاهوتية للشريعة الكهنوتية المتعصبة. وكلا هذين الحنسين هو سومري في أصله ولكن المثير للاهتمام هو إن الشخصيات الرئيسة في النصوص الميثولوجية هي شخصيات من البابليون السومري لا من البابليون الإيلاني، وذلك مثل إنكي وإنليل وأوتو وإنن. وهذا يدل على أن التقاليد الأدبية في عصر نصيح ثقافة إيبلا، لم تفصل حد إبداع أدب سامي شمالي عربي قادر على إنتاج ميثولوجيات تدور حول آلهة البابليون المحلي، وبقيت النصوص الميثولوجية المدونة في إيبلا مجرد ترجمات عن السومرية

إن ما توصلنا إليه حتى الآن يبقى ضمن الخطوط العامة الرئيسية لتدنياته الإيلانية، ولا يقدم سوى صورة محتزلة عنها. ومع ذلك فإن وثائق أرشيف إيبلا قد ألقت ضوءاً كافياً بقلد من مرحلة العموص الكامل، الذي أحاط حتى الآن بتدنياته السامية الشمالية الغربية في الألف الثالث قبل الميلاد، إلى مرحلة أدب ديني موثق، يقف على قدم المساواة، إلى هذا الحد أو ذاك، مع الآداب المعاصرة في وادي الرافدين خلال العصر الأكدي<sup>(\*)</sup>

**Paolo Matthiae**

---

(\*) هذا البحث مترجم عن:

Paolo Matthiae, Eblid, Hodder And Stoughton, London, 1980.



# الباب الثالث

## ديانات بلاد الرافدين



# أديان ما بين النهرين

## (إطلالة عامة)

تأليف · Thorkild Jacobsen  
ترجمة · محمود منقذ الهاشمي

### نظرة عامة

في القديم كان اسم "ما بين النهرين" هو الاسم الذي أطلق على البلد الذي يدعى الآن العراق. وقد شكّل جزؤه الشمالي، في أسفح حط وهمي يسير من الشرق إلى الغرب قليلاً إلى شمالي بغداد الحديثة، آشور القديمة، التي تضم مدناً هي "اشور" (حديثاً قلعة شرعت)، التي كانت العاصمة القديمة، و"كالح" (نمرود)؛ و"نيسوى" (كويشدجيث)، التي ظهرت فيما بعد، خلال عصر الإمبراطورية الآشورية في الألف الأول قبل الميلاد. ويتألف البلد من سهول متموجة تقوم على قاعدة من الصحور ومعدل هطول الأمطار فوق جبل المنطقة كافٍ لرفدها بعلّة من محاصيل الحبوب ولهر الأكبر فيها هو دجلة، الذي يجتاز البلد من الشمال العربي إلى الجنوب الشرقي وكانت اللغة المنطوقة في الأرماني التاريخية هي الآشورية، وهي لهجة من اللغة الأكادية السامية، لها صلة قرابة بالعبرية والعربية

وكانت مملكة بابل القديمة، وعاصمتها بابل هي لجره الجنوبي من الخط الوهمي المذكور والبلد هنا سهل حقلي منبسط، ومعدل هطول الأمطار أقل من أن يسمح بغلّة من محاصيل الحبوب ولذلك يعتمد البلد في زراعته على الري الاصطناعي. وفي قديم الزمان كانت تقاطع هنا شبكة هائلة من الأنهار والأقنية، ولهذا فالأمطار حين تهطل تكون كافية لسمية مرعى من الأعشاب والحشائش في

الصحراء خلال موسم الرعي القصير في الربيع. وكانت اللغة المنطوقة هي اللهجة البابلية وهي إحدى لهجات اللغة الأكادية

ولم تكن السميّتان "آشوريا" و"مملكة بابل" ماسنتين إلا للآلف الثاني والأول قبل الميلاد، أو بدقة أكثر منذ حوالي العام 1700/ ق. م، حين صعدت لعصمتاك "آشور" و"بابل" إلى حالة البرور السياسي. وقبل ذلك الحين كانت آشور معروفة باسم "سوبارتو". وتآلف مملكة بابل من حزّين أساسيين. وكان سكان المنطقة الواقعة إلى شمالي الخصّ الوهمي نذي يسير من الشرق إلى الغرب قليلاً فوق نيبور (نمر) في الأزمنة التاريخية يتكلمون الأكادية، في حين يتكلم سكان المنطقة الواقعة إلى الجنوب من ذلك الخط اللغة السومرية، وهي لغة لا صلة لها بأي لغة أخرى أو أسرة لغوية معروفة وكانت المنطقة الشمالية معروفة بأنها "أكاد في الأكادية و أورى في السومرية، في حين أن المنطقة الجنوبية كانت تُدعى "سومر"، أو بعزید من الصحة، "شومر" في الأكادية، و"كينحیر" في السومرية

كانت عاصمة أكاد في الأرمات البكرة مدينة كاش (أحمر)، وبعد ذلك حلت محلها مدينة أكاد (لم يتحدد موقعها الأثري بعد) وكان يحترق لبند نهران، دجلة الذي يجري على امتداد مناطق النجوم، والفرات الذي يجري أبعد من ذلك نحو الغرب ولم يكن مجرى الفرات كما هو اليوم كان فرعه الرئيسي يجري قرب نيبور ثم شرقاً إلى شُرْبُك (مارة) فجنوباً إلى أوروك (وركاء)، وبعدها أرامّة (وفي الأكادة لارسا؛ والآن سنكرة) وأور (مُفِير) وبعد نيبور كان يمضي فرع متقوس، هو الأراحتو، في اتجاه عربي، حارياً يقرب بابل قبل أن ينضم ثانية إلى المجرى الرئيسي وكان فرع آخر يجري جنوباً إلى إيسس (يشان بحرية) وفي الاتجاه الشرقي كان فرع متقوس رئيسي، هو الإيتورونغال، يمضي حارياً قرب أدب (سنمديّة) إلى زابالام (بزيج)، و"أوما" (جوحا)، وبانبيرا (المدينة) قبل أن يلتحق ثانية بالمجرى الرئيسي في أرامّة وفي زابالام كان الإيتورونغال يرسل فرعاً إلى الشرق، ثم الجنوب، ليسقي حيرسو (تل)، ولاغاش (تل الحبيبة)، ونينا (زرعول)، وكان المجرى الرئيسي للفرات في جنوبي أوروك يرسل أحد فروعه جنوباً إلى إريدو (أبو شهرين).

وكما ذكرنا، كانت أكاد وسومر تعتمدان كليهما اقتصادياً على الزراعة القائمة على الري على الأغلب ولكن كانت توحيد كبدت اقتصاديات مهمة أخرى فقد كانت المنطقة حول أوروك وجنوباً على امتداد الفرات مشهورة، كما هو حالها الآن، بيساتين البلح، وكان رعي الخراف والبقر يوفر الصوف ومنتجات الألبان بالإضافة إلى غذاء اللحم؛ وكان صيد السمك وصيد البر مهمين على امتداد الأنهار في السبخ الجنوبية.

وكانت المدينتان الكبيرتان في سومر هما "أوروك" و"أور"؛ وفيما بعد صدرت "إيسين" و"ارامة" من المدن الكبيرة وكانت المدينة ذات الأهمية الدينية والسياسية المركزية هي "نيبور"، مقر الإله إنليل.

## التاريخ

إن أقدم استيطان لدب دليل عليه بلاد ما بين النهرين قد حدث في الشمال، في السهول التي ستدعى لاحقاً آشورياً وقد وُحِدَتْ فيها القرى الزراعية الصغيرة، المعتمدة أساساً على الرعي ولزراعة القائمة على لمطر، في أوائل الألف السابع قبل الميلاد وفي الجنوب، حيث مستشاً فيما بعد مملكة بابل، لم يبدأ الاستيطان إلا في الألف السادس، مع ما هو معروف باسم عصر العبيد. وكان الشعب الذي استقر ههناك يتشكّل على لأرجح من أسلاف شعب المنطقة الذي تكلم فيما بعد السومرية ويبدو أن استيطانهم كان في الأصل على شكل المخيمات المؤقتة والقرى الصغيرة نصف البدوية المستقرة على مسدود مجاري المياه. وكانوا يعتمدون على الزراعة القائمة على عزق الأرض وريها من جهة، ومن جهة أخرى على صيد السمك والرعي. وكان لكل قبيلة مركز ثابت، خريبة تُحفظ فيها لدخائر والأشياء الدينية التي لم يكن من المناسب أن تأخذها معها في تطوافها ويبدو أن هذه المراكز القبلية كانت بمثابة السوى للعديد من المدن والأماكن المقدسة اللاحقة، على ما يدل عليه أسماؤها.

استمر عهد الاستيطان الأول، عهد العبيد، طويلاً، وشهد قبيل انتهائه، شواء لمدن الأولى، التي توضع على حافة المستنقعات الجنوبية، ومن الممكن جداً

أنها قد دات بوجودها لاقصاديات المنطقة المتنوعة. الرراعة القائمة على الري، والرعي، وصيد السمك وصيد البر، وكان المستلزم المعوّل عليه في شوء لمدينة هو تسير الاقتصديات لتي تعرّز تجمع السكان في مكان صغير

من هذه المدن الأولى نذكر "إريدو" و"أور" و"أوروك"، وفي العصر التالي عصر أوروك، في أواخر الألف الخامس، كانت المدن قد نمت إلى حد أسا مستطيع حين أشرف العصر على بهايته رهاء العام /5300/ ق.م، أن تكلم أول مرة عن حصاره حقيقة، تميّز بالحث الديع، والعمارة الجليلة - والأهم من كل ذلك - باختراع لكتابة ونشأتها.

وفيما يتعلّق بالتكوينات السياسية التي كانت في طور النمو أنداك من المهم أن ملاحظ وجود مصطلح للدلالة على "المجلس العام" ورد في لصوص المبكرة، وهو "أوبكيس" وهذا المجلس ينتمي في أنموذجه السياسي إلى ما يُطلق عليه "الديمقراطية البدائية"، حيث كانت السلطة العليا تُقلد في اجتماع عام (مجلس عام)، يؤدي دور مجلس الشعب، بوصفه مجلساً تشريعياً، وبوصفه السلطة لمخوطة انتخاب الموظفين واصباط، كالمدير لاقصادي - الديني. الـ "إن" En. وفي أزمان الأزمة، القائد الحربي، الـ "لوفال" lugal، الذي كان يؤدي واجبه في حالة اطراريء فقط وقد ترك هذا الأنموذج أثره على الأساطير وصل حياً بوصفه ملمح الحكومة المحلية حتى الألف لثاني. وبوجد في عصر جمدت نصر وعصر السلالات الأولى اللاحق إحياءات بأن أنموذج الديمقراطية البدائية قد امتد من المستوى المحلي إلى المستوى لوطني مع تشكل عصبه من المدن - اندور على امتداد الفرات، كانت تتلاقى وتحتمع في نيبور. أما الظروف الخاصة التي حدثت بالمدن - الدول هذه لأن تنسى منافستها المحلية وتنصم إلى المجهود المشترك فليست معروفة على وجه اليقين، ولكن التحمين المعقول في الظاهرة هو أن الضغط القادم من الدول الأكاديين الغرارة من الغرب، الذي لابد أن يعود تاريخه إلى زهاء ذلك الزمن، كان من شأنه أن يشكل خطراً هو من الحضور والوصوح إلى حد يكفي لفرص الوحدة، على الأقل مدة من الزمن.

وأياً كانت الوحدة التي فرضتها الحاجة المشتركة إلى صد التقدم، الأكادي فإنها لم تستطع أن تدوم إلا قليلاً وسرعان ما أصبح عصر السلالات الأولى عهد الحروب بين المدن - الدول، التي تنافس بعضها مع بعض على رعاية البلد وكانت لمدية الأبوي التي حققت هذه المكانة هي "كيش" kish في الشمال، وحافظ حكامها على هذه المكانة مدة صريفة كافية لجعل لقب "ملك كيش" بمثابة مصطلح السيادة العليا على كل سومر وأكاد وبعد كيش، استولت على الزعامة مدن مختلطة أخرى، من "نرزه" "أوروك" و"أور"، وكانت دعامتها في هنرات أقصر، بصورة محفوفة بالمخاطر ومعرضة على لدوم للتحدي الناحح

تركزت أوضاع الحياة الحربية أثرها على نوع اراعمه لسياسية التي تطورت في ذلك الوقت، أي زعامة منصب الـ "en" والـ "لوجل" lugal، وكانت مهمة الـ "en" بالدرجة الأولى تحقيق الوحدة في حياة الجماعة وكان هو - أو كانت هي - يشارك بوصفه زوج ربة المدينة - أو روجه رها - في دراما الخصب لسوية المتعلقة بالزواج المقدس، وكان من خلال الموهبة الشخصية القيادية السحرية يدير شؤون المدينة بصورة فعالة، ويمكن للمرء أن يتحدث عن "الملك - الكاهن" أو "الملكة - الكاهنة" وكان اللوجل مختلفاً تماماً للاختلاف ويعني المصطلح "رئيس لأسرة العقيم"، وليس "الرجل العظيم" كم درجب لعادة على ترجمته. وهو في الأصل ابن مالك عظيم من ملاك الأراضي، يجري اختياره في المجلس اعدم لما لديه من بأس عسكري وخدم منزليين في بيته الموسع الأبوي، من شأنهم تشكيل نواة الجيش وقيادته العليا وعندما انتشرت الحروب في أواخر عصر أوروك - كان "الـ en" يُصغر، إذا أراد الاحتفاظ بزعامته، إلى الالتفات إلى قدراته على القيادة العسكرية، في حين كان "اللوجل"، لذي احتير في الأصل من أجل أمد الطوارئ، يميل إلى الاحتفاظ بمنصبه بصورة دائمة إذا صار التهديد بالحرب على هذا النحو. وهذا ما وسع صلاحيته لشمول المهمات ابدنية والإدارية والاقتصادية التي كانت في الأصل تخص الـ "en"، وهذا ما أدى غالباً إلى اندماج الوظيفتين، وكان لقب الـ "en" القديم مستمراً في "أوروك" ويكاد يقب "اللوجل" يكون هو المفضل في كل مكان سواه وهناك لقب جديد فرض

نفسه في أوائل عصر لسلالات الأوبي، هو لقب 'الإنسي' ensi أي "المدير لإداري للأراضي الصالحة للفلاحة" وكان يُشرب به إلى الموظف الذي يتولى أمور الخزنة، وحيوانات الجر في المدينة، التي تقوم في زمن الحرب بجرد جيوشها ولذلك فقد مال "الإنسي" لأن يغدو الرئيس السياسي لجماعته. أي حاكمها

في الأيام الأخيرة لعصر السلالات الأولى أفلح حاكم مدينة "أوما" في توسيع منطقة نفوذه لتشمل سومر وأكاد. وبعد حملة مخففة في الشمال هُزم واستولى على مملكته سرجون لأكادي (زهاء 2334 - 2279) حافظ خلفاء سرجون على سيطرة مرعزة على الجنوب إلى أن حققت هذه المنطقة استقلالها. في خلافة سرام - سين (زهاء 2245 - 2208). لا أن أكاد استمرت في ازدهارها، مستعدة ثراءها من موقعها على الطريق البرية الرئيسية من اسحر الأبيض المتوسط إلى إيران والهند، وهي طريق حافظ الحكام الأكاديون فيها على الأمن والطمأنينة باحتراس وبعث ثراء المدينة كان اسبب في الهجوم عليها من ائتلاف اللدان المجاورة، التي واجهها نرام - سين بلداً بلداً وهزمها جميعاً، وهكذا عاد إلى بسط السيطرة على كل بلاد ما بين النهرين. ولقد أرهبت هذه الانتصارات مواطنيه إلى حد أنهم ألغوه واحتاروه إله المدينة في أكاد وفي ظل خلفاء نرام - سين دخلت أكاد في طور الانحدار، وتولى السيطرة عليها مدة من الزمن العوتيون Gutians، وهم غيرة من الجبال الغربية، ثم هُزموا، وحرر البلد "أوتوهيغال" Utuhegal من أوروك، الذي حلفته سلالة أور الثالثة الشهيرة. إذن حكم هذه السلالة نشأ نظام إداري حسن التكامل، وأصبح حكام المدينة، الذين كانوا مستقلين فيما مضى، ساسة يعينهم الملك وهيئة من الموظفين المركزيين، وهم مسؤولون أمام الملك وأمام هذه الهيئة.

نهت السلالة الثالثة بالكارثة، إذ إن احتراق قائل الماردو Mardu، وهم بدو الصحراء الغربية، قد مزق الاتصالات وعزل الدول - المدن عن عاصمتها أور، التي فقدت السيطرة على كل المناطق باستثناء المنطقة المحيطة بها مباشرة. وفي الحال سقطت المدينة أمام قوة عازية من عيلام وسُلبت من دون رحمة، وأدن سقوطها بهاية الحضارة السومرية، ولو أن اللغة السومرية، بوصفها نافذة الثقافة والمعرفة، ظلت تُعَلَّم في المدارس

أعصت سلالة أور الثالثة سلالتيان عمّرتا طويلاً، هما سلالة إيسين وسلالة لارسا، اللتين اقسمتا البلد فيما بينهما، ثم استسلمتا على التعاقب لحموريابي البابلي (1792 - 1750 ق م) مؤسس المملكة البابلية الأولى التي لم تعمّر طويلاً وقد شتهر حموريابي بشريعته المعروفة واسمه شمسو - إيلونا Samsu-iluna في وقت متأخر من حكم شمسو إيلونا استقل حبوب مملكة نابل ووسطها من حديد، وفي هذه المرة تحت اسم "الأرض البحرية" وكانت تشمل مساحة المنطقة التي كانت لسومر، وكند ملوكها دورهم عن وعي بأهم ورثة اللغة والثقافة السومريين القديمتين. سقطت سلالة نابل أمام إغارة لحيثيين انائب زهاء العام 1600 ق م، وعندما انسحب الحيثيون، تولى السيطرة على مملكة نابل عرة من الحمار، هم الكاشيون، وحكموها أمداً طويلاً من الزمن ثم نعتب أحد الملوك الكاشيين، وهو غلامبراش Ulamburiash على "الأرض البحرية" فوحد بذلك مملكة بابل مرة أخرى. كان أهم ماضي الملوك الكاشيين هم ملوك آشوريا، الذين ازداد سلطانهم وبغورهم منذ زمن حموريابي

سقطت السلالة الكاشية أمام شوتروك - ناحونته Shutruk Nahunte من عيلام، اندي همس على البلد مدة من الزمن، ثم ظهرت حركة في إيسين لتحقيق الاستقلال من حديد، وحرر البلد بكامنه الحاكم الهمام بوحد نصر الأور (124. - 1103) فهزم عيلام، وأعاد مثن مردوخ، إله مدينة بابل، الذي كان ايعلاميون قد أحدوه غيمة، ومن هذا الزمن فما بعد يبدأ صعود دك الإله إلى مرتبه لسلطه العلاء في الكون وحالق الكون؛ وقبل ذلك الحين كانت الرؤية انتقليدية القائنة بأن نبل هو الإله الأعلى هي السائدة وامتقبولة رسمياً.

شهدت القرون اسلية تنافساً مطرداً بين مملكة نابل ومملكة آشور (آشوريا)، وكانت الطافرة في المآل هي الثانية. نعلب "تعلاتقلسر الثالث (745 - 727) على نابل بعد أن سط سطة لأشوريين على موريا، وفي حكم حلفائه سرجون لدني وسحريب وامرحدون وأشور نابيل ظلت نابل تابعه للأشوريين وإن كن يؤنى عيها في بعض الأحيان ملك آشوري معي، وكان لها مطهر من مطاهر لاستقلال ولكن مملكة بابل ظلت طوال هذا الوقت شوكة في أيدي سادها

الآشوريين المسيطرين، وقد بلغ بها الأمر أن حملت سحر يرب على محو امدية تماماً، وما دلك إلا ليجدّها ابنه أسرّخذون.

سقطت آشوريا سنة 609 ق م، بعد أن تم الاستلاء على بسوى سنة 612 في هجوم موحد قام به الميديون الإيرانيون وحيش مملكة بابل، لتي كان الآرامي الكلداني نانا بولصر Nabopolassar قد أسس فيها مملكة مستقلة عن آشور دعيت بالمملكة البابلية الجديدة، وبعد اشتراكه مع الميديين في تدمير مدن نينوى وآشور ونمرود توخّه إلى عرو سوريا، الذي أتمه ولي العهد نوخذ نصر، الذي حلف أباه على العرش سنة 605.

وفي سنة 539 ق م العام فتحت بابل أبوابها للملك الفارسي فورش وكان الحاكم الأخير من سكان البلد من السلالة الكلدانية، سوبيد Nabonidus، قد جرّ على نفسه كراهية الكهوت المردوحي من خلال نصرته لإله القمر سين من حرّان ومحاولاته الإصلاح الديني. وفي فترة من مكه ترك الحكم في بابل لابنه بلشصرّ واسحب إلى واحة تيماء في الجزيرة العربية، ومعه انتهى الاستقلال البابلي.

## الاشكال القدسية

### 1 - الحشوعية

هناك عنصر أساسي في كل دين، وهذا ينطبق كذث على ديانة ما بس النهرين، هو الخبرة الفريدة لمواجهة مع قدرة ليست من هذه الدنيا وقد أطلق اللاهوتي والفيلسوف الألماني رودولف أوتو Rudolf Otto عليها الخبرة الحشوعية (الإحساس بالقدسي numinous experience) ووصفها بأنها خبرة "سريه هائلة وسحرة" *mysterium tremendum et fascinas*، فهي مواجهة مع ما هو "أحر كلياً" خارج خبرتنا العادية وغير قابل للموصف بلعنها. والاستجابة الشرية لها بالفكر (الأسطورة واللاهوت) وبالعمل (اتعدّ و لصلاة) هي التي تشكّل الدين.

وبما أن ما يصادف في الحبرة بالحشوعية ليس من هذه الدنيا، فلا يمكن أن يوصف، لأن كل اللغة الوصفية تعكس بالضرورة هذه الخبرة الدنيوية فتقتصر بذلك عنه. ولذلك سيكون من الممكن على أحد تقدير شدة تذكر الاستجابة الإنسانية للتجربة الحشوعية والإيحاء بها بأدق ما يمكن بوساطة التشبيه والمجاز المثيرة للمذكرات. ووفقاً لذلك فقد أُنشأ كل دين صمماً بهذه المجازات، تشكل الصلة بين حبرة الدينية المباشرة والخبرة غير المباشرة التي تعدو أداة للتعليم الديني، وتشكل جملة الاعتقاد الجماعي. ومن الطبيعي أن تختلف باختلاف الحضارات التي تتأسس فيها ويؤخذ تصورهما منها. وعلى ذلك يجب أن نبدأ دراسة أي دين معين بدراسة مجازاته أو استعاراته الأثرية والمحورية، مع عدم سبيل أنها ليست إلا مجازات واستعارات ومع الانتباه إلى أنها لا تقصد لداتها وإنما هي إشارة إلى ما وراثتها

## 2 - حلول الألوهة في ظواهر الطبيعة

إذا التفتنا الآن إلى عالم الديانة ابراهيمية، لوجدنا أن أكثر خصائص هذه الديانة بروزاً هو نزوعها إلى الحيوان، حيث يجري اختبار القدسي باعتباره كنه طاهرة أو هيئة طبيعية، وباعتباره إرادتها، وقوتها التي تهيتها لشكلها الخاص وسلوكها ومقدورها على النمو لذلك كان من الطبيعي أن يُنظر على الألوهة هنا على أنها تتخذ شكل واسم الطاهرة الطبيعية التي تُشكل كنهها. وكان من الطبيعي أيضاً أن يجذب السكان الأوائل إلى القوى القدسية التي وجدوها مهمة لبقائهم، ورعيتهم في ملازمتهم ورعيتهم من خلال إقامة الطقوس والتعبيد بها Imdugud (عيمة المطر) شكل طائر هائل يخلق محاصيل ممدودين ويطلق رثيره الرعد من رأس أسد، أو حين يُعطى للـ "غيش ريدا" Gishzida (الشجرة حيدة الممر) شكل جذع الشجرة المشابك مع جذورها التي لها شكل الحيات، وبذلك يصور دهباً اعتماد القدماء بأن جذور الشجرة قد تعود إلى الحياة على شكل أفاع.

ن تطابق القوى الإلهية مع الظواهر الطبيعية المتصلة بها تدل عليه أسماء إلهية من قبيل "An" (السما) للدلالة على به السماء، و"هورساع" Hurssag (التلال المسحونة) للدلالة على المرتفعات القريبة، و"ننا" Nanna (القمر)

للدلالة على إله القمر، و"أوتو" (Ltu الشمس) للدلالة على إله الشمس و"إزن" Ezen (الحبوب) للدلالة على إلهة الحبوب، وهلم جرا. وأحياء كانت الصفة التشريعية مثل "إن" en (المدير الإداري، السيد) أو "نين" Nin (السيدة) صنف إلى كلمة أخرى فتشكل كلمة مركبة مثل "إنليل" Enlil (سيد الرياح) و"نيتور" Nintur (سيدة كوخ الولادة). وفي بعض الأحيان كان التحلل الممدح للأساطير يشرح ظاهرة بالتفصيل ليُبرر صفها المميرة بصورة أشد حيوية، كما حين تتخذ العجبة الرعاة "إمدوعود".

إن الاختيار المبكر لتلك القوى الإلهية لتي جرى تصورها حالة في ظواهر طبيعية ذات أهمية اقتصادية للسكان، لينبذ في الكيفية التي تورعت بها الآلهة على المدن المخلصة، وتعاصرها معها. وذلك عبر كل الأقالييم داب الاقتصاد المتنوع في أقصى الجنوب، حيث تمتد المنطقة السبخية باقتصادياتها التي تعتمد على صيد الأسماك والطيور والحيوانات البرية، قامت إريدو، مدينة الإله إنكي الذي يدعى أيضاً دراديم أي حاتم الماعز البري، ومدينة الإله إنورو أي سيد حزمة القصب، الذي يدل على القوة الكامنة في نباتات السحرة في حزم القصب التي تنى منها أكواخ السكان. وبعداً نحو اشرق في "بسا" تقسم نانشي" ابنة إنكي، إلهة السمك، ونقوة الإلهية التي تنتج أسراب السمك معاشاً للصيادين. إلى الجنوب من "لنا"، في "كيبيرشا" هنالك مسكن دوموزي أبسو (أي منتج شرب السخنة الأصحاء)، وهو القوة الإلهية التي تنتج صغار حيوانات أصحاء على طول صفاف نهر الفرات تمتد أراضي البستنة وربية الثيران وهناك يقم لإله الثور "ن عوبلاعا" وفريته "نس إياعارا" (أي سيدة الممخضة) في مدينة أور يقم "نانا" إله القمر الذي تصوره الرعاة عملاً مرحاً ذا قربين لامين، وهي صورة للقمر الهلال يرمي في مراعي السماء في أرما عند أعلى الهر، يقم الإله "أوتو" الذي يستدير وجهه كوجه السون في أورو و تقم إلهة القمر "نسونا" (سيدة الأبقار الوحشية)، التي تصورها في هيئة بقرة، إلى حاسب روجها الإله الثور "لوغل سدا". كان رعاة الثيران يرمون قطعاهم على فروع القصب والأمل العضة في الساخ على طول الهر، وكانت أراضي البستنة أقرب

إلى الفرات الذي اعتمد المزارعون على مائه في ري أراضيهم. وإلى رارعي الأشجار المثمرة هؤلاء ينتمي "نينارو" إله المياه، على ما يبدو، وابنه "نر حشردا" (سيد الشجرة الطيبة) إله حدور الأشجار والأفاعي، وروجنه نينازما (سيده الأعصاب الحسنة النمو). كان "دامو" إلهاً للزراعة والحصرة في مدينة جرمو على الفرات. ويبدو أنه القدرة التي تجعل النسخ يصعد في حذوع وأغصان الأشجار خلال الربيع. فإذا صعدنا أبعد إلى "أوروك"، حيث كانت المنطقة كما هي اليوم مركزاً لزراعة الحيل، نجد "أوشوم غالينا"، وهو انقوه على الإماء الحيواني ومنح الحياة الجديدة لسعف الحيل، وقرينته إنانا (التي دعيت فيما مضى "ننن" - سيدة عافيد البلع) وهي تحسب لمخازن اتمور

عند أوروك تتصن مناطق البستنة بمناطق ابرعاة وتشكل سهل "يدين" وهو سهل عشبي عريض يقع في قلب سومر ويحيط به نهر الفرات وفرعه إيتوروجال هنا وعلى الحافة اعرية تقع "أوروك"، وفيها "إيسا" سيدة الرعاة وإلهة الأمطار التي تعك الحضرة والحياة في الأرض الوار ومعها زوجها الشاب "دوموزي" (متج الشاب الأصحاء) وقد عبد الزوجان أيضاً في سائيرا على انحافة الحوية، وفي أوما وريالام على الحافة الشرقية. وعلى انحافة الحوية أيضاً عبد في "أرارما" أوتو إله الشمس وابنه "شاكاز" إله دوات الأربع من حيوانات الصحراء وإلى الشمال يقع مجدل سلطان "يشكور" إله الأمطار الرعية التي تحول الصحراء في الربيع إلى حديقة خصراء

وأخيراً، فهي الشمال والشرق من "يدين"، تقع أراضي الحراثة ذات المذل المكرسة لألهة النباتات ذات الحبوب، أو آلهة الأدوات الزراعية الرئيسيه، كالمعرفة والمخراث وكانت "شرباك" على اعرات موطن "أنسود" إلهه سنلة القمح وابنة "نيسبار عونو" (سيده الشعير المبقع) وإذا صعدنا في السهر إلى مسافة أبعد وصل إلى نيبور وفيها إنليل وهو الروح الإلهي لأنسود؛ وبما أن رياح إسيل كانت رياح الربيع الندية، التي تجعل لثراب صالحاً للزراعة، فقد كان كذلك به أقدم الأدوات الزراعية وكثيرها تعدد في الاستعمال، وهي المعزفه وكانت بيور - المديه ولس فقط جها المقدس حول معد إنلس،

المدعو إكوى - هي كذلك موطن ابن إنليل الذي يُدعى بيورتا (السيد المحرث)، إله الأداة الأحدث عهداً، وهي لمحراث، الموكوب إليه عمل الحرث (الإسي ensi) في أرض أبيه وكان الإلهاد لئذان يماثلهما القدماء مع نورتا هما "نايسلاع" (الغض الجديد الثالث أولاً)، الذي كان في إيسن زوج إلهه المدينة نسيينا 'سيدة إيسن'، ونينجيسو "سيد (مدنة) حيرسو"، الذي كان في حيرسو الواقعة إلى الحبوب الشرقي من إدين إلى الأمطار الرعدية وفيضانات الربيع، وإلى أمد في الشمس، في كونا، كان يقيم رتا العالم السفلي "ميسلامتا" (الواحد المبعث من شجرة الميسو واحة السماء) - وربما كان في الأصل شجرة معبودة - ورجال. وفي كيش كان يقيم سأتانا "الباسط جديده دائماً"، وهو إله للحرب، وربما كان في الأصل إله الغيمة الرعّادة وفي نال كان ميروداخ أو "مردوخ" "عجل العاصفة" به المدينة، وكان إله العاصفة الرعدية الذي حرى تصوّره ثوراً صغيراً يحار.

### 3 - نسبة الهيئة البشرية إلى المعبود

يدو أنه من المعقول أن تعدّ الأشكال الطبيعية لمعبودات هي الأشكال الأصلية والأقدم التي حرى تصور الآلهة فيها، ومع ذلك قد يكون عيبنا ألا نستعد كلياً إمكان أن يكون الشكل الشري ساوياً في تقدم تقريباً ولشكلا لا يستعد بعضهما بعضاً، ومن الممكن جداً أن يقع الاختيار على أن يظهر إله في هذا الشكل حياً، وفي شكل آخر حيناً آخر وتُظهر طبقات الأحتام من أواخر عهد أوروك المشهد الطقسي للزواج المقدس بالآلهة إينانا في شكلها الطبيعي والذي يمثل عصادات أبواب المخزن، في بعضها، وفي هيئتها البشرية في بعضها الآخر. ولدينا مثال لاحق هو قول عن "غوديا"، حاكم لاغاش (اردهر حكمه رهاء 2144 - 2124 ق م)، الذي عاش قبل سلالة أور بفترة قصيرة والذي كانت أمه الإلهة البقرة نيسوا. فقد قيل إنه قد وُلد من بقرة في مظهرها السائي "وفي زمن متأخر يصل إلى مطلع الألف الأول ق. م يطيب لترتيبة لإله القمر أن تنسب إلى الإله الشكل الشري واشكل المستمد من ظواهر الطبيعة على السواء إله أمير، ثور صغير، ثمرة نامية من ذاتها، رحم بلد الجميع، أب رحيم صموح

وعلى الرغم من أن اشكلىن الشرى وغير البشرى قد يتعايشان بأمان، فثمة دلالات على أنهما لم يكونا على الدوام محذّين بدرجة متساوية. من الواضح أن الشكل لشرى كان يبدو أكثر جلالاً وملاءمة من الشكل عبر الشرى وكاد أن يزه.

كان من نتائج هذا الموقف، تلك التمثيلات التي يمتزج فيها النوعان المختلفان ولكن مع علّة الملامح الشرية. ففي جيرسو، مثلاً، في نهاية عصر السلالات الأولى نجد الحجر الأعلى من صولجان مذور لـ "بيحيرسو"، إله الأمطار الراعدة والفيضان، يُظهر الناظر في وصية العبدّة "مام الإله الذي هو في شكل الطائر الرّعاد القديم وبعد ذلك بزمن ما، عندما رأى عوديا الإله في حلمه، كان نينجيرسو ذا شكل بشرى أساساً مرعّم أنه احتفظ دُجُنجة لطائر الرّعاد واختلط حرّوه لسفلي نافيصان ولديا من زمن غوديا زهرية مكرّسة لنينجيزيدا تُظهر الإله في مقدسه والباب مفتوح ويحيط به حارسان لكل منهما شكل الثنين. ويظهر الإله في شكله الأصلي وهو حذع شجرة تلفّها حذور لها أشكال الأعاعي وينتمى إلى هذا العهد نفسه نقشٌ بصورٍ بيشيزيدا يقدم عوديا إلى بيسيرسو. وفيه يكون بكامله في هيئة بشرية باستثناء رأسي أفعوانين يُطلان من جسمه عند الكتفين وعلى نحو يشبه ذلك كثيراً، فإن آلهة نمو النبات الموجودة على الأختام تظهر ذات أغصان وخضروات ناتئة من أجسامها وكأ حودها الداخني - حسب كمات الأرخيولوجي هنري فرانكفورت - كان شديد تفجير الهيئة البشرية المفروضة عليها إرباً إرباً.

وتظل الأشكال المركبة، كذلك الأشكال المذكورة تماً، تُقر بالصلة الوثيقة بالأشكال عبر لشرية وتحفظ بميرانها الأساسية، حتى ولو أن الشكل الشرى يهيمن عليها بوصوح. إلا أن اتجاهات أكثر حذرية، في محاولتها للابتعاد عن الطاهرة، قد فصلت عن عمد بين الألوهة وبين الطاهرة التي تقابلها، وتحول الإله إلى قوة في هيئة بشرية، وتراجعت الطاهرة إلى مجرد شيء مملّكه أو بدره الإله، وتحول شكل تلك الطاهرة إلى راية وشعار.

وهكذا، مثلاً، فإن الإلهة هورساغ (اللال السّمحة) قد كتّت عن أن تكون هي نفسها تلالاً سمحية مقدسة، وصارت بدلاً من ذلك "نيسهور ساغا" سيدة

التلال اسفحية" كذلك تحولت البقرة الوحشية المقدسة إلى "ينسوبا" (سيدة الأبقار الوحشية) وتحول "جيشريدا" الشجرة الطيبة" إلى "نينجشريدا" (سيد الشجرة لطيفة) وإيماناً، التي كانت نجمة الصباح والمساء في هيئة قرص صغير مستدير، صارت إلهة لهذا النجم، وتحول القرص إلى رمز لها وجرسو الطائر الرعاد صار تنجرسو .. إلخ

والحد في هذا المجال، كما هي غالباً في بقية مجالات المعتقدات الدنيوية ليس ثمة تعبير يُشكل قطيعة واضحة دائمة. وعلى الرغم من أن الأشكال القديمة قد أُزيلت إلى مرتبة الصور الرمزية، فإنها لم تفقد قوتها تماماً. فقد كانت هذه الأشكال، بوصفها رايات، تنع الحشيش في الحروب وتمنحه النصر، وكانت الأيمان تقسم أمامها وبملاستها

ومن حين إلى آخر كان يحدث شعور بانفور من الأشكال الأقدم غير الشرية؛ ولابد أن الشعور كان من الشدة إلى حد يكفي لإحداث الغضب المكشوفة. يبدو أن هذه هي الحال فيما يتصل بالطائر الرعاد، الذي يبدو من كونه الشكل لأكبر "نينجيسو" قد أصبح أولاً مجرد صورة رمزية له، ثم أدرجه معدو الأسطورة الدائرة حوله والتي تُسمى "أنجيم" بين أعداء الإله المأسوريين بحر مكية نصر الإله. وبكى في زمن لاحق أصبح الطائر - الذي يظهر غالباً أسداً محتجاً وليس بالأخرى طائراً ذا رأس أسد - الخصم الرئيسي للإله تماماً وهكذا هي أسطورة "أرو" الأكادية (وأنزو هو الاسم الأكادي للطائر) يكسر إله ذاته الساقطة ويخضعها متصراً عليها

#### 4 - نسبة الشكل الاجتماعي إلى المعبود

الإنسان كائن اجتماعي؛ يوحد نوحه عام في سياق أسرة ومجتمع، وبذلك فإن لقدماء إذ نسوا إلى الآلهة الشكل البشري كاد يكون مما لا مفاص منه أن نسوا إليه الدور والمقام الاجتماعيين. وكان أحد هذه السياقات التي تتضمنها الشكل البشري هو سياق الأسرة والبيت ويمكن أن يكون البيت في حال الآلهة الرئيسية ضعفاً، يشبه بيت مالك البصيلة.

إن العوامل التي حددت تجميع الآلهة في أسرة مقدسة معينة، ليست واضحة على الدوام ولعلها كانت ذات أنواع مختلفة - تشابه الطبيعة، والتكامل، والقرب المكاني، وهلم جرا - ومن المحتمل أن تشابه الشخصية قد أملى تجميع سبع ربّات ثانويات للنّعيم بوصمهم بسات إله الأمطار الرعدية، بيجيرسو. وكانت شخصية أمهن "باب" روجة بيجيرسو، أقل وصوحاً، ولعلها كانت ربة المرحى. ويبدو أن ابن نيجيرسو المدعو "إيعلام" (مصراع باب الواحد المكرّم) هو تأليه باب محكمة عدل بيجيرسو. وبما أن العيوم كانت تشاهد من السّباخ مثل السديم، فافتراض أن إله غيوم المطر "أسلوحي" ابن إله السّباخ، إنكلي، يبدو أمراً قابلاً للفهم، وكذلك زواج "أمو شو مغلانه"، القوة المنتجة لمواسم للحب، بـ "إيماناً"، إلهة المخزن. ويبدو أن ثمة صلة منطقية قابلة للملاحظة كذلك بين مطهر إنليل الذي يكون فيه إله الأداة الزراعية الأقدم، وهي المعرقة، ومظهر بيه "مينورتا"، إله الأداة الأحدث عهداً، وهي المحراث؛ ولكن في أكثر الأحيان لا كلها لا يوجد هناك تفسير يوحي نفسه على الفور.

ويقدّم لنا غوديا جُلّ الصورة التي لدينا عن البيت الإلهي العظيم في نص الترنيلة المعروف بنص "الأسطورة ب" فقد أدرجت الآلهة الثانوية التي تؤدي عملها بصفة موظفين في بيت بيجيرسو، أي معبده، وهي تمتدّ الموظفين البشريين بالمشورة الإلهية، وهكذا كان "شولشاغانا" وهو الابن الأكبر لـ نيجيرسو يؤدي دور كبير الخدم، وهو الدور التقليدي للابن الأكبر. وكان أحوه إيغالما يؤدي دوره كرئيس لمجموعة الدرك المحافظة على القانون وإسظام. وكانت سابع نيجيرسو السبع اللواتي أتبن من بطن واحد يقمن بدور جدياته، وكذلك يرفعن العرائض إليه. وكان لديه عزون على القيثار - أحدهما من أجل التراتين، والآخر من أجل المراثي - وخادمة لعرفة النوم، تحمّمه وتيقن من أن سريريه مرود بالقش الطري. وكان للإله مسثار وأميين سر (سوكل) من أجل مهمة إدارة ممتلكاته والقعود إلى منصة الحكم للفصل في الخصومات التي قد تنشأ وكان يوجد قائدان عسكريان، وقطيع من الحمير للعامة بحيوانات جر الأثقال. وكان يُعنى بالماعر و لظباء راع إلهي للظاء؛ ويُعنى

بالأراضي الرعوية الواسعة مراعى إلهي؛ ويشرف حاب للضرث على أعمال صيد السمك؛ ويوجد حارس غابة يحمي الحيوانات البرية في العانة من لصوص الصد وثمة شرطي رفيع المستوى وحارس ليلي للمحافظة على أمن الممتلكات وكان لمعظم الأرباب الرئيسيين، إضافة إلى وظائفهم المحلية، مسؤوليات وطنية أكبر بوصفهم أعضاء في حكومة إلهية تدير شؤون الدولة السماوية المقدسة وكانت السلطة العليا في هذه الدولة بيد الهيئة العامة، التي تعقد في بيور هي روية من زوايا باحة في معبد إيلس "إنكور" تدعى "أوشوكتا" وترأس الاجتماع آن وينيل؛ ويحلف الأرباب يميناً أن يلتزموا بقرار الاجتماع وهم يصوتون بقولهم "هيم" (فليكن). وكانت هذه الهيئة تلعب دور محكمة وقد حكمت ذات مرة إيلس نفسه وهي التي تختار المدن وحكامها ليتحكموا في كل سومر وأكاد وكان لا تحب لمدة واحدة فقط، وحين يقرر الاحماع أن لمدة انقضت، يصوتون على إسقاط المدينة الحكمة ونقل منصب الملكية إلى مدينة أخرى وحاكم آخر.

بالإضافة إلى منصب الملك، كانت الدولة الإلهية تعرف كذلك مناصب أكثر دواماً. وهذه المناصب، التي كانت تُدعى "مي" (منصب، وظيفة) كانت على الأكثر تفسيرات جديدة للوظائف المطربة في الأرباب الذين نحن بصددهم أنفسهم، وفي الظواهر والعمليات التي يُحتنون فيها كإرادة وقدرة؛ ويجري تصويرها الآن على أنها لواحيات الرسمية لأعضاء اسبروقراطية الإلهية وبجد التعبير الشامل عن هذه الرؤية للكون في أسطورة "إنكي والنظام العالمي" التي تروي كيف يؤسس إنكي، وهو يعمل باليابة عن إنليلو الهج الصحيح بظواهر الطبيعية والطريقة المناسبة للاشتغال في الصاعات البشرية، معيت في كل حالة موظفاً إلهياً ليكون مسؤولاً عنها. وهكذا فإن نظام دجلة وانهرات يسير تحت إدارة "معتش الأقسه"، لإلهة "إسلولر" ويعين الموظفون الآخرون للمستنقعات والبحر؛ ويُحمل إله العاصفة إيشكور الموظف المسؤول عن الأمطار السوية ومن أجل الرراعة يُعين إله المزارعين، بكيمدو وإلهة الحبوب إرينو؛ ومن أجل القطعان، دوموري الراعي؛ ومن أجل الحدود العادلة، إله العدل، أوتو Uttu ومن أجل الحياكة، إلهة العنكوت، أوتو Uttu، وهلم جرا

## الباشيون أو مجمع الآلهة

لقد نشأ بسدريج مجمع لجميع الآلهة، يُلمس منه أن يعقد الصلوات بين ما لا يُحصى من الآلهة التي عبدها، أو فنصر على الاعتراف بها، سكان بلاد ما بين النهرين، وأن يرتبها بحسب المدرجات، وذلك في المدن والقرى في كل المنطقة من خلال عمل الكتاب، لذين وصعوا حداوا بالأسماء الإلهية، كجزء من نشاطهم المعجمي الدؤوب. وكان الترتيب الناحم، كما هو معروف لنا من النسخ البابلية، يقوم أولاً على مدى أهمية الطهارة الكونية التي يرتبط بها الإله - أو الإلهة - المتكلم عنه، وثانياً على روابطه - أو روابطها - العائلية والبيئية. وعلى ذلك فهو في طبعه منسوب إلى لشكل البشري والشكل الاجتماعي في المقدمة كانت تأتي آلهة السماء، والرياح، و لثال لسفحة الشرقية، والمياه الجوفية العذبة، كل مع أفراد أسرته وبيته - أو أسرته وبيته - ثم كانت تليها آلهة الكيوانات الأصغر كالقمر والشمس وبحم الصباح والمساء. ومن المحتمل أن الشريحة التي تليها والتي تضم آلهة مطقة لاغاش لم تكن حراً من القائمة الأصلية، ما دامت تلك المنطقة تُعدُّ مطقة عدوة حتى زمن سلالة أور الثالثة وأخيراً يأتي آلهة العالم السفلي وهكذا وفي خطوطه لعامة الرئيسية يمكن أن نهدم آلهة المجمع، كما يلي (والأسماء الأكادية، عندما تكون مختلفة عن الأسماء السومرية، توضع بين قوسين)

### آن An

(أنوم Anum) إله السماء، وأبو الآلهة. ويبدو أن لمركز الرئيسي لعبادته كان في أوروك. وكانت وقد رأته التصورات الشعرية - الميثولوجية في شكل ثور جبار يُسمع حواره في الرعد. كان المطر يُرى على أنه منبّه الذي يلقح الأرض (كي ki) وسبب نمو النباتات وحين كانت السموات الغائمة تغيب في الربيع، كان يُظن أن "عُلُمة" Gu.galanna "ثور السماء العظيم" قد قُتل وذهب إلى العالم السفلي. وهناك مبروت آخر يرى أن آن (أنوم Anum)، ه السماء في مظهرها الذكوري وقد تزوج آنوم Antum وهي السماء في مظهرها الأنثوي وكانت،

كزوحها، قد أعطي لها شكلاً بقرياً وتُرى بقرّة، والغيوم التي تُحدث المطر هي ضرعوها. وكان الجانب لهم في آن هو صلته بالتقويم، فللمشهور كواكبها المميزة التي تعلّى فدورها وإلى هذا الجانب تنتمي الطقوس المهرجانه الشهريه والسوية

## إنليل Enlil

إله لريح والعواصف، وهو العَصو الأبرر في المجمع الإلهي ومنفذ مراسيمه. وكانت مدينة إنليل هي بِنُور (نُفَر Nuffar)، وفيها معبده إكُور. وكان متزوجاً بالإلهة نُسِلِل (سيدة الريح)، المعروفة كذلك باسم "أنسود" (سنة الفمح الطويلة) وكانت أمها "ننشارغوبو" الإلهة العاربة، وكان أبوها "هايا" حارس الختم الذي توثق به أبواب مخازن حبوب إنليل. يبدو أن إنليل، المتوافق أصلاً مع البيئة لزراعية لروحته، كان بمثابة الرياح البدية التي تعمل على ترصيب قشرة التراب الصلبة وجعلها قابلة للحراثة. ولذلك فإنه كان به أقدم أداة للحراثة، وهي المعزقة. ووفقاً لإحدى الأساطير، فإنه بالمعركة، بعد أن اخترعها، حطم القشرة الصلبة على التراب، حتى ينث البشر من الأرض كالثبات

وتعالج أسطورتان مختلفتان تماماً تحبب إنليل إلى نينليس أو أنسود. ففي إحداها يُقْلَح في أَسْباع الإحراجات المقررة بلظفر بها وفي الأخرى، وهي أكثر بدائية، تستهوي نينليس إنليل عمداً، وقد أعقلت تعليمات أمها، أن يحطى بها بالقوة وهي تستحم في ترعة البلدة فيعده مجمع الآلة عن المدينة لعمله المنكر ويتركه للعالم السمي وتنته نينليل الحلي إلى القمر "سوين" (س Sin) وفي الطريق يسميها إنليل، وقد تظاهر على الولي بأنه حارس بوابة نينور، وأحد رجال نهر العالم السفلي، ومسؤول عن عبّرة، ويحثها على مضاجعته عليها تحب بطل آخر، يمكن أن يحل محل "سوين" في العالم السفلي. وهكذا يولد إحوة سوين في العالم السمي وهم "ميسلامايا" و"نينارو" و"إنسوجي". وتنتهي الأسطورة - بصورة تدعو إلى الاستعراب بالنسبة إلى القارئ الحديث - بأشودة ثناء على إنليل بوصفه مصدر الخصب. "أنت رب المنجزات العظيمة، رب المخزون، رب يجعل الأرض الجرداء تنبت، رب يجعل الكروم تنمو، أنت رب اسماء، رب الخير العميم، رب الأرض"

من الواضح أن وحه إنليل كمحسن معمم للخيرات هو وحه قديم. ولم يعب ولكن شخص إنليل اتخذ بمرور الزمن ملامح أشد شراسة. فهو بصفته رعيم المجمع الإلهي ومنفذ مراسمه، قد أصبح القدرة على تدمير المعابد والمدن، والعاصمة التي تمحق كل شيء والتي بها أطاح المجمع بالسلالات وعواصمها، كما شكّل التاريخ. وهذا المظهر المتأخر زمنياً في إنليل بارز في نصوص النذب، حيث تصبح إرادة المجمع مدرجة شيئاً فشيئاً في إرادته، ولأجله وحده يلين المجمع وبعد ما دمره إلى ما كان عليه وفي الألف الأول، عندما ارتفع نجم مردوخ البابلي فوق كل شيء بلغ الأمر بإنليل، بوصفه ممثل الجنوب كثير العصيان، أن صار يعمل على أنه عدو وشرير في مملكة بابل الشمالية، كما هو واضح من دوره في النصوص النطقسية أو كان يجري تحايله تماماً، كما في ملحمة الخلق المتأخرة "إنوما إليش" التي تحتفي بمردوخ بوصفه حائق الكون وحاكمه

إلى جانب المأثور الذي كانت فيه نيليس أو أنسود قرية لإنليل، ههالك مأثور معايير بروج فيه بالآلهة نينهور ساغا، أو الـ "هورساغ" الأقدم (التلال السفحية) ومن المحتمل أنه كان ينتمي فيها إلى مطهر من إنليل كان يرى فيه أنه جبل معبود، تحت اسم "كورغل" Kurgal "الجبل العظيم"، وأن معبده الرئيسي هو "إكور" Ekur "بيت الجبل". ويبدو أن الصلة بين كونه إلهاً للجبل وكونه إلهاً للريح تأتي من أن القدماء درسوا يعتقدون أن بيت الرياح هو الجبال. وعلى ذلك فمن شأن إنليل أن يكون في الأصل وبصورة خاصة هو الريح الشرقية "إينكورا" (ريح الجبال)

ومن سهور ساغا، أنحب إنليل فصلي السنة، الشتاء والصيف، وكما كان أن لاله قبضان دجله السنوي، بينجيسو ونينجيسو في الصورة التي تقدمه الأسطورة المستمدة من إشارات "غوديا" هو مي إنليل الذي احمر في عملية عصر البكارة. ويمكن أن يُعتقد أنه يشير إلى مياه الثلج الذائب في الجبال الشاهقة في إيران (إنليل بوصفه كورغال) في الربيع، والمياه تشق طريقها عبر التلال السفحية (هورساغ)، حيث بمنحها الطين الذي تمتصه لونها ضارياً إلى لحمرة، احمر في دحلة، فيفتح حتى يبيض

كان لبيور، في البلدة نفسها (تميزاً لها من معبد إكور المقدس وما حوله) إله للمدينة هو ابن إبليل المدعو بيورتا Ninurta، الذي ربما كانت زوجته هي نينبرو (ملكة نيبور). ويمكن أن يُفسر اسم نينورتا بأنه يحوي على كلمة دخيلة هي أورتا "المحراث"، فيتعين بها على أنه إله تلك الأداة، كما كان أبوه، إبليل، هي أحد جوانبه إله الأداة الزراعية الأقدم، المعروفة. وكان بيورتا يشغل هي نيبور وظيفه المحراث (إنسي ensi)، وكان لملك في مهرجانه السنوي يفتح موسم الحرثة وراء محراث احتفالي ولقد تواحد نينورتا مكرماً مع نينجيرسو من خيرسو، وكانت الأساطير المتعلقة بالثاني تُنسب إليه من دون حرج، ولذلك فمن الصعوبة بمكان تحديد صفاته الأصيلة الخاصة

والمثال الواضح على ذلك يأتي من أسطورة "لوغله" Lugale، التي يمكن نسبها إلى نينجيرسو، وهي تُصور الإله ملكاً شاباً محارباً يعلم أن ماساً قد نشأ في الجبال وهو يتأمر لقتله. فيخرج مع جيشه للقيام بصرية استباقية، ويهاجم بالدفاع شديد، ويواجه الكارثة، ولكن تنقذه نصيحة من أبيه يرسل مطر عزيز، يصبح بالعبار الذي آثاره في وجهه عدوة "أزغ"، وكاد يخنقه. ثم يعلق في قتله ويصرع لترتب نظام نهر دلجة، بعد مجراه من أحل الري عن طريق بناء حاجز صخري هو التلال السفحية (هورساع) ليصد المياه ويجعلها تحري في محراها الجديد وعندما تأتي أمه لزيارته يقدمه إليها هدية، ويطلق عليها مجدداً اسم "نينهيرسوفا" Ninhirsuga (سيدة التلال السفحية) وأخيراً يعقد جلسة محاكمة للنظر في أمر محاربي أزغ، وشنى أنواع الأحجار التي استولى عليها، ويفضي بالمكافآت أو العقوبات وفقاً لثبوتهم في الحرب. وأحكامه تحدد طبعة لأحجار امتكّن منها وصفاتها المميرة في كل زمان وأخيراً يعود إلى وطنه متصراً

ومن المحتمل أن أسطورة "أحيم" (المذكورة آنفاً) تحكي عن نينجيرسو أيضاً، وهي تصور عودة الإله لمطفرة من الحرب وكيف كان عليه أن يلفظ سوكه الصاخب لتلاير عجب أباه، إنليل. ويبدو أن أساس الحكاية هو رقية لصد

المواصف الرعدية عن بيور (وقد كان بينجير سمو إله العاصفة الرعدية). وفي حدود التصور أن ترتيلة اشاء على بيورتا في علاقته بالأحجار يمكن أن تكون مادة بينجيرسوية

وكذلك الأمر فيم يتعلو بأسطورة الطائر الرعد الذي سرق ألواح الأقدار من إنكي في إريدو. وكيف خرج بيورتا لاستردادها، نية الاحتفاظ بها لنفسه، وكيف أن الطائر حين دونه سلاح ننورتا ترك ما في قصته من الألواح بقلت، وعادت الألواح من تلقاء نفسها إلى إنكي. عندئذ يقوم بيورتا، وقد أحبط طموحه، بإهاحة فيصان ضد إريدو، ولكن إنكي بمكر وخبت، جعل سلحفة تحفر حفرة عميقة، واستدرج بيورتا إليها من الواضح أن ما تقوم عليه الأسطورة هو مفهوم الغيمة الممطرة التي تعلو السباح (مياه إنكي الجوفية، الأسو) وهي في تحركها فوق الحال نشه هروب الطائر الرعد، أما مياه الفيضان فهي بمثابة هجوم نورتا على إنكي الذي انتهى بوقوعه في الحمرة، أي بتضاؤل الفيضان وتناقص قوة دفعه وتحوله إلى مجرى رقيق تحجره الحواف العالية، أي الحمرة.

## نوسكو

كان نوسكو Nusku ينسب إلى بيت إيليل، وهو في الأصل إله المصايح وكان يؤدي مهمة وزير إنليل الموثوق به والمؤتمن على أسرار.

## نينهورساغا

نيهور ساغا Ninhursaga (سيدة التلال السمحية)، ولم تكن من قبل سوى 'هورساغ' التلال السمحية"، القوة الكامنة في لمسحدرات القريبة انخسبة للجبال الشرقية، وهي الأراضي المفضلة للرعي في الربيع. وكانت مدينتها هما "كش" التي لم يتحدد موضعها بعد، و"أدب" وهي الياية الصغيرة الحديثة 'يسمايا'. وكانت هذه الإلهة بالإضافة إلى اسمها "نيهورسغا" معروفة كذلك باسم "نينماه" أو "نماخ" "السيدة الحليلة"، وباسم "ديحيرماه" (الإلهة الحلية) وباسم "نينور" (سيدة كرخ الولادة). وكان اسمها الأكادي "نيليتيل" (سيدة الآلهة). وقد شكلت هي وآن وإليل في الألف لثالث مثلث القوى الكونية الحاكمة

كان إنكي Enki (إبا Ea) إله المياه لحوفية العذبة الذي يأتي إلى السطح في الأنهار والرك والمستنقعات. وقد تصور السومريون أنه بحر تحت الأرض عذب الماء، دعوه "أبرو" أو "أيسو" أو "إنعورا" وكانت مدينة إنكي هي "إريدو" (أبو شهرين)، حيث كان إنكي يقيم في المعبد الذي يُدعى "إنغورا" (منزل الغور). وتروي أسطورة كيف بناه واحتفل باكماله بوليمة لأبيه، إليل، في بيور وكانت أمه هي الإلهة "نمة" Namma، اني أدرجه الكتاب على أنها قيّمة منزل إنليل. وتفترض بيّة أخرى أنها كانت قعر النهر المؤلّه الذي أحبّ إله النهر، إنكي. ويبدو أن اسمها يعني "سيدة الفرج"، ويمكن أن يكون التخيّل المبدع للأساطير عند القدماء قد رأى أن هلق قعر النهر الخالي هو فرج الأرض وكانت روجة إنكي تُدعى "دمعل نونا" Damgalnumma (زوجة الأمير العظيمه)، وهو اسم لا يخبرنا سوى القليل عنها. وكان وزير إنكي إلهًا ذا وجهين، واسمه "شما" أوسمو.

واسم إنكي يعني "سيد إباحية الربة" الذي يبدو ولا شك شديد الملاءمة لإله مياه. لهر في مجتمع يعتمد على راحة الري. وفي إحدى الترتيلات يصف نفسه بهذا المظهر، قائلاً: "عندما أذنو من السماء، ينزل مطر الخير العميم؛ وعندما أذنو من الأرض، يحصل فيضان النهر المسكّر في أوجه؛ وعندما أذنو من الحقول المصهرة، تتكوّم تحت أمري أكداش الحبوب". إن الماء لا يطفئ ظمأ البشر والحيوانات والنباتات وحسب، بل يقوم بواجب التطهير أيضاً وإنكي، بذلك المظهر، بوصفه القدرة على التطهير، يظهر في شعائر التطهير من كل ما يندس، بما في ذلك الأرواح الشريرة التي تلتبس الإنسان، وتسبب المرض والحاسة وكانت إحدى هذه الشعائر المفضّلة، التي يُقصد بها أن تظهر لمسك من الشر الممكن الذي يسبّه لكسوف، لها شكل المحاكمة أمام إله الشمس، حيث يُرس إنكي إليها رسولاً، هو طارد الأرواح الشريرة، ليتكلم بياحه عن المدّعي، الملك المدّس، ويتعهد بتنفيذ الحكم، ويتم ذلك بالاغتسال بمائه

لمحو الشر كله. وهذه السُّعيرة ندعى "بتريمكي (الحَمَم). وكان إنكي في شعائر أخرى يوفر التعويذة الفعالة ويصف الإجراءات التطهيرية والشمائية، وليس من المبالغة القول إنه قد شغل الموقع المركز في كل أعمال السحر الأبيض لمحاربة شياطين المرض

وبما أن إنكي كان يعرف على الدوام ماذا يفعل ليطرده الشياطين، فقد عُدَّ عموماً أوسع الآلهة حيلة وأشدّها براعة. وكان ماهراً في كل حرفة، وقام تحت أسماء مختلفة بدور الصير لكل منها وقد جعلته مهارته العملية مفطوراً على التظيم كذلك. كان الإله الذي نظم الكون من أجل إنليل في أسطورة "إنكي ينظم العالم"، التي جرت مناقشتها آنفاً وإنكي في الأساطير المروية عنه لا يستخدم القوة؛ فهو بدلاً من ذلك يذلّ متعاه بالحبث الذي يمارسه برشاقة وحنق. ومن الأمثلة على ذلك قصة "أدّا" Adapa، وكيل أعمال إنكي أو بالأحرى إيا Ea، لأن النص يستخدم اسمه الأكادي فعندما كان أدّا مدعواً إلى المشول أمام أنو في السماء لكسره حياح الريح الجنوبية، أخبره إيا كيف يفور برضا الإلهين السدين يحرسان الباب حتى يتشعما له. وحذّره كذلك من الأكل والشرب، لأنه سيُقدّم إليه حيز الموت وماء الموت وجرى كل شيء وفقاً للتخطيط، ونظّبت حاطر أو بشاعة الحاجبين، ولكن عندما رفض أدّا الطعام والشراب، اندهش أنو وسأله لماذا، فأخبره أدّا، فانهجر أنو في الصحت فقد كان من شأن الطعام والشراب أن يجعلاه خالداً بالفعل، وهذا ما كان إيا يعرفه ولكنه لم يشأ أن يحدث

وكانت المناسبة الأهم إلى حد ما والتي أظهر فيها إنكي خبثه هي عندما أنقذ الجسر لبشري من الهلاك على يد إنليل. وقد روي لنا عنها في قصة العوختان السومرية، التي تشكل جزءاً من الأسطورة التي تُدعى "تكوين إيريدو". فقد حلقت الآلهة البشر، ونصبت عليهم ملوكاً لإدارة شؤونهم، ولكن البشر زابدوا وتكاثروا وتعالى صحتهم إلى حد أزعج إنليل الذي أقنع مجمع الآلهة بإفناء الإنسان بطوفان كوبي. ولكن إنكي، الذي كان حاضراً، تمكن من نصح الملك النقي زبوسودرا سناء سبعة نوح واثبع زبوسودرا النصيحة وصار في المال مقبولاً لدى الآلهة ومُح الحياة لأبدية مكافأة له على إنقاذ الكائنات الحية.

والصفة الأكثر تفصيلاً بكثير لهذه القصة ومن الممكن أنها الأكثر أصالة - موحدة في حكاية "أتراحاسيس" (الحكيم المتفوق) الأكادية، وهو فيها يحل محل ريوسودرا وتنقسم القصة إلى شطرين. ومن الواضح أن كلا منهما هو في الأصل حكاية منفصلة يروي النصف الأول كيف كان على الآلهة في البدء أن تعمل بنفسها من أجل طعامها، وتُحصر أقتية الري المطلوبة. وفي آخر الأمر تمردت، وفكر إيا في الحل، فخلق الإنسان للقيام بالعمل الشاق. ولتلك الغاية قُتل إله ومُرج دمه في لطيف وحل منه لإنسان الذي صنمته الإلهة الأم، وكان ثمة فرح عميم ويروي النصف الثاني كيف توالد البشر على الأرض وبضجنتهم حفا النوم إنليل. ولذلك حول إنليل تحقيق أعداد البشر بتعاقب الأمراض والمجاعات، ولكن إيا عثر ف كل مرة على طرق لإيقاف الشرور قبل أن يفوت الأوان، وسرعان ما تكثر الإنسان كالسابق وأحيراً عزم إنليل على وسيلة يأسه إلقاء البشر بالطوفان. ومرة أخرى أحط إب الحطة، بحصن أتراحاسيس يسي سفينة يبقى بها على قيد الحياة مع أسرته ومع الحيوانات. وعندما خرج من السفينة قدّم أصحية، فدبتهج الأرباب، لأنهم من دون وجود بشر يقدمون الأصحيات سوف يعانون من الجوع بشدة ولم يكن عاضاً إلا إيبيل، ولكن إيا استرصاه بإشياء خطط للسيطرة على السكان الجدد، ومرض الأطفال، وما إلى ذلك. وهكذا أُعيد تأسيس الاستعجاب في الكون وقصة الطوفان، كما تقدّمها حكاية أتراحاسيس، هي أشد قصة عرناها عنها تفصيلاً وهناك صيغة أقصر ومجردة من أي باعث على الفيضان قد أضافها إلى ملحمة حلجامش المحرور المتأخر

و لأسطورة الثالثة "إنكي ونيممه تصع إنكي في مواجهة مع العضو الثالث في ثلاث الآلهة لعباء، وهي نينهورساغا، التي مدعوها الأسطورة نينماه (نماخ) وكقصّة أتراحاسيس، يتألف هذا التركيب من أسطورتين منفصلتين لا ترابطان إلا على نحو ضعيف جداً. أولى هاتين الأسطورتين هي نسخة سومرية مطابقة للقسم الأول من قصة أتراحاسيس، عندما اقترح إنكي خلق الإنسان ليحسم عبء العمل عن الآلهة. ولكننا نجد هنا أن خلق الإنسان قد تم إطلاقاً من حصن من طين الأعماق، الأرو المولد للحياة، حيث شكّلت أعضاؤه من ذلك

الطين، ثم حملت "مه" (أومو - المياه الأولى) وتبدأ الأسطورة الثانية بحفلة يقيمها إنكي للاحتفال بمولد الإنسان وعندما يُمرط هو وبنيماء، التي أعانته بوصفها مساعدة على التوليد، في اشراب، تبدأ بنيماء في التباهي بمقدرها على التحكم بمصائر البشر، وتحدد هل ستكون جيدة أم رديئة. ويقبل إنكي تحديها، مراهناً أنه يستطيع أن يقاوم كل ما يمكن أن تتكره. وعندئذ تخلق سلسلة من البشر المشوهين أو حلالهم من الناقصين، ولكن إنكي يجد لكل منهم مكاناً في المجتمع وعملاً. وعندما تقصع نيماء الأمل أخيراً، يقترح عليها إنكي أن يجرب مهرته وأن تجد هي مكاناً لمخدوقه ثم يسوي جنباً وتلد أمه قبل الأول فيأتي إلى الحياة مشلولاً ضعيف العقل والجسم، ولا شيء تستطيع بيماء أن تفعله له، فتفزع في العويل. ولكن إنكي يهدئها بكلام امتصاصي، مشيراً إلى أن ما يعور الحزين هو على وجه الدقة إسهامها، وإنصجها الجبين في الرحم. فإسهام الرجل في استحداث لطفل ليس يحد داته كافياً؛ و لمطلوب هو إسهام المرأة أيضاً وهكذا يُثني على قدرتها.

وهكذا يبدو أن السؤال الذي أثير حول نصيب الشريك الذكري والأنثوي من النسل قد أجيب عنه بطرق متنوعة في أوقات مختلفة فالقسم الأول من "إنكي وبنيماء" يثق بالنساء كل الثقة فقد تم استحداث الإنسان من الطين، وتشكل وأُجِب - كما ينص بصورة خاصة - من دون أن يستمر ذلك وجود الذكر ويُشبه هذا على حد ما حكاية أتراسس التي جعلت الإنسان يُخلق من الطين والدم الإلهي الذي شكله وولده الإلهة نيتور، أي نيماء؛ وكان إسهام إنكي في كلتا الحالتين هو فكرة صنع الإنسان على الأكثر. ولكن الأمر في القسم الثاني من "إنكي وبنيماء" يتبدل، فيجري تأكيد قدره إنكي على خلق حنين على الرغم من عدم قدره على إنصاحه وولاده؛ وأخيراً، ففي قصة خلق الإنسان في "إنوما إيش" عند بداية الألف الأول ق م نجد أن إلهة الولادة قد احتضت وقدم الإله إنكي وحده دور خالق الإنسان.

أحد التآلف الأخيرة الشادة التي يكون بطلها إنكي ولم نذكرها بعد هو إنكي وبنهور ساغا" وهو يبدأ بالثناء على حريرة "ديبون"، (البحرين الحديثة)،

وعلى صفاتها الأصلي في بداية الرمان ثم تروي كيف زوّدها إنكي بلماء العذب وجعلها ميناء وسوقاً تجارية ونسمع بعدئذ كيف يحاول إنكي أن يراود بيهور ساغا عن نفسها، ولكنه يُرفض إلى أن تعرض عليه الزواج، جاعلاً إياها زوجته وتند ابنة، يغويها إنكي حالماً تصبح في سن الزواج، فتسحب بنة ثانية، يغويها بالتالي ويجعلها حُبلى. وائلة إنكي، التي هي حفيده، هي "أوتو" Utu، إلهة العنكبوت، وينبهر ساعا تحذرها من إنكي ولذلك فإن أوتو ترفض أن تدعه يدخل البيت ما لم يحضر معه هدايا العرس من الفواكه، فيحضرها؛ وعندما تتركه أوتو يدخل ليت يستولي عليها بالقوة. وتصل صبيحات أوتو إلى نينهور ساعا، التي تتزعج من إنكي وتردعه. ومنه تنبت ثمانية ستات، وفي وقت لاحق، يلاحظ إنكي إنباتات وهو مارت بها، وإذ يطلق وزيره الأسماء عليها، يأكلها إنكي. وحين تكتشف بيهور ساغا ما حدث، تقسم ألا تنظر إليه بعينها مابحة الحياة، ثم تحثي عن الأنظار وعندئذ تبدأ النباتات، وهي مني إنكي الذي ابلعه، تنمو أحتة في جسمه ولأنه ذكر، فهو عاجز عن ولادتها، وهكذا يسقط مريضاً بصورة خطيرة، فتكرب الآلهة بشدة، ولكن "الثعلب" يعرض إحضار نينهور ساعا. وتحضر؛ وتحلى عن قسمها، وتضع إنكي في فرجها، وتلعج في إنجاب ثمانية آلهة، تُعطي لها الأسماء والمنزلة، وأسمائها تؤدي مهمة التوريات الغريبة واللعب في الألفاظ فيما يتعلق بجسم إنكي الذي تجيء منه والآلهة الأخيرة هي إلهة ديلمون.

والتشديد على ديلمون، وعلى نجاح إنكي العرامى مع بنته وحفيده، وفي إحدى الصيغ، مع حفيده ابنة، إلهة العنكبوت حلوة المظهر أوتو، من العسير أن يكون المقصود أن يؤخذ بجدية وعلى ما يُظن فإن فكاهة التأليف الدنيوية كان يُقصد بها أن تسلي الحارة لرائرين من ديلمون عندما يُستصافون في بلاط أوتو<sup>(1)</sup>

(1) لا يتفق فراس السوح مع حاكر يس في هذه النقطة وقد قدم تفسيراً مستفيضاً لهذه الأسطورة في كتابه "أسطورة والمعنى" الصفحات 69 - 81

## أسلوهي

أسلوهي (أو أسارلوهي - أسر ساقبي الإنسان) إله مدينة كوار kuar، ق (بدو)، وإله عيوم لمطر، وابن لابكي وعالب ما يظهر في رقي صد كل أعمال لشر، وكان وهو سائح فوق الأرض مثل غيمة في وضع يمكنه من مراقبة ما يجري تحته فيبلغ بذلك أباه إبكي، الذي لم يكن في وضع مماثل يسعفه على المراقبة. ولكنه لدى سماعه رواية أسلوهي كان سبب معرفته العميقة قادراً في تل حاله على أن يقول كيف يُردّ على الشر وفي لأزمان اللاحقة كان مردوك مواجداً مع أسلوهي

## مردوك

(أو مروداك) إله مدينة بابل وهو من أصل سومري، ولكن الغزاة الأكاديين استعاروه فيما بعد. والاسم مختصر من أماروداك التي تعني عجل العاصمة فقد كان في الأصل إلهاً للعواصف الرعدية حري تخيه في هيئة ثورة صغير يخور لهد كات الأمطار الرعدية الرمية علامة لبدء اخضرار الأرض ولمواسم السدور والحرب. ولذلك فإن أهم أعياد مردوك، الأكيني (أكينو)، أو أوان إحياء الأرض كان يوصف وصفاً إصاباً بأنه عيد "حراثة السدور" وكانت مدينته كاديغرا "باب الله" (وقد تُرجمت إلى الأكادية بـ "بابلیم" وبدل اسمها على أنها ذات مستوطنة نشأت عند مدخل معبد مردوك الذي يُدعى إساحيليا "المنزل ذو الرأس المرفوع عالياً" ويبدو أن منزلة مردوك كانت حوال الألفين الثالثة والثانية أكثر قليلاً من منزله إله مدينة محلي ولكن مع حلول الألف الأول بدأ ارتفاعه إلى إله الكون الأعلى وتنافسهُ على ذلك الشرف مع إله آشور هي آشوريا

ولقد كرسّت ملحمة الخلق "إنوما إليش" Enuma Elish، مردوك سيداً مطلقاً، وهي تقدمه لنا كمنفذ للأرباب وحائٍ ومنظم للكون وتبدأ الأسطورة سبع أصول لعالم من الاضطرابات المائية لعدة أسور، وإسماء المألحة بامات، لبحر وقد نشأت عنها أحيال متعددة من الأرباب: لهمو، وبهامو، وأشار، وكيشار (وأنو)، ومديمود أو إيا. وبدأ الحيل الحديد بالرقص

والصحب مسأً لذلك الإزعاج للجبل القديم الذي فضل حاة السكنه و لهدوء  
وكانت تيامت، بوصفها أماً طالّت معاناتها للشقاء، تصبر على ذلك، ولكن  
أبسو يقرر التخلص من مشيري المتاعب. وعلى أي حال، وقبل أن يتمكن من  
تنفيذ خطته الشريرة يتغلب عليه إيا ويدفعه، ثم يبي لنفسه بعد ذلك داراً فوق  
جسد أبسر وفيها أنحب إيا ابنه مردوك وقام أنوو المولع بحفيده إلى حد مفرط،  
بجعل الرياح الأربع مهيأة لكي يتلاعب مردوك بها فأحدثت الرياح اضطراباً في  
سطح البحر الساكن، خالقة الموجات العظيمة وكدر هذا الأمر الأحيان الأقدم  
كثير، فاستطاعت أن تستنهض همه تيامت للعمل واجتمع الجيش للقضاء على  
الأرباب الأصغر، ووضع تحت إمرة روح تيامات المدعو كمو.

كان التهديد الموجه إلى الجيل الجديد خصبراً، وسبب لهلع بيهم. اندحر  
كل من إيا وأنوو، اللذين أرسلتا للتغلب على الأزمة واحداً بعد الآخر، وارتدا  
على أعقابهم وأحيراً، وبما أن لأرباب كانوا في أعماق يأس، اقترح إيا علي  
زعيم الآلهة، أشار، استخدام مردوك للدفاع عنهم جاء مردوك وكان مستعداً  
لتولي المهمة، إلا أنه طالب بالسلطة الكاملة، ووافق الأرباب ومحوه السلطة  
لتحقيق كلمته، واستوثقوا بالاختار أن كلمته قد صار لها الآن ذلك التأثير ثم  
امتطى مردوك في المعركة مركة العاصمة ذات العجلتين، فأرعب مرآه العدو؛  
ولم تجرؤ إلا تيامات على مواجهته، ولكن بينما كانت تفتح فمها لابتلاعه، ساق  
إليها الرياح وقتلها بالسهم وأسر جيشها، وسجنه في شكة تمسك بها الرياح  
الأربع ومن جنة تيامات خلق مردوك الكون الموجود. وقسمه قسمين، فصنع  
من أحد القسمين السماء، ومن الآخر الأرض وأعد الحواجز والحرس لمنع  
المياه العليا من الانفلات. وفي السماء بنى داره قالة أسو - إيا مشرة، واسمها  
إشاراً، التي قول لص إنها السماء. ثم شكل مجموعات السحوم، ونظم التقويم،  
وئنت نجم القطب، وأصدر للقمر والشمس الأوامر بشأن حركتهما.

وعندما عاد مردوك إلى الوطن أهّل به الأرباب، وجدّوا تأكيد ولائهم له  
وكان أول طلب به منهم آنذاك هو أن يبنوا له مدينة تُدعى "نابل" ثم صفح عن  
الأرباب الأسرى، الذين رخصو به معترفين بأحتمل بوضعه ملكاً ومخلصاً

ووعده أن يبسوا مدينة له فدعته أريحيتهم إلى التمكن في وسيلة لتخفيف عبء العمل عنهم، فقرر أن يخلق الإنسان وتمت الدعوة إلى عقد اجتماع وجرى اتهام كتبو بأنه الحاضر على المرد وذبح، ومن حسده شكل إيا الإنسان ثم قسم مردوك الألهة إلى مجموعتين، مجموعة سماوية ومجموعة أرضية وفي آخر الأمر تداول الأرباب المسحاة ونوا مدينة ناس التي أراها مردوك وفي حفلة التندشين لكسرة التي جرت احتفالاً بإكمال نابل عيّن مردوك ملكاً دائماً للألهة. وتنتهي الأسطورة بتسمية مردوك خمسين اسماً، يعبر كل اسم منها عن مقدرة يملكها. وكانت روجة مردوك الإلهة سربينوم، وكان ابنه نانو، وهو إله بورسسيا قرب نابل، إنه الفس الكتلي

## نانا

كان نانا Nanna (ويطلق عليه كذلك سوس Suen أو سين sin) إله القمر. وكانت مدينته هي أور Ur (تل المقيبر)، واسم معبده فيها إغيشغونغان وكانت زوجته نينغال ويبدو أن الاسم نانا يشير إلى لندر، في حين أن سوين يشير إلى الهلال. وكان يجري تصوّره عادة في هيئة ثور، وهي صورة تُعبر شكل الهلال الشبيه بالقرن قد رُوّج لها وكانوا يتصورونه كذلك راعياً سَيّر قطعه من النجوم عبر مراعي السماء، أو في السماوات راکباً في رورق، هو الهلال وتروي أسطورة متأخرة - وهي بالفعل رقية لائقاء شرور خسوف القمر - كيف كانت تهاجمه شياطين العاصفة التي أعوت إله العاصفة، إيشكور، وبنانا، التي تاقّت نفسها إلى مصب ملكة السماء، بيكوبا في جانبها. إلا أن الهجوم قد لاحظته إنبيل، الذي سَه إلكي إلى ذلك فأرسل إليه مردوك بיום للإيقاد

## أوتو

كان أوتو utu (شَمش Shamash) إله الشمس والإصاف والمعاملات معادله وكانت مدينتاه أراما (لارسا) في الجنوب وسبار في الشمال وكان معبده في كلا المدينتين يُدعى إيبار؛ وكانت زوجته نيكارا (آيالا Ayalā) وكان أوتو بوصفه قاصب يترأس الاجتماع كل يوم في معابد متنوعة في أماكن خاصة تُدعى

"مكان أوتو" وكان يرحَّب به في الصباح وهو يعلو الأفق، وينظر في الدعوى طول النهار، ويسرع في طريقه في المساء، عند الغروب؟ وكان يقعد في الليل فاضياً في العالم السفلي. وكما يبدو فقد كانت الدعوى التي ينظر فيها، سواء في النهار أم في الليل هي في العادة من قبيل ما يجيء به الأحياء ضد الأشباح الشياطين التي كانت تتلعلل بهم

## إيشكور

كان إيشكور Ishkur (آدَد Adad) إله الأمطار والعواصف الرعدية وأحد الصوص، وهو في أساسه رُفيع لدرء عاصفة رعدية مهددة عن نيتور، بقول له أن يذهب بعيداً لئلا يزعج أباه إنليل بضجيجيه. ويبدو أن شكله الأصلي كان شكل ثور وهو يشبه بينجيرمو في كثير من النوحى، ولكن يبدو أنه إله للرعاة على نحو أخص، فهو القدرة في أمطر الربيع التي تنشئ المرعى في الصحراء

## إنانا

كانت إنانا Inanna (عشتار Ishtar) تدعى في السابق نينانا Ninana، والكلمة يمكن أن تُفهم إما بأنها "سيدة قيد الملح" وإما "سيدة السماء" وكان مركز عبادتها، جنوباً، في أوروك، في معبد يُدعى إابا، وشمالاً، في هورساعكما Hursagkalama، قرب كيش. والصفة المميزة لها هي التركيب الشديد في شخصيتها وتعددية جوانبها ومن الواضح أن هذه أنواع مختلفة أصلاً من الآلهة كانت مندمجة فيها، وأن القدماء كانوا قادرين على مزج هذه الاختلافات في شخصية فاتنة متعددة الوجوه. وكان يحري تصويرها في العادة فتاة شابة قوية الشكيمة ومتحكمة إلى حد ما، وفي سن الزوج أو بصورة أخرى عروساً صغيرة، وكان عاشقها أو زوجها هر أحد أشكان الإله دوموزي Dumuzi (تمور Tammuz) ويبدو أنه من الممكن في الصورة المركبة نتي تقدمها الإلهة أن نميز المظاهر لتدبة، التي من المظنون أنها كانت شخصيات مستقلة ذات حين

١ - كانت إينانا بوصفها ربة محزون الثمر منسحمة تماماً مع هذه الوظيفة في أوروك وهي منطقة شهيرة يسمو فيها البلح وكان اسمها نينانا يمرر ها إلى سيدة عافيد البلح ، ويرمر اسم معبدها، إيانا، إلى "دار عناقيد البلح". وهنا عند بيت بيت الخزين (إحيذا)، كنت تلتقي عريسها أموشومعالانا (المصدر الواحد الكسر لعاقيد النخ)، أي الرعم الواحد الكبير الذي ينت سعة النخل سنوياً وقد كن القدرة التي تحمل سعة النخل تثمر. ويشكل رفاهما، ودخوله بيت إيانا، رؤية شعرية ميثولوجية ترمز إلى وصول حصاد البلح. وكما مورست شعيرة هذا الروح فيما بعد، فإن الملك الحاكم لم يكن يأخذ دور أموشومعالانا ، حسب بل يصح هو بالفعل ، في حين كانت الإلهة تتجسد في الملكة نينعالا (سيدة لقصر) وبذلك فإنها في المصوص المتصلة بعرس إينانا كانت تُدعى تلك الصفة. وفي أغنيات الحب المكتوبة لتلك المناسبة من الصعب في أغلب الأحيان التمييز بين حب إينانا لأموشومغلانا وبين حب الملكة البشرية لزوجها. وقد كانت عادة إينانا في مطهرها عادة لمحزون الثمر، عادة سعيدة فليس فيها إحساس بالفقدان، ولا "موت" للإله فكانت الممر، القابلة للخزن بصورة فائقة، مع الجماعة دائماً، وكذلك القدرة التي تمثلها

2 - كان الجانب الآخر مختلفاً إلى حد ما، ولكنه مسجم أيضاً مع وضع أوروك، ولكن مع وضعها كأوروك الحضائر لا أوروك الغياص وكانت إينانا في هذا الجانب هي قدرة أطار الربيع الرعدية، التي كان الرعاة يعتمدون عليها من أجل الكلاء في الصحراء وفي هذا الجانب كانت متزوجة من دوموزي، الراعي وعلى ما يبدو فقد كانت هيئتها الأولى هي هيئة الطائر الرعاد الذي له رأس أسد، الهيئة التي ظلت لها باعتبارها صفة خاصة وكانت إلى جانب ذلك تبدو في هيئة الأسد وحده، وتُستبدل بها إلى هذا الحد أو ذلك.

٣ - كان يتصل اتصالاً وثيقاً بمطهر إينانا بوصفها إلهة العاصفة الرعدية مطهرها بوصفها إلهة الحرب وقد جعل الدوي الراعد لمركه الحرب الدائيه من السهل رؤية الرعد وسماعه بوصفه نظير المركة الحربية في السماء وكانت الطبيعة الوحشية للأشكال الأخرى كالأسود ولشيران توافق الصورة وكانت

إينانا، بوصفها إلهة الحرب، تقود "رفعه إينانا"، تحرك صفوف المعركة كل  
مها نحو الآخر وكأنها صفوف الرافضين. وهي في الأسطورة المكتوبة عنها تظهر  
سلسلة جبال "إبه" Ebeh غير الطيبة في آشوريا الجنوبية.

4 - إن الجانب النحوي في إينانا، وعشتار الأكادية على السواء، هو جانب  
إلهة نحم الصباح والمساء، الذي تشكل به ثلوثاً مع أبيها، إله القمر، وأخيها، إله  
الشمس. وليست وظيفتها الدقيقة في هذا الدور واضحة باستثناء ما يتعلق بمظهرها  
الذي يسم بداية يوم العمل ونهايته وكان يفهم من اسمها بوصفها إلهة نجم الصباح  
والمساء أنه يعني (سيدة المساء)، ومما يمكن تصوره كذلك أن صلاتها السماوية  
قد شجعت على تفسير اسم معدها، إينانا، على أنه (دار السماء)، وعلى الاعتقاد  
بأنه قد نزل أصلاً من السماء وهالك دليل على أنها قد أفلحت في أزمان لاحقة  
في أد محل محن إلهة السماء أنثوم Antum، بوصفها راحة إله السماء آن An  
(آنوم Anum) وأصبحت ملكة السماء وهي في أسطورة الكسوف تأمر من دون  
أن يتكلم بأمرها بالنجاح مع عفاريت العاصفة للحصول على ذلك المنصب،  
ولكن في أسطورة لاحقة هي "صعود يند" يلتبس مجمع الآلهة المهيبة من آن  
(آنوم) لرواح بها، فتقلد لها السلطات العليا بين الآلهة.

5 - أخيراً، كانت إينانا بوصفها حامية لعاهرات بحري صورها على أنها  
هي نفسها عاهرة، وكان شكلها الأصلي في هذا المظهر هو شكل البومة، التي  
تخرج، كالعاهرة، عند الغسق. وعلى نحو مألوف كان اسمها بوصفها عاهرة هو  
"سننا" Ninnina (سيدة البومة) وكان اسمها في الأكادية "كيليلي" Kilili

في ساطير إينانا هلك عنصر متكرر دوماً، وهو رغبتها الجامحة في  
السلطة وهذه الرغبة، كما لاحظنا في "أسطورة الكسوف"، تحملها على السامر  
مع عفاريت العاصفة الأشرار؛ وهي في أسطورة "إنكي وتطعم العالم" تشكو  
حرارة من أن كل الربات الأحرار لهن مناصب وهي ليس لها، ولذلك يحاول  
إنكي أن يحفف عنها وفي أسطورة "إيسا والدرسة Purse" أي إينانا والمناصب  
الإلهية التي تدعى "مي" في السومرية، يقال لما كيف زرب إنكي في غريده،

وكيف عبّ بعمق في حفلة الترحيب بها، وكيف أنعم عليها في حالة التيسر بمصعب بعد آخر. فقررت بحكمة أن تعادله على الفور إلى البيت بمناصبها التي درت بها حديثاً وهكذا فعندما استيقظ إنكي من سكرته وأراد استعادة المناصب كان قد فات الأوان وتعد الأسطورة المناصب واحداً واحداً، وهي تشكل قائمة هائلة ومن المحتمل أنه سألطر إلى الخلفية التوفيقية في صورة إيانا، فإن المناصب المسندة إليها تُسفر عن قليل من الوحده أو الأنموذج المتمسك؛ لا بل هي تشكل مجموعة مختلطة من الأمور المستقاة من مصادر مختلفة ومع ذلك لم يكن هذا يُقلل القدمات؛ وبدلاً من ذلك فقد مجّدوا تعدد الجواب في إيانا، وحدى الترتيلات، لعظيمه بها تُصرّ على الشاء عليها بوصفها إلهه الأصداد، إلهة الإهانة والتبجيل، ولفنوط والاستبشر، وهم جرا.

واشتهاء إيانا اسلطة عنصر مهم في أشهر الأساطير عه، وهي أسطورة "هوط إيانا إلى العالم السفلي" فهو يحثها على النزول إلى مجال الموت لتعصب مصعب الملكة من ملكته صاحبة الحق إرشكيغال، وتحقق المحاولة، وتُقتل إيانا وتحول إلى قطعة لحم وتعلق على وتد. وعندما تخفق في العودة، تشد حاريتها المخلصة نيشوبورا Nishubara المساعدة، أولاً من إنليس في بيور، ثم من نانّا في أور، وأخيراً من إنكي في إريدو. ولم يستطع إلا إنكي التفكير في وسيلة للمساعدة. ويخلق مخلوقين من طين تحت أطافره ويرسلهما إلى العالم السفلي مع التوصيات بمو ساة إرشكيغال، التي من عدتها أن تدب الأطفال الذين ماتوا قبل أوانهم ثم حس تتأثر باهتمام المخوقين تليي رغبة لهما، فيطلبان حثّة إيانا المعلقة على التود ويلقيان فوقها العشب وماء الحياة اللذين أعطاهما إنكي لهما. ويبعان تعميمات إنكي، فبهض إيانا حية. ولكنها وهي موشكة أن تعاد العالم السفلي، يوقفها أربابه الحاكمون ويأمرونها بأن توفر بديلاً يحتل مكانها وهكذا تصحبها معبرة من حراس لعالم السفلي لصمت أنها سوف تعس بديلاً يعود معهم

وفي رحلة العودة إلى أوروك تلقى حادماً محلصاً بعد الآخر، وكلهم يرتدون ثياب الحداد من أجلها. وهي ترفض أن تسلّم أي واحد منهم للشاطين

إلا أنهم بدى وصولهم إلى أوروك يصادفون (وجهه، دوموزي، قاعداً يمتّع نفسه بالإصغاء إلى موسيقى المرامير، وهو يرتدي الثياب الصخرة. فيُحَقِّق إينانا هذا التحايل الذي يتجاوز الحدود، وفي وقدة من غيظ غيور تسلّمه للشياطين، الذين يحتفلون به. وهو في كربة يناشد صهره أوتو، إله العدل والإصاف، ويطلب عليه أن يحوله إلى غزال - وفي صيغة أخرى إلى حية - حتى يستطيع الممرار من أسريه. ويقوم أوتو بذلك، ويهرب دوموزي، ولكنه لا يهرب إلا بقبض عليه من جديد، ويهرب مرة أخرى، إلى أد يُقبض عنده نهائياً وهو في حطرتة وتنتهي القصة بأخته عشتننا Geshtinanna، إلهة أشجار العنب، وهي تبحث عنه وأخيراً تعثر عليه يرشاد من "الدانة" وتسحق به في العالم السفلي وإينانا هي اساه على الحظّ العاثر الذي لا يستحقه دوموزي ولا أخته تأمر أن يُسهما في الالتزام بتأدية دور البديل عنها: فيؤدي دوموزي الدور في الأسفل نصف سنة ثم يعود غنى العالم في الأعلى في حين تتولى أخته الدور. وهي بالتالي تعود بعد نصف سنة حين يذهب أخوها إلى الأعلى

وهذا الأمر يُهيئ الحكاية، وسيوحي النظر الأدق إليها بأن التسمية المناسبة لها هي "الحكاية" التي هي أخرى من "الأسطورة"، لأن من الأسر فهمها على أنها مؤلفة من أساطير الموتى التي يضعها لسارد معاً من أجل التأثير الدرامي ويروّقها كيف اتفق. واسطورة موت إينان وتحوّلها إلى قطعة من اللحم تُفهم على أفضل ما يكون بوصفها أسطورة أصلية تمثل إينانا فيها محرّن اللحم تحت الأرض؛ وهي تصح مثل قل عندما يتفتخ اللحم في الصيف، ولكنها تعاد إلى الحياة عندما يُعاد بخرب المحرّن بلحم الجديد من القطعان التي تعذّت بالعشب وماء الحياة، أي مراعي الربيع، وبس للأسطورة علاقة بمظهر إينانا تربة لحم الصباح، الذي يجعلها السارد تقدم بالعشب نفسها عندما تنشد اندحور في العالم السفلي وقد كان القسم الثاني من الحكاية أسطورة مفصلة في الأصل تتناول دوموزي بدلاً من إينانا، وقد وصلت كذلك، في أشكال طعنة الاختلاف، بوصفها أسطورة معصلة قائمة بداتها.

## دوموزي

شأن إيتانا، وربما أكثر كذلك، يقدم عاشقها وعريسها دور ي صورة شديدة التركيب، صورة توفيقية، صورة لس من السهل على الدوام أن يتم بشكل واضح فرز الخيوط المتنوعة المسوجة فيها على أن بعض الجوانب المتميزة نوعاً ما تبرز، ومن المحقول افتراض أنها تمثل أرباباً مفصلين ومستقلين في الأصل. وهذه الجوانب هي التالية.

1 - دوموزي بوصفه أموشو معالانا Amaushumgalana، القدرة الإنتاجية في سعة النحل وزواجه بإيتانا بوصفها روح المخزن هو احتفال بجلب حصاد النمر وقد تأسست عبادته في أوروك.

2 - دوموزي الراعي، القدرة التي تسبب للعجائب إنجاب الحملان الطبيعة حسنة النكوين. وكانت عروسه إيتانا بوصفها إلهة هلات لمطر التي تستدعي اختصار المرعى في الصحراء. وكان روال القدرة التي يمثلها عندما يصل موسم ولادة الحملان إلى نهايته يُطر عليه على أنه موت الإله، يُدرك بالعويل والنواح.

3 - دوموزي الجعة. لا يقر هذا الجانب من الإله اسماً مفرداً متميزاً. وتستخدم الموصوص التي تعالجه اسم دوموزي أحياناً وسم دامو Damu أحياناً أخرى وهي تشتمل على البحث عنه بعد موته من قبل أخته وأمه.

4 - دامو لطفل، وهو القدرة على نشوء النسخ في اساتات والأشجار في الربيع وكانت أمه التي بعدة مفقوداً في أثناء الصيف الجاف تبحث عنه وتجده وهو ينزل إلى النهر، ومن المرجح مع الميضاد الماكر في الربيع وقد تأسست عبادته في أوروك.

5 - دامو المجدد، وهو مظهر للإله كان يرى تحته صياً صغيراً ملوماً بالخدمة العسكرية وقد أخذه من أمه عوة رحل التجيد القساء، وهي تبحث عنه، وتذكر بالتدريج أنه قد مات أما ما هي بالصبط القدرة التي كان يمثلها فليست واضحة، والأرجح أنها مرتبطة بحس حال قطعان الماشية وقد تأسست عبادته في حيرسو Girsu (تلو Tello) على نهر الفرات

من الطبيعي أن تنقسم الأساطير حول هذه الجوانب المختلفة إلى مجموعتين، المجموعة التي تعالج النخب والعرس، والمجموعة التي تعالج موته والبحث عنه وإلى المجموعة الأولى ينسب الحوار بين إبننا ودوموري الذي وجد فيه داراً لهما قرب أبيه. وهي لا تعلم أنهما قد اختاراه زوجاً مقبلاً لهما، وهو يكايدها صريعاً لهما أن أسره ليست أقل شأن من أسرتها، وفي مآل الأمر بعلمها، وتكون مسرورة كثيراً وتبدو إبنائاً في هذه الحكاية نافعه جداً وهي حكاية أقدم قليلاً تظهر فيها أخت دوموزي، غيتيتة وتقول لدوموري إن إبننا قد دعته إلى البيت وروت لها كيف تعاني هي، إبنائاً وفي رهاء العمر نفسه، تظهر إبنائاً في قصة مختلفة، وهي تنتظر دوموزي قبل المساء، كانا قد تقابلا ووقع كل منهما في هوى الآخر في اليوم السابق، وعندما يظهر دوموزي يراودها عن نفسها باندفاع شديد فتصده من دون توالٍ وكما يظهر - والنص منقطع هنا - تجعله يحط بها كما يليق. وعد استئناف النص يكونان في طريقهما إلى منزل أمها لإعلان الخطة.

وتروي قصة أخرى كيف رتب شقيق إبنائاً، أوتو، رواحاً لهما ولكنه غير متيقن كيف مستقبل النسا ولذلك يتحدث تلميحات، عارصاً عليها كتاباً جديداً من أجل ملاءة كثرية. وهو لا يقول لها، بها ستكون ملاءة عرسها. ولكنها تفهم على الفور. وهي في خشيتها من حيار أحياها الذي قد يكون خیاراً خاطئاً، تؤجل المسألة الحاسمة، زعمة أنه ليس لديها من ينقذ الكتان، ويقتل الخيط وينسجه، ويصبغه ويبيضه، ولكن في كل مرة يعرض أوتو لإحصار الكتاب الذي قد تمّ تحبيره ولذلك عليها في النهاية أن تصل إلى لب الموضوع من الذي سيضطرع على الملاءة الكتنية معها؟ وعندما يقول لها أوتو إنه أموشومغلانا تصرح فرحاً عظيماً. والعرس نفسه مسرود في حكاية تبدأ بإبنائاً وهي ترسل إلى عريسها ومرافقيه، ذاكرة لهم بالنعين ما هي الهدايا التي عليهم أن يحضروها. ويظهرون أمم الدار، ولكن إبنائاً ليست عسى عجل، فهي تستحم وترتدي كل ثيابها وحبها المهرجة وتضعي إلى توصيات أمها حول الطاعة المناسبة لحمايتها وحماها وفي النهاية تفتح الباب لدوموزي - وهو الإجراء الذي يختتم الزواج

السومري - ومن المظنون (والنص منقطع هنا) أنها تقوده إلى حجرة العرس لإتمام الزفاف. ومن المحتمل أن وليمة لعرس نلي الصباح الثاني. وعندما يعود النص إلى الاستئناف يقود دوموري عروسه لشاة إلى داره ويريد أولاً أن يأخذها إلى إلهه الشخصي ليبارك الزواج. ولكن إينانا يستحكم فيها الدعر، فيحاول دوموري أن يشد من عزيمتها بإجبارها أي مكانة مجيدة سوف تحتلها في البيت وكف أنه لن يكون مطلوباً منها أي عمل منزلي مهما كان

ولعل المجموعة الأخرى من الأساطير، التي تركز على موت الإله الشاب، تمثلها على أحسن ما يكون الأسطورة التي تُدعى "حسم دوموري" وفيه يرى دوموزي حدماً مشؤوماً تزوجه عشتاراً بأنه توحد بقرب وفانهما كليهما فيرسلها دوموزي إلى إحدى الروابي رقيقة، فنبغ عن وصول قارب يحمل رجال نحيد أشرار. ويقرر دوموري أن يختبئ في الصحراء، ولكنه يحير أولاً أخته ورميله أين سيكون وعندما ينزل رجال التحيد إلى اليابسة ويقدمون الرشاش من أجل الوشاية، تكون غشيشة ثابتة؛ ومهما يكن، فإن الرميل يحون صديقه. فيلقى القبط على دوموزي ولكنه ياشد أوتو أن يساعده على الفرار بتحويله إلى عزال ويقوم أوتو بذلك، ويهرب، ولكنه لا يهرب إلى لقص عليه من جديد ويتكرر ذلك إلى أن يهرب إلى حظيرة التي يقحمها المطاردون، ويخربون كل شيء في طريقهم، ويقتل دوموزي. وتصوره كذلك أسطورة مشابهة، عارب وأسيراً. يفلح في الفرار والهروب إلى أوروك ولكنه وهو يحاول عبور العرات يجرفه الفيضان فيغرق أمام أعين أمه المروعة، دوتور Duttur، وروجه، إينانا

## لوعالبندا ونيشونا

كان لوعالبندا Lugalbanda (اسمك الشرس) ونيشونا Ninsuna (سيدة الأبقار لوحشية) كما يظهر، إلهان لمدنة كُلاب Kullab، وهي مدنة كانت أوروك قد استوعبتها في وقت مبكر. وكان كلاهما من آلهة الماشية، ولكن يبدو أن لوعالبندا باستيعب أوروك لمدنيته قد فقد منبرته الإلهية. وغالباً ما يظهر في الأرمات التاريخية بوصفه ملكاً قديماً من ملوك السلالة الأولى لأور، ومن المحتمل أن إنجازاه في دور الرسول ذي الموهبة الفائقة، والذي تحدث عنه

الملحمة الوحيدة التي وصلتنا عنه ، قد تم إلحاقه بأنه آخر ، لأنه لم يكن ثمة شيء ، غير ذلك معروفاً عنه وقد نحت نيسونا من ناحيتها في المحافظة على منزلتها الإلهية كدت الإلهة الحارسة لـ "عوديا من لاغاش ، ومن المثير للفصول بما فيه الكفاية أنها في ذلك الدور كانت زوجة نينجيشريدا ، وليس لوعالاندا.

### نينجيسو

كان نينجيسو Ningirsu (سيد جيسو) إله مدينة جيسو ، في معبد إنسو وكانت زوجته الإلهة بابا Baba ، وكان نينجيسو إله العواصف الرعدية في الربيع وافيضان لربيعي لنهر دجلة. وكان شكله الأول شكل الطائر الرعاد ، وهو عقاب هائل أو سر ضخيم له رأس أسد مه يزأر الرعد وكان نينجيسو متواحداً في البداية مع بينورنا من نيبور ، ولذلك فإن قدراً كبيراً من أسطورياته قد انتقلت إلى الثاني (وقد نوقش ذلك بعمق) وكان نينورت كذلك الاسم الذي استعاره الآشوريون عندما أصبح بارزاً بوصفه إله الحرب

### غاتومدوغ

كنت عاتومدوغ Gatumdug إلهة مدينة لاعاش (الحية Al hiba) جبوبي جيسو. وليس واضحاً معنى اسمها ، إلا أن بيئة أخرى تفترض أنها إلهة التوليد كذلك.

### نانشه Nanshe

كنت إلهة الطير والسماك ، وكانت إلهة مدينة نينا Nima (رُغول Zurgul) ، في معبدها سيرتر ، وكانت وهماً لـ "عوديا" ، مؤلفة أحلام الآلهة

### نينمار

كانت نينمار Ninmar هي إلهة مدينة عوابا Guabba وعلى ما يبدو إلهة انطور كذلك.

## دوموزي - أبزو

كاس دوموزي - نزو Abzu - Dumuzi إلهة مدينة كينيرش Kīnirsha ،  
والقدرة على الحصب والحياة لحديدة اصحية في الأرض السبعة

### نينينسيث

كاس نينينسيا Nininsian "سيدة إيسين" إلهة إيسين (إيشان بحرية) في  
جنوبي بيور، والتي كانت عاصمة سومر خلال لغته التي تلت سلالة أور الثالثة  
حتى حلول العهد البابلي القديم ويبدو أنه كان يجري تصورها في هيئة كلسة  
ومن المرجح أنها كانت إلهة الكلاب. وكانت قدراتها اخاصة هي قدرات  
الطبية. وكانت ابنتها دامو Damu المختلفة عن صبي حيرسو على نهر المرات -  
تتبع خطوات أمها بوصفها إلهة الشفاء

### إرشكيغال Ereshkigal

(اللاتوم Allatum) والاسم يعني (ملكة الأرض الكسرى السعلية) مقدر  
أعتقد الأقدمون أنه كانت توحده سماء أكبر "فوق السماء المرئية تتصل بـ"الأرض  
الكبرى" الواقعة في أسفل الأرض المعروفة في هذه الأرض الكبرى هنالك  
مملكة الموتى، التي كانت إرشكيغال ملكتها، على الرغم من اعتقاد مختلف  
ومنازع - قد حدد لمملكة الموتى موضعها في الحان الشرقية وقد تصور  
الأقدمون أنها مدينة مسورة. وكما هو الأمر بالنسبة إلى المدن التي على الأرض،  
فإن السور لا يحدم لمجرد منع الأعداء بل كذبت في الإبقاء على الناس في  
امدنه، ومنهم، مثلاً، العسل الذين لم يكونوا أحراراً هي مغادرة المدنه وكانت  
لها شرطها الخاصة ومصر كن إله الشمس يرأس الاجتماع فيه أثناء الليل وكان  
الوجود هنالك مرحشاً. وإذا لم يكن للممر اسن ليقوم بالتقدمات الخاصة  
بالجنارة، كان يعيش مثل منسول، ولكنه بوجود أناء كثيرين كان يستطيع أن  
يتمتع بقدر كبير من الراحة وكان المحظوظون إلى حد معقول كذلك هم الشبان  
سدين يقتلون في المعركة - فقد كان لهم أساؤهم الدبر يُعنون بالخدمات -  
والأطفال الصغار الذين يلعبون بالعبهم الذهبية وفي الألفين الثاني والأول يبدو

أن الأفكار عن الوجود في الأسفل قد أصبحت أشد قتامة. قيل إن الغبار كان يكسو كل شيء؛ وكان المومي يرتدون الريش كالطيور، وعندما رار أمير آشوري العالم السفلي في الرؤيا، وحده مبعث بالمسوخ المريعة. وكانت إرشيكيغال نفسها مسكوبة في صورة امرأة الجدد، شادة شعرها وخادشة جسدها بأطافرها حراً وهي تندب لأطفال الموتى قبل أوانهم وفي الأسطورة المتأخرة عن نرغال وعرشكيغال تنكلم متألمة عن حياتها المكثرة للنفس. فحتى عندما كانت صغيرة لم تلعب كما كانت الفتيات الصغيرات يلعبن ويبدو أن روح إرشيكيغال قد كان في الأصل غوجالان Gugalanna (ثور السماء العظيم) وفي ماثور معاير، وربما من زمن لاحق، يكون نيازو Ninazu بعلمها، وأخيراً أصبح نرغال ملك العالم السفلي مع إرشيكيغال بوصفها منكهته.

## نينازو

ليس معنى الاسم نينازو Ninazu واضحاً، ولكنه على ما يبدو ذو علاقة بالماء وبما أنه من آلهة العالم السفلي، فالأرجح أن اسمه يشير إلى المياه في باطن الأرض. وكانت زوجته بسجيرد Ningirda (سيدة الحمل الجيد) وهي ابنة إنكي. وفي الشمال، في إشنونه (نن أسمر) في منطقة ديبالا، حيث كان اسمه الأكادي تشباك Tishbak (الانصباب)، كان إله العواصف المطيرة وكانت مدينته في الحروب إنيحبر على الفرات الأدنى.

## نينجيشزيدا

كان نينجيشزيدا Ningishzida (سيد اشجرة جيدة النمو) إله الأشجار، ولا سيما القدرات في الجذر التي يغذي ونعزز الشجرة. وكان من الطبيعي بوصفه إله جذور الأشجار أن يُنظر إليه على أنه فدرة العالم السفلي تحت الأرض. وكان مقامه هناك مقام حامل العرش، وهو اللقب القديم لرئيس قوة الشرطة وكانت زوجة نينجيشزيدا هي أريموأ Azimua (الفرع جيد النمو) وكانت مدينته جيشبندا على العرات الأسفل وكان الأقدمون يعتقدون بوجود هوية مشتركة بين جذور الأشجار والحيات، وبأن الحيات حدود تتحرك بحرية. ووفقاً لذلك، كان

نيحشريدا إله الأفاعي كذلك، وكانت هيئته الأقدم، كما لاحظنا من قبل، هيئة جذع شجرة تلتف حولها جذور أفعوانية، وهي في كليتها تشبه الصولحان اليوناني الممنح لذي ملتف حوله أفعوان

## نرغال

ربما كان الاسمان الأحران لـ "نرغال" Nergal (رب المدينة العظيمة)، يشيران في لأصل إلى بهين مختلفين، هما ميسمتايا Meslamtaea (الواحد المنعش من شجرة الميسو وافرة النماء) ويريرا Ira وكان مسلم Meslam أو إمسلم Emeslam هو اسم معد نرغال في كوثه بمنطقة أكاد

وتروي أسطورة محفوظة في نسخة موحودة في تل العمارنة في مصر، تاريخها من القرن لثالث عشر قبل الميلاد، كيف توصل نرغال إلى أن يكون ملك العلم السفلي ففي إحدى الامرات عندما كان الأرباب يولمون أرسلوا رسولا إلى إرشكيغال في الأسفل بدعوتها إلى إرسال وريثها نمتار Namtar، يعود إليها بنصيب من لداثذ الطعام، فأرسته. وعندما وصل نهض الأرباب احتراماً له جميعاً إلا واحداً، هو نرغال، الذي ظل قاعداً عن سوء أدب وعندما أبلغ نمتار إرشكيغال بذلك صاست باحتداد بأن يُسلم لها الإله المسيء حتى تقتله ولكن نمتار حين جاء إلى نرغال، غير إيا مظهره فلم يعرفه ولكن إيا قال لنرغال بعدئذ أن يُنزل عرشاً إلى إرشكيغال لتطبيب خاطره. وكان نرغال مماعاً بصورة يمكن فهمها، ولكن إيا أصر وأعطاه شصاص لفتح أبواب العالم السفلي حتى يتمكن من اخروح سريعاً إذا احياح الأمر. وعلى أي حال، لم يبق مقاومة، وأرسل إرشكيغال عن عرشها من شعرها، وهدده بالقتل، وعندما دافعت إرشكيغال عن حيبتها، عارضة على نرغال الزواج وحكم العالم السفلي، وافق وقبّلها، ومسح دموعها، قتلاً بإعجاب "لم يكن إلا لحب ما أردته مي من شهرة طويلة مضت". وهالك صيغة متأخرة للحكاية أكثر تفصيلاً وفيها تتم زيارة نرغال للعالم السفلي مرتين، في المرة الأولى يصاحب إرشكيغال صد بصيحة إيا ويفر، وفي المرة الثانية ليملك بعد أن توسل إرشكيغال إلى الآلهة من أجل عودته

والأسطورة الأخرى، وهي ملحمة إيرا Ira، تحفي برغان تحب اسم إيرا (وهو اسم أكادي يعني (الأرض المحروقة) وكان على الأرجح يشير في الأصل إلى إله مستقل وتروي لمحمه كف أثر إيرا للعمل سلاحه، ميبثو (والاسم يعني سبعة) وكيف أنفع مردوك أن يتركه متولياً شؤون العالم حين ذهب مردوك ليستريح من عباء العمل ويعيد نميح جواهر تاحه التي حبا لونها كان العنص الأول الذي قام به إيرا هو انحرىض على العصيان في نابل، وعد ما اندلع أخمده قائد الحامية الآشورية في تلك المدينة. بعد ذلك قام إيرا بشتر أعمال الشغب والتمرد وحرروب في كل أنحاء البلد، وبعله كان سيدمره تدميراً كاملاً لولا وزيره الذي جادله بالحجة وأقنعه بأن يترك بقية منه. وتنتهي الملحمة بأشودة يمدح فيها إيرا نفسه، قائلاً إنه الذي لا يدم بأي رحه من لوحوه على أعمال العنف، لا بل هو يوحى بأنه قد يملت مرة أخرى في أي وقت

## آشور

كان آشور Ashur إله مدينة آشور (قلعة شرعات) وهو كبير آلهة آشوريا (مملكة آشور) ولا تميزه ملامح خاصة غير الملامح الني تميز دوره بوصفه تحسيداً لمطامح السياسية لمديسه وشعبه وحتى زوجه واسم معبده فإنهما ليسا خاصين به، إنهما مستعاران من الليل، جزءاً من طموح آشور إلى الهيمنة الكونية التي كان إليل يمثلها. ولربما كان في الأصل روح مكان "numen loci روحاً تقطر مكاناً وتُشبع فيه طبعها - واسمها اسمها من المكان الذي جرى استعمار حصوره فيه" (\*)

**Thorkild Jacobsen**

(\*) تمت ترجمة هذا الفصل من:

M Eliade, ed. Encyclopedia Of Religion, MacMillan, London 1987

## ببليوگرافيا

Bottero, Jean, *La religion Babylonian*. Paris, 1952.

Dhorme, Edouard. *Les religions de Babylonian. Et d, Assyrie*, Paris, 1945.

Dijk, V. van. "Sumerische Religion" In *Handbuch der Religionschichte*, Vol. I edited by Jes Peter Asmussen, Jorgen Laessoe, and Carsten Colpe, Gotting, 1971.

Frankfort, Henri, ed *Before Philosophy*. Harmondsworth, 1949.

Hook, S. H, *Babylonian Religion*, New York 1953.

Jacopsen, Thorkild, *the Treasures of Darkness: A history of Mesopotamian Religion*, New Heaven, 1976.

Laessoe, Jorgen. "Babyloninschte, vol. I, edited by J. P. Asmusen, J. Laessoe, and C. Colpe, Gottingen 1971.

Meissner, Bruno. *Babylonian und Assyrien*, vol. 2, Heidelberg, 1925.

Pritchard, J B, ed *Ancient Near Eear Eastern Texts relating to the Old*

*Testament*, Princeton, 1969.

Ringgren, Helmer. *Religions of the Ancient Near East*, Philadelphia, 1973.

## الديانة السومرية

### اللاهوت والطقس والأسطورة

تأليف: S.N.Kramer

ترجمة: محمود منقذ الهاشمي

أنشأ السومريون في غضون الألف الثالث ق. م أفكاراً دينية ومفاهيم روحية خلقت أثراً لا يُمحى في العالم الحديث، ولا سيما من خلال اليهودية والمسيحية والمحمدية. وعلى المستوى الفكري وضع المفكرون والحكماء السومريون، نتيجة تأملاتهم التفسيرية في أصل الكون وطبيعته وطريقة عمله، علماً للكون ولاهوتاً فيهما الكثير مما يحمل على الاقتناع، إلى حد أنهما أصبحا في أساس شهادة الإيمان واعتقيدة المسلم بهما للكثير من أديان الشرق الأدنى القديم وعلى المستوى العملي والوظيفي، أنشأ الكهّان والفديسون السومريون مجموعته ذات ألوان متعددة ومختلفة من الطقوس والشعائر والمراسيم التي كانت كافية لتروق للآلهة وتسترضيهم، وكذلك لتوفير مصروف لمحبة الإنسان للمهرجانات والعروض الفخمة. وعلى المستوى الجمالي فقد أبدع شعراء الـ 'إدبّة' Edubba وكتّابه ما هو أكثر أسطوريات الشرق الأدنى القديم ثراءً، وهي الأسطوريات التي أرجعت الآلهة إلى حجمها إنساني، ولكنها قامت بذلك بتفهم وتوفير، وفوق كل ذلك، بأصالة وخيال

ولنبداً بـ "علم الكون واللاهوت. وبالحديث العلمي فإنه لم يكن تحت تصرف الفلاسفة والمفكرين السومريين إلا الأفكار الابتدائية والسطحية عن طبيعة الكون وطريقة عمله. وفي نظر المعلمين والحكماء السومريين، كان المكوّنان الرئيسيان للكون (بالمعنى الأصيق للكلمة) هما السماء والأرض،

وبالفعل كان مصطلحهم الدال على الكون هو "أن - كي" An ki وهي كلمة مركبة تعني "السماء - الأرض" وكانت الأرض قرصاً منبسّطاً يعلوه فضاء هائل حاوٍ، يحجبه سطح صلب على شكل سقف مقبب ولا يرال غير معروف تماماً على وجه التحقيق ما كانوا يعتقدونه بشأن مادة هذا السقف السموي؛ وإذا حكمنا من المصطلح السومري للقصدير وهو "معدن السماء"، فلعله كان القصدير. وكانو يميزون مادة بين لسماء والأرض أطلقوا عليها "ليل" la، وهي كلمة معها انتقريبي هو الريح، الهواء، النفس، الروح؛ وبدوا أن أهم صفتين من صفاتها المميرة هما الحركة والتمدد، ولذلك فهي تعادل "لجو" تقريباً وكان يطل أن الشمس والقمر والكواكب والحيوم مصنوعة من المادة التي صنع منها الحر، ولكنها بالإضافة إلى ذلك أمدت بحصية الإصاءه. وكان ما يحيط بـ "لسماء - الأرض" من كل الجوانب، وكذلك من الأعلى والأسفل، هو الحر غير المحدود الذي ظل الكون فيه ثابتاً وراسخاً على نحو ما.

ومن هذه الحقائق المتعلقة بسية الكون - الحقائق التي كدت تبذر للمفكرين السومريين واضحة ولا حدال فيها - أنشأوا علماً لنشوء الكون يليق بها لقد استنتجوا أنه قد وجد في البداية "بحر أول الزمان" والدلائل هي أنهم كانوا ينظرون إلى أن البحر كموع من العلة الأولى والمحرك الأول، ولم يسألوا أنفسهم ماذا كان يسبق البحر في لزمان والمكان وفي بحر أول الزمان هذا، تم بطريقة م إحدات الكون (أي السماء - لأرض)، الذي يتألف من السماء ذات القبة التي تعلو الأرض المنسطة وتتحده معها ولكن كان يأتي بينهما "الجو" المتحرك والتمدد لذي يفصل السماء عن الأرض. ومن هذا الجو سُويت الأجسام المصيّنة، وهي القمر والشمس والكواكب والنجوم وبعد «فصال السماء عن الأرض وحلق الأجسام النحبية مانحة الصياء، ظهرت الحياة النباتية والحيوانية و لشرية إلى لوجود

وافترض اللاهوتيون السومريون أنه كان لتشغيل هذا الكون وتوجيهه والإشراف عليه مجمع آلهة يتألف من جماعة من الكائنات الحية، شبيهة بالشعر

شكلاً ولكنها فوق مستواهم، وحالدة، وهي وإن تكن محجوبة عن رؤية العين العائنة، إلا أنها تسيطر على الكون وفق حطط محكمة وقوانين راسخة وكاست محالات السماء والأرض والبحر والهواء، والأجسام النحمة الرئيسية والشمس والقمر والنياكبات؛ وتلك القوى الحوية كالريح والعاصفة والإعصار؛ وأخير عسى الأرض تلك الكائنات الباطنة كالنهر والجبل والسهل، والكائنات الحضارية كالمدينة والدولة، ومساقات الماء والخندق، والحقل والمزرعة، وحتى تلك الأدوات كالمعول والمقالب الأجرى والمحراث؛ لقد عد كل شيء من ذلك من مسؤولية كائن أو آخر شبيه بالشكل البشري، ولكنه يفوق الإنسان، كائن يوحه نشاطاته وفقاً للقواعد ولأنظمه المرسومه

ولا ريب أنه خلف هذا الافتراض الديهي من اللاهوتي السومري يقوم استدلال منطقي ولو أنه لم يكن واضحاً على الأرحح، ما دام من غير اسمحتمل أن يرى بعينه أي كائن من الكائنات الشبيهة بالبشر. ومن المحتمل أن لاهوتياً قد أخذ الإيعاز من المجتمع البشري كما عرفه واستدل من المعلوم على المجهول. وقد لاحظ أن البلاد والمدن والقصور والمعابد والحقول والمزارع واحتصار، كل ما يمكن تخيله من مؤسسات والمشاريع - إنما ترعاها وتشرف عليها، وتوجهها وتتحكم فيها كائنات بشرية حية؛ ولولاهم لاستوحشت البلاد، وتداغت المعابد، وتصحرت وأفقرت الحقول والمزارع ولذلك وبالتأكيد كان لابد أن الكون وكل ظواهره المتعددة ترعاه كذلك وتشرف عليه، وتوجهه وتحكم، فيه كائنات حية هي هيئة بشرية ولكن لأن الكون أكبر بكثير من المجموع الكلي لمساكن البشر، ونظامه أشد تعقيداً بكثير من نظامها، فلا بد أن تكون هذه الكائنات الحية أقوى وأشد تعقيداً بكثير من البشر العاديين وفوق كل شيء لابد أن تكون خالدة، وإلا فمن شأن الكون أن يؤول عند ممانها إلى الموضى الشامة، وأن ينهي العالم، وهما خياران لم يكونا مسحسين عند الميتافيزيقي السومري. وقد كان كل كائن من هذه الكائنات غير المرئية، ذات الهيئة البشرية، والتي هي في الوقت نفسه تفوق البشر وحالدة، يدعى "ديسجير" dingir، التي تترجمها بكلمة "إله"

كيف كان هذا المجمع الإلهي يؤدي وظيفته؟ أولاً كان سدو من المعقول للسومري أن يفترض أن الآلهة الذين يشكلون المجمع الإلهي لم يكونوا كلهم ذوي أهمية واحدة أو مرتبة متساوية. دلالة المسؤول عن المعول أو القالب الأحمري من العسير أن يقارن بآله مسؤول عن الشمس. ولا يمكن توقع أن تتساوى مرتبة الإله المسؤول عن مساقات المياه و لحادق مرتبة الإله المسؤول عن لأرص في كليتها، ثم كذبت، وقياساً على التنظيم لسياسي للدونة البشرية، كان من الطبيعي الافتراض أن رئيس مجمع الآلهة السومري كمجمع يرئسه ملك؛ وكانت أهم المجموعات في هذا المجمع مؤلفة من سبعة أرباب "يرسمون المصائر" وحمسين إلهاً معروفين باسم الأرباب العظماء". ولكن التقسيم الأهم الذي أقامه اللاهوتيون السومريون ضمن مجموعهم هو بين الأرباب الخلاقين وغير الخلاقين، وهي فكرة توصلوا إليها نشج آرائهم الكونية. وتعباً لهذه الآراء، فإن المكونات الأساسية لتكون هي اسماء والأرض، والبحر والحواء وكل ظاهره كونية أخرى لا توجد إلا ضمن مجال أو آخر من هذه المجالات ومن ثم بدا من المعقول استدلال أن الآلهة الذين هم تحت سيطرة السماء والأرض والبحر والهواء كانوا لأرباب الخلاقين، وأن إلهاً أو آخر من هؤلاء الآلهة لأربعة قد حلوا كل كيان كوني آخر وفقاً للخطة التي ابتدعوها.

أما من حيث تقنية لحلق المسوبة إلى هؤلاء الأرباب، فقد أسأ الفلاسفة السومريون مذهباً أصح العقيدة المسلم بها في كل أنحاء الشرق لأدنى، وهو مذهب قدرة الكلمة الإلهية الخلاقة وكان كل ما على الإله الخالق أن يفعله، وفقاً لهذا المذهب، هو أن يضع خطه، وينظر لكلمة، وينموه بالاسم. ومن المحتمل أن فكرة الكلمة الإلهية الخلاقة كانت نتيجة استدلال بشاهي قائم على ملاحظته للمجتمع الشري؛ فإذا كان في وسع ملك شري أن يحقق كل ما يصبو إليه تقريباً بالأمر، بما يبدو أنه ليس أكثر من كلمات تصدر عن فمه، فقد كان ممكناً بالنسبة إلى الأرباب الحاليين الذين يعوقون البشر، والمسؤولين عن مجالات الكون الأربعة، ما هو أكثر بكثير. ولكن نعل هذا الحس "السهل" للمشكلات الكونية، التي تكون فيها الفكرة و لكلمة وحدهما بغيري الأهمية،

هو إلى حد كبير انعكاس لدافع بهروب إلى تحقيق حلم الرغبة المرجوة، وهو عملٌ طمع كل البشر في أوقات الشدة واللاء

ومن قبيل ذلك، أورد اللاهوتيون السومريون ما كان بالسنة عليهم استدلالاً مبتافيزيقياً وافياً بالعرض لتفسير ما يجعل الكيانات الكونية والظواهر الثقافية، التي خلقت ذات مرة، تحافظ على عملها باستمرار واستخدام من دون تنازع أو تشوش؛ وكان ذلك هو المفهوم الذي تشير إليه الكلمة السومرية 'مي'، الذي لا يزال معناها الدقيق مشكوكاً فيه، ويبدو أنه يدل عمومًا على مجموعة من القواعد والنظميات المنسوبة إلى كل كينونة كونية أو ظاهرة ثقافية، بقصد المحافظة على عملها إلى الأبد وفقاً للخطة التي يصممها الإله الذي يخلقها. وباحتصار، إنها إحبة سطحية أخرى، ولكن من الواضح أنها ليست عديمة الجدوى إجمالاً، على مشكلة كونية لا تحل

ومصدرنا الأولي للمعلومات عن معنى 'مي' هو أسطورة 'إينان وإنكي' انتقال فنون الحضارة من إريديو إلى إيريك. وقد قسم مؤلف القصيدة الحضارة كما كان يعرفها إلى مائة عنصر ونيف، يتطلب كل عنصر منها 'مي' لإحداثه والمحافظة على سيره. وهو يكرر في الأسطورة هذه المبررات المئة أربع مرات؛ ولكن على الرغم من هذه التكرارات، فإن زهاء ستين مفردة هي وحدها المفهومة في الوقت الحاضر، وبعضها ليست سوى كلمات مجردة لا تعطي، لانعدام السياق، إلا إشارة خفيفة إلى دلالتها الحقيقية ومع ذلك تفضل كونه لإظهار الصفة المميزة، ولأهمية، اللتين لهذه المحاولة لأولى لتحليل الثقافي. المؤدية إلى قائمة كبيرة بما يصطلح عليه الآن عمومًا بالخصائص والتركيب الثقافي؛ وتتألف هذه المبررات، كم سنرى، من المؤسسات المتعددة، والوظائف الكهنوتية، ومعدات الطقوس، والمراقب العقلية والانفعالية، وشتى المعتقدات والعقائد لمسلم بها

وها هي أوصح أقسام القائمة في انظام الدقيق لذي قدمه الكاتب السومري القديم.

(1) مقام الـ "إن" en ، (2) الألوهية ، (3) النح السامي والدائم ، (4) عرش الملكة ، (5) الأصولحاد السامي ، (6) الشعار الملكي ، (7) المزار السامي ، (8) الرعاة ، (9) الملكة ، (10) السيادة ابدائمة للسيدة ، (11) (المنصب الكهنوتي) "السيدة ،إلهية" ، (12) (المنصب الكهنوتي) إيشيب ishūb ، (13) (المنصب الكهنوتي) لوماء lumah ، (4) (المنصب الكهنوتي) غودا guda ، (15) الحققة ، (6) لـرول إلى العالم السفلي ، (17) الصعود من العالم السفلي ، (18) (المحصي) كورغار kurgarra ، (19) (المخفي) حيريدر girbadra (20) (المخفي) ساغورساغ sagurrag ، (21) (المعركة) الراية ، (22) الصوفان ، (23) الأسدة ، (24) الحمام الحنسي ، (25) لفاء ، (26) الشريعة ، (27) التنهير ، (28) الفن ، (29) حجرة العبادة ، (30) "سادن السماء" ، (31) (الاله الموسيقية) عوسيليم gusilim ، (32) لموسيقى ، (33) الكهولة ، (34) البطولة ، (35) القدرة ، (36) العضء ، (37) لاستقامة ، (38) حراب المدن ، (39) الدب ؛ (40) ابهاح القلب ، (41) الكذب ، (42) فن تصيغ المعادن ، (47) حرفة الكاتب ، (48) حرفة الحداد ، (49) حرفة الدماخ ، (50) حرفة البناء ، (51) حرفة حائك لسلال ، (52) الحكمة ، (53) الانتبه ، (54) التطهير القدسي ، (55) اخوف ، (56) الهول ، (57) الخصام ، (58) السلام ، (59) الكلال ، (60) النصر ، (61) النصيحة ، (62) انقلب المعنى ، (63) الحكم ، (64) القرار ، (65) الآلة الموسيقية ليليس lilies ، (66) (الآلة الموسيقية) أوب up ، (67) (الآلة الموسيقية) ميسي mesi ، (68) (الآلة الموسيقية) آلا ala

كن الأرباب السومريون. كما رسمت صورهم الأساطير السومرية ودوي هيئات شرية بشكل كامل ؛ وحتى الأرباب الأقوى والأعراف يسهم جرى تصورهم بشريين في الشكل وانفكل والعمل. وهم ، كالإنسان ، يحططون ويعملون ، ويأكلون ويشربون ، ويروجون ويعبلون الأسر ، ويعصدون ابيوت الكبيرة ، ويستحوذ عليهم ما يستحوذ على الشر من الأهواء وأحوال الضعف وهم على العموم يفضلون الحقيقة والعدالة على الباطل والجور ، ولكن دوافعهم ليست واضحة على الإطلاق ، وكثيراً ما تحير الإنسان في أمرهم ولا يفهمهم.

وكان يعتقد أنهم يعيشون فوق "حبل السماء والأرض"، حيث تزرع الشمس"، عندما لم يكن وجودهم ضرورياً في انكبات لكوبية الخاصة التي عهد بها إليهم أما مسأله كيف يتحركون ويتجولون فغير معروفة تماماً من المعلومات المتاحة معرفة يقينية، ولو أن نعلم أن إله القمر يتحرك في قارب، وإله الشمس في مركبة حربية، أو وفقاً لرؤية أخرى، على قدميه، وإله العاصفة على العيوم. وكانت القوارب تستخدم مراراً ولكن يبدو أن المفكرين السومريين لم يراعوا أنفسهم بأمثال هذه لمشكلات لعمية والواقعية؛ وهكذا لم يجر إعلاماً عن الطريقة التي يفترض أنهم وصلوا بها إلى معابدهم ومراراتهم المختلفة في سومر، وبأي طريقة كانوا يؤدون نشاطات بشرية من قتل، لأكل والشرب ويرجع أن الكهان لم يروا إلا تمثيلهم، التي تعهدوها وعملوها بتمتهى العبدية ولكن كيف تصوروا أن للأشياء الحجرية والحشوية العظم والعصل وسعة الحياة، فإن هذا السؤال لم يحطر ببالهم.

ولابد أن المفكرين السومريين قد أزعجهم التناقض الصممي بين الخلود والنشبه بالشكل البشري فعلى الرغم من أنه كان يعتقد بأن الأربب خالدون، فقد كان واجباً أن تكون لهم قوتهم؛ وبمكس أن يصابوا بالمرض إلى درجة الموت؛ وكبوا يحاربون ويحرقون ويقتلون ولا ريب أن حكماء السومريين قد نشأوا أفكاراً لاهوتة كثيرة في محاولة لا جدوى منها لحل التناقضات واتساقات الملازمة للطعام انديي القائم على تعددية الآلهة ولكن إذا حكمنا من المادة المتاحة، فمن المحتمل أنهم لم يعصروا عن هذه الأفكار في شكل نظامي، ولذلك لن نعلم الكثير عنها. وعلى أي حال، فمن بعيد الاحتمال أن يكونوا قد حلوا الكثير من التناقضات. ومما لا ريب فيه أن ما نجدهم من الإحباط الروحي ولمكري هو أن الكثير من الشك الذي كان من شأنه أن يقلقهم، وفقاً لطريقة تفكيرنا، لم يمر بأذهانهم

عند منتصف الألف الثالث ق. م، على آخر تقدير، نجد مئات الآلهة، بالاسم على الأقل، موجودة بين السومريين ويعرف أسماء الكثير من هؤلاء الآلهة، لا من مجرد الجداول المجمعة في مدارس الكبة، بل كذلك من قوائم

الأصحيات على الألواح التي تم الكشف عنها أثناء القرن الماضي، ومن أسماء الأعلام التي هي من قبيل "فلان راع" و"فلان له قلب كبير"، "الذي هو مثل كدا"، "خادم فلان"، "رجل فلان"، "فلان المحبوب"، "فلان أعطاني"؛ وما إلى ذلك من عبارات يمثل "فلان" فيها اسم إله. والكثيرون من هؤلاء الآلهة هم آلهة نابوون، أي أنهم روجات وأطفال وخدم تم استنبطهم من أجل الآلهة لرئيسين على أساس الأنموذج لشري ولعل الأسماء. لأخرى، هي أسماء وصفات أخرى للأرباب المعروفين جيداً ولا نستطيع في الوقت الحاضر تحديدهم وتمييزهم.

ومهما يكن، فالفرض كان عدد غفير من الآلهة يعبد حقاً طوال العام مع الأصحيات والتقديس والصلاة، وكان الآلهة الأربعة الأهم من هؤلاء المئات من الآلهة هم إله السماء آن، وإله الهواء إنليل، وإله الماء إكي، والآلهة - لأم العظيمة نينهورساغ، وكانوا في العادة يتقدمون القائمة لإلهيه. وكثيراً ما يدرجون وهم يؤدون أعمالاً مهمة معاً بوصفهم جماعة؛ وفي المقاءات والولائم الإلهية كانت تعطى لهم مقاعد الشرف.

وثمة سبب وحيه للإعتقاد بأن (آن)، إله السماء، وكان السومريون يتصورونه في أحد الأزمان أنه الحاكم الأعلى لمجمع الآلهة. على لرعم من أنه في المصادر المتاحة لنا، والتي ترجع إلى رهاء عام 2500/ ق. م. يبدو أن إله الهواء، إنليل، هو الذي يحتل مكانه بوصفه زعيم مجمع الآلهة، وكانت دولة المدينة التي كان فيها مقر عبادته الرئيسي تدعى إيريك، وهي مدينة أدت دوراً سياسياً بارزاً في تاريخ سومر، وفيها اكتشفت بعثة ألمانية قبل الحرب العالمية الثانية بزمان غير طويل، ألواحاً طينية صغيرة مقوشة بعلامات من النوع الذي يشبه الكتابة التصويرية، يعود تاريخها إلى زهاء عام 3000/ ق.م. وظل آن معوداً في سومر آلاف السنين، ولكنه فقد الكثير من مكانته بالتدريج، وبات شخصاً شبحياً إلى حد ما في مجمع الآلهة، ونادراً ما يذكر في تراثيل الأيام المتأخرة وأساطيرها؛ وفي ذلك الحين مسح الإله إنليل جل قدراته

وكان الإله الأهم في مجمع الآلهة السومري، و الذي أدى دوراً مهيمناً في كل أنحاء سومر في الطقس والأسطورة ولصلاة، هو إله الهواء إنليل، والأحداث المؤدية إلى القبول العام بأنه كبير الآلهة في المجمع الإلهي السومري مجهولة؛ ولكن إنليل - ومن أقدم المدونات لمفهومة، معروف بأنه "أبو الآلهة" و"ملك السماء والأرض" و"ملك كل الأراضي"؛ ويفخر الملوك والحكام بأن إنليل هو الذي منحهم ملكيتهم للبلد، وهو الذي جعل البلد مزدهراً، وجعل بين أيديهم التعلب بقوته على كل البلاد. وإنليس هو الذي يُعَسِّ الملك ويعطيه صولجانه وينظر إليه بعين الاستحسان

ونعلم من الأساطير والتراجم المتأخرة أنه قد جرى تصور إنليل أكثر الآلهة إحساناً، وهو المسؤول عن التخطيط لأشد ملامح لكون إنماراً وحلقها. وكان الإله الذي جعل النهار يبرع، والذي أخذته الشفقة على البشر، والذي وضع الخطط التي تغل من الأرض كل الدور والنباتات والأشجار؛ وكان هو الذي صنع المعول والمحراث نموذجين أوليين للأدوات الزراعية التي سيستخدمها الإنسان وأن تُشدد على ملامح الإحسان في طبع إنليل لأصبح سوء التصور الذي وجد سبيله عمياً إلى كل الكائنات والموسوعات التي تعالج لديانة والثقافة السومريين، وهو الاعتقاد بأن إنليل قد كان إله العاصفة التدميرية العنيفة، وأن حكمته وعمله لم يجلب عملياً إلا لشر على الدوام. وكما يحدث في مرات غير نادرة، فإن سوء الفهم هذا ناجم عن مصادفة أرخولوجية إلى حد كبير، لأنه صادف أن وجد بين المؤلفات السومرية القديمة المنشورة نسبة عالية جداً من أماط الدب التي كان فيها على إنليل، بحكم الضرورة، الواجب الشقي القاضي بتنفيذ التدمير والنكبات التي حكم بها الآلهة لسبب أو لآخر وفي التنبؤ وصمه أوائل العلماء بأنه إله تدميري شرس، ولم يتم تناسي ذلك. وفعلياً، فمن حين نحلل تراجم الأساطير - وبعضها لم ينشر - لا في أرمئة أحدث - نجد أن إنليل ممجد بوصفه إلهاً ودوداً ذا حنو أنوي يسهر على أمن بشر وحسن حيلهم، وبخاصة سكان سومر، ولا رب.

ويمكن الإحساس بالإجلال العميق الذي يكنه السومريون للإله إنليل ومعبده، إكور في بيور في ترتيبه (لم يتيسر نصها إلا حديثاً) تقرأ هي جزء منها كما يلي:

إنليل، الذي أمره واسع المدى، وكلمته مقدسة،  
السيد، الذي لا يقل سطوته التعبير، والذي يقرر المصائر إلى الأبد،  
الذي تتعرض عنه المروعة البلاد،

إنليل الذي يقعد بحلال على سدة بيضاء، على سدة شامحة،  
الذي يتقر أحكام السطوة والسيادة وإمارة،  
وطأ على آلهة الأرض رؤوسهم أمامه فرقاً،  
ويدل آلهة السماء أنفسهم أمامه...

المدينة (نيبور)، مظهرها مروع ومهيب،  
الغاشم الأثيم الشرير،  
الـ ..، ابواشي،

المتعجرف، ناكث العيثاق،

إنه لا يطبق شرهم في المدينة،

الشككة الكبيرة،

إنه لا بدع الماجرين وفاعلي الشر يفلون من خلال عيوبها.

بيور - المراد الذي يسكن فيه الأب، "الحبل العظيم"،

سدة الوفرة، حيث يعلو المعبد إكور..

الجبل الشمخ، المكان لطاهر ..

أميره، "الجبل العظيم"، الأب إنليل،

قد أسس مقعده على سدة إكور، لمرار الرفيع،  
 المعبد - مراسيمه كالسما لا يمكن إسقاطها،  
 وطقوسه الطاهرة كالأرض لا يمكن القضاء عليها،  
 مراسيمه كمراسيم الغمر العظيم لا يمكن النظر إليها،  
 قلبه مثل مزار بعيد، مجهول مثل كبد السماء،  
 كلماته صوات،  
 ألقاظه انتحال،  
 شعرته بمسنة،  
 ولأئمه نسيل دسماً ولئناً، غنية بالخير العميم،  
 مستودعاته تحلب السعادة والمسرة،  
 ومعد إكور، الدار اللازوردية، المقام الرفيع،  
 مهيبته ورهبته تأتين بعد السماء،  
 طنه ينتشر فوق كل البلاد،  
 رفعتة تصل إلى قلب السماء،  
 كل السادة والأمراء يوصل إلى هناك هداياهم ونقدماتهم المقدسة،  
 ينطقون هنالك بالصلاة والانتحال والالتماس  
 السماء - إنه واحدها الأميري؛ الأرض - إنه واحدها العظيم،  
 الأنوناكي - إنه إلههم المعظم؛  
 وعندما، في حانة الهوى، يقرر المصائر،  
 لا يحرز إله على النظر إليه.  
 إلى وزيره المعظم، بوسكو، عهد تنفيذ أوامره الشامة.

وأستودعه كل اشرائع المقدسة ، كل الأحكام المقدسة  
لولا إنليلو الجبل العظيم ،

لما بنيت المدن ، ولا تأسست المستوطنات ،

ولما عمرت معارف الدواب ، ولا أنشئت لمراتب ،

ولما تنصب الملك ، ولا ولد كبير لمراتب ،

ولما تنصب لملك ، ولا ولد كبير الكهنة ،

ولما حذر مال الغنم كاهن الـ "ماه" ولا كبار الكهنة ،

ولما كن للعمال مراقب ولا مشرف

و لأنهار - لما كانت مياه طوفانها تفيض ،

ولا باص السمك البيوض في أجمة الخيزران ،

ولا بت طيور لسماء الأعشاش في الأرض الشاسعة ،

وهي السماء لما أتت الغيوم المنساقه برطوبتها ،

ولأخفقت النباتات والأعشاب ، وهي مجد لأرض ، في الموء ،

وفي الحقل والمرج لأخفقت الحبة العنية في أن تزهر ،

ولما أغلت الأشجار المرروعة في العابة الجبلية شمرها

أما ثالث ملوك الألهة السومريين فهو إنكي ، الإله المسؤول عن غير  
امتكون (ما قبل الخلق) ، أو بالسومرية الـ "أرو" وكان إنكي إله الحكمة ، وهو  
في الدرجة الأولى من نظم الأرض وفقاً لقرارات إنليل ، الذي اقتصر دوره على  
وضع المخططات العامة ، وكانت التفصيلات الفعلية والأعمال التنفيذية متروكة  
لإنكي ، الحكيم ، احادو ، واسع الحيلة ، صبيح اليدين ونحو نعم الكثير عنه  
من أسطورة "إنكي والنظام العالمي" تنظيم الأرض وعمليتها الثقافية التي توفر  
بياناً مفصلاً عن نشاطات إنكي اخلاقة في إنشاء الفواهر الطبيعية والثقافية  
لضرورة للحضارة

كانت تأتي الإلهة - لأم يسهور ساغا في الترتيب الرابع بين الأرباب  
 الخلاقيين، وهي معروفة كذلك باسم نينماه، "السيدة العلية" ومن المحتمل أن  
 هذه الآلهة كتبت هي زمن باكر ذات مرتبة أربع وكثيراً ما كان اسمها تتقدم على  
 اسم إنكي حين يدرج الآلهة الأربعة معاً لسبب أو لآخر. ولعل اسمها كان في  
 الأصل "كي" (الأم) الأرض، ومن المحتمل أنها كانت تعد زوجة آن،  
 "السماء" وهكذا يمكن أنه قد جرى تصور آن وكي على أنهما أبوا جميع الآلهة  
 وكانت تعرف كذلك باسم نيتو، "السيدة التي أحبت" وكان أوائل الحكام  
 السومريين يحبون أن يصفوا أنفسهم بأنهم "لذين تغذيهم نينهور سخ سلس  
 باستمرار"، وكانت تعد أم كل الكائنات الحية، الإلهة - لأم الفدافة وهي في  
 إحدى أساطيرها تؤدي دوراً مهماً في خلق الإنسان، وفي أسطورة أخرى تبدأ  
 بسلسلة من الولادات الإلهية في ديلمون، مردوس، آلهة

بالإضافة إلى هؤلاء الآلهة الكبار الأربعة يوجد ثلاثة أرباب نجميين هم: الإله  
 - القمر نانا، المعروف كذلك باسم "سين"، والذي من المحتمل أن يكون ذا أصل  
 سامي؛ وانه الإله - الشمس، أوتو، وانبته الآلهة إينانا، المعروفة لدى الساميين  
 باسم عشتار. ومن الممكن أن يشار إلى هذه المجموعة من الآلهة السبعة، "آن"  
 وإنليل، وإنكي، و"ينهور ساع" و"نانا - سين" و"أونو" و"إينانا" على أنهم الآلهة  
 السبعة الذين "يقربون المصائر" أما "الآلهة الأعظام" الخمسون فلم تعط لنا  
 أسمائهم ولكن يبدو أنهم متمثلون مع الـ "أنوباي"، أثناء آن، وعلى الأقل من  
 كان منهم غير محصور بالعالم السفلي وكان هالك كذلك مجموعة من الآلهة  
 سمي "إيجيجي"، ولو أنه بدا أن أعضائها يؤدون دوراً صغيراً نسبياً، إذا حكمنا  
 من أنهم لا يذكرون إلا نادراً في الأعمال الأدبية التي وصلتنا.

إذا تحولنا عن الإله إلى الإنسان وجدنا أن المفكرين السومريين، وفقاً  
 لرؤيتهم للعالم لم يبالوا في الثقة بالإنسان ومصيره. كانوا على قناع رسخ بأن  
 الإنسان قد صنع من الطين ولم يخلق إلا ليعرض واحد هو خدمة الآلهة  
 بإمدادهم بالطعام والشراب والماوى حتى يمكن لهم أن يتفرغوا لنشاطاتهم  
 الإلهية. وكانت حياة الإنسان معشة عدم اليقين، وبإبائها الاضطرار ما دام لا

يعرف مقدماً المصير الذي يرسمه له الآلهة الذين لا يعرف لهم منوال وعقد ممدته كانت روحه الموهبة تنزل إلى العالم السفلي المظلم القابض للصدر، حيث لم تكن الحياة سوى ظل موحش وكثيب لطيرها الأرضي.

ثم تطلق إحدى المشكلات الأخلاقية الأساسية، الأثره جداً عند ابعلاسة العربيين، المفكرين السومريين على الإطلاق، وأعيى بها مشككه حرية الإرادة فإد السومريين إذا اقتنعوا دون ضرورة بحجة أن الإنسان قد خلقه، لأرباب لقننتهم وفراغهم فقط، قد قبلوا وصحهم الاتكابي كما قبلوا الحكم الإلهي بأن الموت نصيب الإنسان وأن الآلهة هم وحدهم اخالدون وكل فضل في الخلال الماقية والمضائل الأخلاقية التي أشأها السومريون عبر القرون، تدريجياً وبألم من تجاربهم الاجتماعية والثقافية، كان يسب إلى الآلهة؛ فالآلهة هم الذين حططوا له على ذلك النحو، ولم يكن الإنسان إلا متبعاً للأوامر الإلهية.

كان السومريون، تبعاً لمدوناتهم، يتعلقون بالخير والحقيقة، وبالقانون واسظام، والعدالة والحرية، والراية والاستقامة، والرحمة والحو، ومن ابطيعي أنهم كانوا يأنفون من أضدها، أي الشر والباطل، والفوضى واستاحة القانون، والظلم والجور، والإنم والتمادي في الخطأ، والقسوة وانعدام الشفقة وكان الملوك والحكام، على وحه الخصوص، يتعاضد بهم سنوا القابون ونظام في البندان وحموا الضعيف من القوي والعقير من الغني، وأزالوا الشر ولعن وعنى سبيل المثال، ندون أوروكا حب بمر أنه أعاد العدل والحرية لمواطني لاعاش الذين طالت معاناتهم، وتحلص من الموطفين الحائرين الذين لا يحلو منهم مكان، وأنهى الظلم والاستغلال، وحمى الأرملة واليتيم وبعد أقل من أربعة قرون، بشر أورنامو مؤسس سلالة أور الثالثة، مجموعة قوانينه، لني بعددي في افتتاحيتها بعض محرائه الأخلاقية لقد تخلص من بعض المماسد لرسمية الشائعة، وضبط الموازين والمكاييل ليضمن الاستقامة في ميدان لسوق، ويتيقن من أن الأرملة واليتيم والمسكين في حمية من سوء المعاملة ومن المفاحنة. وبعد رهاء قريين بشر بيبث - عشثار، من "غيسين"، مجموعة فونس حديدة يفخر بها أنه من ختاره الإيهن "آن" و"بلبل" - إمارة البلد" لكي

يقيم العدل وليبعد المظالم، ويرد البعضاء والعصيان بقوة السلاح، وليجلب الرفاه للسومريين والأكاديين ويوجد في تراتل عدد كبير من الحكام السومريين الكثير مما يشهده المراعيم بالسلوك الأخلاقي والمساقي الرفيع

ولا شك أن الأرباب كانوا كذلك يفصلون الأخلاقي والمساقي على غير الأخلاقي وغير المساقي ووفقاً للحكماء لسومريين، فلأن أهم آلهة المجتمع الإلهي السومري يشاد بذكرهم في التراتل بوصفهم عشق الخير والعدل والحق والاستقامة. وبالفعل، هناك عدة أرباب كان الإشراف على النظام الأخلاقي أهم وظيفة لديهم، منهم، مثلاً الإله - الشمس، أوتو. وقد قامت إلهة أخرى، هي الإلهة البعلعاشية، التي تدعى بشه، بدور مهم كذلك في مجال السلوك الأخلاقي والمساقي وهي موصوفة في إحدى تراتيلها بأنها الإلهة

التي تعرف اليتيم، التي تعرف الأرملة،

وتعرف ظلم الإنسان للإنسان، بها أم اليتيم،

ثاشه، التي تهتم بالأرملة،

التي تنشئ (؟) العدل (؟) لأفقر الناس (؟)

المدكة التي تحضر المنتحى إلى حضنها،

وتعثر للضعيف على مأوى

وتصور في فقرة أخرى من هذه الترتيلة بأنها تحكم في البشر في راس السنة الجديدة، ويحاننها يدياباو إلهة الكتابة والحساب، وزوجها هيب، بالإضافة إلى شهود عديدين إن الأنماط الإنسابية الخفيفة التي تنشر منها يدياباو هم

الذي يتماذى ف .

(الناس) الذي يتجاوز الحدود المقررة، ويستهلك العقود،

الذي كان ينظر باستحسان إلى أماكن الشر،

الذي يستعوض بوزن خفيف عن وزن ثقيل .

الذي يستعيص بمكيال صغير عن مكيال كبير ،  
الذي يأكل (شيئاً لا يخصه) ولا يقول "قد أكلته ،  
الذي يشرب ، ولا يقول "قد شربته" ،  
الذي يقول ، "أود أن أكل ما هو محرم" ،  
الذي يقول ، "أود أن أشرب ما هو محرم".  
وضمير نانشه ينكشف أكثر في أسات تقول:  
لراحة ليتيم ، وإزالة الترميل ،  
لإقامة مكان تدمير للقوي ،  
لقلب القوي ضعيفاً. .  
تفتش نانشه في قلب الشعب.

وسوء الحظ، وعلى الرغم من أن كبار الآلهة يعترض أن يكونوا في سلوكهم من ذوي الأخلاق والمواقف، فقد ظلوا في الواقع، وفقاً لرؤية السومريين للعالم، هم أيضاً الأرباب الذين خططوا للشر والباطل، والعنف والجور؛ وبختصار، لكل أنماط السلوك المنفجرة إلى المواقف والأخلاق الحميدة. ولذلك فإن قائمة الـ "مي"، أي القواعد والتطبيقات التي يحترعها الأرباب لجعل الكون يسر سلاسه وفعالة، لا تقتصر على لقواعد التي تنظم الحق والعدل، والخير، والعدل بل يوجد بينها كذلك القواعد التي تضبط الباطل، والحصام، والعويل، والحواف، ورب سائل يقول، لماذا يجد الأرباب من الضروري أن يخططوا للإثم والشر، والأثم والمصسة. وأن يحلقوا هذه الأمور التي كنت من الانتشار إلى حد أنه يمكن لامريء سومري متشائم أن يقول، "ألم يولد لأثم طفل بلا خطيئة؟" وإذا حكمنا من المادة المتيسرة، فإن احكاماء السومريين، إذا سُئِلوا هذا السؤال في أي وقت، كانوا مستعدين للاعتراف بجهلهم في هذا الموضوع؛ فمشيئة الآلهة وبواعثهم لا يدرك كنهها في بعض الأحيان. فلم يكن النهج القديم الذي على "أبوب" سومري أن يتبعه هو

المجادلة والتذمر من المحظ العاثر غير لمسوع ظاهرياً، وإنما هو التوسل والعبول والتدب، والإقرار بدنوبه وتقاضيه التي لا مناص منها.

ولكن هل كان الأرباب يبالون به، وهو دين وحيد، ولو سجد وأذل نفسه في صلاة صادرة عن القلب؟ لقد كان من شأن المعلمين السومريين أن يجيئوا بأنه من المحتتم ألا يبالوا. فقد كان الأرباب، كم رأوهم، كالحكام الفانيين ولذبيهم ولا ريب أمور أهم يولونها اهتمامهم. وهكذا، كما في حال الملوك، على الإنسان أن يكون لديه وسيط يتشبع له، وسيط يكون الأرباب مستعدين لسماعه والتعاطف معه وفي التiche، أوحد المفكرون السومريون ونشؤوا مفهوم إله لشخصي، وهو نوع من الملاك الصالح نكل فرد على الخصوص، ولكل رئيس أسرة، هو أبوه الإلهي لذي أنجبه إن جاز القول. وكان انفراد المصاب يكشف قلبه له، أي لإلهه الشخصي، في الصلاة ولابتها، وكان من حاله يجد خلاصه.

وقد علمت كل ذلك من نص شعري طويل يعالج المكائد والخصوع، وهما موضوع أشهره في العالم الأدبي والفكر الديني "سفر أيوب" في الكتاب المقدس. ولا مجال لمقارنة القصيدة لسومرية بـ "سفر أيوب" في سعة المدى، أو عمق الفهم، أو جمال لتعير. ويكمن جل أهميتها في أنها تمثل محاولة الإنسان المدونة الأولى لمعالجة الشيخوخة ومشكلة المكائدة، قبل أكثر من ألف سنة من تأليف "سفر أيوب".

والفضية لأهم عند شاعرها هي أنه ليس للضحجة في أحوال المعاناة واشدة، مهما مدت غير مبررة، إلا ملاد واحد ناجع ومشروع، هو الاستمرار في تمجيد إلهه والنوح والعبول أمامه، إلى أن يلتفت إلى صلواته بأذن راضية، وإله المعني هنا هو الإله "الشخصي" للمصاب، أي لرب الذي هو وفقاً للعقيدة السومرية المقولة يعمل موصفاً ممثلاً وشعباً بالإنسان في مجمع الآلهة ولبيت المؤلف عرضه لا يبحاً إلى التأمل الفلسفي بل إلى لتصور لعمله، فيستشهد وعرض قضيته. هنا إنسان، لم يذكر اسمه بالتأكيد، كن مرسراً وحكيماً ومستقيماً، ومعماً عليه بالأصدقاء والأقارب على لسواء وفي أحد

الأديم عمره الداء والدلاء فهو تحدى النظام لإلهي وجدف لا، أبدأ لقد أقل  
على إلهه بالتحشع وباندموع والحويل وسكب قلبه في الصلاة والفرع. ونيحة  
لذلك، سر إلهه سروراً عظيماً ومال إلى الشفقة؛ فاهتم بصلواته، ونجاء من حظه  
العائر، وحول ألمه إلى فرح.

وإذا تكلمنا بناتياً، فإن القصيدة يمكن أن تقسم مؤقتاً إلى أربعة أقسام يأتي  
أولاً تحريض تمهيدي وجير، هو الآيات الخمسة الأولى التي تقول

يعرب لإنسان عن سمو إلهه على الدوام،

وليحمد الشاب كلمات ربه من دون تكلف،

وليصوت بالآتين من يعيش في البلد الأمين،

في دار العناء (؟) ليهنأ (؟) صديقه ورفيقه.

وليهدى قلبه.

ثم تقدم القصيدة المرد غير المسمى، الذي عند إصابته بالمرض والبدن،  
يحاصب ربه بالدموع والصلوات ويلى ذلك اتعاس المكابد، الذي يشكل القسم  
الأكبر من القصيدة ويبدأ بوصف المعاملة السيئة التي يوليها له إحوته البشر،  
الأصدقاء والأعداء على السواء، ويستمر بنذب قدره المير، الذي يتضمن  
لطلب بليغ إلى الأقارب والمعنيين المحترفين أن يحدوا حدوده؛ ويتنهي باعترا ف  
باندب وتوسل مباشر من أجل الفرح والحياة.

أما إنسان، إنسان بصير، ومع ذلك فمن يحترمني لا يفلح،

لقد تحول عالمي الصالح إلى أكذوبة،

غصاني رحل الخداع بالريح الجنوبية،

فأما مكره على خدمته،

ومن لا يحترمني يعيبي أممك

لقد تصدقت علي بألم يتجدد أبداً،

دخلت المنزل ، فإذا الروح مثقلة ،  
وأننا ، الإنسان ، خرجت إلى الشوارع ، فإذا القلب مغتم ،  
ومعني ، أنا الباسل ، أصبح الرعي الصالح عدي غاضباً ، بنظر إلي مناوئاً ،  
إن الراعي الذي عندي قد دشد القوى الشريرة أن تكون ضدي أنا الذي  
لست عدوه .

ولا يقول لي رفيقي كلمة صادقة ،

وصديقي كذب كلمتي الصادقة ،

وتأمر عليّ رجل الحداع ،

وأنت ، يا إلهي ، لا تمنعه

(ثلاثة أبيات ضائعة)

وأنا ، لحكيم ، لماذا أفرن بالشبان الحهلة ؟

وأنا ، البصير لماذا أعدد من ضمن الحهلة ؟

الطعام في كل مكان ، ومع ذلك طعامي هو الجوع ،

وعندما ورعت الحصص على كل الناس ، كانت حصتي هي الأثم .

(عشره أبيات ضائعة)

يا إلهي ، أود أن أقف أمامك ،

أود أن أكلمك... كلمتي آه ،

أود أن أحدثك عنها . أن أندب مرارة حياتي

(أن أبوح على) انتشوش

(ثلاثة أبيات ضائعة)

انظر ، لا تدع أمي التي ولدتني توقف بدي أمامك ،

لا تدع أختي تطلق بالأنشودة والأغنية السعيدتين ،  
 بل دعها تتلفظ بمصائبي أمامك دامعه العنس ،  
 دع زوجتي تنفوه بألمي منفجعة ،  
 دع المعني البارح يتذب قدري المرير  
 يا إلهي ، النهار يشرق متألقاً على السد ، وبالسسه لي النهار أسود ،  
 النهار المتألق ، النهار الجميل له . مثل الـ . ،  
 تقيم الدموع والمويل والحوى والاكتئاب في داخلي ،  
 يغمرني الألم مثل من بذر للدموع فقط  
 يمسكي القدر الشرير بيده ، يختطف سمة حبابي ،  
 يغسل حسدي الداء الخبيث  
 يا إلهي ، أنت أبي الذي أنجبني ، ارفع وجهي ،  
 مثل بقره بريّة ، وشفقة .. الآهة ،  
 كم سيحول تحاملك لي ، وتركي من غير حماية ؟  
 مثل ثور ،  
 تتركني من دون هداية ؟  
 لقد قال الحكماء كلمة صادقة ومعبرة :  
 لم يولد لأم ولد بلا خطئته ومنذ القدم لم يك فتى بلا خطئته"  
 (14 بيتاً ضائعاً)  
 هد ما كان من أمر الصلاة والانتهاك ؛ ثم تبع ذلك " لهية السعيدة " .  
 (الرحل) - أصعى (ره) إلى بكائه ونحيبه ،  
 (الشب) هدأ نديه وعوينه فب إله الكلمات الصادقة ،  
 لكلمات الطاهرة التي نطق بها ، قبلها ره ،

الكلمات التي اعترف بها الشاب في صلاته، سرت ربه  
كف ربه يده عن الكلمة الشريرة، التي نعم القلب،  
وشياطين السقم المكتنفة، التي نشرت أجنحتها على اتساعها، أراها،  
(لداء) الذي أصابه مثل - بدده،  
القدر الخبيث الذي رسمه له وفقاً بحكمه قد حاد عنه،  
لقد حول عاء (٩) الرجل إلى فرح  
وصح بجانبه . بنطف . روحاً لتكون رقيقة وحارسة.  
أعطاه... ملائكة ذات طعنة ودية،

(وهكذا) (لإنسان) يعرب عى الدوام عن سمو إلهه

ولكن سواء أكان ثمة ملاك حارس أم لا، فإن الإنسان يموت عاجلاً أو  
اجلاً، ويذهب إلى العالم الذي في الأسفل لثلا يعود وعني عن القول إن ذلك  
كان مصدراً للقلق والحيرة؛ فقد كانت مشكلة الموت والعالم السفلي مغشاة  
بالألغاز والمفارقات والمعصلات، فلا عجب أن الأفكار لسومرية التي تمت  
إليها بصفة لم تكن دقيقة ولا متسفة، كما سيبتدى من التحليل التالي للمادة ذات  
الصلة الوثيقة بموضوع البحث

من وجهة نظر السلوك الثقافي السومري، كانت الأضرحة الملكية متعددة  
المدافن التي كشف عنها في أور المقيّد السير لنارد وولي بمنتهى العناية واسراع  
د ت أهميه؛ فهي تدلّ بيقين معقول على أن أوائل حكام سومر كانوا عادة لا  
يصطحبون معهم إلى القبر بعضاً من أنفس مقسياتهم الشخصية محسب، بل كذلك  
عددًا غير قليل من حاشيتهم من لبشر. وغني عن القول، إنه إثر هذا الاكتشاف  
ابذهن، بدأ الحثون في الكتابه لمسماريه - ولا سيما علماء السومريات - في  
نهب الوثائق بحثاً عن نوع أو آخر من البيّنات النصية، ولكن من دون طائل  
وعلاوة على ذلك، ففي العقدين الماضيين، أصبح عدد كبير من الأساطير  
السومرية والحكايات الملحمية والترنيل والمرثي والوثائق التاريخية متسرّ،

ويبدو أنه من المعقول أن يأمل المرء أن يلقى نص أو آخر من هذه النصوص لصوء على عادات تدفن لسومري ذات الصلة بالأضرحة الملكية ولكن هذا الأمر لم يتحقق بشكل كامل. ربما لأن الأضرحة الملكية تعود إلى زهاء العام 2500 ق. م، بينما ترجع الوثائق الأدبية المتاحة أمامنا إلى زهاء العام 2000 ق.م.

إن الوثيقة الأدبية السومرية الوحيدة التي تبدو أنها تؤكد الدليل الأرخيولوجي على أن الحكام القدامى كانوا يصطحبون معهم إلى قورهم حاشية من البشر، هي نص قصير وغير كامل يصف موت جلجامش ويبدأ هذا النص في صيغة شعرية أن جلجامش قد قدم الهدايا والتهاب إلى مختلف أرباب العالم السفلي وإلى الأموات المهمين الذين يقيمون معه من أجل كل الذين "استقلوا معه" في "قصره المطهر" في إيريك (أوروك). روجته وبنه وسريته وموسيقه ومؤاسه وكبير خدمه وملازموا أهل الدار وليس من يحافى المعقول أن يتعرض أن الشاعر قد صور هذه الهدايا على أنها مقدمة من جلجامش بعد أن مات هو وأفراد حاشيته وبرلوا إلى العالم السفلي فإذا تبين أن هذا التفسير صحيح، كن لدينا تأكيد معوي للسط متعدد المدافن من الصريح الملكي الذي كشف عنه وولي. وخصوصاً أن جلجامش، كما نعلم الآن، كن معاصراً لميسينيدا، ومن ثم يسهل تقريباً إلى العهد الذي تمثله الأضرحة

ووثيقة الأخرى التي تلقي ضوءاً ليس بقليل على الممارسات الجنائزية المتبعة بالأموات الملكيين، هي نص عن الملك أوربمو، ينتمي إلى جنس أدبي لم يكن بالإمكان تصنيفه إلى الآن وربما كان العمود الأول، لمعقود تماماً، شتمل على وصف شعري لمحاربات أورنامو البررة في الحرب والسلام والأحداث المحوسة المفصية إلى الموت. ويبدو أن النص المتاح، الذي يبدأ بالعمود الثاني، يتصل بمسألة كيف كان أوربمو "الذي كان متروكاً في ميدان المعركة مثل وعاء مهروس"، مستلقياً على عشه في قصره، تدبه أسرته وأقاربه وشعب أور ونجده بعد ذلك في العالم السفلي - كما في حالة جلجامش - يقدم هداياه إلى "الأرباب السعة" ويذبح لثيران والخراف للموتى المهمين، ويقدم الأسلحة والحقنات الجلدية والأوعية والأثواب والحلي والجواهر والأمتعة

الأخرى إلى "نرعال" و"جلحامش" و"إرشكيغال" (٩) و"دوموزي" و"نمتار" و"هوبشاغ" و"سجيشزيد" - إلى كل منهم في قصره؛ وقدم كذلك الهدايا إلى "ديمسكوع" وإلى "كاتب العالم السفلي" ثم وصل أوردمو إلى لفعه التي (مس المحمل) أن كهة العالم السفلي قد عيوها له. وها سلم إليه بعض الموتى، ربما ليكونوا أتباعه، وشرح له حجامش، أخوه المحبوب، ضوابط العالم السفلي وأنظمتها

ولكن، تتابع قصيدتنا قائلة، "بعد أن انقضت سبعة أيام أو عشرة أيام"، وصل أسماع أوردمو عويل سومر إن جدران أور التي تركت غير منتهية، وقصره المبني حديثاً والذي ترك غير مصهر. وأنه انذي لم يعد يستطيع أن يدلّه (٩) على ركبته، فقد ملأ كل ذلك عييه بالدموع، فشرع في نواح طويين ومرير ويبدو أن مصدر صراخه هو أنه على الرغم من أنه قد خدم الآلهة على ما يرام، قد قصرُوا عن أن يقفوا إلى جانبه في وقت الشدة؛ وهو الآن ميت، وقد أشعبت روحته وأصدقائه ومؤيدوه بالدموع والعيول وحاتمة التأليف مجهولة إجمالاً ما دام العمود الأخير تالفاً تماماً

وكما يمكن أن يبدو مما تقدم، فإنه من العسير تصنيف الجنس الأدبي الذي تنسب إليه القصيدة؛ يمكن أن تكون نوعاً من التأليف التاريخي، شبه في بعض النواحي بـ "نمة أعاده"، التي يفس فيها الشاعر السومري عن أحاسيسه حيال حانة الأمور في سومر بعيد موت أورنامو

وعلى أي حال، فإن وثيقة أورنامو تلقي ضوءاً على حياة الموتى في العالم الأسفل كما يصورها الحكماء السومريون. ومرة أخرى نجد الأرباب الذين يحب استرضائهم وكذلك الكهنة الموتى المهيمون وكان للشخص الميت الواصل حديثاً مكان خاص معين له ويجري تعييمه قوانين العلم السفلي، على الأقل إذا كان ملكاً ويستطيع الشخص المتوفى، وإن كان ميتاً، وبطريقه غير مفسرة، أن يكون على اتصال تعاطفي بالعالم الذي فوق، ويمكن أن مكائد الهوان والجوى، ويمكن أن يضح من الأرباب الذين لا يمكن انتعويل عليهم. ولكن خلافاً لقصيدة "موت جلحامش"، لا ذكر لحاشية بشرية تحييد بالملك في العالم السفلي؛

وبالفعل ، توصف الروحة والأولاد بأنهم يعيشون في العالم العلوي . ولدت يبدو بعيداً عن المحاطر أن نستنتج أنه في زمن أورسامو على الأقل ، لم يعد من المألوف أن يصحب الملك إلى قبره أي فرد من أسرته أو من أتباعه.

فإذا تحولنا عن الأسرة الملكية إلى الأموات العاديين عرف عددًا كبيراً من التصليل المجهوه حتى الآن عن العالم السفلي السومري ، وذلك من مرثتين موجودتين على رقيم "منحف بوشكين". ونقرأ في هذا الرقيم ، لأول مرة ، أن المفكرين السومريين قد اعتقدوا أن الشمس تستمر بعد غروبها في رحلتها عبر العالم السفلي في الليل ، محوّه ليله إلى بهار ، وأن القمر بمصي "يوم راحته" ، أي اليوم لأخير من كل شهر ، في العالم السفلي . ونعرف كذلك أنه كانت هناك محاكمة يقوم بها إله الشمس ، أوتو ، وأن إله القمر دنا "يرسم مصير" الموتى ووفقاً للرقيم ، كان يوجد "أبطال يأكلون الخبز" و"سقا" يروون طمأ الموتى بالماء الرلال . ونعرف ، أيضاً ، أن أرباب العالم السفلي يمكن الدعاء إليهم لطق الصلوات على الموتى ، وأن إله الشخصي للمتوفى وإله مدينته يتم ستحضارهما لمصلحته ، وأن حسن حال أسرة الميت لا تهمل في الصلوات الجازية.

والوثيقة السومرية التي توفر المعلومة المفصلة عن العالم السفلي والحياة التي تحري ضمن حدوده ، هي قصيدة "جلحامش وإنكيدو والعالم السفلي" ووفقاً لهذا المؤلف ، الذي يصف العالم السفلي بأسلوب تلطيف الكلام بأنه "المسكن الكبير" ، كنت توجد في بيريك فتحة من نوع ما تفصي إلى عالم الموتى ، ومن خلالها يمكن أن تسقط الأشياء الخشبية مثل البوكو puku والـ "ميكو" mikku وأن توضع فيها يد وقدم . وكان يوحد في المدينة كذلك باب كبير يمكن أن يقعد أمامه المرء وأن يزل من خلاله الميت - على الأقل إذا كان بطلاً مثل إنكيدو - إلى العالم السفلي ، على الرغم من أنه لم تتوضح مسألة كيف يمكن أن يحدث هذا البرول ولكن كنت ثمة محرمات ينبغي لكل ممن يريد الهبوط على العالم السفلي أن يحتر من انتهاكها ، كما سذكر مؤلف القصيدة". عليه ألا يرتدي الثياب العظيفة ، وألا يدهن نفسه بالزيت (الجيد) ، وألا يحمل سلاحاً أو هراوة ، وألا يلس حفاً ، وألا يحدث صجة أو يتصرف بصورة عادية

نحو أفراد أسرته. وإذا حالف أي محرم من نيك المحرمات، أحاط به "القيمون" واكتشفته الطلال التي تقيم في المناطق المصحفة، وتمسكت به "صيحة العالم السفلي العالة". وإذا استحوذت على الميت هذه "الصيحة العالية" فمن المحال أن يصعد إلى الأرض من جديد، ما لم تدخل لمصلحته إله أو آخر من الآلهة وفي حال إنكيدو، فقد كن إنكي هو الذي جاء لإنقاذه؛ وحمل أوتو يفتح "أبلال" ablal العالم السفلي، فصعد إنكيدو إلى الأرض من جديد، وعلى ما يبدو "بالجسد" لا بوصفه روح ميت. وتبعاً للقصة، فقد تلت ذلك مكالمة تقطع القلب حزناً بين جلجامش وإنكيدو الذي يفهم منه أنه وصف حالة الموتى، أو بالأحرى حاله بضعة أصناف مختارة من الموتى.

فإذا تحولنا عن الأموات، لعاديين وغير العاديين، إلى لآلهه الخالدين، فسيبدو أن العالم المكان الأخير الذي يبحثون فيه عن وجودهم "الذي لا يعني" ومع ذلك، نجد عدداً كبيراً من الأرباب هالك، وبما أن بعضهم يتمنون إياه، إذا حز القول، فإن غيرهم كانوا آلهة سماويين حكم عليهم كتب الأساطير بالعيش في العالم السفلي نتيجة ترجيم وابتداع لاهوتيين. ولكن حتى الآن فإنه لم يتم استرداد إلا القليل من الأساطير ذات الصلة بالموضوع.

لدينا أولاً أسطورة "إنليل ونليل" ولادة له القمر"، التي تروي كيف كان إنليل نفسه، أقوى لآلهة السومريين ورئيس المجمع الإلهي السومري، قد أبعده إلى العالم السفلي وتبعته إلى هناك زوجته نيليس. ولهذه الأسطورة أهميتها كذلك بوصفها المصدر الوحيد للاعتقاد السومري بوجود نهر "يلتهم لبشر" يجب أن يعبره الموتى، وكذلك نوتي القارب الذين يعبر بالموتى إلى جهنم المقصودة، وهو اعتقاد شائع في كل أنحاء لشرق الأدنى القديم وعالم البحر المتوسط.

ولأسطورة ذات الإبانة الشديدة فيما يتصل بالموت والعالم السفلي هي أسطورة "نزول إيانا إلى العالم السفلي"، التي هي الآن منسره في نصها الكامل تقريباً. ووفقاً لهذه القصة، فإن العالم السفلي هو المكان الذي ينزل إليه المرء ومنه يصعد ربما عبر فتحة أو باب واقع في إيريك، على الرغم من أن ذلك غير مذكور صراحة في أي موضع وفي العالم السفلي يوجد مكان يوصف بأنه "جل

لاروردي" يحرس أبوابه المغلقة بوابون تحت إشراف رئيسهم "نيني" والعالم لسفلي تحكمه ضوابط وأصمة إلهية، يبدو أن الأهم من بينها هو أن ساكنيها يجب أن يكونوا عرة كلباً وكست القاعدة الأخرى، التي كانت مهلكة لدوموري، هي أنه لا يمكن للمرأة الذي يكون ذات مرة في العالم السفلي، ولا حتى للإله، أن يصعد من جديد إلى العالم الأعلى إلا إذا تم تأمين بديل يحس محله وهكذا، فللتيقن من أن إيانا، التي تم إحيائها من خلال جهود إيكبي البارعة، سوف توفر بديلاً مناسباً يحل محلها، فقد رافقها عماريت الغالا السبعة حتى سلمتهم دوموري

لذلك نجد على العموم أن الصورة السومرية للموت والعالم السفلي كانت ضامة ومناقضة بعض الشيء وكان يعتقد عموماً أن العالم السفلي مكان كوي ضخم تحت الأرض ساطر السماء التي هي المكان الكوي فوق الأرض وقد يكون من المسلم به أن الموتى، أو على الأقل أرواح الموتى، كانوا ينزلون إليه من القبر، ولكن يبدو أن هناك فتحات أو أنواراً كذلك في كل مراكز المدينة المهمة. وكان يوجد نهر على الموتى أن يجازوه بقارب عبور، ولكن لا يصرح في الأساطير المتبصرة أين كان بالنسبة إلى لأرض أو إلى العالم السفلي. وكانت إرشكيغال تحكم العالم السفلي هي وبرعال، لذي كان لديه حشم خاص من الآلهة، وهي حملتهم الأكونكي السبعة، وعدد من آلهة السماء مكدودي الحظوظ، بالإضافة إلى عدد من لموظفين الشهيبي بالشرطة يعرفون باسم العالات (أو عماريت لعالا) ومن لواصح أن جميعهم، باستثناء العالات، كانوا بحاجة إلى الغذاء والكساء والأسلحة والأوعية من مختلف الأنواع والحواهر وما إلى ذلك، كآلهة الدين في السماء أو العائين لذين على الأرض وكان هالك قصر دو سبعة أبواب حيث كدت إرشكيغال تعقد المحكمة، ولكن من غير المحقق أن يكون موقعه

ويبدو أن الموتى كانوا يرتبون في مراتب كالأحباء، وما من ريب أن المقاعد العليا كانت تقرر للموتى المموك وكبار الموظفين الكهسوتيين الذين تقدم لهم الأصاحي من قل الموتى المهمين الجدد أمثال جلدماش وأورمامو. ولقد كان في

العالم السفلي كل أنواع القواعد والفظيمات الواجب اتباعها بدقة. وعلى الرغم مما يشكل لدى المرء من إحساس بأن العالم السفلي مظلم وقاوض للصدر، فإن ذلك ليس صحيحاً إلا في النهار، ففي الليل كانت الشمس تحلج عليه الصبء، وفي اليوم الثامن والعشرين كان القمر يهبط إلى العالم السفلي ولم يكن الأموات متساوين في المعاملة؛ فكان ثمة حكم في الأموات يصدره إله الشمس، أوتور، وإلى حد ما إله القمر نانا، وإذا كان لحكم محبذاً، فمن المجرّج أن تعيش روح الميت في سعادة ورضاً وأن تملك كل ما ترومه. ومهما يكن، فالدلائل هي أن السومريين لم تكن لديهم إلا ثقة ضعيفة بآمال الحياة الهنيئة في العالم السفلي، حتى بالنسبة إلى الحير والاستحقاق. وعلى العموم كان السومريون مقتنعين أن الحياة في العالم السفلي لم تكن سوى انعكاس موحش وكتيب للحياة على الأرض.

ومع أن الوفاء الخاص والورع الشخصي لم يكونا عديبي الأهمية، فبسبب رؤية السومريين للعالم، كانت الطقوس وأشعائرها التي أدت الدور المهيمن في دينهم. وبما أن الإنسان لم يخلق إلا بقصد خدمة الآلهة، فمن الواضح أن أهم واجب عليه هو تأدية هذه الخدمة وإتقانها بطريقة تروق لمخدوميها وترضيهم لماذا أنقذ زيوسودرا من هلاك الطوفان؟ لأنه كان يؤدي الطقوس اليومية للآلهة بخشوع وتقوى. ولم يكل حكام سومر من تكرار أنهم كانوا يؤدّون واحبات عبادتهم بحسب لقواعد والأنظمة المسنونة.

ولا ريب أن المعبد كان مركز العبادة، وكان أحد أوائل المعابد قد تم الكشف عنه في إريدو، لمدينة التي كانت إنكي الإله المختص بحمايتها، على الأقل في الأيام المتأخرة. وعلى الرغم من أنه كان مقدساً ذا شكل بسيط تبلغ مساحته رهاء ثني عشر قدماً في خمسة عشر قدماً، فقد اشتمل مد البداية على ملمحين ميزا المعبد السومري طول آلاف السنين. محراب لشعار الإله أو تمثاله، وأمامه منضدة للتقدمة مصنوعة من الآجر الطيني وفي أثناء إعادة البناء اللاحقة، توسع مقدس إريدو هذا وأدخل عليه التحسين. ثم صارت له صالة في الوسط يحيط بها عدد من العرف الرافدة، ووضع المذبح، الذي تواجهه منصدة العرائس، مقاس أحد الجدران القصيرة وزينت جدران المعبد الأجرية - لطينية

الباهتة بالدعائم والتجريد الموصوعة بانتظام، ورفع البناء كله على مصطبة موصولة بمجموعة من الأدراج تفصي إلى مدحله في الجنب الطويل من لباء.

وإلى أبعاد من ذلك شمالاً في إيريك (و أوروك) يوجد معد من المحتمل أنه مكرس للإله "آل" ويعود تاريخه إلى زهاء العام /3000/ ق م وهو مبني عموماً على موال معبد إريدو، باستثناء أن المصطبة قد استندلت بها رابية مصطبة ترتفع رهاء أربعين قدماً فوق الأرض المتسوية. وكان الدرج المبني قبالة واجهتها الشمالية يقضي إلى الدروة حيث يتصب مرار صغير مطلي مياض الكللس وقد تم استخراج معد مماثل في العقير، ويرغم أن المصطبة التي هي فوقها لم يكن ارتفاعها سوى خمسة عشر قدماً، فقد ارتفعت على مستويين ومن ثم يمكن أن نعد الطرار الأولي للبرج الهرمي (الرقورة)، وهو البرج ذو المستويات الذي أصبح العلامة الفارقة لفن عمارة المعابد في بلاد ما بين النهرين، والذي كان يقصد منه أن يؤد دور الصلة الواصلة، حقيقياً ورمزياً على السواء، بين الآلهة في السماء والفانين على الأرض. ومعد العقير جدير بالانتباه كذلك من أجل ابتكار معماري آخر، ابتكار يبدو أنه قد تم اتباعه في المعابد السومرية الأخرى. هو الزخرفة الداخلية المطلية بالألوان وكان الترتيب كما هي. تأتي أولاً شريط من لون بسيط، هو في العادة ظل للأحمر، يدور حول الجدران بارتفاع يريد على ثلاثة أقدام وفوق ذلك شريط ملون من رينة هندسية يزيد ارتفاعه على القدم والأجزاء العلوية للجدران مرداة بمشاهد من أشكال بشرية وحيوانية مرسومة على بقعة حالصة البياض.

وكان الابتكار المعماري الآخر قد تم ابتداعه في إيريك عندما أظهر نبذة معبد إيانا صريقة فريدة في زخرفة الجدران والأعمدة لأخرية - الطينية ذات المظهر الكتني، وذلك بتغطيتها بعدد لا يحصى من المخروطات الفخارية التي عمت بألوان مختلفة فكانت دراهم حمراء وسوداء وإما برتقالية. وكانت هذه المخروطات الملونة مدخه جنباً إلى جنب في جص طيني ثخن بطريقة شكلت مثلثات وعراحين ومعيات مبرقشة الألوان وغير ذلك من التصميم الهندسية.

واستمرت المعابد في متابعة النموذج العام بمسح طول الألف الثالث قبل الميلاد، برغم أنها حجت لأن تعدو أكثر واشد تعقيداً وأصحت الصالة الأمامية ممحاً ثناً أما مرتسم الساء هذا شكل بيضوي أو مستطيل وأدخلت مادة بدء حديدية وهي على ما يبدو ليست ملائمة جداً هي الآخر المسطح المحدب، المسطح في أحد الجانبين والمنحني في الجانب الآخر. وفي العادة كانت الأساسات تنى آنثذ من كتل خشنة من الأحجار الحجرية

وفي زمن سلالة أور الثالثة، أصحت المعدد في المدن الكبرى عبارة عن محرمات واسعة. وهكذا كان معبد دما في مدينة أور، لمسمى كيشوغال، يألف من ساحة محوطة ببلع مساحتها 400×200 ياردة نشتمل على برج هرمي (رقرة) وعلى عدد كبير من المزارات، والمخازن العذائية، ومحازن العتاد الحربي، والباحات، ومساكن موظفي المعدد وكان البرج الهرمي، أو الزفورة، وهو الملمح البارز، برجاً ذا قاعدة مستطيلة يبلغ طولها زهاء 200/ قدم وعرضها 150/، قدماً؛ وكان ارتفاعه الأصلي زهاء 70/ قدماً وكان في كليته كتلة متينة مصبوعة من الآخر معطاة بطبقة من الآخر الطيني الخام وطبقة خارجية من الآخر المحروق الملبصق بالقار. وكان يرتفع على ثلاث مستويات عر مستظمة يتم الانتقال بينها بثلاثة أدراج، ويتكون كل درج من مائة درجة. ومن المحتمل أن يتعلو دروته مقدس بني كلياً من الآخر المطلي بالأررق. وكان البرج الهرمي ينتصب على مصطبة مستوية ومرتفعة يحيط بها جدار مزدوج عند حافة هذه المصطبة هالك معدد إله القمر، نانا، مع ساحة خارجية تحيط بها حجرات المخزن المتعددة ومكاتب. وليس بعيداً عنه كان يوجد معبد آخر مكرس لـ "نانا" وروجته، "نينغال"؛ ثم معدد معروف بالـ "دوبلال"، كان يستخدم كدار للمقصاء، وأخيراً معدد سبغال، والمعروف بالـ "جياركو".

كث عملته بناء المعدد وإعدادة نائه تصحبها طقوس كثيرة وشعائر مختلفة، كما توضح ذلك القصيدة السردية الطويلة ذات التراتيل المكتوبة على اسطوانين تم الكشف عنهما في لاغش، وهي تحتوي على 54 عموداً. ومن المحتمل أن هذه الوثيقة، وهي من الوجهة العملية العمل الأدبي الوحيد المحفوظ من هذا

العهد، قد ألهم أحد شعراء معد إيبو في لاعاش تكريماً لذكرى إشادة عوديا الورع لذلك المعبد وأسلوبه الأدبي معظم ومتفهم ومص، ويبدو أن الصور التي يرسمها للطقوس والشعائر التي تصاحب بناء إنيو تتضمن الخيال أكثر من الواقع. ومع ذلك، فهذه القصيدة شديدة الأهمية ومهمة بالمعلومات، كما سطره الموجز التالي لمحتوياتها

إذا استمعنا إلى سرد للقصيدة نجد أنها قد بدأت كلها بعد أن تقررب المصائر وبوركت مدينة لاعاش بوافر فيضان دجلة. وحدث بعد ذلك أن تنجبرسو، إله مدينة لاعاش المختص بحمايتها، قد قرر أن يجعل عوديا يسي له معبد، إنيو بطريقة بديعة فظهر لعوديا في حلم يبدو وكأنه ابتداء خالص لغرض معين من الشاعر، مع أنه يسرد الأحداث كأنها حدثت فعلاً

رأى عوديا في الحلم إنساناً ذا قامه هائله أحجم وعلى رأسه تاج إلهي، وله جناحا طير ورأس أسد، والجزء السفلي من جسمه موحية طوفان"، والأسود مرمحة عن يمينه وعن شمالك وأمر الإنسان الضخم عوديا ساء معبد، ولكنه لم يستمع أن يفهم معنى كلماته وأسلح انهار - في الحلم - وإذا امرأة تظهر ممسكة بمرقم ذهبي تنفحص لوحاً من الاتصال صورت عبي السماء ذات النجوم. ثم ظهر بطل "يمسك بلوح من اللارورد رسم عليه محطط دار، وكان يضع كذلك أحجار الأجر في قلب الأجر الذي تنصب أمام غوديا مع سلة نقل وفي لوقت دته كان حمار يضرب بحوافره الأرض بنعاد صر

وبما أن معنى الحلم لم يكن واضحاً لعوديا، قرر استشارة الإلهة نانشه، التي كانت تزول الأحلام للآلهة. بيد أن نانشه كانت تعيش في منطقة من مناطق لاعاش تدعى نت وكان أفضل سبيل إلى بلوغها هو اجتار الترعه ولذلك رحل إليها عوديا بقارب، جازماً أن يتوقف عند عدة مزارات مهمة ليقدّم لآلهتها الأضحيات و لصلوات لنان دعمهم وأحيراً وصل القارب إلى رصف مناء نت، وذهب عوديا مرفوع الرأس إلى ساحة المعبد حيث قدم أضحياته، وصب قرايين الخمر و لريت، وأدى الصلوات ثم روى لها حلمه وفسرته له نقطة نقطة، هكذا:

إن الرجل ذا القامة الضخمة الذي يعلو رأسه تاج بهي، والذي له جناحا طائر برأس أسد، والجزء الأسفل من جسمه موجة طوفان يعني أحابها نينجيسو، الذي أمره ببناء معبد إنسو. واتلاح النهر فوق الأفق يعني سنجرسو، إله غوديا الشخصي، الذي يرتفع مثل الشمس وامرأة، التي تمسك بمرقم ذهبي وتتفحص لوحاً من الصصال صورت عليه السماء المردانة بالبحوم يعني نيدابا (إلهة الكتابة والرقة الرعية لك إدوبا edubba)، التي يرشدك في ساء الدار وفقاً لـ "البحوم المقدسة" والطل الذي يمسك بلوح من اللازورد - يعني (المهندس المعماري) الإله يندوب الذي يرسم مخطط المعبد وعربة اسفل وقالب الأجر الذي وضع فيه "آجر القدر"؛ إلهام علامة على أحجار الأحمر لمعبد إنسو. والعمار الذي يصرب بحوافره الأرض بنفاد صر - إنه من دود شك، يعني غوديا نفسه، الذي هو فاعد الصر على تنفيذ مهمته

ثم شرعت نانشه تنصح غوديا بإنشاء مركبة حربية جديدة وجسمه بزحرفة لينجيسو، وتقديمها إليه مع قدام من ذكور الحمير ورسم رمزي للإله وأسلحة، مصحوبة بقرع الطبول وتم ذلك وفي حلم آخر، أعطاه نينجيسو بوجيهاث إصافية، وبارك لاغاش بالوفرة والقيص، وطمان غوديا أن شعبه سوف يعمل بمتهى الكد لساء الإنسانو بكل صنوف الخشب والحجر المحلو به من مختلف البلاد.

وصحا غوديا من نومه، وبعد أن قام بالتضحية ورأى فألها ميمون، شرع حاشعاً في تنفيذ توجيهات نينجيسو. وأصدر التعليمات لشعب مدينته، الذي استجاب بحماسة واتحاد. وقام أولاً بتطهير المدينة أخلاقياً ومناقياً. فلا ينبغي أن توجد شكواى أو اتهامات أو عقوبات، فعنى الأم ألا تعنف انها، ولا يجوز أن يعلو صوت الطفل على أمه، ويحبب ألا يعاقب العبد على ارتكب الخطأ؛ ويجب ألا تصرب السيدة عبيدها لعدم الاحترام؛ وقد أبعد كل القذرين عن المدينة. وبعد سلسلة أخرى من البشائر وهواتف الوحي والأصحيات والمراسم الاحتفالية والصلوات، شرع بكن جهده فى مهمة بناء الإنسانو، الذي يصمه الشاعر عدتد بفصيل شديد وتكراري، ولسوء الحظ، غمض في حل الأحيان.

والقصيدة المكتوبة على الأسطوانة الأولى تنتهي بإتمام بناء مجمع الإنيسو. ثم يتواصل المسرود لترتيلي على الأسطوانة الثانية، بدءاً بصلوة غوديا للآلهة الأرباكي. يليها إبلاعة بينجيرسو وزوجته، ناو، أن المعبد قد اكتمل وأصبح جاهزاً للسكى وبمساعدة عدد من لأرباب، نظف غودب المعد وأعد كس الطعام وزيت القربان وخمره والبخور للاستخدام في مراسم الاحتفال بدخول الآلهة في بيوتهم. ومنه أخرى نظف غوديا المدينة، أخلاقياً ومناقبياً وبعدئذ شرع غوديا في تعيين مجموعة كاملة من الآلهة للعناية بحاجات المعد حارس الباب، ورئيس خدم، وصانعو دروع، ورسول، وحاجب، وسائق عربة، وراع للماعز، وموسيقيون، وناصر حبوب، وبظر أماكن صيد السمك، وحافظ حيوانات الصيد وطيوره، ووكيل أراض وهذه التعينات موصوفة بأسلوب يذكر بوصف تعيين إنكي لمختلف لأرباب المشرفين في أسطورة "إنكي والنظام العالمي" وبعد أن اتحد بيجيرسو وباو في العيم الزوجي، تلب ذلك سبعة أيام من الاحتفال توجتها وليمة لكسار الآلهة آن وإنليل ونيسماه. وبعد مباركة بيجيرسو، تحتم لقصيدة بأشودة حمد لأنيسو وإلهة بيجيرسو.

فإذ تحولنا عن هذه الصورة المثالية للمعبد والعبادة فيه، إلى الطقوس والشعائر المعتلة اليوميه، فقد نسلم بأنه كانت تقدم في معبد كل مدينة رئيسيه أضحيات يومية، تتألف من الأغذية الحيوانية والسائية، وصب الماء والخمرة والجمعة، وإحراق لسخور. وما من ريب أن لمراسم الاحتفالية كانت أروع وأبهج بكثير في الأعياد والأيام الدينية. كانت توحيد مهرجانات كثيرة على مدار السنة، إذا حكم من أسماء شهور أمثال "شهر أكل شعير نيجيرسو"، و"شهر أكل العزلا"، و"شهر عيد شولعي" وكانت بعض هذه الأعياد تدوم عدة أيام ويحتفل فيها بالأضحيات والمواكب. كما وجدت أيضاً أعياد شهرية منتظمة في يوم الهلال الجديد وكذلك في اليوم السابع والرابع عشر واليوم الأخير من كل شهر.

وكان عيد "العام الجديد" أهم الأعياد قاطبة، ومن المحتمل أن يحتفل به في عدة أيام بالولائم وامراسم الخاصة وكان أهم طقس من طقوس "العام الجديد" هو الرواح المقدس بين الملك الذي يمثل الإله دوموزي، وإحدى الكاهنات،

التي تمثل إلهة إينانا، لصمان لملاح وقابلية لتناسل في سومر وشعبها بصورة ناجعة ومن غير المحقق تماماً كيف بدأ ذلك في الأصل ومتى، على الرغم من أنه يمكن إعادة تشكيل لأحداث كما يلي:

في زمن مبكر من الألف الثالث ق. م، كان دوموزي حاكماً بارزاً لمدينة - الدولة السومرية "إيريك"، وقد خلقت حياته وأفعاله تأثيراً عميقاً في جبله والأحيال اللاحقة وكانت ربة إيريك، المختصة بحمايتها هي إينانا، وهي إلهة عذب في كل التاريخ السومري الإلهة المسؤولة في المقام الأول عن الحب الجنسي، والخصب، والتناسل، وأصبح اسماً دوموزي وإينانا من دون ريب متصافين بالحكام في أساطير إيريك المأكرة وطقوسها. ولكن قبل منتصف الألف الثالث، عندما أصبح السومريون أصحاب عقلية وطيفة مترسدة وكان اللاهوتيون يظلمون ويصمون المجتمع الإلهي طغماً لذلك، نشأت فكرة معقولة في الظاهر ولا تخلو من حاذييه وهي أن ملك سومر، مهما كان ومهما كانت المدينة التي نشأ منه، يجب أن يعدو زوح إلهة الحب مابحة الحياة، أي إنا الذي من إيريك، إذا كان من شأنه أن يصمن انكاثور والرخاء في البلد وشعبه وبعد أن أصبحت الفكرة لأولية عقيدة جدرفة مقبولة، تم تنفيذ الفكرة في ممارسة طقسية بإتمام الاحتفال بالزواج، الذي من المحتمل أن يكون قد تكرر في كل سنة جديدة، بين الملك وكاهنة تم اختيارها بصورة حاصه من معبد إينانا في إيريك ولكن لإصغاء الأهمية والمنزلة على العقيدة ونطقس على السواء، كان من المستحسن اقتناء أثريهما في الأزمان المأكرة، حيث أعطي لدوموزي شرف أن يكون الحاكم الفتي الأول الذي أصبح زوحاً لإينانا، معودة إيريك المحللة، وأصبح دوموزي ملك إيريك عبر القرون شخصية لا تنسى في السير البطوبة والمأثورات السومرية.

أما بخصوص الكهنة الذين يتولون شؤون العبادة، فإننا نعرف القليل عنهم خلا أسماء وطقسهم. وكان الرئيس الإداري للمعبد هو الـ "sanga"، ولا ريب أن واجبتهم كانت المحافظة على مناسك المعبد وموارده المائلة في حالة حيدة والتيقن من أن موظفي المعبد يؤدون واجبتهم بصورة فعالة. وكان الرئيس

الروحي للمعبد هو الـ "إن" ، الذي يعيش في حراء من المعبد يعرف بالـ "جيار"، ويبدو أن الـ "إن" يمكن أن يكون من النساء أو من الرجال. وهذا يوقف على جنس المعبود الذي يكرس له خدماته. وهكذا فهي المعبد الرئيسي في إيريك، الـ "إيب" eanna، الذي أصبحت فيه الإلهة إيبانا المعبودة الرئيسية، كان الـ "إن" رجلاً؛ وكان الطلان إمبركار وجلجامش قد شغل كل منهما أصلاً منصب "إن"، برغم أنهما كنا إلى ذلك ملوكاً وقواداً عسكريين عضواً بالتأكيد. وفي معبد إكيشوعان هي "أور"، الذي كان معبوده الرئيس هو إله القمر، شعلت منصب الـ "إن" امرأة، وهي في العادة ابنة عامل سومر الذي يتولى السلطة فيها. (لدينا بالفعل أسماء كل الذين شعلوا منصب الـ "إن" تقرساً، في إكيشوعان منذ أيام سرعون الكبير)

في المرتبة الثانية من الـ "إن"، هالك عدد من العصابات الكهنوتية، ومن صممها "غودا" guda و ماه' mah و "يشيب" ishib و "غال" gala و "نيسديمير" nindingir، التي لا تعرف عن شاعها إلا اليسير باستثناء أن الـ "يشيب" ربما كان مسؤولاً عن إرفاق ماء التقدّمات والتطهير، وأن الـ "غال" ربما كان نوعاً من مضي المعبد أو شاعره. وكانت توحد كذلك جوقة من المغنيين والموسيقين وكذلك - ولا سيما في المعابد المكرّسة لإينانا - أعداد كبيرة من الحصبان وابعاهرات المقدسات. وبالإضافة إلى الذين ارتبطوا على نحو أو آخر بالخدمات الدينية، كان المعبد يشتمل على العاملين في المعبد ومن ضمنهم الكثيرون من الموطعين غير الكهوتيين، والعمال، والعبيد الذين كانوا يساعدون على تسيير مشاريعه الزراعية والاقتصادية المختلفة، كما بوضوح الوثائق الإدارية التي لا تحصى والتي تم الكشف عنها في المعابد السومرية القديمة

وكان دمار معبد سومري هو العاحضة الأشد التي يمكن أن تقع للمدينة وشعبها، كما تكشف التصحيحات والإمرات المبررة لسي يؤلفها شعراء المعبد ورجازه المكرويون. وللاستشهاد بمثال واحد فقط، نقدم الآن مقطوعة شعرية من مراثية دمر أور "ترسم صورة الحروب الكلي الذي جرى - "أور" ومعبدها، الإكيشوعان"، بعد أن هاجمها العلامون وفضوا على إيبى - سين"، الحاكم الأخير من سلالة أور الثالثة:

أبيها لمبيكة، كيف حفرك قلبك، كيف تقوين على البقاء حية!  
أيا نيعان، كيف حمرك قلبك، كيف تقوين على البقاء حية!  
أيته العادلة التي تقوصت مدينتها، كيف تقوين على لوجود!  
أيا بسخل، التي ناد بلدها، كيف طاولك قلبك!  
بعد أن تدمرت مدينتك، كيف تستطيع الحياة الآن!  
بعد أن تقوص بيتك، كيف طاولك قسك!  
باتت مدينتك مدينة غريبة، كيف تستطيع الحياة الآن!  
أمسى بيتك بيت الدموع، كيف طاولك قلبك!  
مدينتك التي صدرت حرائب - لم تعودى سيدتها،  
منرك الصالح الذي سلم إلى المعول  
لم تعودى تسكين فيه.  
شعث الذي سبق إلى المدبحة - لم تعودى منكته  
باتت دموعك دموعاً عربية، وبلدك لا يذرف الدموع،  
إنه من دور "دموع الابتهاج" يسكن في بلاد أحيية،  
صارت مدينتك حرائب؛ كيف تقوين على الوجود!  
انكشف منزلك، كيف طاولك فسك!  
أور، المرر، قد سلمت إلى الريح، كيف تستطيع الحياة الآن!  
لم يعد كاهنها الغودا يسير في حالة حسنة، كيف طاولك قلبك!  
والـ "ن" en لا يسكن في الحصار؛ كيف تقوين على الوجود!  
وكاهن الإيشيب الذي يرعى أعمال التطهر لا يقوم بذلك من أجلك،  
والأب، نذ، إيشيك لم ستكمن الأوعية المقدسة من أحلك،

وكاهن "الماء" في "الجيعونا" gijuna المقدسة لا يرتدي الكتان.

والـ "إن" en الصالح التابع لك والمنتحب، في الإكيشنوغال،

لا يسير مرحاً من المزار إلى الجيار،

وفي "الآهو"، دار أعبدك، لا يحتفلون بالأعياد،

ولم يعزفوا من أجلك على الـ "أوب" ub والـ "الا" ala

موسيقى الـ "تيجي" tigi التي تحلب السرور إلى القلب

ولا يستحم من أجل عيدك الناس أصحاب الرؤوس السود،

حكم عليهم أن يكونوا مثل وسخ الكنان، تبدل مظهرهم

و مستحالت أعبتك نجياً،

و مستحالت موسيقاك لتجي بدباً.

ولم يعد الثور يزرع في حظيرته، ولم يعد دسمه معداً لك،

و خرافك لا تمكث في زربها، ولسها لا يقدم إليك،

ومن تعود أن يجلب لك الدسم لم يعد يجلبه لك من معلف الماشيه،

ومن تعود أن يحلب لك الس لم يعد يجلبه لك من رربية الغنم،

والصياد الذي تعود أن يجلب لك السمك يلم به لحظ العاثر،

والفناصون الذين تعودوا أن يجلبوا لك الطيور أمانتهم، تكادين لا نستطيعن

أن تعيشي، والنهر الذي تم جعله صناعاً لزوراء الماعور magur في وسطه الـ

يسمو السات،

وفي دربك الذي أعد للمراكب لحرية، نمو شوك الجبل

بـ ملبكتي، مدينتك تنكى أمامك بوصفك أمه؟

أور، مثل طفل شارع مدمر، سحت عك،

المنزل، مثل إنسان فقد كل شيء، يمد يديه إليك،

منزلك الصالح المصنوع من الآخر، مثل إنسان ييكى لك "أين أصي؟"  
بـ مليكتي، لقد رحلت عن المنزل، رحلت عن امدينة.

أترسل إليك، كم سيطول وقوفك جدياً في المدينة مثل عدو؟

على الرغم من أنك ملكة تحبها مدينتها، فعن مدينتك... تحليت؛

(ومع) أنك ملكة يحبها شعبها، فعن شعبك... تحليت.

أيتها الأم سيندل، مثل الثور بالنسبة إلى حطيرتك، مثل الغنمة بالنسبة إلى  
زريتك!

كالثور بالنسبة إلى حظيرة أيامك السالمة، كالغنمة بالنسبة إلى زريتك!

وكطفل صغير بالنسبة إلى حجرتك، أيها العدراء، بالنسبة إلى دارك!

فبينطق "أن" ملك لآلهة، فوقك "هذا يكفي"

وليرسم "إليل"، ملك البلاد، مصيرك (الميمون).

وليعد المدينة إلى مكانها من أجلك؛ فتمارس ملكيتها

وليعد أور إلى مكانها من أجلك؛ فتمارس ملكيتها

ومن المهم أن نلاحظ قل كل شيء، ونحن نتحول الآن إلى الأسطوريات  
السومرية، أن للأساطير السومرية صلة بسيرة، إذا كانت لها أي صلة، بالطقوس  
والشعائر على الرغم من أن الشعائر قد أدت دوراً بالغ الأهمية في المدرسة  
الدينية السومرية. وعموماً فإن كل الأساطير السومرية الدقية أدبية بطبيعتها  
ومنعقة بتعليل الفواهر؛ وهي ليست "طقساً مطوّفاً" كما تصفُ الأسطورة خطأ  
في كثير من الأحيان؛ وليست إلحاقات بالأعمال الطقسية عُثرَ عليها بالكلام. وهي  
أساساً تدور حول خلق الكون وتنظيمه، ومولد الآلهة، وعو طف المحبة  
والغصاء لديهم، وغلهم ومكائدهم، ومركاتهم ولعناتهم، وأعمالهم في الخسق  
والتدمير. وفيها القليل جداً من الصراع على السلطة بين الآلهة، وحتى عندما  
يحدث ذلك، فلا يصور على أنه نزاع مرير وحقوق ودام.

وبالحديث الفكري، تتكشف الأساطير السومرية عن مقدرة واضحة ومحكمة  
عصر الشيء في أمور الآلهة وشاخصاتهم الإلهية، ويمكن أن تبين وراءها بؤلاً  
كوباً ولاهوتياً يسر بالقليل على أن كتاب الأساطير السومريين كانوا على لعموم  
الورثة المباشرين للمعنيين والزحاليين الأمين من أقدم الأزمان، وكان هدفهم الأول  
هو تأليف القصائد القصصية عن الآلهة التي من شأنها أن تكون جذابة وملهمة  
ومسلية. ولم تكن أهم وسائلهم الأدبية المنطق والعقل بل الاحبال ولحوثة فلم  
يترددوا في سرد قصصهم أن يحترعوا الأغراض والأحداث التي لا يمكن أن  
يكون لها أساس في الفكر العقلي أو التأملي ولم يترددوا في تبني أغراض السير  
الطولية و لمأثورات العومبة التي لا صلة لها بالبحث والتفكير الكوبي

وإلى الآن، لم يصلنا من الأساطير السومرية ما يعالج مسألة خلق الكون  
معالجة مباشرة وصريحة؛ وقد استدل على القبول المعروف عن أفكار لشوء  
الكوبي من الأقوال المعشّرة في لوثائق الأدبية. ولكن لدينا عدد من الأساطير  
المتعلقة بنظام الكون وعملاته الثقافية، وخلق الإنسان وتأسيس الحضارة و لأبطال  
الرئيسيون المشهورون في هذه الأساطير قبيلو العدد سبباً إله الهواء إنليل، وإله  
إنكي والآلهة الأم بينهورساع التي عرف كذلك بـ "بيتو" و"ينماء"، وإله الريح  
الجنوبي، نينورتا، وإله القمر، ناد مس، وإله لبدو، مارتو، والأكثر تكراراً،  
الآلهة إينانا، وخصوصاً في ارتباطها بروحها المسحوس "دوموزي".

كان إنليل، كما قد لاحظ سابقاً في هذا الفصل، أهم إله في الباشيون  
السومري، وهو "أبو الآلهة" وإله السماء والأرض و"ملك كل السلاسل وتعا  
لأسطورة إنليل وخلق المعول" كان الإله الذي فصل السماء عن الأرض، وأنشأ  
نزر الأرض من التراب، وأنتج "كل ما هو مطلوب"، وسوى المعول بالأغراض  
الزراعية والساكنة، وقدمه إلى الرؤوس السود، أي إلى السومريين، أو حتى إلى  
الشجرية جمعاء، ووفقاً لحورية "الصيف والشتاء"، كان إنليل الإله الذي أنشأ  
الأشجار والحبوب، وأنتج البيرة ولأزدهر في "البلد"، وعين "الشتاء" وهو  
"مزارع الآلهة المسؤول عن المياه متحة لحياة وعن كل ما ينمو وكن الأرباب  
- حتى الأهم بينهم - توفيق جميعاً إلى بركته وتروى إحدى لأساطير كيف أن

إله السماء، إنكي، بعد سائه "منزله لبحري" في إريدو، قد سافر إلى معبد إلبيل في نيور لكي يبال استحسده ومباركته. وعندما أراد إله القمر، نانا - سين، الإله المختص بحماية أور، أن يتيقن من حسن رخاء وازدهار حال مملكته سافر إلى نيور على زورق محمل بالهدايا فتال بذلك بركة إلبيل الكريمة.

وعلى لرغم من أن إلبيل كد رئيس المجمع الإلهي، لم تكن سلطانه مطلقة وغير محدودة البتة، وتهنم إحدى أكثر الأساطير السومرية إنسانية ورقّة بإقصاء إلبيل إلى العالم السفلي نتيجة الأحداث لتالية:

عندما كن الإنسان لم يخلق بعد وكانت مدينة نيور لا يسكنها إلا الآلهة، كان "فتاها" الإله إنسل، وكانت "عذراؤها" الإلهة نسلل؛ وكانت "امرئتها العحور" أم نيليل، نونبار شيفونو وفي أحد الأيام، توصي نونبار شيفونو استها بوضوح، وقد هيات عقبه، وقلها لزواج "نيليل" - "إلبيل" على النحو التالي

في النهر الصافي، يا امرأة استحمي في النهر لصافي

نيليل، تمشي على امتداد ضفة نهر يسوردو،

ومتألق العين، السد، متألق العين،

"الحبل العظيم"، الأب إلبيلو متألق العين سوف يراك،

الراعي، الذي يقرر الأقدار، متألق العين سوف يراك،

على الفور بعانقك ويقبلك

تتبع نيليل نعيمات أمها بابتهاج:

في النهر الصافي، تستحم المرأة، في النهر الصافي،

نيليل تسير على امتداد ضفة نهر نينوردو،

متألق لعين، السيد، متألق العين،

"الحبل العظيم"، الأب إلبيل، متألق العين،

الراعي، الذي يقرر الأقدار، متألق العين رآها.

يتحدث إليها اسيد عن المحامعة وهي تتمتع ،

يتحدث إليها إنليل عن المجامعة ، وهي تتمتع ؛

"مهلي صيق جداً، إنه لا يعرف الجماع ،

شفندي صغير ناد جداً، إنهما لا تعرفان انتقيبيل ' .

وعنى ذلك يستدعي إنليل وريره ، بوسكو ، ويخبره عن رعتيه في الشهر  
الحسناء فحصر بوسكو قارباً ، ويفتصب إنليل بنليل والقارب يمشى  
ويجعلها جلي بآله القمر سى يهتل الأرباب لهذا العالم السعلي . والفقره داب  
الصلة الوثيقة بموضوع البحث ، وهي حدى الفقرات الفعليه التي تلقى  
عبر مباشر على نظام المجمع الإلهي ومنهج عمله ، بقول ما يلي :

بشمى إنليل في الكيور kiur (مرار نينليل الخاص)

ويسما يتمشى إنليل في الكيور

فإن الأرباب ، الخمسين انكار ، والأرباب لسبعة الدين يرسمون المصائر  
بفصوص عنى إنليل في الكيور (قاتلين) ،

"إنليل ، يا فاسد الأخلاق ، اخرج من المدينة ،

بانوامير (لقب لإنليل) ، يا فاسد الأخلاق ، اخرج من المدينة "

وهكذا وفقاً للمصير انذي يرسمه الأرباب ، يرحل إنليل في اتجاه مشوى  
الأموات هددس' السومري . بيد أن ينليل ، وهي الآن جلي بالطفل ، ترفض  
تظل متخلفه عن زوجها وتلتحق بإنليل في رحلته الي أرعم عليها إلى العالم  
لسعلي ويطلق هذا الأمر إنليل ، لأن اسه سين ، المقدرة له اصلاً أن يكون مسؤولاً  
عنه أكبر حسم مضيء ، وهو القمر ، سيكون عليه أن يسكن في لعالم السفلي  
السطلم المعمر بدلاً من السماء . ويبدو أنه لإحباط ذلك قد در خطة معقدة إلى  
حد ما ، ففي انطريق إلى العالم السفلي من بيور ، بصادف المرء ثلاثة أفراد ، هم  
لأرباب الشايويون الحارس المسؤول عن أبواب بيور ، و"رجل البهر في العالم  
لسمي" ، والرجل الذي يعمل على العبارة ، ("تشارون" charon السومري) ،

ويعبر بالموبي إلى هادس. ويتخذ إيليل شكل كل فرد من هؤلاء على التوالي ويضاحك بيليل التي تحمل ثلاثة من أرباب العالم السفلي بديلاً من أخيه الأكبر "سين" الذي يصبح بذلك حراً في الصعود إلى السماء.

وتهم إحدى أكثر الأساطير السومرية تفصيلاً وإبانة، بتنظيم إنكي للكون، وهو إله الماء وإله الحكمة السومري. وتروي أسطورة أخرى عن إنكي حكاية متشابكة وهي إلى الآن عامصة إلى حد ما، تشتمل على أرض الفردوس ديلمون، ولعلها متماثلة جريئاً مع الهند القديمة وتسير هذه الحكاية لأسطورة "الفردوس" السومرية، المرسومة ببيجار شديد، والتي تتناول الآلهة لا البشر، كما يلي

ديلمون أرض "صاهرة" و "نظيفة" و "مشرفة"، "أرض الحياة" التي لا تعرف المرض ولا الموت. ولكن ما نفتقر إليه هو الماء العذب الضروري جداً للحياة الحيوانية والنباتية ولذلك فإن إله الماء السومري العظيم، إنكي، يأمر أوتو، إله الشمس، بأن يملأها بماء العذب الصاعد من الرب. وهكذا تحول ديلمون إلى جنة إلهية، حصراء ذات حقول ومروج مثقلة بالثمار.

في فردوس الآلهة هذا توضع ثماني عراس لتستهو بسهور سغ، الإلهة. الأم العظيمة عد السومريين. ولعلها كانت في الأصل "الأرض الأم" ولا تنجح في إيجاد هذه النباتات إلا بعد عمية معقدة تستلزم ثلاثة أجيال من الريات، يحصل جميعاً من به الماء ويلد - كما تؤكد القصيدة مراراً - من دون أدنى ألم أو عناء ولكن إنكي أراد أن يدوق النباتات الثماني فيقطف رسوله، الإله إيسمود ذو الوجهين هذه النباتات الثمينة واحدة واحدة ويعطيها لسيده، الذي يشرع في أكل كل سات منها على التوالي وعلى إثر ذلك تقضي سنهور ساغ الغاضبة بلعة الموت عليه ولكي لا تغير رأيها وتلين، تختفي من بين الآلهة.

تأخذ صحة إنكي في الانهيار، وبمسي ثمانية أعصاء منه سقيمة. ومع انحصاط إنكي بصورة مضطربة يعقد كبار الآلهة في الغار وبدو إيليل، إله الهواء ومث الآلهة السومريين، عاجزاً عن التغلب على الوضع عندما يكتمه أحد الثعالب. فيقول لثعلب لإيليل إنه إذا كوفى كما ينبغي فسوف يعيد بينهور

ساع ويصدق الشعب وعده، وينجح بطريقة ما - وليسوء الحظ فإن الفقرة وثيقة الصلة بهذا الموضوع تالفة - في إعادة الإلهة - الأم إلى الآلهة لتشهي إله الماء الذي يشرف على الموت. فتقعده عند مرحها. وبعد الاستعلام عن الأعضاء الثمانية التي توجهه في جسمه، توجد ثماني إبهت لشفاء أعضائه الثمانية ويعاد إنكي إلى الحياة والصحة.

وعلى الرغم من أن الأسطورة تعالج فردوساً إلهياً وليس بالأحرى بسناً، فإن لها أوجه شبه كثيرة مع قصة الفردوس التوراتية. وفي الحقيقة، ثمة مسوع للاعتقاد بأن فكرة الفردوس نفسها، جنة الآلهة، قد ابتكرها السومريون. ويحدد موقع الفردوس لسومري، وفقاً لقصيدتنا، هي ديلمون، وهي أرض تقع شرقي سومر وإنه في ديلمون هذه نفسها، عين لبابليون فيما بعد، وهم الشعب السامي الذي تغلب على السومريين، "بلد الحياة" عندهم، وهو وطن الحالدين منهم وثمة دليل وحيه على أن الفردوس انتزعتي، أيضاً، الموصوف بأنه جنة مزروعة في عدن شرقاً، ومن مياها تجري أنهار العالم الأربعة، ومن ضمنها دجلة والفرات، يمكن أنها كانت متماثلة في الأصل مع ديلمون، أرض الفردوس السومرية

ومرة أخرى، فإن الفقرة التي تصف في قصيدتنا سقاية إله الشمس لديلمون بالماء العذب الصاعد من التراب، تذكرنا بالفقرة التوراتية: وكان ضباب يصعد من الأرض، ويروي كل وجه الأرض (سفر التكوين 6 2) وولادة الربات من دون ألم أو عناء توصح خلفية اللعنة على حواء لتي سيكون نصيبها أن تحبل وتلد الأولاد في ألم وواضح بما يكفي أن أكل إنكي من الساتب الثماني واللجنة الصادرة عليه سوء فعله هذا، تذكرنا بأكل آدم وحواء من ثمرة شجرة المعرفة وللعات المصوبة عيهما من حراء هذا العمل الآثم.

لكن لعل أكثر نتيجة تستأثر بالاهتمام في هذا التحليل المقاربي للقصيدة السومرية هو التفسير الذي تقدمه لأشد لحاصر إرباك في قصة الفردوس لتوراتي، وهو اللذة التي تصف تكوين حواء، "ألم كل حي" من ضلع آدم - فلماذا الضلع؟ لماذا يحث السارد العري من الأصلح أن يحتار ضلعاً من أي

عصو احر في احسم نصنع المرأة التي يعي اسمها، حواء، حسب المفكرة التوراتية تقريباً التي تحيي. إن السبب يغدو واضحاً تماماً إذا افترضنا أن حمية أدبية سومرية، كتلك الحلمية التي سمها قصيدتنا ديلمون، تكمن في أساس حكاية الفردوس التوراتية؛ لأن أحد الأعضاء المريضة في قصيدتنا السومرية هو الضلع. وفي هذه الحالة فإن الكلمة السومرية الدالة على الضلع هي "ني u"، ولذا فإن الإلهة التي خلقت لشفاء ضلع إنكي تدعى بالسومرية "نين - ني" u nim (سيدة الضلع)؛ ولكن الكلمة تي تعني كذلك ونحيي. وعلى ذلك ففي الأدب السومري صار "سيدة الضلع" متماثلة مع السيدة اني نحيي من خلال ما يمكن أن يدعى تلاعباً في الأنماط وقد كان هذه لتلاعب اللفظي، وهو من أقدم الجناسات الأدبية، هو الذي انتقل إلى قصة الفردوس التوراتية وخلد فيها، على الرغم من أنه يفقد فيها، ولا ريب، عشروعه، ما دام الكلمتان العبريتان الدالتان على "لضلع" و"نحيي" لا تشركان في اللفظ.

وهناك أسطورة أخرى عن إنكي ونيسهورسح معية خلق الإنسان من الطين الذي هو فوق العمر وبدأ القصة بوصف صعوبات لألهة في الحصول حبزهم، وبخاصة كما يمكن التوقع، بعد أن ظهرت إلى لوجود الريات الإناث. ويشتهي الأرياب، ولكن إنكي الذي من الممكن أن يهب لمساعدتهم، مسلط على المراش يعط في نوم عميق ولا يستطيع سماعهم وعليه تقوم أمه، وهي البحر البدئي، والأم اني أنجت كل الآلهة، بإحصار دموع الآلهة إلى 'مام إنكي، فائلة

يا اسي، نهض من سريرك، ما هو حكيم وافعل

اصنع خدماً بالآلهة دعهم يتكاثرون(٩)

ويولي إنكي الأمر تفكيراً، وتقدم جمع 'الصناع' المهرة الأميرين"، ويقول لأمه، نامو البحر البدئي.

يا أمي، إن لمخلوق الذي نطق اسمي، يوجد؛

شدي عيه صورة (؟) الآلهة؛

مزجي قلب الطين الذي هو فوق الغمر

والصناع المهرة الميريون سوف يكتفون العطين،  
وبينما تعملين على تسوية أعصائه؟  
ينمائه (اسم آخر لنيهروراسع) سوف توجه عمك،  
والهة (لولادة). - ستقف بجانبك  
يا أمي، ارسمي مصيره (مصير المولود الجديد)،  
ينمائه سوف تشد فوقه قالب (؟) الآلهة،  
إله الإنسان .

نم تنصرف القصيدة عن حلول الإنسان في كنيته إلى خلق بعض أنماط البشر  
الناقصين في محاولة و صحة لتفسير وجود هذه الكائنات الشادة. وتحير عن  
مادة يرتها إنكي للآلهة ربما لتكريم ذكرى خلق الإنسان. وفي هذه المأدبة يعب  
إنكي وبينمائه الكثير من الحمة ويعدوا موقوري النشاط وتأخذ ينمائه بعض  
الطين لذي على لغور وتشكل ستة أنواع مختلفة من الأفراد المعوقين، في حين  
يرسم إنكي مصائرهم ويمنحهم وسيلة لأكل الخبز، وبعد أن خلقت ينمائه هذه  
الأنماط من الإنسان، يقرر إنكي أن يخلق بمطه، والطريقة التي اشتغل بها يست  
واضحة، ولكن مهما تكن، فالمخلوق الناحم متحلف؛ فهو ضعيف وواه جسماً  
وروحاً. وإنكي خلق في هذه الحالة حبال مساعدة نيمه لهذا المخلوق الخائب؛  
ولذا يخاصها كما يلي:

إن من صنعتهم يدك، قد رسمت مصيرهم،

وأعطيتهم وسيلة لأكل الخبز

فهلا رسمت مصير من صنعت يدي،

هلا أعطيتهم وسيلة لأكل الخبز

وتحاول ينمائه أن تكون حيرة نحو المخلوق ولكن من دون جدوى. تتحدث  
إليه، ولكنه لا يجيب تعطيه خبزاً ليأكل لا يمد يده إليه وهو لا يستطيع أن يقعد  
ولا أن يقف ولا أن يحيي ركبته وبعد محادثه طويله ولكنها بعد غير مفهومه بين

إنكي ونيما، لفظ بينما لعنة على إنكي بسبب المخلوق لمريض الجامد الذي صنعه، لعنة يبدو أن إنكي تقلبها نوصفها ما يستحقه

وفيما يتصل بـ"نيورتا"، إله الريح الرعدية الحويبية، توجد أسطورة غرضها دح النيس. إن الحكمة، بعد فقره برتيلية موجهة إلى الإله، بدأ بحطاب بوجه إلى نيورتا سلاحه المشخص شارور. ولسبب غير معلن، عقد شارور عزمه ضد أساغ، شيطان المرض والداء، الذي يقع مرله في الـ "كور"، أو العالم السفلي. وفي كلام مفعم بالعبارات التي تشيد بذكر صفات نيورتا وأعماله البطولية، يحمره على مهاجمة الوحش والقضاء عليه. ويخرج نيورتا مسدراً للقيام بما حفر إليه ولكن يبدو أنه في البداية قد واجه خصماً قوياً، و"يفر مثل طائر". ويخاطبه الشارور مرة أخرى بكلمات مطمئنة ومشجعة. وفي هذه المرة يهجم نيورتا أساغ بكل الأسلحة التي تحت تصرفه، ويتم القضاء على الشيطان

ويكن مع القضاء على الأساغ تلم سومر طامة خطيرة. فقد ارتفعت من الكور مياه أول الزمان إلى السطح، ونتيجة لعنتها لم تتمكن المياه العذبة من الوصول إلى الحقول والساتين. وأصيب باليأس إلهة سومر الدين "حملوا معولها وسلتها"، أي الدين عليهم واحب ري سومر وتهيتها للفلاحة. ولم يرتفع نهر دجلة، ولم يكن في محراه ماء صالح.

كانت المعجزة شديدة، لم ينتح شيء،

وفي الأنهر الصغيرة، لم يكن ثمة "غسل الأيدي"،

ولم ترتفع المياه عالياً،

لم تسق الحقول،

لم يكن هناك حفر (إفاضة ماء) للخنادق،

وفي كل الأراضي لم يكن هناك نمو للنبات،

فلم تنم إلا الأعشاب الصاره.

وعليه ركز السيد فكرة لسامي على هذه المسألة

بيورتا، ابن إبليل، أوجد أشياء عظيمة.

وبصب بيورتا كدسات من الأحجار فوق الكور وكومها عالي كالجدار مام  
سومر واحتجزت هذه الأحجار "المياه القوية"، وفي النتيجة لم تعد مياه الكور  
ترفع إلى سطح الأرض أما أميه التي كانت تفيض على الأرض، فقد جمعها  
سوربا وساقها إلى نهر دحمة، الذي صار في مقدوره أنشد أن يروي لحقول بهيصه.

ما كان قد تفرق، جمعه،

ما تفرق من الكور،

وجهه وقذفه في نهر دجلة،

لصب المياه العالة على الحقول

اطروا، الآن كل شيء على الأرض،

مغشط عن بُعد من ننوري، ملك البلد،

الحقول أغب حبا وفيرا،

وحسن الكرم والبستان ثمارهما،

والحصاد مكرم في المخازن والتلال،

حسن السيد الحداد يختفي عن البلد،

حسن روح الآلهة سعيدة.

وأمه، بنماه، إذ تسمع فعال ابنها العظيمة والبطولية، تستعرقها الشفقة  
عليه؛ وتسمي من الاضطراب إلى حد أن تعجز عن النوم في حجرة نومها  
ولذلك تحاطب ابنها عن بعد بالصلاة من أجل السماح لها بزيارته والنظر إليه.  
ويطر إليها ينوربا بـعين الحياة"، قائلاً

آيتها السيدة، لأنك تودين المجيء، إلى الكور،

أيا نيماء، لأنك من أجلي تودين أن تدخلني الأرض المسونة،  
لأنه ليس لديك خوف من هول المعركة التي نكتمني،  
لذلك، فالتل الذي كرمته أن، لطل،

ليكن اسمه هو رماغ (بحيل) ولتكوني ملكته

ثم يبارك بيورتا الهورماغ الذي يمكن أن يجيء بكل أنواع الأعشاب  
والخمر والعسل، وشتى أنواع الأشجار والذهب والعصه والبرونز والأنفار  
والعشم وكل "المخلوقات من دواب القوائم الأربع" وبعد هذه المباركة، بلغت  
إلى الأحجار، لأعنا نك التي كانت معدية له في معركته مع الشيطان - أساع  
ومباركاً تلك التي كانت صديقة له

ويدور عدد غير قليل من الأساطير السومرية حول إلهة الحب الطموح  
والعدوانة والمتطلعة، إينانا - عشتار الأكادية وزوجها الإله - الراعي دوموري -  
تمور انثوراني ونودد دوموزي للإلهة مسرود في صيفين؛ وفي الأولى كان  
يتنازع على رصاها مع الإله - الزراع، إنكيدو، ولا ينحج إلا بعد قدر كبير من  
الجدال المسبب للحصام الذي يعصي إلى التهديد بالعنف؛ وفي الصيغة الأخرى  
بدو أن دوموزي يلتقي القبول العوري والمباشر بوصفه عاشق إينانا وزوجها  
ولكنه قلما يجلم بأن رواجه بإينانا سوف يزول إلى الثور، وأنه سوف يحرر إلى  
الحميم فعلياً، وهذه القصة مسرودة في إحدى الأساطير السومرية المحفوظة  
على أحسن ما يكون، أسطورة "نزول إينانا إلى العالم السفلي"، التي نشرت  
ونقحت ثلاث مرات في عضون السوات الخمس والعشرين الماضية، وهي على  
وشك أن تنقح مرة رابعة بعون من عدة رقم وكسر كانت محبولة حتى الآن وإذا  
أحملنا هذه الأسطورة بإبحار، فيها تسرد الحكاية التالية

إن إينانا، صكة السماء، إلهة الحب والحرب الطموح التي نودد إليها الراعي  
دوموزي وهاز بها زوجة، تقرر أن تنزل إلى العالم السفلي لكي تجعل نفسها سيده،  
وربما من ثم لترفع الموتى فتجتمع اقوايس الإلهية الملائمة، وبما أنها زبت نفسها  
بالحلل والحلي المنكية، فهي متأهة للسخول في "أرض اللاعودة"

ومملكة العالم السفلي هي أحنها الكبرى وعدوتها اللدود، إرشكيغال، إلهة الموت وانظلام السومرية. وإينانا خاتمة من أن تسلمها أختها إلى الموت في عقر دارها. فتعلم ويريه بيشوبور، الذي هو طوع إشارتها دوس، أنها إذا أخفقت في العودة بعد ثلاثة أيام. فعليه أن يشرع في نذب لها بحاب الأقاض في قاعة اجتماعات الآلهة ثم عليه أن يذهب إلى نيسور مدينة إنليل، كبير الآلهة في المجمع الإلهي السومري، ويتوصل إليه ألا يدعها تقتل في العالم السفلي فإذا رفض إنليل، فعلى نيشوبور أن يذهب إلى أور، مدينة إله القمر. نانا، وأن يكرر توسله وإذا رفض نانا كذلك، فعليه أن يذهب إلى ريدو، مدينة إنكي، إله الحكمة، الذي يعرف طعام الحياة، والذي يعرف ماء الحياة" وسيهب لإنقاذها حتماً

ثم تنزل إينانا إلى العالم السفلي وتقرب من معبد إرشكيغال اللاروردي وعند الباب يلتقها رئيس حراس الباب، اندي يطلب أن يعرف من هي ولماذا أنت تعلق إينانا عذراً زائفاً بربارتها، ويفودها حارس الباب، بناء على تعليمات سيدته، عبر الأبواب السبعة للعالم السفلي وعندما تحاذ نانا بعد آخر، تُزج قطع ثيابها ومحورهاها قطعة قطعة على الرغم من احتجاجها وأحيراً، بعد اجتيازها الباب الأخير يتم إحصرها مجردة وعريانة وجائبة على ركنها أمام أرشكيغال واد "الأنوناكي"، قضاة العالم السفلي السبعة الرهيبين، الذين شتوا عليها أنظارهم المحيطة، فاسحالت حثّة، وغدت بعدئذ مدلاة من وتد

وتمر ثلاثة أيام وثلاث ليال وإد يرى نيشوبور، في اليوم الرابع أن سيدته لم بعد، يبدأ القيام بجولات على الآلهة وفقاً لتوصياتها. وكما حمنت إينانا، يرفض إنليل وانا على السواء تقديم يد العون. ولكن إنكي يدير حطة لإعادتها إلى الحياة فصنع الـ "كورعاره" kurgarra و الـ كالاتوره Kalaturra، وهما مخلوقان لا حسس لهما، ويعهد إليهما بـ "طعام الحياة" و"ماء الحياة"، اللذين عليهما أن يمضيا بهما إلى لعالم السفلي حيث نستلقي إرشكيغال، "الأم المولدة" مريضة نسب طفلها، وتطل وهي عارية ومكشوفة تش، "وبلاء من داخلي" و"وبلاء من خارجي" وعسهما، الـ "كورعاره" واد كالاتوره"، أن يردد صحتها تعاطف وأن يضيفا، "من داخلي إلى داخليك"، "ومن خارجي إلى خارجك"

ثم سيقدم إليهما ماء الأنهار وحب الحقول على سبيل الهدايا، ولكن إنكي يحذرهما بأن عليهما ألا يقبلا الهدايا بل عليهما أن يقولوا، "أعطنا الجئة المتدلية من المسمار"، وأن يرشأ عليها "طعم الحياة" و"ماء الحياة"، اللذين عهد بهما إليهما وهكذا، يحسان إيانا امسة وقدم ال كورغره" وال "كالاتوره بما أمرهما به إنكي، وتم إحياء إيانا.

وعلى الرغم من أن إيانا قد أصبحت حية من جديد، فإن متاعبها كانت أبعد من أن تقضي، لأنه كان من القواعد التي لا تخرق في العالم السفلي أنه لا يمكن لمن دحل أبوانه أن يعود إلى العلم العلوي ما لم يؤمن بديلاً بحس محبه. ولا يمكن أن تكون إيانا استثناء من هذه القاعدة. فقد سمح لها بالفعل أن تصعد مجدداً إلى الأرض، ولكن كان نصحتها عدد من الشياطين عدمي الشفقة، وقد تروودوا تعليمات تقضي بأن يعيدوها إلى الماطق السمية إذا أخفقت في توفير إله آخر يحتل مكانها.

وإذ تحاد إيان بهؤلاء الشرطة العوليين تشرع أولاً في زيارة المدينتين السومريتين "أوما" و"بد - تيبيرا" وكان ربا حماية هانين لمدينتين، "شارا" و"لاتاراك" قد أرعبهما منظر القادمين غير الأرضيين، فعفرأ نفسيهما بانتراب أمام إيانا تذلاً. وعندما هدد الشياطين بحملهما معهم، ردت الشياطين فأنقذت بذلك حياتهما

وبمواصلة إيان والشياطين رحلتهم، يصلون إلى "كولاب"، وهي مطقة من ماطق المدينة السومرية إيريك، وملك هذه المدينة هو الإله - الراعي، دوموزي الذي بدلاً من أن يوح على أن زوجته التي نزلت إلى العالم السفلي حيث عانت العذاب والموت، "ارتدى حلة بادحة، وترفع فوق العرش"، أي أنه كان يحتفل فعلاً بشقاتها. فنظر إيانا إليه حائرة - "عين الموت" وتسلمه إلى الشياطين القساة المتلهمس لينقلوه إلى العالم السفلي فمتقع لون دوموزي ويكي. ويرفع يديه إلى السماء، وينسل إلى إله الشمس، أوتو، الذي هو أخو إيانا ومن ثم فهو ابن حميه. ويتضرع دوموزي إليه أن يساعده على لحاة من اشياطين بتحويل يده إلى يد حية وقدمه إلى قدم حية.

ولكن عند ذلك الحد في القصة - في عمرة دعاء دوموري - تصل الرقم المتاحة إلى اسهاية وكان لقاريء قد ترك حتى عهد قريب معقفاً في وسط الجو. ولكن لدينا الآن النهاية السوداء

إن دوموري، على الرغم من ثلاثة توسطات يقوم بها أوتو، يُقل إلى العالم السفلي ليموت فيه بدلاً من زوجته الحانفة و لمرورة، إند. ونحن نعلم ذلك من قصيدة كانت مجهولة إلى الآن على نطاق واسع؛ وهي بالفعل ليست جزءاً من أسطورة "رول إينايا إلى نعلم السفي"، ولكنها ذات صلة حميمة بها، وهي إلى ذلك تتحدث عن تحول دوموزي إلى غزال وليس بالأحرى إلى حية. وهذا التأليف الجديد قد وجد مكتوباً على ثمانية وعشرين لوحاً وعلى كسر يعود تأريخها إلى زهاء العام 1750/ ق. م، والنص الكامل لم يتم إلا مؤخراً توصيل أحرائه بعضها إلى بعض وترجمتها، على الأقل بصورة مؤقتة، على الرغم من أن بعض القطع قد نشر قبل عقود.

نبدأ الأسطورة، التي يمكن أن تعنون - "موت دوموزي"، بعبارة تمهيدية بهيئ فيها المؤلف للسرة سوداوية للحكاية التي سيرويها إن لدى دوموزي، راعي إيريك، سابق إذار بأن موته وشك ولذلك يتقدم إلى السهل بعينين دامعين وتفجع مرير.

كان قلبه مترعاً بالدموع،

تقدم إلى السهل،

الراعي كان قلبه مترعاً بالدموع،

تقدم إلى السهل،

دوموري كان قلبه مترعاً بالدموع،

تقدم إلى السهل،

ربط نايه (؟) حول عنقه،

أطلق النواح.

أطلق النواح، أطلق النواح،

أيها السهل، أطلع النواح

أيها السهل، أطلق النواح، أطلق العوين (؟)

بين سراطين انهر، أطلق النواح

بين صفادع النهر، أطلع النواح

دع أمي تنطق كلمات (النواح)،

دع أمي، سيرتور، تنطق كلمات (النواح)

دع أمي التي لا تملك (؟) خمس حبرات (؟)

تنطق كلمات (النواح) (؟)

دع أمي التي لا تملك (؟) عشر خبزات (؟)

تنطق كلمات (النواح)،

في اليوم الذي أموت فيه لن يكون لديها من يعنى (؟) بها،

على السهل، مثل أمي، لتذرف عياني الدموع (؟)،

على السهل، مثل أختي الصغيرة، لتذرف عياني الدموع

وتستمر القصبدة، يستلقي دوموري لينام فيرى حلماً تشاؤمياً ومنذرٌ بالشر:

بين الراعم (؟)، اضطجع، بين الراعم (.)

الراعي بين الراعم (؟) اضطجع،

وحين اضطجع الراعي بين الراعم (؟) رأى حلماً،

نهض كان حلماً ارتجف (؟) كنت رؤيا،

هرك عييه بيده، كان منذهلاً

ودوموري المنحبر يدعو أخيه عشيتيه ، الشاعرة والمغنية ومفسرة الأحرار  
الإلهية إليه ويروي لها رؤياه المندرة بالسوء .

حلمي ، يا أخي ، حلمي ،

هذا هو لك حلمي

نما القصب من حولي ، تدافع القصب من حولي

إحدى القصبات المنتصبه وحدها تحمي رأسها لي ،

ومن القصبات المنتصبه روجاً روجاً ، تنزع إحداها من أجلي ،

وفي لغيزة الشحراء ، تطلع لأشجار الطويلة (؟) مروعة هي كل مكان حولي ،

فوق موقدي المقدس - تنزع قاعدتها (؟) ،

والقدح المقدس الذي يتدلى من مسمار التعليق ، عن المسمار سقط ،

ومحجر الراعي الذي لي قد احتفى ،

وبومة تمسك - ،

وصقر يمسك بمحاله خروفاً ،

وماعزي الصغيرة تجر لحاها اللازوردية في التراب .

وقطيع عنمي يصرب الأرض بأطرافه المحمية ،

وممحصتي تتمدد (محطمة) ، فلا لبن ينصب ،

وقدحي يتمدد (محطماً) ، دوموزي لن يعيش أكثر ،

ويسلم قطيع لعنم إلى الريح

وعشيتينه ، كذلك يشوشها حلم أحبيها تشوشاً عميقاً

آه ، يا أخي ليس محبداً حلمك الذي ترويه لي

آه ، يا أخي ليس محبداً حلمك الذي ترويه لي

القصب ينمو من حولك ، القصب يتدافع من حولك

(هذا يعني) سيهب القنلة لمهاجمتك

إحدى نقصات المنصبية وحدها نحني رأسها لك،

(هذا يعني) أمك التي ولدتك سوف تخفض رأسها من أجلك

أما القصاص المنصبية روجاً زوجاً، تسرع إحداها، (فإنها تقول) أنا وأنت

ـ واحد ما سوف يترع

وتستمر غشيشه في تفسير حلم أخيهما الكتيب واتشأومي، مفردة مفردة، مهيبة

تفسيرها بتحذيره من أن شياطين العالم السفلي، الغالات، محدقة به وأن عليه

الاختباء على الفور ويوافق دوموزي ويتوسل إلى أخته ألا تعبر العلات عن محبه

يا صديقتي، سأختبئ بين السباتات،

لا تخبري أحداً عن مكان (اختبائي)،

سأختبئ بين النباتات الصغيرة،

لا تخبري أحداً عن مكان (احبائي).

سأختبئ بين السبات الكبيرة،

لا تخبري أحداً عن مكان (اختبائي)

سأختبئ بين خناد أرابو،

لا تخبري أحداً عن مكان (اختبائي).

فتحيه غشيشه:

إذا أخبرت عن مكان (ختبائث)، فلعل كلابك تفترسني،

لكلاب السود، كلاب "رعائثك"،

لكلاب المتوحشة، كلاب "سيادنث"،

فلتفترسني كلابك

وهكذا فإن الغالات، المخلوقات غير البشرية التي

لا تأكل طعاماً، ولا تعرف ماءً،

لا تأكل دقيقاً مدرووراً،

لا تشرب ماء مصصياً على سبيل الفردن،

لا تقبل الهدايا التي تسترضي،

لا تروى بلدة صدر الزوجة،

لا تقل الأطفال، الحلوين،

تأتي العاربت باحثة عن دوموري المحتنى، ولكنها لا تستطيع العثور عليه  
وتمسك بغشتينه وتعتمد إلى رشوتها لإخبارها عن مكان وجود دوموزي، ولكنها  
تظل صادقة في وعدها. وعلى أن دوموري يعود إلى المدينة، ربما لأنه يخشى أن  
تقتل الشياطين أخته ويها يقبض لعالات عليه، ويهاجموه بالضربات  
والحدود واللكراب، ويرهبون يديه وذرعيه بإحكام، ويصبحون مناهين لنقته  
إلى العالم السفلي وعلى إثر ذلك بنتف دوموري بالدعاء إلى إله الشمس أوتو،  
أحي زوجته إينانا، عنه يحوّه إلى غزال حتى يتمكن من الفرار من العالات  
ويقل روحه إلى مكان معروف باسم "شوبيرلا" shubirila (موقعه غير محدد  
حتى الآن)، أو كما يعبر دوموري عن ذلك.

أوتو، أنت أحو زوجتي،

أنا زوج ختك،

أنا الذي يحمل الطعام إلى الإيانا (معد إينانا)،

إلى إيريت أحضرت هدايا الزواج،

قبلت الشفتين المقدستين (؟)،

عانت (؟) الحوض المقدس، حوض إينانا

حول يدي إلى يدي عرال،

حول قدمي إلى قدمي عرال،

دعني أفلت من الغالات،

دعني أنقل روحي إلى شوبيرلا .

أصاخ إله الشمس السمع إلى دعاء دوموزي، وبكلمات الشاعر:

أحد أونو دموعه هدية،

ومش إنسان الرحمة، أظهر له الرحمة،

حول يديه إلى يدي غزال،

حول قدميه إلى قدمي غزال،

أولته من العالات،

نقل روحه إلى شوبيرلا

ولسرء الحظ، يلحق به الشياطين المطاردون مرة أخرى ويضربوه ويعذبونه كما حدث من قبل ولذلك يتحه دوموزي في المرة الثانية إلى أونو بلدعاء أن يحوله إلى عرال؛ وفي هذه المرة، يرغب في أن ينقل روحه إلى دار الإلهة المعروفة بـ بيليني السيدة الحكيمة المحوز" تستجيب أونو لدعائه، وبصل دوموزي إلى دار بيليني، متوسلاً

أيها السيده الحكيمة، لست إنساناً، أنا روح إلهة،

من ماء القربان، دعيني أشرب قليلاً(٢)،

من الدقيق لمذرور، دعيني أكل قليلاً(٣).

وهم يكذب يجد الوقت للمشاركة في الطعام واشرباب حتى طهر العالات وضربوه وعذبوه مرة ثالثة. ومن حديد يحوله أونو إلى غزال، ويصر إلى حظيرة أحته، غشتينه ولكن كل ذلك من دون طائل؛ فيدخل حمسة من الغالات الحظيرة ويضربون دوموزي على حده بالمسمار والعصا، ويموت دوموزي. أو لنشهد بالأسطر السرداوة التي تختم القصيدة.

يدخل الغالا الأول الحظيرة،

يضرب دوموزي على خده بمسمار (؟) حاد (؟)،

يدخل لشي الحظيرة،

يضرب دوموزي على خده بمحجن الراعي،

يدخل الثالث الحظيرة،

عن الممخضة المقدسة، تنتزع القاعدة (؟)،

يدخل الغالا الرابع الحظيرة،

تمدد الممخضة المقدمة (مكسورة)، لا لس نسك،

يتمدد القدح (مكسوراً)، دوموزي لن يعيش أكثر،

تسلم الحظيرة إلى الريح.

وهكذا يصل دوموزي إلى نهاية مأساوية، ضحية حب إينان وبغصها

على أن أساطير إينانا لا تعنى كلها بدوموزي فتمة، مثلاً، أسطورة مروي كيف حصلت الإلهة، من خلال المخنثة، على الشرائع الإلهية، شرائع الـ"مي" التي تحكم الحسن الشرقي ومؤسساته. وهذه الأسطورة ذات أهمية أثرولوجية كبيرة لأن مؤلفها قد وحد أن من المستحب أن يعطي، فيما يتعلق بالقصة، قائمة كاملة بسرائع الـ"مي"، وأن يقسم الحصار كما يصورها إلى أكثر من مائة سمة ثقافية، ومركب ثقافي تتصل بمؤسسات الإنسان السبسية والدينية والاجتماعية، وبالفنون والحرف، وبالموسيقى والآلات الموسيقية، والمجموعة المتنوعة من مصادج السلوك الفكرية والانفعالية والاجتماعية. وإذا أجملنا حبكة هذه الأسطورة الشفافة فإنها تسير كما يلي.

إن إينانا، مدكة السماء، الإلهة المختصة بحماية مدينة إيريك، مهتمة بزيادة سعادة مدينتها ورحائها، وبأن يجعلها مركز الحصار السومرية، فتعني بذلك من مقام اسمها وصيتها ولذا تقرر أن تذهب إلى إيريدو، المقر القديم للثقافة السومرية، حيث سكن إنكي سيد الحكماء، المطلع على أفئدة الآلهة. والذي سكن في غور الأعماق

المائية الـ "أبزو" لأن إنكي بملك في حوزته كل الأحكام (أو السوميس) الإلهية الأساسية للحضارة، فإذا استطاعت الحصول عليها صارت مدينتها المركز الحصري الرئيسي لكل بلدان سومر تصل إنانا إلى قصر إنكي في الأعماق المائية فيستقبلها أحسن استقبال ويجلس معها إلى مائدة عامرة وبأخذان بشرب الخمر حتى يلعب الشراب برأس إنكي ويوافق على إعطائها النواميس تحمل إينانا النواميس في قاربها وتنطلق نحو أوروك. ولكن إنكي يصحو من سكرته ويرسل في إثرها وحوشاً مائية تدركها عند المساء الأول في الطريق لإعادة النواميس، ولكن إينانا بمعونة وريها نشوبور تفلح في الإفلات من الوحوش ست مرات وتصل بأمان إلى ميناء أوروك حيث تفرغ حمولتها وسط انهاج سكان المدينة

وفي أسطورة أخرى من أساطير إينانا يؤدي أحد الفنانين دوراً مهماً؛ وتسير حكايتها كما يلي: كان في أحد الأربان يعيش ستنابي اسمه شوكاليتودا، لم تتكلس جهوده الجاهدة إلا بالخشخشة وعلى الرغم من أنه كان يسقي حقوله وسباتته بعناية، فقد ضمحت أساتد؛ واشتدت الرياح العاتية في ضربه - "غراب الجبال" واستحان قفراً كل ما رعه باهتمام. وعلى ذلك رفع عينيه شرقاً وغرباً إلى السماوات ذات النجوم، ودرس الطوالع، ولاحظ وتعلم الأحكام الإلهية. ونتيجة هذه الحكمة الجديدة لمكتسبة، غرس شجرة بدوم ظلها الواسع من بروع الشمس إلى عروبها ومن عواقب هذه الخبرة الستينية القديمة، أهره بستان شوكاليتودا بكل أنواع الخضرة وتوصل أسطورتنا الحكيم بأن الإلهة إينانا تستلقي ذات يوم، بعد أن حابت السماء والأرض، بريح حيلها غير بعيد عن بستان شوكاليتودا واغشم شوكاليتودا، الذي كان يترصدها من طرف بستانه، فرصة تعبها الشديد وحملها وعندما صحت إينانا في الصباح وعرفت ما جرى لها، وقررت إيجاد ومعاينة ذلك الغابي الذي أحرقها مهما كلف الأمر. ولذا أرسلت ثلاث كوارث على سومر أولاً، ملأت كل نار البسد بالدم، حتى أشععت كل خمائل النجيل والكروم بالدم ثانياً، أرسلت رياحاً وعواصف مدمرة للبلد وطبيعة الكارثة لثالثة غير معينة سبب تشوه الرقيم في هذا الموضع ولكن على الرغم من كل الكوارث الثلاث، كانت عاجزة عن تحديد مدنسها، لأنه بعد كل كارثة كان شوكاليتودا

يذهب إلى دار أبيه ويعلمه عن الخطر الذي يهدده فيصبح الأب أبه أن يوحه خطواته نحو إخوانه "الشعب ذو الرأس الأسود"، أي شعب سومر، وأن يملك قريباً من المراكز المدنية، فيتبع شوكاليتودا النصيحة، وفي النتيجة، عجزت إيانا عن العبور عليه. وبعد الإخفاق الرابع، أدركت إيانا بمرارة أنها كانت عاجزة عن أن تثار لمناخشة المرتكبة بحقها. ولذلك قررت أن تذهب إلى إريدو، إلى منزل إنكي. إله الحكمة السومري، تنغي منه النصيحة والمساعدة. وللسوء الحظ، يوحد انقطاعها، ونظراً بهانة القصة مجهولة

وباستثناء الإشارة إلى البشر بشكل عام، فإن الفين يؤدون دوراً صغيراً في الأساطير السومرية. وبالإضافة إلى أسطورة إسد - شوكاليتودا التي سردناه قبل قليل، لا توجد غير أسطورة واحدة أخرى ترتبط بشخص فان. إنها قصة الطوفان، المعروفة من زمن طويل، والتي لها أهمية شديدة بالنسبة إلى الدراسات التوراتية لمقارنه. وللسوء الحظ، لم يتم حتى الآن الكشف إلا عن رقيم واحد يحتوي على هذه الأسطورة، ولم يحفظ إلا ثلث هذا الرقيم وبداية الأسطورة مفقودة أم الأسطر المفهومة لأولى فتعلق بحلق الإنسان وحيه النباتات والحيوانات، ولأصل الإلهي للملكية؛ وتأسيس المدن الخمس التي كانت قبل الصوفان، ونسبها بعد ذلك نعلم أن بعض الأرباب حاقدون وأشقياء بسبب القرار الإلهي بالمعجى بالطوفان وانقضاء على الجنس البشري ثم يتم إدخال زيوسودرا، وهو النصير السومري لنوح التوراتي، في لفصة بوصفه مديكاً تقياً، يخشى الآلهة، ويرقب على الدوام الأحلام والإلهامات الإلهية وينحذ لنفسه موقفاً بحاج جدار، حيث يسمع صوت إله، لعله إنكي، ينبئه بالقرار الذي اتخذه مجمع الآلهة برسال طوفان والقضاء على بذرة البشر.

ولا بد أن الأسطورة قد استمرت بتعليمات مفصلة حول بناء زيوسودرا سفينة ضخمة حتى ينقذ نفسه من الهلاك ولكن كل ذلك مفقود بسبب انقطاع كبير إلى حد ما في النوح. وعندما يستأنف النص سرده، نجد أن الطوفان بكل عنفه قد انداح على الأرض وهاج لمدة سبعة أيام ساليها وعند ذلك، يتقدم إله الشمس، أوتو، ناشراً عليها الدفء والصفاء، ويسجد زيوسودرا له ويقدم إليه

أضحياته من الثيران والعم. وتصف الأسطر الأخيرة الموجودة من الأسطورة تأليه زيوسودرا- فعد أن سجد له "آن" و"إنليل"، مُنح الحياة مثل إله "وانتقل إلى "ديلمون"، أرض الفردوس الإلهية، "المكان الذي تشرق فيه الشمس".

وأخيراً، توحد أسطورة سومرية، وإن كانت لا تهتم إلا بالآلهة توفر قطعة تستأثر بالاهتمام من المعلومات الأثرولوجية عن شعب البدو المعروف بـ"مارتو" ويقع حدث القصة في مدينة نيناب، "مدينة المدن"، وبلد الإمارة "لا يزا" موقعها في بلاد ما بين النهرين غير محدد) ويبدو أن إلهها الحامي لها كان مارتو، إله الساميين البداء الذين كانوا يعيشون في العرب وفي الجنوب الشرقي من سومر. ويوصف الزمن النسبي الذي وقعت فيه الحوادث في عارات ملغوزة وطاقيّة وعامضة، على النحو وُجدت نيناب، لم توجد أكتاب،

وُجد التاج المقدس، لم يوجد الإكليل لمقدس،

وُجدت الأعشاب المقدسة، لم يوجد التروم المقدس..

وتبدأ القصة بأن الإله مارتو يقرر أن يتروح. فيطلب إلى أمه أن تعثر له على زوجة، ولكنها تنصحه أن يذهب ويحد لنفسه زوجة وفقاً لرغبته. وتواصل القصة سردها أنه قد تم في أحد الأيام الإعداد لعيد ديني كبير في نيناب ويأتي إليه نوموشدا، الإله المحتص بحماية كارالو، وهي دولة مدينة تقع في الشمال الشرقي من سومر، مع زوجته وأسته. وفي أثناء العيد يؤدي مارتو عملاً بطولياً يجلب الفرح إلى قلب نوموشدا، فيقدم إليه القصة واللازورد مكافأة له على ذلك وبكى مارتو يأبى هذه المكافأة، ويرغم أن يد ابنه نوموشدا هي المكافأة ويوافق نوموشدا سروراً وكذلك ابنته، على الرغم من أن صديقاتها يحاولن إغوائها بالدول عن الزواج بمارتو ما دام ليس إلا بدواً همجياً يسكن الخيمة ويأكل اللحم النيء ولا يدفن حين يموت<sup>(\*)</sup>.

S.N.Kramer

(\*) تمت ترجمة هذا الفصل من كتاب:

S N.Kramer, The Sumerians, University of Chicago Press, 1963.

## ببليوغرافيا

Dhorme, E. *Les religions de Babylonie et Assyrie*. Paris. press universitaires de France, 1945.

Fankelstein, Adam, and Soden, W. Von. *Sumerische und akkadische Hymen und Gebete*. Zurich: Artemis Verlag, 1953

Gadd, Cyril J. *Ideas of Divine Rule in the Ancient Near East*. London: Oxford University Press, 1948.

Jean, Ch – F. *La Religion Sumerienne*. Paris: Paul Geuthner, 1931.

Labat, Rene. *Le caractere religieux de la ryaute assyro – babylonienne*.

Paris: Libraire d. Amerique et d, Orient, 1949.

Sjoberg, Ake. *Der Mondgott Nana – Suen*. Vol. I. Stockholm: Almaquist and Wiksell, 1960.

## ديانة بابل وآشور

تأليف: S.H Hook

ترجمة: نهاد حيطة

كلما عددنا الدليل الأرخيولوجي إلى لوراء، نذت ديانة وادي الرافدين في مرحلة متقدمة من التطور، وتعد عليا الركون إلى روية موثوقة عن أصل هذه الديانة. فمثلاً، لا نجد هنا، كما نجد في مصر القديمة، ما يبدو مرحلة طوطمية في تطور الديانة. فبعض الأساطير الدليله تكشف لنا عن آثار صراع نشب في الباشيون بين الآلهة القديمة والآلهة التي تمت لها الغلبة في النهاية؛ وهذا شديد الشبه بالأسطورة اليونانية التي تروي لنا عن الإطاحة بكروروس على يد زيوس. ولعل مثل هذه الأساطير تمنح لنا السياق الذي جرى من خلاله زحزحة آلهة سكان البلاد القدامى عن مكانتها إلى مكانة أدنى وحلول آلهة الغزاة محلها. كذلك كثيراً ما يبدو لنا أن الآلهة التي سُلِبَتْ حقوقها وأُطِيعَ عرشها قد أصبحت في سياق هذه استغبرات شياطين وأرواحاً شريرة. ولعل هذا هو ما حصل في بلاد ما بين النهرين حيث لعبت الأرواح الشريرة، كما سوف نرى فيما بعد، دوراً كبيراً في ديانة بابل وآشور. رد على ذلك أن انصراف السابليين إلى الاهتمام بأرواح الموتى وقدرتها على إيذاء الأحياء قد يكون دليلاً على مرحلة إحيائية من التطور الديني لعل ثاراً منه كنت لم تنزل باقية في اصطلاح التمايم أو الدمى الطينية لخدمه المسكن أو الأفراد

هذا، ويحذر بنا أن نلاحظ أن في الديانة الرافديية صفة مميزة حقيقياً بنا أن نجدها في ديانات قديمة أخرى، وأعني بها روح المحافظة الشديد من ذلك مثلاً ما نجده من ليتورجيات وأدعية كانت تُرثَل في أور وإس في حوالي 2300 (ق م)، حل الناس يرثونها على مدى القرون التالية حتى أدركوا الحقيقة

السلوقية؛ هذا على الرغم من أن المغيرات السيمية التي حدثت في غضون ذلك قد أحلت آلهة أخرى محل الآلهة التي كانت تُرفع إليها لصلوات في الأصل.

على أن قوائم بأسماء الآلهة كانت موحودة في الأزمنة السومرية الأولى، من مدة طويلة من شئو الأسرة السابعة الأولى، إلا أن قائمه رسمه قد تم اعتمادها في حوالي منتصف الألفية الثالثة، وربما حصل هذا في مدينة إيريك وعلى هذه القائمة قام الترتيب لعام الذي شُيّد بموجبه الباشيون اسابلي والأشوري؛ هذا على الرغم من استغيرات التي طرأت عليه على مدار الأيام من حيث الأهمية السببية لبعض الآلهة.

في هذا الترتيب المعتمد، أول ما يظهر من الآلهة الإله العليّ أنو، ومعنى اسمه السماء، ولعله يناظر إله لسماء الإغريقي، زيوس في الحقبة السومرية الأولى. كان يحيط بمركز الإله أنو شيء من الغموض، ولا نجد له اسماً ولا في واحدة من القوائم الثماني عشرة التي تعود إلى هذه الحقبة. لكن الإله أنو، منذ أن تربع على عرش السلطة الملك الكاهن جوديا في مدينة لجش أو بجاش (حوالي 2060 - 42 ق م) وفقاً للتحقيب لزمني الأخير الذي أجراه (فورر Forrer)، بدأ يحتل المكانة العلية التي ظل يحتفظ بها مُدة التاريخ اللاحق من الديانة البابلية تذكر "ملحمة الخلق البابلية"، بصيغتها التي وصلب إليها، أن سبب الإله أنو يرجع إلى أبسو Absu، أوقيانوس أو محيط العالم الأسفل، وإلى تيامات Tiamat، العماء البدني. وكان مقامه السماء الثالثة، ولقباه الأب وملكة الآلهة، ورمزه الحرم المقدس بعلوه الفلسفة الإلهية لقراء الذي كثيراً ما نجده مفوشاً على صُوى لنحوم، إلا أننا لم نعثر له على رسم يصوّره رقمه المقدس العدد 60 والجبرء الخاص به من السماء حظ الاعتدال. في القرون الأولى كان أنو زوجة اسمها أنتو Antu، وهي كائس لا لون له ولا أهمية، لا في العادة ولا في لميثولوجيا لكن في الحقبة التاريخية حلت محلها إيسا أو عشتار، الإلهة العظمى التي عُبِّدت تحت مختلف الأسماء والأشكال في جميع أنحاء الشرق الأدنى القديم. فقد كان الاعتقاد أنه من رواح أنو وأنثو، ومعنى اسمها في السومرية الأرض، كانت ولادة آلهة العالم الأسفل المعروفين باسم

أنوناكي Annunaki، والأشرار الأزاكي Asaki السبعة، أو لشياطين. كان أهم مراكز عبادة الإله أنو مدينة دير Der، وكانت تعرف بـ "مدينة أنو"، ومداثن أور وإيريك وبيور (نمر) ولجاش. حيث ابتنى له حوديا معبد، وأيضاً مدينة سيار أما في بابل فكان يتفاسم معداً مع نيني Ninni وباباي Nanai، وفي آشور كان له رقورة عظيمة مزدوجة مع الإله حدد Adad في مؤلف كنهه نيرو - دنجس Thureau - Danguin بعنوان "الطقوس الأكادية"، Rituels Accadiens، نجد قائمة بالقرايين اليومية التي كانت تُقرَّب إلى معبد أنو في مدينة إيريك، ووصفاً لطقس الاحتفال بسة أنو الجديدة، الذي كان يقدم في الربيع والحريف، وطقس الاحتفال بصنع بيليسو، وهو طبل أنو المقدس. وكان حيون أنو المقدس الشور السماوي. لكن الإله أنو، على الرغم من مكانته العلية، لم يكن يُعتقد أنه محب للبشر، بل كان الاعتقاد أنه إله الملوك والأمراء الذين اعتدوا أن يصعوا أنفسهم على الصقوشات بأنهم "أحناء أنو".

وكن الإله إنليل، أو إليل، الشخص الثاني في ثالوث المؤلفات البابلية العظمى ومعنى اسمه في السومرية إله الريح أو إله العاصفة، وكان يقرن بمدينة بيور خصوصاً. ومثل إله أنو، كان إنليل إلهاً سومرياً اتخذ العزاة الساميون إلهاً لهم ويبدو أن إنليل كان في الحقيقة الثانية التي سقت حمورابي يتقدم مع الإلهين الآخرين من آلهة الثالوث، لكنه مد بداية الألفية الثانية صار يحتل المكانة الثانية، وظل هذا مركزه دائماً في شظايا الأساطير القديمة التي نحسها وراء ملحمة الحلق في صيغتها الراهنة، يبدو أن أنو قد حلت به كارثة، وأن إنليل قام بنذبح امشرا تنقاماً لأبيه؛ وقد قام بهذا لدور الإله مردوك من بعد. في الميثولوجيا السومرية والبابلية يكشف إنليل عن مظهر متناقض: فهو من ناحية يمتك نبي البشر مفتناً شديداً؛ فقد كان أكر عون في القضاء عليهم بواسطة الطوفان، وقد استشاط غضباً وعيماً إن رأى إنساناً واحداً يعجو من العرق، وهو من ناحية ثابة الإله الذي خلق الإنسان، كما يتضح هذا في كثير من الروايات القديمة التي رويت عن أسطورة الحلق ثم إن هناك عدداً من أسماء الأعلام مركبة من إضافته أسم إنليل إليها، من ذلك مثلاً، إليل - بير ري، ومعاه بلسل معيي، مما يدل على أن إنليل كان مصدر عون وعطف.

كان من أهم وظائف إبليل حفظ "ألواح القدر"، التي كان امتلاكه لها يمنحه سلطاناً على "قدر" كل شيء. في التفكير البابلي لأول، كان تقدير قدر كل شيء، من حيوان أو حماد، معناه تعيين مكانه من نظام الخلق. وإننا نجد في الصياغة العبرية الأولى من قصة الخلق، عندما قام آدم بتسمية الحيوانات كل واحد باسمه، أنه كان يعين لها "قدارها"، أي مكانها في نظام الخلق. ومن الأساطير الأولى التي نرجع إلى الحقبة السومرية أسطورة غنية بالألوان تروي لنا كيف سرق طائر لعنصفه، زو ZU، ألواح القدر من الإله إنليل، وكف استردها منه هذا الأخير. وكثيراً ما نجد من الأحتام الأسطوانية القديمة ما نقش عليه مشهد يمثل الإتيان بطائر "زو"، نصفه إسد ونصفه طائر، أسيراً إلى إنليل لكي يعصل في أمره.

وكما كان لأنو، كذلك كان لإبليل نسب وزوجة اسمها نليل، وكان له كبير ورءاء. اسمه نُسكو، إله النار، وكان له، بالإضافة إلى ذلك، حاشية مؤلفة من الالهة مرتبة أدنى يؤدّون مهام السوابين والطهارة والرعاية والرسم وكان المعبد الرئيسي لعبادة إنليل معبد سور واسمه إيكور، أي "ست لحبل"، وهو اسم اسفل من اخصوص إلى العموم فأصبح اسماً لكل معبد. لكن إنليل كان يعبد في كثير من المدن لأخرى أيضاً، فكان له حقوق الضيف في معبد أنو الذي شيّده حورديا في لجش. وكان هناك معبد قديم في آشور، اسمه يا مكر كرا، ومعناه "يت نور البلاد اللاي"، بظن أنه كان معبداً لإسبل، وهذا دليل على أنه كان يُعبد في بَرسا.

رقمه المقدس العدد 50، والجزء من لسماء الذي يختص به هو الجزء المرصع بالنجوم، ويعرف باسم طريق إنليل، ويقع إلى اشمال من طريق ابو، الذي يشمل خط الاعتدال السماوي، وفي نص من بوعار كوي نجد أن جميع النجوم التي تقع إلى أكثر من 12 درجة شمال خط الاعتدال إما تسب إليه نظرياً، وتسمى "نجوم إسبل" وكان رمزها الأستروولوجي الخاص مجموعة نجوم اثريا التي كثيراً ما نحتها مقوشة على حجارة اسخوم على هيئة سبع دوائر.

أما ثالث الآلهة العظم وأدعاهم إلى الاهتمام في الثالوث الأول فهو الإله إنكي، أو Ea، كما كانت النصوص المتأخرة تسميه بعامه إن كان آنو إله السماء، وإنليل إله الأرض، فإن إنكي كان إله المياه، وكان يُعتقد أن مقامه اب "أبسو"، أو هاوية المياه، أوقيانوس العالم الأسفل الذي يقوم عليه العالم، على حسب الكوسمولوجيا البابلية. وكان من ألقاب إنكي، أو إيا، المحببة لقب "بل يميمي"، ومعناه رب لحكمه، لأنه كن مصدراً لجميع المعرفة لسحره السري، وكذلك المعلم، الذي علم البشرية جميع أنواع الفنون والصناعات الضرورية لرحاء الإنسان فقد كان هو الذي كشف للناس عن أسرار الكتابة والعمارة والزراعة ولما، الذي كثيراً ما كان يسمى "ماء الحياة" كان عصباً جوهرياً في التعاويذ، إذ ينقذ الناس من الأمراض ومن عدوان الشياطين؛ ولذلك كانوا يتوسلون إلى إيا، بما هو إله المياه، بالتعويذ والرقي، وكان يعرف أيضاً باسم بل شفني، أي. رب التعاويذ.

خلافاً لآنو وإنليل اللذين، كما رأينا، كانا عدوتين للبشر، كان إيا صديقاً لهم إذ نجده في عدد من الصيغ الأولى من أسطورة الخلو يصطليح بقسط في خلق الإنسان، كما نجده في أسطورة الطوفان يفشي لأت - ناشتيم سر الحطة التي أعدها إبليس للقضاء على البشرية، مما حدا الأول إلى ساء العلك العظيم الذي أنحه من الهلاك.

كان مركز عبادة الإله إيا مدينة أريدو الواقعة عند رأس خليج البصرة، وهي أقدم المدن السومرية على الإطلاق. حيث كان يقيم في معبده، إي اشعرا، حيث تنتصب شامخة شجرته المقدسة، كشيكائو، التي كانت تحاط بالاحترام والتقديس وكان يقوم على خدمته الإله مُمو وهو الإله الحرفي، ونشخص المهرة النقانية وكانت روحته الإلهة دُمكينا، وكان ابنه مردوك، وهو اسم سامي اللغة، بينما كانت أسماء معظم الآلهة القديمة الذين كان يضمهم مجمع الآلهة (الباشيون) أسماء سومرية، وبما بنت العلبة لابل على سلال الرافدين، وربما نتيجة لها، حتل مردوك مكانة بعض الآلهة القديمة في الطقوس اعظمى، وعدا واسطه العقد في الدبنة البابلية لكنه ما لث في الحقبه الآشورية أن أخلى مكانه للإله آشور، بما هو كبير الآلهة.

وإننا لنجد في النصوص لسحرية إيا ومردوك يتعاونان على صنع الرُّقى  
والمعاويد، حتى لحد في كثير منها أسطورة استشارة مردوك لأييه تعمل  
كصيغة قانونية: إيا يحيب مردوك بهذه الكلمات. "أي نِّي، ما الذي لا تعرفه،  
وماذا في وسعي أن أعطيك أكثر مما أعطيتك؟ أي مردوك، ما الذي لا تعرفه،  
هل في وسعي أن أريد في علمك؟ فما أعرفه، بعرفه أنت أيضاً".

كان رقمه المقدس العدد 40، وكان "طريق إيا ذلك الجزء من السماء الذي  
يضع على اثنتي عشرة درجة إلى لحنوب من حط الاعتدال السماوي. وفي  
النصوص لأستروولوجية تنسب إليه مختلف النجوم والأبرج، أهمهما اثنان كثيراً  
ما يرد ذكرهما. وهما الحوت والدَّكُو، وكان رمزه، كما كان ينقش على حجارة  
الرخوم، إما رأس كثر، أو سمكة المعرى، وهي مخلوق أسطوري له جسم  
سمكة ورأس صعر

في القوائم لأولى كانت شخصية الإلهة - الأم تُقرن مع الثالوث الأول  
العظيم من الآلهة. وكانت تعرف بأسماء مختلفة من مثل نماغ وشنخُرساج  
وأرُورُو. وكانت وظيفتها الحصوصية العناية بولاده الأطفال وكاست، بوصفها  
أرُورُو، شترك مع إنليل ويا في خلق النوع البشري

ثم يلي الثالوث الأول في المربة ثالث عظيم ثا ثُقرن معه ألوهية مؤنثة  
هذا الثالوث مؤلف من سن، إله القمر، وشمس، إله الشمس، وحَدَد، إله  
العصبة، والألوهية المؤنثة هي عشتار والذي يُعتقد أن الإله سن من أصل  
سمي. فالقمر له الذكورة في الديانة العربية القديمة، وللشمس الأنوثة عسى  
الرغم من قيام الاحتمال بأن يكون الغرارة الساميون قد حاووا معهم عبادة القمر  
إلى بلاد اراهدين، نجد هذا الإله في القوائم السومرية الأولى تحت اسم نَّار  
Nannar وكان يدعى اس إنليل في القوائم السومرية الأولى، ولعل نسبة لا يرجع  
إلى أبعد من ذلك، ويبدو أنه كان يحتل موقعاً مستقلاً في جملة الآلهة الرافدينية  
الأولى كانت أحوار القمر ذات أهمية خاصة في العبادة، وكان لطور المحاق  
اسم ميمر هو "بُولُو"، وكان يُعتقد أن في هذا الطور تكون الأرواح الشريرة أشد  
ما تكون خطراً وكان سين ربَّ الروزامة به تحدد الأبدم والشهور والسنون، كما

كان بها للثلاث، وكانت تُعزى إليه خصوبة الماشية. وكان من الطبيعي أن يكون رقمه المقدس العدد 30، وكان الهلال شعاره. كانت لحيته من اللارورد، ونحده في نحت نفر من منطايا Maltaia يركب الثور المجنح، مطيته المقدسة. وكان أور وحرآك أهم مراكز عبادته في بلاد ما بين النهرين. زوجته سجال، أم إله الشمس. بما أن الليل يعقبه نهار بحسب الطريقة الشرقية في النظر إلى العلاقة بينهما، كان الإله الذي يمي القمر في الثالوث هو الإله شمس، إله الشمس، وكان يُعتقد أنه ابن سس. وهن أيضاً ينهض احتمال أن يكون الغرارة الساميون قد جاؤوا معهم بعبادة إله الشمس إلى بلاد الرافدين. من حيث أن سم شمش اسم سامي. نجده في القوائم السومرية الأولى نحت اسم بئار أو أوتو.

كان شمش كثيراً ما يُنقش على الأختام النائلة طلعاً من الحال تصدر الأشعة عن كتفه. وكان الاعتقاد أنه م يلد أن نزل عن التوابات لحلية ويجتاز العالم الأسفل إما راحلاً أو منتظياً مركبة تقودها بعال نارية. كانت تعبده جميع فئات الناس، وكانت وظيفته الخاصة إقامة الحق والعدل في حياة الجماعة وإننا نجد رمز الإله شمش مقوشاً على المسلة التي اشتملت على شريعة حمورابي الشهيرة، وهو يسلم مجموعة القوانين إلى الملك. وكان شمش، إلى ذلك، معنياً بتفسير لוחي إلى جسد الإله حدّد رقمه المقدس العدد 20، وكان رمزه الذي ينقش على الأختام والأنصاب مؤلفاً من قرص الشمس له حجم ذو أربعة شعب في داخله، والأشعة مبيقة من بين شعب النجم الأربع. وكان رمزه في آشور، ويبدو أنه كان رمزاً للملك أيضاً، قرصاً محمّلاً شديد الشبه بقرص الشمس المصح في مصر. وكان مركز عبادته في بابل الشمالية مدينة سيبار، وفي الجبوية لارصد. وفي آشور كان يقسم معداً مع سن.

أما الإله الدلت هي الثالوث الثاني فهو حدّد، إله العاصفة كانت عبادته منتشرة في جميع أنحاء آسيا الصغرى ووادي الرافدين وسوريا وفلسطين. وكان لحيّون يسمونه "تشوب" Teshob. وفي سوريا كان يعرف باسم "رشف" Resnph نرية، وباسم حدّد تارة أخرى وقد عُرف في "لعهد القديم" باسم "رمون" Rimmon. وقد كن يهؤة إلهاً للعاصمة في المراحل الأولى من الديانة

العبرية، وكان يشترك مع حَدَد في صفات كثيرة. ولذلك لا عجب أن تخلط عامة الناس بين صفات حَدَد ويهوه. حدث هذا في شمالي فلسطين على عهد أسرة الملك عمري. وقد جاء وصفه بـ "الراعد" على لسان جوديا، لكن المعتقد أن كان لحدد، بما هو إله العاصفة، دور بارز في هبوب العاصفة يمسك بها في يده المني وتحمّل يسراه فأساً وحيوانه المقدس الثور، وهو رمز كان واسع الانتشار في جميع أنحاء الشرق الأدنى القديم.

كان لحدد معابد في بابل وارسيسا وكان له في آشور زفورة يقسمها مع أنو، كانت في الأصل مخصصة لهذا الأخير وحده وكان له في حلب معبد مشهور، كان مختلف الملوك لآشوريين يقرّون إليه القرابين كلما قامو بحملة على سوريا من ذلك مثلاً أن شَلْمَنْصَر الثالث سجل على أحد نقوشه (نفس الثور) أنه قرّب قرباناً لإلهة حدد في حلب في أثناء حملة له شنها على سوريا في العام السادس من حكمه.

أما الألوهية لمؤنثه التي تقرن مع الثلوث لثاني، فكانت أشهر إلهة في اديون البابلي والآشوري، وكانت عبادتها أوسع انتشاراً من كل ألوهية أخرى. ألا وهي الإلهة عشتار وكانت تسمى إيسا (إيسنا) في اللغة السومرية. وعلى الرغم من أنها تقرن مع لثالث، الثاني من لآلهة، إلا أنها استطاعت قبل ذلك أن تزحرج أنتو ذات الشحبة الباهتة زوجة أبو الشرعية عن مكانتها، وأن تحل محلها زوجة للإله العلي، أنو ثم ما لبثت حتى انفردت بجميع الصفات التي تنسب إلى معظم الألوهيات المؤنثة الأخرى، وصارت تعرف باسم "الإلهة" باعتبار.

يرد اسم عشتار كثيراً في اميثولوجيا البابلية، ولا سيما في قصص الطوفان وملحمة جلجامش، التي سوف نريد الكلام عنها فيما بعد. وتتكشف عشتار عن مطهرين جد متميزين، فهي، من ناحية، إلهة الحب والتناسل، وترتبط بمعابدها تلك انصايات المقدسات الاثني يعرف باسم "العبايا المقدسات" أو مومسات المعبد. وهي، من ناحية ثانية إلهة الحرب، ولا سيما في آشور. وكانوا يقشونها على الأختام متمسكة قوساً وكماناً، حتى أنهم يقشون رسمها أحياناً ذات نحية كالإله آشور. وفي الأمثولوجيا البابلية كان جرمها السماوي كوكب دليبات،

أو الزهرة (فينوس)، وكان نجم القوس، أو الشعري ينسب إليها أيضاً عددها المقدس 15 أي نصف العدد المقدس الذي لأبيها سن. كن رمزها نجماً ذا ثماني شُعب أو ست عشرة شعبة. وكانت تُمثل عموماً راكبةً مطيئتها المقدسة، وهي الأسد، أو تكون في صحبته لكنها كانت تعرف أيضاً مع شكل يمثل الثنين، مُشرشُو، كما نجد ذلك على بوابة عشتار في بابل.

كما لعلنا أن نتوقع، كان لعشتار معابد في كثير من المدن، لكن مركز عبادتها الرئيسي كن مدينة إيريك حيث كانت هيئة المعبد مؤلفة من العسا المقدسات وفيهن ذكور هنا كانت تعبد بوصفها الإلهة الأم، وإلهة الحب والتناس. وكان لها مراكز عبادة في مدن آشور وكالح وأور وبنوى وأربيل، وكانت في المدينة الأخيرة إلهة الحرب بصفة درزة.

ثم إن هناك إلهاً وثيق الصلة بعشتار، لكن موقعه في مجمع الآلهة يحيط به غموض، وأعني به الإله السومري القديم، تموز. اسمه لسومري دُموري، ومعناه الآن الحقيقي في قائمة ملوك بابل نجد اسم دوموزي الراعي بين الملوك الذين حكموا قبل الطوفان، على حين أننا نجد سم دُموري الصياد (صياد السمك) بين ملوك الأسرة الأولى الذين حكموا بعد الطوفان يأتي مباشرة قبل حلحامش نصب علينا القول أن هذين الشخصين كان شخصاً واحداً في الأصل. وإنا نجد كثيراً من ليثور حيات تموز قد تضمنت أسطورة سرول تموز إلى العالم الأسفل، وبواح عشتار على روجها وأحيها، ونزول عشتار إلى العالم الأسفل بحثاً عن تموز، وعودة الإلهتين طافرتين إلى الأرض، معهما الفرح والحصب مع عودة الربيع واضح هنا أن تموز يصطلع بدور إله ليليات. يموت مع موت السنة ويبعث مع ولادة أزهار الربيع والقمح الطري وإننا نجد في تطور لاحق طراً على ديانة بابل أسطورة الإله الميت وانبعاثه وما يتصل بهما من طقوس قد أدرغت في قالب الاحتفال بمهرجان السنة لئلاية الجديدة، المعطى، الذي سوف يعود إليه بمزيد من التفصيل لكن ربما نجد عدة تموز لم تعد عبادة رسمية نرعاه، لدولة في كل من بابل وآشور، نجد عامة الناس قد طلبوا يتمسكون بها، حتى لجدها تنتقل إلى سوريا وكنعان في سوريا تواحد تموز

بأدوبيس. وقد ظلت نساء فلسطين يؤدين صفس الكاء على تمور حتى مطلع القرن السادس قبل الميلاد (حزقيال 8: 14).

ويفترن مع تمور اسم صديقه ورفيقه بتجزيده، وهو من الآلهة لأدى مرتبة في العالم الأسفل في أسطورة "أدانا" نجد تموز ونحزيدها يتوليان الحراسة على بوابة السماء آو، لكما نجدهما أيضاً إلهين للعالم الأسفل

ثم هناك مجموعة مهمة من الألوهيات تنسب إلى العالم الأسفل يحدر ما أن نورد ذكرها الآن. هناك احتمال قوي أن يكون آلهة العالم الأسفل آلهة مرحلة أولية من التطور، أو يتنسبون إلى طقة أدنى من الناس وما يؤيد هذا الرأي أن مكان آلهة العالم الأسفل يأتي في آخر قائمة الملوك

العالم الأسفل، وكان يُسمّى في النصوص الدينية البابلية "بلاد اللا عودة"، كانت تحكمه الإلهة الرهبة أرشكيجال، والصيغة السامية لاسمها "ألأو". نذكر الميثولوجيا البابلية أن أرشكيجال اسندعت يوماً نرجال لكي يمسرها لأسس عدم نهوصه وافقاً في مجلس الآلهة أمام رسولها، فنصار. فلما قدم إليها أمست بها من شعرها وأزلها عن عرشها وهم يقطع رأسها، فاستسلمت به وعرضت عليه أن تزوجها؛ قبل نرجال العرض وأصبح منذ ذلك اليوم شريكاً لأرشكيجال في حكم العالم الأسفل. ويبدو أن نرجال، بما هو إله في العالم الأسفل، كان مطهراً من إله شمش، إذ كان يمثل الجانب الأشم من فعاليات إله الشمس: يرسل الطاعون والحرب والخراب والطوفان وكان الاعتقاد أنه يقضي بصف السنة في العالم لأسفل ويصفها الآخر في العالم الأعلى. كان المركز الرئيسي لعبادة أرشكيجال ونرجال مدينة كوتاح، لكن الأخير كان يعبد على نطاق واسع في جميع أنحاء بلاد الرافدين، فكان له معابد في لارص وإسين وآشور

كثيراً ما يرد ذكر الإله بمطار، رسون أرشكيجال، في النصوص اسحرية وكان رسون الموت، يحرم معه ستين مرضاً تأتمر كلها بأمره، ويطلقها على من يشاء من اسس وغالباً ما يفرق معه إلى الطاعون إرا Ira، عدو الإنسان الددود. ولكي يقي اسس أنفسهم من شره كانوا ينقشون على ألواح تعاويذ يجعلونها تحت موتهم.

هذه أهم الآلهة التي نردها في القوائم البابلية الأولى. لكن ثمة آلهة أخرى لم تشمل عليها هذه القوائم يجدر أن نورد ذكرها

فهناك أولاً الإله آشور، وهو إله البلاد الآشورية، ويرد اسمه تحت صيغ مختلفة في النصوص المبكرة: فهو ١- سير، ٢- أوسارو وأ- شار؛ هذا إلى جانب اختلافات أخرى في التهجئة ولذلك كان الطرح بأن لاسمه صلة بأوزيريس وترد صيغة "أشار" Ashar اسماً لإله آموري، بينما نجد في الليثورحيات السومرية أن من أسماء تموز أوسير Usir. وهناك من يذهب أيضاً إلى أن اسم الإله مستمد من اسم مدينته، آشور لذلك كان من المستحيل أن نعرف يقيناً من أين جاءت التسمية وكان الإله آشور يصطلع في البلاد الآشورية بأدوار بلبل ومردوك، مثلما كان يصطلع أيضاً بدور إله الحرب على وجه الخصوص، كما لعلنا أن نتوقع. كان من أكثر رموزه شيو عاً الفرص المجنح الذي يمثل الجزء الأعلى من الإله يطلق من فوسه سهم رأيا، فيما تقدم، كف كان الآشوريون يعدون عشتار زوجة لآشور، وكيف كاسب لها المكانة العليا في الألوهيات المؤنثة. ثم هناك إله آخر يرد اسمه في النصوص الآشورية هو الإله شمنائو الذي يعتقد أنه الصيغة الآشورية للإله نورتا.

وهناك مجموعة أخرى من لآلهة القديمة لا يرد لها ذكر في القائمة الرسمية بسبب عدائها لإله السماء ابو. وهي تيامات، إلهة العماء، وكست تتخذ هيئة الثنن، إلى جانب روجها كينغو Kingu والإله أيسو أو أنزو، إله مياه العالم الأسفل. ويصطلع هؤلاء الثلاثة دور هام في ملحمة الخلق البابلية

من الألقاب لتي كان بلقب بها آئو، ومن بعد أصبحت ألقاباً لمردوك وآشور، لقب. ملك الإيجي وكان انيل بلقب. ملك الأنواكي ويبدو أن هذين الاصطلاحين من أسماء الجمع الدالة على آلهة السماء والأرض والعالم الأسفل. كما تضمنتها القوائم الرسمية لكنهما، على ما يبدو، قبالان لأن يحل أحدهم محل الآخر مثلاً نجد في تريمة مرفوعة إلى الإله س هذه الكلمات: "عندما يدوي صوتك في السماء، يحرر الإيجي سجداً على وجههم، عندما يدوي صوتك في الأرض، نقل الأنوناكي وحه الأرض هنا يبدو أن الإيجي

يخصون بالسماء، و لأتوناكي بالأرض. ومن ناحية ثانية، ثمة نص يفيدنا أن أبونكي السماء عددهم 300، كذلك يتفاوت عدد الإيجي والأتوناكي تفاوتاً كبيراً في مختلف المصادر. في بعض النصوص سمع عن ثمانية إيجي وتسعة أبوناكي، وفي نصوص أخرى الإيجي عددهم 300 والأتوناكي 600.

غالباً ما بلاقي صعوبة في الفصل بين الآلهة والشياطين فتمطر مثلاً نجده لها في الآلهة وشيطان في الشياطين لسبعة، وذلك في أرقيم اسي تشمل على رقي وتعاويد والشياطين وبعضها صالح وأكثرها شرير، تضطلع بقسط كبير في حياة البابليين اليومية، وكان ينظر إليها بطريقة واقعة كأن يكون لها هيات متميزة واسم لكل منها. وفي أيام الملك آشور نانيال كتب كاتب إلى مولاه يخبره أنه أمر بإعداد تمثال صغير لاسة آو (واسمها لا مشطو)، وآخر لمطرو، وثالث للاتاراك Latarak، ورابع للموت، وكانت هذه التماثيل أو الدمى تستعمل لأغراض وقائية، فتوضع في البيوت أو تطمر تحت العتات. وكان من الأشياء المألوفة في باب أن يصنع رقيم وقائي على أحد جانبيه تعويذة تدفع عن صاحبها بلاء الجنّة لأمشطو التي تقذف الرعب في القلوب، وعلى حاسه الآخر صورة للحية صاعدة من العالم الأسفل للفتك بصحيتها يكشف لنا الكثير من هذه التماثيل عن هيات كالتي يرها المرء في كبوس تصفها بشر وبعفها الآخر حيوان خلاف بالآلهة المصرية التي كثيراً ما نجدها تمثل في هيات حيوانيه، تمثل الآلهة لدية والأشورية دائماً في هيات بشرية، وإن كانت غالباً ما تكون مصحوبة بحيواناتها المقدسة. ولعل مرد ذلك إلى أن البابليين وأسلافهم السومريين لم يمروا، كما مرّ المصريون، بالمرحلة الطوطمية من تطوره الديني.

وبعلّه كان في وسعنا أن نورد بوصف البشيون البابلي حيراً أكبر مما فعنا لولا أننا على ذكر الآلهة الرئيسة منه، حتى لممكننا القول أن كثيراً من ذلك العدد الضخم من الآلهة الذين كان يتألف منهم السابيون لا يعدون كونهم مجرد أسماء أو أكثر قليلاً. فلكثير من الآلهة الدنيا، وبعضها من الآلهة العظمى، ما هي إلا تشخيص لنفس الظاهرة الطبيعية، نكر تحت أسماء مختلفة. فمثلاً، زوجة نيبو Nebo، إله الكتبة، اسمها طشمثو، ومعناه "السمع" وإننا ل نجد في بعض

الصيوص الدينية البابلية القديمة الإله يا موصوفاً بأنه خالق للإله زلهور، ومعنى اسمها "الكفاح"، وهي نظيرة عشتار في العنف. ثم إننا نستطيع أن نجد في الأدب الديني سياقاً مستمراً يقوم على إدماج صفات مختلف الآلهة في إله واحد، وخاصة في الحقبة المتأخرة من التطور الديني البابلي. وأظهر مثلاً على ذلك تعداد الأسماء لحمسين التي سُمِّيَ بها مردوك في اسرنيمة المرفوعة إليه التي كانت تُرثَل في مهرجان السنة الجديدة. في هذه التريمة نجد مردوك وقد استأثر بصفات كثيرة من الآلهة غيره وفي إحدى التراجم الرائعة نجد مختلف أعضاء جسد رجال تتواحد مع آلهة أخرى. وهكذا تمضي لترنيمة: "عباء الليل ونليل، سين يربو عينه، آتو وأثور شفتاه، أسانه سيبينو (الآلهة السبعة)، أداه إسا ودمكيا، رأسه حدد، عُنُقُهُ مَرْدُوك، صدره يبور".

ومع ذلك، يمكننا أن نلمس في التراجم البابلية حساً بالعلاقة الشخصية مع الإله، وشيء لا يختلف كلياً عن اختبار الإنتم والشعور بالتثاني للذين أحدهما عد صاحب المرامير، كان ماثلاً في اخيرة الدينية البابلية، على الأقل في مراحلها المتأخرة

قبل أن نترك موضوع الباشيون البابلي حرياً ما أن نبحث قليلاً في جانب من لاهوت الديانة البابلية، وأعني به مسألة الملكية الإلهية في بابل وأشور في المحل الأول، يجب أن نلاحظ أن هناك فرقاً كبيراً بين الملكية في مصر والملكية في ما بين النهرين، وهو فرق لم يكن أمراً معترفاً به اعترافاً كافياً في الكتب الأولى المؤلفة حول لموضوع. وقد بين هذا الفرق بوضوح الروفيسور فرنكفورت، ولا سيما في كتابه الملكية والآلهة في مصر، كان الفرعون منذ الدابة منواحداً مع رع، الإله الخالق وإله لشمس، وبعد الموت يتوحد مع الإله أوريريس، بينما يتوحد حليفته مع إله حورس. فقد كان الفرعون، منذ بداية التاريخ المصري حتى نهايته، كائناً إلهياً من دون أدنى التباس، وكان يُعَمَل بهذه الصفة.

أما في ما بين النهرين فقد كان الوضع يشوبه شيء غير قليل من الغموض. فهناك عدد من ملوك وادي الرافدين أثبتوا الشعار الإلهي قبل أسمائهم، ولا سيما في الحقبة الأولى (وكانت علامته السماوية النجم المُشَمَّن) والمثال الجدير بالذكر الملك نارام - مس الذي كان له شعار إلهي قبل اسمه، وكان يُمَثَل

على مسئلة الشهيرة أكبر من المحرم الشري (كما جرى عليه العرف في مصر)، معتمراً قَلَسُوتَهُ لقرناء، مما هو من مميزات الآلهة وفي إحدى ليثورجيات تمور الشهيرة نجد أسماء أحد عشر ملكاً في أور وإسين بالشعار الإلهي، وفي مهرجان السنة الجديدة كان الملك يمثل الإله في عدد من لأوضاع الطقسية المهمة، ولا سيما في لرواح المقدس والبروفسور فرنكفورت الذي يرى، أن مؤسسة الملكية مستمدة من الديمقراطية البدائية، يفسر الصفة الإلهية التي تصف بها الملكية استناداً إلى عصر الزواج المقدس في الطقس البابلي. وهذا كلامه:

"من المحتمل جداً أن يكون الملوك المؤلهون هم وحدهم الذين أمرتهم إحدى إلهات أن يشاركوها محدها. على وجه العموم، إن الملوك الذين يشتون الشعار الإلهي قبل أسمائهم يرجعون إلى الحقبة نفسها التي ترجع إليها النصوص التي يرد فيها ذكر الزوج المقدس بين الملوك وإلهات وقد رأينا أن بعض الملوك لم يتحدثوا الشعار الإلهي في بداية حكمهم، بل في مرحلة متأخرة منه. فإذا قلنا إلههم فعلوا ذلك بناء على أمر إلهي، بقينا في نطاق التكبير الرافدي العادي أما القول بأن الملك قد تجرأ من تلقاء نفسه على احتياز الحاحز الذي يفصل بين البشري والإلهي فقول يتضارب مع كل ما نعلمه عن المعتقدات الرافدينية".

ثم يمضي البروفسور فرنكفورت مستفيداً من نص قديم شهير جداً هو "تأليه ليبب - عشار" هي تعريز نظريته. فهذا النص هو طقس تأليه فعلى يتواحد فيه الملك ليبب - عشار مع إله الخصب أوراش Urash تمهيداً لرواحه من الإلهة عشار. وقد استميد من هذا النص، وربما كان ذلك عن غير تحفظ كبير، لتعزيز الرأي القائل بأن الملكية الإلهية كنت عصر أساساً في البدانة البابلية وقد بين البروفسور فرنكفورت إن هذا الرأي يحتاج إلى تعديل كبير، لكن من الممكن أن تكون الكلمة الأخيرة في هذه المشكلة المحيرة ما قيلت بعد. ولو استبدلنا بكلمة "إلهي" كلمة "مقدس"، لربما كان من حقنا الادعاء أن الملكة ما بين النهرين، كانت ما كانت نشأتها، وفي البلاد التي تأثرت بالأفكار والمدارس الرافدينية، قد أضفت صفة مقدسة على الطقس في حقبة قديمة جداً، وهي صفة ظللت تترسخ وتوطد حتى بهاية الحضارة التي صحت الفكرة حينها.

## استطراد حول تموز

على الرغم من أن تموز لا يصطلع بدور كبير في طقوس الدولتين البابلية والآشورية، كما رأينا ذلك في المصل السابق، إلا أن عبادته لاند وأنها ترجع إلى مرحلة قديمة من اديانة الرافدية ثم انتشرت على أوسع نطاق خارج حدود الدولة البابلية. وقد ورد في "العهد القديم" ذكر لعبادته، كما يظهر تأثيره واضحاً في نصوص رأس شمرا لذلك وجدنا من المناسب أن نضيف إلى هذا الفصل مسرداً عن عبادته وما يتصل بها من أدب لعله يفي بالغرض.

لا نجد في "العهد القديم" غير إشارة واحدة تشير بوصوح إلى عبادة تموز، وقد جاءت في سفر حزقيال (8 : 14)، حيث يصف النبي رؤيته لنساء أورشليم يبكين على تموز عند البوابة الشمالية من المدينة المقدسة. وقد يكون في سفر إشعي (17 : 10) إشارة غير مباشرة إلى هذه العبادة، حيث حرت العادة على تفسير Nitene Amanim على أنها إشارة إلى "حذائق أدونيس"، وكنت حدى معلّم الصيغة الفيسقية لعبادة تموز.

لكن، في السنوات الأخيرة، توفر لدينا كثير من المادة الجديدة المتعلقة بهذه العبادة، نجدها في كتاب م فيتسل M. Witzel، بعنوان Tammuz Liturgien und Verwandtes ضم مجموعه تريد على سبعين ليتورجية ذات علاقة بالطقس المركزي في عبادة تموز. وفي كتاب ابلنج، Ebeling، وهو بعنوان: Tod und Leben Nach den Vorstellungen der Babylonier والكتاب مجموعة من سبعة وثلاثين نصاً طقسياً من أنواع محتمة، مثل كثير منها تطوراً طراً على عادة تموز في زمن لاحق. كذلك نشير إلى كتب أقدم من هذين، ككتاب تسيمرن Zimmern، وعنوانه Tammuz Lieder وكتاب لانعدون Langdon، وعنوانه Babylonian Liturgies وكتاب دي حويك، وعنوانه Textes Religieux Sumeriens. ولنا لنجد دراسة قيمة للموضوع لدى فرنكفورت Frankfort في كتابه Kingship and The Gods

نمة نموذجان رئيسيان من الأدب يحسن بنا أن نشاؤلهما.

1 - الليتورجيات (الأناشيد لصقية) العظمى التي تعطي صورة عن طقس تمور، والأسطورة التي تتعلق به.

2 - النصوص السحرية التي تمثل تطورات لاحقة طرأت على الطقس في تطبيقاته على احتياجات الإنسان.

عندما نتناول مجموعة المادة الأولى نجد فيما بين الليتورجيات التي وصلت إلينا بصيغها الكاملة شياً قريباً على الرغم من بعض الاختلافات الطفيفة. وهي واضحة في خطوطها الرئيسية. دلائلها لمعتادة تتضمن وصفاً للهول والخراب اللذين حلا بالمعد والمدينة والناس، نتججه لانتصار قوى العالم الأسفل الشيطانية على تموز، راعي شعبه يلي ذلك دعوة إلى إقامة حداد عم. ثم تقوم عشتار وهي أم تموز وأخته وزوجته، بمشاهدة الكهان والناس أن يشتركوا معها في النواح على تموز ويبدو أن هذا انواح صدى كلمة "أو صرخة كان أطلقها تموز نفسه من العالم الأسفل ولهذا "الكلمة" قوة سحرية، وهي تحلب الدمار، ولا يظل مفعولها إلا أن يفعل ذلك تموز نفسه، الذي يقوم على التجاوب أو التناوب، فيصف الخراب الذي حل بالمعد، والدمار الذي نزل بالبلاد واسكان والأزواق، بسبب العاصفة الهوجاء اساشة عن عارات تقوى العالم الأسفل، "نفحة الرهب"، وهي عبارة كثيراً ما تكرر في المناحات. ويرد في النواح وصف تفصيلي دقيق لحزن الإله الأسير، المصقّد بالأغلال في العالم الأسفل، "لأرض الفقراء" وقد ستعرق في نومة سحرية، متمدداً على أعشاب يابسة أحرقتها شدة القبط ثم تمضي المساحة في وصف أحران عشتار، فهي كالروحة التي مات عنها زوجها، والأم التي تكلت بسبها، والبقرة التي فقدت عجلها، والعنزة جديها، وانعحة حملها

ويستعرق النواح، الذي يصحبه الأداء الطقسي، معظم الليتورجية. يعقب ذلك طقس استخدام عشتار للوحي من العالم الأسفل، وإعلان عزمها على اسرول إلى العالم الأسفل بحثاً عن روحها. ويصحب هذا الطقس وصف بلزنة التي تترين بها الإلهة استعداداً لسفرتها. فتقول إنها كحلت عيبتها بالإثمد من

أحله، وكسب كنفها بأغصان الأرز الزكية الرائحة من أحله، ولقب جسدها ببارق الشيب، وتوجت رأسها بإكليل لآلاء، من أجله.

ثم تندّ عن تموز المعبّ في لعالم الأسفل صبحه تطلب تقديم قرابين الاستعطاف وإعداد وليمة طقسية بعد إعداد الوليمة يأتي وصف لموكب احتفالي يتقدمه الملوك المؤلهون الذين تذكر أسماؤهم واحداً واحداً، ابتداء من أرتمو، أول ملوك أسرة أور الثالثة، حتى فور - سين، سابع ملوك الأسرة الإسينية، مما يجعلنا نرجح أن يكون تاريخ هذه الليتورجيات أسبق قبلاً من زمن حمورابي.

و حين يتقدم كل ملك بما يحمل من هدايا ينطق بهذه اللازمة: "لستح قلبك بخضرتك" فتقول عشتار: "مقادة بصوت الوحي، آتي إليك"، وتناشد تموز بجميع ألقابه، ثم نحتم مشدتها بهذه الكلمات: "إليك، يا ثوري السريّ لذي في الفقر، أتوجه بصلاتي" مرة أخرى تعلن عشتار أنها أزيّنت للأرزة لكي تدح السرور على قلبه، وقلب ولده وحييها، الذي قطع النهر. ثم يعقب ذلك نشيد الفخر الهائي الذي يبدأ، وأنت تدعو الرب: "لقد خلّصت شجرة أرك النبيل من الأسر". وتبدو الخاتمة نوعاً من تسيحة شكر مرفوعة إلى الإلهين اللذين اجتمع شملهما في مخدع الزوحية. أول ما يتبادر إلى الذهن فيما يتعلق بهذه المادة الليتورجية أنها تمثل مرحلة هدمية جداً من الديانة الراهدية، ربما أقدم من طقس مهرجان العالم الحديد الذي أسهمت فيه بقسط وافر.

بات من الأشياء المعروفة جداً أن عبادة أدونيس كانت تحتل مكانة عظيمة في ديانة سوريا الشمالية، ثم أن النقاط الكثيرة التي تتشابه فيها ليتورجيات تموز ونصوص رأس شمر لتجسّ بنا إلى تأييد الرأي لفائس بأن عبادة تموز كانت تشكل جانباً مهماً من القاع الأولي انعام الذي تهض عليه الحياة الديرية في بلدان الشرق الأدنى ثم، بينما أدّت التطورات البلدية والتغيرات السياسية التي حصلت في وادي الرافدين إلى تعبيرات في صيغة طقس الدولة المركزي، مما أخفى إلى حدٍ ما خصائصه الأصلية التي ترجع إلى الرراعه والخصونه، يُعتقد أن بلاد كعمان وسوريا طلّت تحتفظ بما اتصفت به عبادة تموز من بساطة وأصالة.

ويعتقد أن صيغة عبادة تموز لتي اتصل بها قدماء العبران لما قدموا إلى بلاد كنعان كانت هي الصيغة التي تمثلها بصورة رآس شمرا، كذلك من المحتمل أن يكون للدين قدموا منهم من بلاد ما بين النهرين قد احتفظوا بالخصائص والأساليب العامة التي انصبت بها ليتورحيات تمور. وإنما لجد في الشعر عبري مقاطع تدل على تأثره بصيغ أدبية معينة، دون أن يكون ذلك عن طريق النقل المباشر بالضرورة. وهذا يتعذر عليه أن تفعل أكثر من عقد المقارنة فيما بين أكثر الأسماء أو النظائر الأسلوبية بروراً.

في ليتورحيات التي تصف دمار معابد تمور عدد من المقاطع نابضة بالحياة. يذهب لاعدون إلى أن هذه الأوصاف تشير إلى حوادث تاريخية. ولكن يُحتمل أني كون ثمة طقس يتعلق بدمار المباني المقدسة، وبما هو جزء من إجراءات الاحتمالات السنوية المتعلقة بعياب تمور، في هذه المقاطع نسمع حراب الأعمدة والنقوش التي تريد بها المعابد، وعن تدنيس الحرم المقدس الذي ما كان لقدم أن تطأه، وعن اقتراف العدو سياج شجر الأرز المقدس. إضافة إلى هذه الأوصاف ثمة فجّج على انقطاع لحب الطبيعي، فالأم لا تُعنى بأولادها، ولا الأب ببنيه، وعرش القدس يزول من الحرم، والرب الذي يَهَبُ النصع والإجاة رجباً قد اختفى

في المرمور الرابع والسبعين، الفقرة 3 - 9، وصفٌ حيّ لحراب المعبد يُقصص عن وجوه شه صارخة بسها وبس أوصاف الدمار لتي أنزلتها قوى العالم الأسفل بمعابد تموز، حتى إن الفقرة الخامسة التي انطوت على شيء من صعوبة "يَبَّان كأنه رافع رؤوس على الأشجار المشتبكة" - هذه الفقرة قد نحدد تفسيراً لها في وصف العدو الذي يقتحم سياج الأرز المقدس، كما اشتملت عليه ليتورحيات تمور.

كذلك نجد في سمر إرميا وصفاً لغزو الاسكيشيين (6: 23 - 29، 9: 19 - 22) يشبه أشد أشبه وصف الحراب الذي حلّ بدمدية والبلاد بسبب عاصفة انوار الهوجاء والرياح المحرقة التي هبت عليها قادمة من القمار، كما في الليتورجيات التي نحن بصدددها

مثال آخر على تشابه لأدبي ما نجده بين لأوصاف التي ترد في سفر إشعيا (14: 9 - 19)، وفي سفر حزقيال (20: 32 - 31)، وبين أوصاف حالة البؤس التي عاناها الإله السافط الذي بُد كما يُسَدِّقُ المَنَع، وأُلقي في عباءة الحب لكي تأسره القوى الشيطانية

ولعلّه يمكن أن نضع لسير على هذا الخط من التشابه إلى مدى أبعد، لكن أثره العام هو أن يُشعرنا بأن هذه الليتورجيات القديمة التي كانت واسعة الانتشار في بلاد الرافدين وفي البلاد التي تأثرت بنفوذها الثقافي تزوّدت بمحروور من الصنع والصور الشعرية جاهزة للاستعمال كلما سنحت فرصة مناسبة لذلك. لا يريد بهذا أن نقول إن أسبى العبران، أو مؤلفي أناشيد المناسبات المقدسة، قد اقتبسوا هذه الصيغ والصور مباشرة من مصدر رافدينية، بل إنما استخدم هؤلاء هذه الصيغ والاستعارات الشعرية القديمة كلما أمكنهم تكييفها لكي تأتي ملائمة للتعبير عن الأفكار الدسة الجديدة التي انشقت من خربتهم الدينية لحاصة بهم

هناك نقطتا التقاء أخرتان تثيرهما الليتورجيات. إحداهما، سبق لنا وأشارنا إليها، ألا وهي المعنى الخاص المرتبطة - كلمة - تموز. فإله، فيما هو يهبط إلى العالم الأسفل، ينذر مدينته ويلاذه بالويل والثبور. فجميع السلايا التي عانت منها البلاد والعباد، وهوب العاصفة الهوحاء عليهم من لعالم الأسفل - بل وحتى الآلام التي بعني منها الإله نفسه - كل هذا كان يُعتقد أنه ناجم عن قدرة سحرية نظوي عليها "الكلمة" فما لم يرجع تموز عن كلمته، لا فائدة تُرحى من صلاة أو رقية في تحويل مجرى الأحداث. لكن عندما يفبق الإله من بومته السحرية، كان أول شيء يحدث أن يطق بصوته، ويخور كالثور السري، وبدأ تحول مصير البلاد إلى لوجهة المضادة، مع عودة الإله إلى معبده في البغة التي تستعمل فيها "كلمة" تموز، وتوكيد استحالة نقضها - وكذا في مختلف الاستعارات المستخدمة في وصف صوت الإله - في كل هذا نجد شبيهاً قريباً من اللعبة التي استخدمها شعراء العبران من بعد في وصف الآثار المدمرة التي تنجم عن كلمه يهوه عند الغضب، والآثار المحيية التي تنجم عند لرحمه كذلك نسمع عن استيقاظ يهوه من النوم، يرأر كما يرأر محارب أو حيوان بري، ويقذف

في قلوب الأعداء الرعب مرةً ثانية نقول إن هذا ليس استعارة مباشرة أو محاكاة، بل هو استخدام من قبل شعراء العبران لصيغة أدبية، أو قالب في، هو في متناولهم، للتعبير عن أفكارهم الخاصة بهم عن فعالية يهوه

أم نقطة الالتقاء الثانية فضئفة عن العلاقة بين عشتار وتمور، وتكرار استخدام الأرز رمزاً للإله والإلهة. لسوف نعود إلى هذه النقطة عندما نتحدث عن صلتها بالنصوص السحرية؛ أم هنا فنقتصر على الجاسين المتغابرين من الرمز فيما يتعلق بالإله، هناك العصر الطقسي الذي كثيراً ما نحده مقوشاً على الأختام السرجوية، ويتمثل في سقوط شجرة على جبل علامة على موت الإله. هذا الحذب من الطقس نحده في فيسقيا، كما أن لشجرة "دد" Ded نفس المعنى في الطغوس المصرية. ثم أن الأرز، وما امتازت به من أناقة، هي الرمز الذي كانت تستخدمه الإلهة تعبيراً عن حاديتها وهي تعدّ نفسها بلقاء زوجها العائد إلى الحياة ثم إننا لسجد النصب لمقدس، بما هو رمز لعشتار أو استارت أو أي اسم آخر من أسماء الإلهة - الأم، نجده في كل بلد من بلدان الشرق الأدنى القديم، هذا على الرغم من أن الذكورة قد اتحدت لنفسها رمز النصب أيضاً لكن الأرز في هذه المرحلة لأولى كان يمثل الألوهيتين المدكرة والمؤنثة كلتيهما؛ فالأرز إذ يسقط ثم يهض إنما يمثل موت تعوز وقيامته، وخصرته ورائحته الزكية وأعصائه ابداحة بما تمثل الإلهة تسعى إلى زوجها. ولعلنا نذهب إلى أن ما نحده في سفر هوشع (8·14) حيث تقول إفرايم: "أنا كسروة حضراء، فيجيبها يهوه من قبلي يوحد ثمرك"، إلا صورة مستمدة من نفس المصدر إفرايم، وهي الروحة التي تبحث عن زوجها الذي لا تُخلص له، تستخدم لغة عشتار قائلة: "أنا كسروة حضراء"، فيجيبها يهوه بصفته واهب الثمر

أشياء كثيرة أخرى يحدها في الليتورجيات تستدعي البحث بما يقيه من صوء على عذرات واسعارات عامصة نحدها في "العهد القديم لكن بحسن بنا لأن أن ملتفت إلى طائفة أخرى من النصوص التمزوية أعني بذلك النصوص السحرية.

توضح لنا هذه النصوص لمبدأ الذي يشكل ركناً أساسياً في الديانات  
الرافدية، وهو أن الطقوس المركبة المعطى المتعلقة بالاحتفالات الموسمية  
كانت طقوساً سحرية في الأساس، وأنها أصبحت مصدراً لجميع أنواع الطقوس  
القدرة القليلة الأهمية التي يستمد منها فيها من سحر نيلية لاحتياجات الإنسان  
اليومية كالوقاية من مرض أو الشفاء منه، كالصداع والحمى والصرع، إلخ.

النص الحادي عشر من مجموعة إبلنغ يحمل عنوان "عندما يكون الإنسان  
غرضاً لهجوم عفريت أتوكو، أو عفريت سَعُول هازا، أو كل شر آخر" ثم يصف  
الطقس اللازم لمثل هذه الحالة يتألف القسم الأول من اطقس من توسلات  
مرفوعة إلى عشتار وتمور، وإلى عرهم من ألوهيت أدني، تصحبها قرابين ذات  
طابع رمزي تبدأ التعويذة الأولى بـ "في شهر تموز، بُكّي عشتارُ أهلَ البلاد على  
زوحها تمور، وعندما تجمع أسر البشرية بعضها إلى بعض، تظهر عشتار ونظر  
إلى حالة لشر، فتشفي من المرض وتسبب المرض"

"في الثامن والعشرين من الشهر، في يوم حظائر الغنم، عليك أن تقدم إلى  
عشتار فرحاً من لاورود ونجماً ذهبياً، ثم نطق باسم المريض وتقول: أشف  
المريض" وفي اليوم التاسع والعشرين، يُعدُّ لتمور فراش، وهو فراش حنازري،  
وتُقرَّب له مختلف قرابين الطعام والشراب ثم تُرفع إلى تموز وعشتار توسلات  
أخرى تشاهدهما أن يصردا الأرواح الشريرة التي فتكت بالمريض، وأن يذهب بها  
تموز إلى العالم الأسفل

ثم يلي ذلك وصف الأفعال الطقسية الضرورية، على المريض أن يقف عند  
أسفل فراش تموز الجنائري متقباً بنقاب يحجب وجهه، مما يعني أنه قد مات،  
ثم يعمد ايكاهن إلى قصة في يده ويصر به سبع مرات. ثم تصيف النعيمات.  
"حالما مسسته يكون قد تعبر وتظهر طبيعة لتعبر في الكلمات التي تليها  
مباشرة. وعليك أن تقوم له: "لنكر حيثك عشتار في عوبك"، أي أن يكون  
امريض قد استدل شخصية الإله شخصيته ثم يتعد المريض عن الفراش،  
ويرتدي ثوباً من خيش، ويجرح نفسه جرحاً، ويجثو عند قدمي عشتار،  
وينشده قائلاً: "أي عشتار، أنقذي رعيتك (أو ربما رجلك، أي روحك)".

ثم يعتمد الكاهن إلى مفص يقصّ به عرّة المريض ويفك عنه حرامه ويلقي بهما في البحر (رمز العالم الأسفل)، مع اثني عشر رعيماً وقَدْرًا من هاجر الطعام إن هذا يكتمل فعل تبادل الأشخاص، إن صبح التعبير ثم يصوم لمريض عن تناول بعض الأطعمة، ويربدي ثياب الحبش ثلاثة أيام، وهي المدة التي يقصّبها سمور في العالم الأسفل. بذلك يتم أداء الطقس الذي يحدث تأثيره بفعل سادل الأشخاص، إذ ينتقل المرض إلى الإله، فيموت المريض موتاً رمزياً مع الإله ثم يبحث معه وتحلّص من سيطرة الروح الشريرة.

يبيّن لنا هذا لطقس مبدأ "الفوهو" Funu، أو طقس البدل الذي يُؤدّى بأشكال مختلفة في نصوص أخرى من المجموعة نفسها، ففي موت المدعو "شمش - شوموكين"، الذي أشير إليه في 'رسائل ناسل واشور'، التي نشرها هاربر، تحت رقم 437، على أنه موت بدّل من أحد النلاء الخارجين عليه هناك أيضاً مبدأ "سار - فوهي"، أي الملك - البدل، وهو طقس أصبح يُؤدّى في لحظة المتأخرة من تاريخ مهرجان العام الجديد. وفي نصوص سحرية أخرى تتعلق بطقس يشفي من مختلف الأمراض التي يسببها حضور الأرواح الشريرة، نجد المبدأ نفسه يعرّ عنه بأوجه مختلفة هي أحد النصوص يُؤدّى بحذّي، وهو رمز إلى نموز، فيُحمل بدلاً من المريض يُطّلع المريض رمزياً بخنجر من خشب، بينما يُدبّج الجدي طقسياً بخنجر من نحاس ثم يُصار إلى معاملة الجدي معاملة شخص ميت فيُحطّ ويقام عليه الحداد ثم يدفن طفاً للشعائر المتبعة، ويستعيد المريض عافيته ثم هناك بدائل أخرى هي اخريير (ونحده أيضاً في طقس السنة الجديدة) والحمل وتمثال طيني للمريض أو للروح الشرير، بل وحتى الجرد.

من طقوس "الفوهو" التي تستثير اهتمامنا نوع خاص طقس يحسب بإيراده إد بقلنا إلى مسألة أصل عنصر البدل في جملة الطقوس العبرية وقد جاء هذا الطقس في نص يعالج حالة إنسان استولت عليه روح الخرس، نوع من "أهازبا" (عقدة الإنسان)، أو شلل يصيب عضلات المحركة. يجري لطقس كما يلي. يُقرن رأس حذّي إلى فراش المريض من جهة الرأس. تُقطع عصا من الحديد وتُلف بصوف ملون، وتُملأ جرة بالماء، وتقطع أرزة من حديدية ثم توضع العصا والجرة ولأرزة

لئلا في مكان يُسمّى "ألتى صادراتي" (نواة الأند)، ومعه غير واضح في الصباح يُؤتى بالحدي ولعصا وحرّة الماء والأررة إلى حافة الصحراء، لتي ترمز إلى العالم الأسفل، حيث تترك العصا وجرة الماء، بينما يؤخذ الحدي والأررة إلى مفترق طريق، حيث يذبح الحدي ويسلخ ويقطع رأسه، وتترك أطرافه معلقة بجلبده لحم الحدي يطبخ، وتُلف الأرزة بجلبده، ثم تُجعل قرابين مأثمة من لعسل والريت في قدور، ثم تُحفر حفرة يُصبّ فيها العسل والريت وتدفع فيها الأرزة الملفوفة بالجلد يأكل المريض من اللحم المطبوخ يبدو أن السطر الأخير - وهو مكسر لسوء الحظ - يريد أن يقول إنه في اليوم الذي يظهر فيه شخص أو شيء غير معين مرة ثانية يتخلص المريض مما ألمّ به ويفتح همه.

هنا نجد مدأ البدن مكتملاً بعض الشيء، إلا أنه واضح تماماً. فالجدي هو تموز والأررة هي تموز أو عشتار، وربما الأحبرة، يذهبون رمزياً في الصحراء، ويوحد المريض مع تموز على أنه ما يمكن. والنيحة النهائية الشفاء من المرض، أشبه ظاهر بعنصر البدل في الطقس العربي الذي يزدّى في سوم الغمران، وأعني بذلك الماعر التي تمثل عزاريل تُطلق في أريّة في ضوء المقارنة المستمدة من النصوص السحرية يبدو لنا أن التفسير الوحيد الكافي لاسم عزاريل أنه اتخذ له هذا الاسم بما هو اسم لأحد الشياطين، على حين أن للصحراء نفس المعنى الرمزي الذي نجده في البيتورجيات التمزوية والنصوص السحرية، وأعني به العالم الأسفل.

لكن التشابه يثير مسألة مشأ الاختلاف في أوجه الطقس القرياني عند اعريين، تظهر في التطورات المتأخرة التي طرأت على الطقس التمزوي - وهذا ما نراه في النصوص السحرية - ثلاثة مفهومات تترايط فيما بينها بخصوص موت انصحية هك، أولاً، الفكرة التي تقدم بحثها، وهي أن انصحية ترمز إلى الإله، وذ يتواحد المقرب مع انصحية يستقل منه المرض أو الإنم إلى رمز الإله. ويقسم المقرب رمزي مع الإله تموز آلامه ومونه واسعائه، وبذلك ينال الخلاص وهناك، ثانياً، فكره تهذئة الغصص، إذ معترض أن قوى العالم الأسفل المعادية قد رصبت بالذل، وبة ذلك عارة "قوهو من أجن أرشكيجال" المماثلة للعبارة

العبرية معرى من أجل عزازيل" وهذا، ثالثاً، نشوء فكرة الإفادة من جسد  
الصحية أو دمه من حيث هي وسيلة تطهير، بما من أجل بقاء مقدس، كما هو  
الحال في طقس العام الحديد، أو من أجل الإنسان

ليس هنا مجال الشروع في بحث نظرية عامة عن أصل القربان أو الديحة  
عند الأقوم السامية. لكن إن يُستَحَ لـ أبدي له صلة بالموضوع الذي نتناوله. ثمة  
خطآن رئيسان تطورت مؤسسة القربان من خلاهما، وكل منهما من مصدر  
مختلف. هناك طائفة من القربان تعبر في أشكال مختلفة عن الأفكار الرئيسية  
الثلاث البدل، وتهدة ثائرة العصب، والتطهير. وهذه لطائفة نصم أهم مبادئ  
القربان العبري، وأعني بها الـ "أولاد، كليل، أشام، حنات". وهناك أيضاً  
طائفة القربان التي تندرج تحت اسم عام هو "سبحا ومسانا" أم، لطائفة الأولى  
فلعلنا ننقص آثارها في تطورات نشأت عن الطقوس الأولى التي تتصل بموت  
إله، وكانت طقوساً مركزية في المراحل الأولى من ديانة الشرق الأدنى. وأما  
الطائفة الثانية فمذهبا أنها نشأت عن مفهوم يرى الإله مالكا للسلاد، به مكان  
يقيم فيه، تحيط به هيئة مظنة من الكهنة وحدام المعبود وكان الاعتراف بحق  
الإله في تملك الميلاد يتمثل في تقرب القربان من قصصنا السامية والأنعام وما  
نقله الأرض من ثمر، وربما كان ذلك ذكرى طلت عالقة بالأذهان عن احتياج  
الآلهة إلى وحب طعام تُقدم لها كل يوم.

في مجموعة تيرو - دائجن التي اشتملت على الطقوس الأكادية نجد نصاً  
وُضع من أجل "الوحدة الكبرى" و"الوحدة الصغرى"؛ بهذه الصيغة كان يؤم  
من الطعام لبقائمين على المعبود. فهناك قوائم بالحيوان وطيور والخمر والجمعة  
وازيت والحبز ولك ما يلزم سائدة الآلهة من أقدم الرُفم التي وجدت في  
رأس شمرا رقم اشتمل على مثل هذه القائمة من هيا نشأت طائفة من  
القربان لا صلة لها بالأفكار الرئيسية لثلاث، وهي بدل وتهدة ثائرة  
العصب والتطهير. كانت هذه القربان عبارة عن هبات ليست طوعية تماماً، بل  
نشأت عن طبيعة العلاقة بين الإله وعباده، وكان العرض منها الحصاد على  
هذه العلاقة في حالة طيبه

لذلك، بينما نجد 'يوحانان عراي' محقاً إذ يسن أن ليس في المصطلح العبري - اللهم إلا أن يستشي مصطلح "نداريم" - ما يطوي على فكرة الهبة للإله، يبدو جلياً أن جميع لمذبح النوحية من القرايين ترجع إلى هذه أو تلك من لطائفين الرئيسيتين، لا فرق إن كان المقرب يدسحها أو يحرقها أو يأكلها حريقاً، أو نكتفي بمجرد تقدسها إلى حضرة الإله فهي إما قرايين ترجع في أصلها إلى الطقس المركزي الذي يقوم على موت الإله وما يتصل به من أفكار، وإما هبات في طبيعتها وهبها الواهون اعترافاً بما للإله وحاشيته من حقوق مشروعة، لكنها حتى ولو كانت ترمي إلى صمدن عطف الإله عليهم، تظل مع ذلك تحتفظ بطبع لهبات.

## المعابد والكهان

ذكرنا في الفصل السابق أن لكار آلهة الباشيون البالي مدائن كانت مراكز خاصة بها وعبادتها. فكانت بابل، مثلاً، المدينة التي يحتل فيها إله مردوك المكانة الرئيسية بين الآلهة الأخرى التي كدت تعد فيها وكانت مدينة سيار مركز عبادة الإله شمش وكانت عبادة إله القمر، سن، في أور وحران وكان للإله في هذه لمراكز بيت خاص به يسميه السومريون "البيت العظيم" (إيجال + هيكل) وكان يتألف من مجمع من مباني متفاوت في سعتها تعاً لأهمية الإله وثروة المدينة وكان يسكن هذه لمباني جماعة الكهان، من دكور وإناث، انذين كانوا يقومون بجميع الوظائف المختلفة ذات الصلة بعبادة الإله وإدارة ممتلكاته وقد أردنا بهذا الفصل أن نصف المعبد البالي والآشوري ومن يقوم عليه من الكهنة المعبد:

دلت أعمال التنقيب على أن بيوت العبادة في المدن الكبرى، مثل بابل أو أور، كانت بالغة الصحامة وتحت حير واسعاً من لأرض لكن في المراحل الأولى من نشوء لعبادة كان المكان لدي يجعلون فيه تمثال الإله ويلحزون فيه إلى الكهنة بغية التماس الصبح والمشورة كن مكاناً صغيراً جداً ومتواضعاً جداً، حتى لا يريد كثيراً على كوح يسى بالطين والقصب وإننا لنجد في رقيم كش

التصويري الشهير مدلاً على هذا الحرم البسيط وفي المتحف البريطاني سافرة Relief من المرمر يظهر فيها كرخ من قصب عليه حزمتان من قصب ايضاً تمثلان شعار الإلهة - لأم، إينانا. والكوخ عبارة عن حطيره للحنم مقدسة. ويُظن أنها نموذج قديم عن دار البسة. لكن عند مقدم الآلهة لثاشة (ق. م)، كان التطور الذي أدخل على الحرم بسيط قد جعل منه مجموعة من الماني الواسعة مركزها الهيكل نفسه، تحيط به مُصلبات ثانوية للآلهة الأدنى، وحجرات للكهنة، ومطابخ، وحجرات درس، ومكاتب، ومساح، وحجرات كثيرة أخرى لأغراض متنوعة ذات صلة بالعبادة وخدمة الإله. وكان في المدن الكبرى معابد كثيرة، فقد كان في بابل مثلاً، طقفاً لما كشفت عنه النقاب وثائق وفوائم معاصرة لنوحذ بصر الثاني، ما لا يقل عن ثمانية وخمسين معبداً للآلهة، ناهيك عن الماني الأخرى الكثيرة المخصصة لهذا الغرض. من هنا نستطيع أن نتبين مقدار الدور الذي لعبت تصطلع به طبة الكهنة في حياة المدن الكبرى

في الصف الأخير من القرن الماضي تم التقيب عن مواقع كثيرة للمعابد في كل من بابل وآشور، نستطيع أن نتبين منها مقدار ما في تصميمها من نوع لكن كان لكل منها باحة مركزية وحجيره يجعلون فيها مشكاة وقعدة لتمثال الإلهة أما المعابد لأضخم والأهم فكانت باحاتها أقل سعة، يحيط بها حجرات أعدت خصيصاً للكهنة يرتدون فيه ملابسهم، ويبيتون للمؤونة، وغرف لأغراض مختلفة. ولعل تصميم معبد الإلهة "جولا" مثال على نموذج المعبد البابلي إذ كان يتألف من سور مستطيل، يتجه إلى الشمال الغربي والجنوب الشرقي، بما يتناسب مع إلهة في العالم الأسفل، من حيث أن هذا كان يشكل جانب من ملكوت الإله إيا، إله المحيط أو الأبرو، الذي كان البابليون عتوا له موقعه في حنيج البصرة إلى الجنوب الشرقي من بابل

كان المعبد يحتوي على باحة مركزية واسعة وباحتين صغيرتين تنفرعان عنها من جهة الغرب وكان البابليون يُسمون الباب والمدخل الرئيسيين "كيسال مَحَو"، أو "الباحة العالية"، وكانا يعضيان إلى الباحة الرئيسية، ويفعان إلى الطرف الشمالي. وكان المصنبي إذا ما دخل من الباب الرئيسي تلقاه حائط أصم، وما كان

بوسعه أن يرى من خلال الباحة الرئيسية ذلك الممر الذي يفضي إلى الحجرة الأمامية والمشكاة التي يتصب فيها تمثال الإلهة إلا بعد أن يجتاز الباحة الأمامية ويدخل إلى الدهليز. وفي مسسات الأعياد كانت مواكب المصلين والكهات تدخل من البوابة لرئاسة ثم تجاز الباحة الأمامية والدهليز الذي يفضي إلى الباحة المركزية، ثم يدخل الساس المحجرة الأمامية ويصعدون الهبات التي اتوا بها بين يدي الإلهة في حجيرتها. ثم يخرجون إلى رواق يقع إلى الشرق من الحجرة الأمامية، صعوداً في ممر ضيق يتجه شمالاً، ويخرجون من باب جانبي يتجه شرقاً، وبذلك يجتنبون الاختلاط بالداحليين. كان يحيط بكل من الدحتين الصغيرتين حجرات خلوس أخرى أصغر منها كانت تشكل مثنى كبير الكهات ومعاونيه. كان الساس يقصدون الإلهة "جولا". يلتصقون منها أن تشيعهم من أمر صهم. ويشعرون بنظام الأروفة المعتمد على هذا النحو المتقن، وكذا الحجرات الجنييه، أنها أعدت من أجل خدمة المرضى وقيام الكهات بتقديم يد العون لهم. وفي فصل قادم نتناول العلقوس ولتعاويد التي كان يتلوها الكهات من أجل معالجة المرضى.

كان أكبر لمعابد البابلية وأكثرها روعة معبد "مردوك"، إله بابل الحارس. وكان هذا المعبد يعرف بالبابلية باسم "إساجيلا" Esagila، ومعناه "البيت المرفوع رأسه". كان عبارة عن سراج كبير ذي رواب مربعة، ويقع إلى الضفة الشرقية من نهر الفرات، تحيط به جدران عالية ذات أبراج صغيرة. وكان في الجزء الشمالي من باحته الكبيرة تقوم الزقورة، وهي المعبد البرحي لذي يعرف بعامة باسم "برج بابل"، الذي سوف نفصل الكلام عنه فيما بعد. وكان يقوم في النصف الجنوبي من الباحة معبد مردوك ومصلياته الثانوية المؤلفة من خمسة وعشرين مصلًى. وكان الطريق لمقدس، أو طريق المواكب، يمر بمحاذاة الجانب الغربي من المعبد، الذي تقوم عليه النوانات الأربع الكبرى التي تعبرها المواكب دخولاً إلى قلب السياج أو السور المقدس وغروحاً منه. وفي معبد إساجيلا مصليات ليرفايت، وهي زوجة مردوك، ولنيبو، وهو ابنه، ولإيا إله الحكمة والمحيط، ولشككو إله الدر، وطشمتو إله السماع (إجابة الدعاء)، ومختلف الآلهة الأخرى، مذكورة ومؤنثة

كان ملوك بابل وآشور يتنافسون فيما بينهم على إغناء لِحَرَمِ العظيم هي عهد  
 أَسَرَحْدُون أعيد بناء إساحيلا فبعت هدايا الملك من أواني الذهب والفضة ما قيمه  
 خمسون مَنَّةً (minas) فكان تمثال مردوك وقاعدته وكرسيه وموطيء قدميه من  
 الذهب الأصم (غير الأجوف)، وكان يزن ثمانين طالنا (وحدة وزن قديمة talents).  
 أم "لسماء الذهبية"، وكان لها قسط في احتمالات البابليين بالسنة لحديدة، فكانت  
 عبارة عن "ظلة" (أو قلع) من ذهب أو قماش من ذهب رُصِّع بالبحوم ونقرأ في  
 أسطوانات جوديا، وكان أحد لملوك - الكهان، عن الأموال الطائلة التي أنفقت  
 على المواد التي استُخدمت في بناء "أنيو"، معبد نورب فقد جيء إليه بالذهب  
 وحجر اللازورد والرخام وحشب الأرز والأخشاب النادرة الأخرى من بلاد عيلام  
 وماجان وموخوا وقد دُعِيَ إلى العمل في بناء المعد أعداد هائلة من الصَّيَّاع  
 ولصُّبِّغ والبنَّائين. هذا وإن في وصف الأعمال التي تمت في بناء لمعبد المذكور  
 شبهاً غريباً بالأعمال التي تمت في بناء هيكل سليمان بأورشليم في طراز العمارة  
 البابلية نوحان من الأبنية المقدسة لهما أهمية خاصة ويتطلبان شيئاً من التفصيل .

### الزقورة:

هذه المدمج الرائع من ملامح مجمع أبنية المعبد وحُد في معظم مواقع  
 المدن القديمة التي حُرِّى التقيب عنها في بلاد ما بين النهرين. يخلف شكل  
 الزقورة بين موقع وآخر، لكن هبنتها العامة كانت عبارة عن برج مستطيل  
 الشكل، كلما ارتفع ضاقت أدواره حتى يصل إلى القمة التي يقوم عليها  
 المصلّى، الذي كان في الأصل بناء خشبياً كان يحتفل فيه بطقوس الزواج  
 امقدس. وكانوا يبلغون مختلف الأدوار إما بواسطة مزالق يُؤْتَى بها من خارج  
 ابرج أو بواسطة سلالم تنفض حول الرج من أدنى إلى أعلى وكان تحت البناء  
 حجرة، تُسمّى أحياناً جيحوثو، ثم يجمع العلماء بعدئذ على رأي حول العرض  
 منها، لكن يُطرأ أنها كانت من أجل القيم بجاب مهم من طقس السنة الجديدة  
 لم تكن لرهرة قرأ ملكياً، كما كانت الأهرامات في مصر لكن المأثور أنها  
 كانت قرأ للإله بل، وربما نشأت عن استخدامه مكاناً يحاً فيه جثمان لإله قبل  
 ابعائه في اللحظة المركزية من مهرجان السنة الجديدة في بابل. كذلك لم تكن

الزقورة معبدًا باسمعنى الدقيق للكلمة، أي لم تكن مثله لإله، بل كانت بناء مقدسًا وكان لها القسط الأوفر في الطقوس البابلية الكبرى. وفي الرواية العربية عن اعرض من برج بابل يكمن حقيقة مفاده أن السابليين القدماء كانوا يعدون الزقورة نوعاً من الرابطة بين السماء والأرض. كذلك من المحتمل أن يكون للأدور السعة من اتسماتكي، وهي زقورة نابل، مغزى فلكاً

### الأكيتو:

وكان معبدًا خاصاً، وفي العادة منفصلاً عن المجمع المركزي الذي تتألف منه مباني المعبد. وقد كان للأكيتو دور كبير في مهرجانات السنة الجديدة. فقد كان الأكيتو المكان الذي يتجه إليه الموكب المقدس، وعلى رأسه مردوك، قادماً من إساجيلا للقيام بأحد الأدوار الأساسية من طقوس السنة الجديدة

نلتصت الآن لكي ننظر في طبعه لطوائف لتي كان يضطلع بها القثمون على المعبد.

### الكهنوت:

في الحقبة الأولى من تشكل دويلات المدائن في بلاد سومر وأكاد، كان حاكم المدينة يسمى بالسومرية بنيري patesi (أو إسي)، وبالأكادية إشاكو، وكان يضطلع بوظيفة مردوخة هي وظيفة الكاهن والملك في آن واحد ثم انفصلت الوظيفة الكهوتية مع الأيام، وظهر إلى حيز الوجود طبقة خاصة من الأشخاص المقدسين كانت مهمتهم أن يقوموا بدور الوسيط بين الإله وشعبه. ولما كان الإله المالك للأرض، والبأس مستأجرين عبده، عرفنا عظم الدور الذي كان يضطلع به الكهنة في إدارة أملاك الإله وفي جباية ريع الأرضي وتحصيل ماله عليهم من ذمم. أقدم ما نعرفه عن هذا الموضوع رقيم جاءنا من معبد عشتار بالوركاء (إيريك)، ويحتوي على قيود لمثل هذه الديون ثم تسديدها عيناً إلى الكهنة، لكن المهام التي كان يضطلع بها الكهنة، الذين كانوا يؤلفون هيئة أحد معابد المدينة العظمى، كانت مهاماً متعددة الجوانب ولا شك أن بياناً بمختلف فئات الكهنة من شأنه أن يعطى فكرة عن طبيعة المهام التي كانوا يقومون بها

لا نجد في اللغة الأكادية كلمة تؤدّي معنى "كبير الكهنة" أو "الكهنة الأعلى" (إلا أن يكون للقب سَجُّو ماخ هذا المعنى) ولقد كان ذلك لأن الملك في الأصل كن رئيساً للمهام الدينية والزمنية في دولته لكن مع الأيام أخذ الكهنة الذي كان في وقت ما يحمل لقب أوريعانو "urigallo" - وكانت وظائفه الأصلية يكتنفها غموض - يحتل المكانة الرئيسية في لطام الكهنوتي، وصرنا نحده يقوم بإجراءات مركزية في الطقوس الموسمية العظمى وفيما يلي أسماء الفئات الرئيسية من الكهنة كما عرفناها من مختلف لمصوص الدينية التي كشفت عنها النقاب في بابل وآشور.

1 - الكالو kalu كانت تحصر دائرة اختصاص هؤلاء الكهنة في موسيقى المعبد وكانت وظيفتهم "تهللة قلب كبار الآلهة" بإشاد التبريم والليتورجيات بمصاحبه الآلات الموسيقية، وكان أهمها طبل للبسو ويرد ذكرهم كثيراً لأنهم يشتركون في مهرجانات لسنة الحديده.

2 - الأشيفو Ashipu هناك فئة كبيرة من الكهنة كانت تُعنى بذلك الجانب من الديانة البابلية الذي يتعلق بالإيمان بالأرواح الشريرة وعلايتهم. كان هؤلاء الكهان يحملون اسم مَشماشو "واسم" "أشيفو". كانت وظيفتهم وقاية الناس من شر هذه الأرواح عن طريق أداء الطقوس وتلاوة التعاويذ وكانت النساء الحوامل على وجه الخصوص عرضة لهجمات الأرواح الشريرة، ولكي يقين أنفسهن منها كن يدعين "الأشيفو" لأداء الطقوس وتلاوة التعاويذ التي من شأنها تخليص المريض من سطوة الروح الشريرة. وإب لحد مثالاً على ذلك في نص يصف للمريض أن تُضجع معه جدياً في الفراش، ثم يقوم "الأشيفو" بحرق حجرة المريض بحجر من خشب، وقطع حجرة الحدي بخحر من نحاس ثم يُلْسُون الحدي ثياب المريض، ويروحون يندبونه كما يندبون الميت ثم تقرّب قرايين مأتية لأرشكجبال، إلهة العالم الأسفل، بينما يقوم الكاهن بتلاوة تعويذة "الأح الأكبر أخوه" (ويريدون بالأخ الأكبر تمور) وعندئذ يسترد المريض عافيته إن هذا الطقس مثال على عصر مهم في لديانة البابلية، وأعني به مبدأ "الموهو"، أو البذل "فالحدي"، وهو رمز تموز، يصبح "بدلاً" من المريض.

3 - البارو Baru وتعني الرائي" هذه الفئة من الكهان قديمة ومهمة جداً فكانوا يستطلعون الفأل ويفسرون الأحلام. ويرافقون لملك في حملاته، ويحددون الأيام المناسبة للشروع في عمل وكان إعداد الروزامة ورصد الأهلّة والكواكب وتعيين أيام السعد والنحس يشكل حائلاً من مهام البارو وقد ورد ذكرهم وذكر أعمالهم كثيراً في مراسلات ملوك آشور

4 - قدشثو لم تكن الكهانة قاصرة على الرجال، بل كانت النساء يشكن جانباً مهمة من هيئة الكهان في المعابد الكبرى، وكان من الأمور المشرفة أن تدخل امرأة في سلك الكهنوت. فقد قدم عدد من الملوك بهته باتهم للعمل كهنة في خدمة المعبد. وقد نصبت شرعة حمورابي على قواعد تحكم سلوكهن وتحدد ما لهن من حقوق مدنية وكان بعضهن يقض في مسكن خاص أو في دير، لكن كان لهن بوجه عام حرية التنقل بين الناس وكان أهم وظائفهن القيام بدور البعاب المقدسات في الاحتفالات الموسمية لكسرة وكن يعرفن باسم "قدشثو" في اللغة الأكادية، وباسم قديشه في اللغة العبرية، وقد كان أمراً طبيعياً أن يضم معبد عشتار جمعاً كبيراً من هؤلاء النسوة اللاتي يُعرفن باسم حاص بهن هو عشتريثو.

ما خلا بعض الاستثناءات كانت الكهانة وراثية، فكان الأب ينقل إلى ابنه مختلف المعلومات التي تتعلق بالوظائف الكهنوتية، مما يجعلنا نذهب إلى أن نظام العروسة لم يكن مطلقاً على الكهنة الديليين. كانت معرفة الطقوس سرّاً يجب الحرس على كتمانها، غالباً ما نحد في نهاية كل نص مثل هذه العبارة: "هذه الطقوس التي سوف يؤديها بحق للمريد أن يطّلع عليها، أما العريب أو البراني فلا يحق له أن يطّلع عليها وإلا قصرت أيامه. وعلى المريد أن يعيها مريداً غيره. أما الديوي فلا يجوز أن يراها" فهي من الأشياء التي حظرها كبار الآلهة. "أو وانليل وإيا. كانت الدورة التدريبية التي يحضنها لكهنة تسغرق مدة طويلة وكانت شاملة لكل شيء فقد كان محددت نظام الكتابة السومرية، وهو نظام معقد، وإتقان اللغة السومرية، بما هي لغة الطقوس، مهمة من أشقّ المهام وكان شدّة المعبد واعرفون يخصصون لدورة تدريبية تدوم ثلاث سنوات ولعل الكهان من ذوي الرتب العالية كانوا يحتاجون إلى مدة أطول من التعليم

تُظهر لنا أولى الأختام البابلية أن العادة حرت على أن يقوم الكهان بوظائفهم عراً، لكنهم لم يلبثوا أن صاروا يرتدون اللباس التقليدي، وهو من كتان أبيض. غير أن الكاهن كان يرتدي كساء أحمر في مناسبات معينة، ولعل هذا بعية إخاءه الأرواح الشريرة؛ ولسب مماثل كانوا يرتدون أقنعة حيوانات في أثناء طقوس التعاريم أو التعاويذ كانوا يعتقدون أن الآلهة تأكل قرايين لطعام وتشرب ما يقرب له من الخمر وإنا لنجد في النصوص تفاصيل تتعلق بوجبات "المطور الأصغر"، التي كان يتناولها الآلهة، وهي تُشعرنا بأنهم كانوا أكلة شرهين، إلا أن هذه القرايين كان يأكلها الكهان بالمعل كما نجد في كثير من النصوص مقدار ما كان يصرف للكهان من طعام، كل بحسب رتته فقد كان هناك تفاوت كبير من هذه الناحية بين ما يُصرف لكبار الكهنة وما يُصرف لصغارهم. فالأشيفو، على ما يقوم به من عمل شاق، لم يكن يصرف له سوى مقدار صغير جداً إذا قورن بالـ "أرييتي eribbiti"، وهو الكاهن الذي لم يكن لعبه أن يدخل الحرم، وكان من الأمور الشائعة أن يولى الكاهن القيم بأعمال متعددة. فقد نجد كاهناً في عهد الملك شمش - إيلونا يتولى أعمال أمين سر المعبد، والكاهن الذي يسمح الرأس بالزيت، وصانع خمرة المعبد، واسوآب، ومنظف باحة المعبد، ولكل من هذه الخدمات راتبه الخاص. وكان عدد الكهان التابعين للمعبد يختلف باختلاف أهمية المدينة والآله الذي تنسب إليه، فكان عددهم كبيراً جداً في معابد المدن الكبرى.

وإنا لنجد في قائمة اشتملت على كهان معبد الإلهة باو bau، وكان ذلك أيام حكم الملك أوركاكجيد، أن عددهم بلغ 736 ثم في عصور لاحقة، أيام ردهار حكم الأسرة البابلية الجديدة، ربما بلغ عددهم عدة آلاف في معبد مردوك ولعلنا لا نستغرب إذا عثرنا على شكاوى من سوء استعمال السلطة والامتيازات التي كان يتمتع بها الكهان كالشكاوى التي يجدها عبد أنبياء العبران فالملك أوركاكجينا يشكو من ستمار الكهنة بحير المواشي لأنفسهم، ونههم بساتين البلاد وهي تاريخ لاحق حدد كاهناً يتهم زميلاً له بالافتراء إذ شكاه إلى الملك مدعياً أنه اقتضى خاتم صندوق وسرق منه حجرة كريمة. وتجد أحد كهان معبد نورن يبلع الملك أن أحد كبار موظفي المعبد انتزع من ظلة الإله الذهب شيئاً من المعدن للشمس

وتكشف لنا مراسلات الملوك الآشوريين عن عظم الدور الذي كان يلعبه الكهنة في شؤون القصر. فقد كانت سلطة الكهان تتعاضد أو تتضاءل عمومًا تبعاً لتعاضد سلطة الدولة المدنية أو بصاؤلها. فقد كان نفوذهم محدوداً في دأترتهم الخاصة في ظل ملوك آشور الأقوياء. لكنهم كان بهم سلطة واسعة في بابل، حيث كانت هذه المدينة تحتل مكانة بارزة بوصفها العاصمة الدينية للبلاد الرافدين. حتى بعد أن زالت أهميتها السياسية وقد بلغ من سلطتهم أن صبأوا واحداً منهم، واسمه نبر نيدوس، ملكاً على البلاد في أواخر أيام الإمبراطورية البابلية الحديثة. غير أن هناك امتيازاً واحداً لم يتحل عنه ملوك بابل وآشور قط، وأصعب به حقهم في تعيين مرشحين لهم إلى المراتب الكهنوتية العليا، إذ كانوا يمارسون هذا الحق لمصلحة أقربائهم. فقد جاء في المدونات أن آشور بانيبال قد عين أخويه الأصغرين كهسين في معدي آشور وسن، ترتناً وأحياناً كانت تعين ابنة الملك لمنصب ربة البيت، أي كبيرة الكاهنات

نتقل الآن إلى تناول أنواع الخدمات والأعمال الطقسية لسي تشكل سطر السنة الدينية في بابل، وهي تدرج جميعاً تحت اصطلاح عام هو "العبدة".

### الطقوس

لسوف نرى عندما نتناول أسطورة الخلق البابلية أنها تكشف عن صيغ متعددة من الروايات، لكن ينظمها جميعاً فكرة واحدة هي أن الإنسان إنما خلق من أجل دُلُو Dullu أي خدمة للآلهة. وكان البابليون يفهمونها بمعناها الحرفي وبطريقة حسنة. فقد كانت الهتهم تحب الأكل والشرب، والموسيقى والرقص. وكانت تحتاج إلى أسرة تنام عليها وأزواج يعملون سكاحهن كانوا يفتسلون ويرتدون الملابس ويستنشقون العطور. وكان عليهم أن يخرجوا إلى طاهر المدينة ويقودوا المركبات في المناسبات الرسمية. وكانت جميع أوجه النشاط هذه تهض على افتراض يرى في تماثيل الآلهة كاشد حبة. لكن الأمر عند قدماء البابليين كان أكثر من مجرد افتراض ففي "بت ممو"، أي بيت الصانع، حيث كانت تصنع التماثيل، كان لابد للتماثيل، قبل أن تنصب في حرُمها، من أن تخضع لطقوس معينة تعرف باسم "مس - في" (أي غسل القدم)، و"بت - في

(أي فتح الفم) وكان يُعتقد أنها بواسطة هذه الطقوس تسري فيها الحياة. ثمة شبه غريب بين هذا الطقس والطقس المصري الشهير المعروف أيضاً باسم "فتح الفم"، الذي كان بواسطة تمسح الحبة لتماثيل صور الموتى.

يتألف الطقس اليومي في المعبد، في المحل الأول، من غسل تماثيل الآلهة وكسوتها وإطعامها. وكانت تُروَّد الحُرْمُ بمصاصات دت درجتين، يوضع على إحداهما زهر، وعلى الثانية طعام وشراب للآلهة. وكان في المعبد مدحر أو مجامر يحرق فيها لبحور وكان من يتولى الخدمة من الكهنة يرش الحصرم بالماء الطاهر، حيث كانت تقام الولائم. وكان طعام الآلهة الحبز والكعك ولحم الحيوان من عج وغنم وماعز وغزال، وورد ذكر السمك ومختلف أنواع الدواجن في مواد الأطعمة.

لكن ذبح الحيوان من أجل إطعام الآلهة، وإن كان بحري على يد كاهن هذه مهمته ولقبه "نس - فتري" أي حامل الحصرم، يجب ألا يحملها على الطن أنه دبيحة بالمعنى العبري للكلمة.

من المهم أن نميز كيف يُنظر إلى مختلف الأوجه التي كانت تُقرب بموجبه إلى الآلهة مختلف أنواع القرابين، لا فرق إن كانت حيوانات مذبوحة أو كانت حضاراً أو سواش.

1 - قد تعبر مجرد طعام الآلهة. فالآلهة يحب أن تُطعم، وعلى المصلين أن يزودوها بما هو ضروري بهذا الغرض.

2 - رأينا أن الإله هو المالك للأرض ومن يحرثونها مستأجرون عنه. لذلك كانت القرابين التي كانوا يأتون بها، سواء أكانت من الماشية أم من نتاج الحقل، كانت تعتبر من ريع الأرض أو من الديون التي كان عليهم تسديدها للمالك الإلهي، مالك الحقل والمدينة.

3 - كانت القرابين ضرورية لكي يغفل الإله في مزاج حسن ولتجنب آثار عصبه وكان هذا النوع من القرابين يسمى "تهدئة كبد" الآلهة وكان يعتقد أن قرابين الزبد والسمن والعسل والحلويات، وكذلك أفصل أحزاء الأضاحي، لها هذا لأثر المرعوب.

4 - هذا، وإنما لحد أحد لأوجه المهمة من الأصحية الدييعة، كما في عدد من النصوص الطقسية، مستخدمها "بدلاً" (فوهو أو فوهو) فقد كان في الطقس البابلي والآشوري ثلاث طرائق لتطبيق مبدأ "البدل" أولها، إطلاق الحيوان الذي يجعلونه بدلاً من مريض (من حيث أن كل مريض فهو نتيجة لعصب الإله أو عدوان روح شرير) حياً في الصحراء (شأن كرش الغداء أو ماعز الغداء عند اعران)، حاملاً معه آثار المريض وخائبته وقائبهما، اعتبار الحيوان البدل، وهو حذني في العادة، مرراً لثمور. فإذا ذبح الواحد المريض بالإله في الموت وما يعقبه من انبعاث هذا الأخير، فتخلص من الآثار التي نرنت على فعل قد قام به وكان سبباً في مرضه وثالثتهما، في الأوقات العصيبة والشدائد التي مرت تاريخ الملكية، كان يُؤتى ببدل بشري يأخذ مكان الملك، وربما انتهى هذا البدل إلى الموت لتجيب لدونة كوارث توشك أن تنزل بها. أما صلة هذا الاستبدال بطقس السنة الجديدة فستتولى معالجته فيما بعد لكن أغلب الظن أن طقس الدييعة البشرية كما كان يمارسه الكنعانيون وقدماء العبريين لم يكن يشكل جانباً من العادة في بابل وآشور

5 - ثمة وجه خامس وأخير من أوجه القربان يحسن بذكره. في اليوم الخامس من مهرحانات السنة الحديدية، يعوم الكاهن المعزّم تالي انتعاريم وكان يُسمى "مشمشور"، ومعه الكاهن الذي يشهد أو يتولى ذبح الأصاحي، بقطع رأس شاة وتمريغ الحرم، جداراً وبناً، بجسدها، بذلك يتم طقساً امتصاص كل حيثة وعلها إلى الشاة المدبوحة ثم تُقلى الشاة، رأساً وجسداً، في النهر الذي يذهب بها ومعها الخبائث التي تحملها. وبما أن الكاهنين اللذين قاما بعملية التطهير قد أصبحا غير نظيفين طقسياً، كما مضطرين إلى مغادرة المدينة حتى انقضاء المهرجان.

لسوف يرى أن هذه الأوجه المختلفة من القربان لا تنطوي على مصاهاة دقيقة مع المحرقة العرية التي كانت تحترق كلباً على المذابح أمام يهوه "كفارة عن ذنوب المقرب" غير أن طقس كرش الغداء، أو معرى الغداء، يكشف عن تشابه بين مع طقس البدل البابلي (الفوهو)، وربما كان أولهما مسنداً من لثاني

نستق الآن من الطقوس البرمية إلى المناسبة الدينية المركزية، وأعني بها السنة البابلية الجديدة لا حاجة لنا إلى التأكيد أن سكان وادي دجلة والفرات كانوا قوماً زراعين، ومن هنا كان مط سنتهم الدينية يتبع تعاقب الفصول الأربعة في سنة الفلاح دروتان هما الربيع عندما يطلع زرع جديد والحريف عندما تُجنى ثمار الأرض. كل من هاتين الدورتين يُعد بداية للسنة، وتعيدنا النصوص الطقسية أن كلا هذين الفصلين كان مناسباً للإحتفال بسنة جديدة فقد كان لإحتفال يجري، ربيعاً وحريفاً، في الوركاء (إيريك) وفي أور، بينما كان في بابل يجري طوال الأيام الأحد عشر الأولى من نيسان Nissan، أي في الربيع وقد أدت الأهمية التي تمتعت بها بابل إلى مراعاة عامة لمهرجان السنة الجديدة في انفس المذكور النصوص الطقسية التي تروي لنا ما كان يجري في الاحتمال لست كاملة، لكنها تشتمل على جانب مهم من الوقائع وقد يطول بنا الكلام لو أردنا تعداد جميع التفصيلات المتعلقة بهذا الطقس الذي كان يؤدي كله أداءً محكماً ولذلك نقصر هنا على وصف أهم وقائع هذا الطقس.

تُبنى ملحمة الخلق مرتين في أثناء المهرجان، وربما كان العرس من أداء سلسلة الوقائع الطقسية أن تكون تمثيلية درامية يعاد فيها، لقصد سحري، تشخيص الملامح الرئيسية التي تجسدها أسطورة الخلق وتضمن هذه الوقائع صراعاً بين الإله مردوك وتيس العماء، تيامات، ينتهي بظفر الأول وعند نقطة معينة من الأسطورة (لا يُشار إليها في ملحمة الخلق، وإنما عرفناها من مصدر أخرى) يذبح الإله ويُقتل، ويُطرح ميتاً في "الحل"، ولعل الرقورة ترمز إليه. ثم يعاد إلى الحياة بطقوس سحرية، اشتمل على جانب منها الشيد الثاني من الملحمة

هاك جانب مهم جداً من الطقس يصطلح فيه الملك بالدور الرئيسي، ويتصل على نحو ما بمعنى الأسطورة عند هذه النقطة. في اليوم الخامس يأتي انكهان بالملك ويحلبه أمام تمثال مردوك ويتركونه وحيداً ثم يدخل عليه كبير انكهة ويجرده من شارات الملك ويضعها عند قدمي الإله ثم يصمعه الكاهن على خده، ويشد له أذنيه، ويُرغمه على الركوع أمام الإله مردوك. عددي يلو

الملك جملةً من الاعتراضات يعلى فيها، راءته من كل فعل قد يلحق الأذى ببابل، فبرّد عليه الكاهن مباركة من الإله ويعدّه بالتوفيق والرخاء ثم يسهض الملك ويتسلم شارات الملك من الكاهن الذي يصمعه ثانية على خدّه صمعة موجهة، والغرض من هذا الفعل العريب استطلاع الفأل إن نجم عن الصمعة دمع كان الإله راضياً، وإن لم ينجم عنها دمع كان مردوك عاصياً، ونزلت بالناس كوارث. واضح أن هذا الجاب من الطقس يتصل بموت الإله وانبعاثه ابرمزيين بحري تمثيلة عند هذه النقطة من مهرحانات السنة الجديدة، وله معنى مزدوج فهو، من ناحية، يعكس العرض الزراعي من الطقس إذ يعزّز بدوسائط السحرية نموّ النبات الربيعي. وهو، من ناحية ثانية، قد يدنا على حصة قديمة كان فيها قتل الملك وتصبب حلف له أصغر سناً وأكثر حيوية حدثاً موسمياً (بعض العلماء يشك في هذا).

أما الملامح المتبعية من الطقس فهو احتفال يُسمّى "تحديد المصائر" (أو تقدير الأقدار)، الذي يعبّ رحاء السنة الجديدة أما الاحتمال ذو الأهمية القصوى فهو الاحتمال بالرواح لمقدس الذي ربما كان بحري هي مُصلّى في أعلى الرقورة في هذا الاحتمال كان الملك يمثل دور إله، بينما تضطلع كاهنة عالية لرنية بدور الإلهة. وكان يُعدّ هذا الحانب من الطقس أساسياً في حصوة الأرض. ثم هناك موكب كان يسير على الطريق المقدس من إساجيلا إلى بيت - أكيثو، خارج لمدينة. وفي هذا "يأخذ الملك يد مردوك" ويفوده إلى الخارج على رأس الموكب، يشعه جمع الآلهة لرائيس والكهنة وعامة الناس وعند نقطة معينة من هذا المهرحان تعري تمثيلية درامية يقلل فيها إله مردوك مع تبن اعمماء، وقد سقت الإشارة إلى ذلك وربما اتحد هذا الاقتتل في آشور شكل الصراع بين الملك وأسد، أو أسود، من أحل نفس العرض. ما قدمناه موجر عن أكر المناسبات الطقسية المتعلقة بالسنة الحديده في بابل وأشور. أما في الدولة الآشورية، حيث احتل الإله المومي، آشور، محل الإله مردوك بوصفه الشخص المركزي في الطقس، مما كان الملك الآشوري يُعد متوَّحاً أصولاً على عرش لبلاد إلا أن يأخذ يد مردوك في بدل في مهرحان السنة الحديده

وهنا يحذر بنا أن نأتي على ذكر أحد العناصر الموسمية الأخرى من الديانة البابلية، وأعني به أطوار القمر كاد التقويم البابلي في الأصل تقويمياً فمرسماً، ومثله في هذا كمثل جمع التقويم الأخرى، على لرعم من أن المواسم الزراعية كانت تعين جراً منه. وكان البابليون يراقبون أطوار القمر بعناية فائقة، وكانت موضوعاً لاستطلاع الفأل. وكان أهم طَوَرَيْن له من وجهة نظر الدينية هما القمر بدرأ (شَبْطُوم)، والقمر محاقاً (بُؤْلُوم). وكان يُعَدُّ الطور الأخير محفوفاً بالحظر بصفه خاصة. فكان الناس في عصوبه يصومون ويصلّون ويؤدون طقوساً أخرى أما القمر الحديد (لهلال) فكسروا يراقبونه، وكان بُدْوَةٌ علامة على بداية الشهر وماسبة لأداء صقس. ولعل "البدور" والأمسيات العبرية القديمة (اشعيا 1: 13 - 14) كانت احتفالات قمرية علامة على انهلال واسر، وربما ترجع إلى أصل مشترك من العادات القديمة التي تنصل بالأعداد القمرية عند البابليين والكنعانيين لكن ليس من المحتمل أبداً أن يكون "للمست العبري" اللاحق، أعني اليوم السابع من الأسبوع، علاقة به "شَبْطُوم" البابلي فقد كانت أيام السابع والرابع عشر والحادي ولعشرين والثامن والعشرين من الشهر كانت أيام بحس في الحصة الاشورية، وكان اليوم التاسع عشر يُسمّى "يوم العصب"، بصوم فيه الناس ويصلون

قل أن نترك موضوع الأعياد الموسمية يحذر بنا أن نشير إلى أنه من المحتمل أن يكون لمختلف المدن تقاويم موسمية خاصة بكل منها. فمثلاً تقويم أعياد مدينة لحاش، الذي يرجع إلى أيام السومريين، معروف جداً فقد كان يُحتفل فيها بالسنة الجديدة بروج الإلهة "ناو" Bau من بَنَجْرُسُو كذلك كان يُقام فيها مهرجانات لحصاد الشعير والمُلب (شعير الماء) وحرّ صوف الغنم وقد كانت مهرجانات حصد الشعير وجرّ الغنم من المناسبات الدينية الخاصة في الديانة العبرية القديمة.

في ختام هذا الجانب من لموضوع يحسن بنا أن نصف طرفاً من الاعتقادات التي لعبت دوراً كبيراً في حياة الناس اليومية فقد كان الاعتقاد بالعاريت لشريعة وقوها شعل البابلي الشاعل المثل أبداً في ذهنه كن كل نوع من مرض أو بلاء يُعزى إلى أفعال حقد قامت بها أرواح شريرة، فكان كهنة الأشيمو يُدعون يومياً

لأداء الطقوس ونلاوة الرُقى والتعاويذ لدفع لأذى أو للشفاء من المرض فقد كان هناك طقوس وتعاويذ للصداق وروح الأضراس والحمى وانعقاد السنان، كما كان هناك رُقى لإسكات الأطفال عن السكاء، وإصلاح ذات لبيت بين الأصدقاء، ووقاية النساء الحوامل، إذ يَكُنْ في أثناء الحمل عرساً لنوبات تأتيهن من عمرينة خسة اسمها "لامشُطُو"، وُجِدت صورتها المرعرة على رقم يعلق في البيت ويشمل على تعويذة تدفع أذاها. ولعن هذا الحانب من الاعتقادات البابلية كان يشغل حيزاً من دهن البابلي العادي وحياته اليومية أكبر من عبدة كبار الآلهة.

ثم كان هناك مراقبة طوالع السمعد والنحس وجمعها وتفسيرها، وكانت تشكل حياً مهماً من الاعتقادات البابلية، وتُجَدُّ لها فعاليات طائفة كبيرة من الكهنة، وكان لها أكبر تأثير في حياة العامة والخاصة على السواء وكانت قراءة الطالع تدخل في دائرة اختصاص كهنة "لارو" الذين تقدم ذكروهم. كان الاعتقاد أن لكل حادث معنى دينياً، من حيث دلالاته على مزاج القوى السماوية، سواء أكان ملائماً أم غير ملائم فقد كانت مراقبة طيران الطير، وعلاقة الأحرار السماوية فيما بينها، وطلوع الشمس أو القمر على نحو مخصوص، وأحشاء الحيوان وأكبادها، والوضعية التي تتخذها السهام إذا تُلقى على الأرض، إلى ما سوى ذلك من الظواهر كانت هذه كلها مادة لقراءة الطالع، طُلِبَ تَدْوَرُّ وتحمط حتى أصبح مع الأيام تشكل مجموعة هائلة من أدب المأل على هدى من كان كهنة "البارو" يفسرون معاني هذه الظواهر. وإن لنجد في مراسلات الملوك الآشوريين أمثلة كثيرة على الطريقة التي كان يلجأ فيها الملوك إلى لكهن لاتحاد القرارات المتعلقة بشؤون الدولة أو قيادة حملة عسكرية. لم يكن الملك ليذهب إلى حرب إلا أن يصحبه نفر من كهنة "ابارو"، وإنا لَنُفَرِّ في هذه المراسلات عن استشارة سحريين لجماعة الرائيين "الارو" قل أن يُسَيَّر حملاته على سوريا وفلسطين هذا وإن مجموعة طواع الكبد تروح إلى الماضي البعيد حتى إلى أيام سرحون الأول. وقد أمدتنا التقييحات الحديثة التي حرت في موقع مدينة "مارى" بمجموعة من نماذج أكباد طسية كانت تستخدم في أغراض العرافة

ننتقل الآن إلى عنصر آخر مهم جداً في دينه بابل وآشور، وأعني به الميثولوجيا (الأساطير) هذا، وإن نصوص قراءة الطالع بما هي همزة وصل بينها وبين الأسطورة نترودا بمادة بالغة القيمة تصاف إلى النصوص الميثولوجية التي وصلت إلينا.

## الأساطير البابلية والآشورية

ما من حضرة أو ديانة قديمة معروفة خلّت من لمثولوجيا، ولأسطورة عنصر مهم في ثقافة الشعوب، وهي ما احتل مكانة مهمة كما احتلته في ديانة بابل وآشور.

عندما نأتي إلى درس لأساطير التي حفظتها لنا البقايا الكثيرة مما خلفه لنا الأدب الديني في بابل وآشور، نجد نوعين من الأساطير. نوع يمكن تسميته بالأساطير الطقسية، وآخر نسميه أساطير الأصول. ليس من اليسير علينا البتة بأي نوع مهما كان الأسبق، ولا تميز أحدهما من الآخر فأسطورة الخلق مثلاً، وهي أشهر أسطورة بابلية، تُستخدم في مهرجان السنة الجديدة بما هي أسطورة طقسية، سيما هي تفسر كيفية ظهور لعالم المنظم إلى حيز الوجود، وبذلك تشترك في خصائص أساطير الأصول. لكن علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، على ما يبدو، يذهب إلى أن حاجة الإنسان الأولية، عندما كان يواجه بيئة عامضة ومعادية غالباً، لم تكن أن تسعى إلى تفسير أصلها، بل تصوير نمط من الفعل مؤثر لكي يضمن لنفسه شروطاً لحياة جيدة. من هنا ينهض احتمال قوي في أن يكون أقدم أنواع الأساطير الأسطورة الطقسية التي تُشكل فيها أسطورة لأصول ذلك الحانب المطوق من الطقس الذي يتمتع بقدرة سحرية خاصة به. لكن الخط الفاصل بين النوعين غائباً ما يصعب رسمه فهناك أساطير معينة، ومثالها ملحمة جلجامش الشهيرة، أطلق عليها البروفسور "دورم" Dhorme اسم "أساطير البطولة"، وهي أساطير من الصعب إدراجها تحت أي من النوعين اللذين تقدم ذكرهما. ولذلك لن نعمد في هذا الفصل على التقسيم عاجل، مع ما في هذا من صعوبة، بل إلى عرض لأهم الأساطير السبلية والآشورية التي بلغها علمنا

لكن قد يكون من الممقد أن نقدم هــ، لأعراض المقارنه، نصيفاً آخر للأساطير، وهو تصنيف البروفسور ثوركلد حاكوبس.

"صرح الأدب المينولوجي، وهو أدب غزير ومتنوع، في الألفية الثالثة أسئلة وأجاب عنها. ويمكن إجمال معظم هذه الأسئلة في ثلاثة: أوبها أساطير الأصول، وهى تسأل عن أصل كسونه أو جملة كينونات فى نطاق العالم آلهة، نباتات، بشر وعادة ما يعصى الحوب فى صيغة الولادة. وفى أحوال نادرة فى صيغة الحق والصنع وثانيه، وتتألف من أساطير الشطيم، وهى تسأل كيف حدث هذا النوع أو ذاك من المعلوم أو كيف ظهرت بعض الأقاليم فى نطاق منظمة؛ كيف ظهرت إلى حير الوحود فذات غريبة من الكائنات البشرية وخُدد لها وصعها. فتحيب هذه الأساطير: "بمشيئة إلهية" وأحيراً أساطير القيمة، وتشكل مجموعة متفرعة عن أساطير الشطيم تسأل هذه الأساطير بأي حق يحتل هذا الشيء أو ذاك موقعه من العالم مثل هذه الأساطير تقارن بين الفلاح والراعي، أو بين الحبوب والصوف. ونحث فى لمرايا النسبية التى بتمير بها الذهب لبلغ الكلفة من السحاس الزهيد التكاليف على منافع الجملة؛ إلح، وابقم التى يتطوي عليها النظام القائم أكدتها المشئة الإلهية وهى ترجع إليها."

وبن البروفسور جاكومسون كان يصنف ما دعونه بالأساطير لطقسه تحت واحد أو آخر من الأصناف المتقدمة الذكر لكنه من الصعب تحبب الاستنتاج بأن بعض الأساطير قد ظهر إلى حيز الوجود بما هو جزء منطوق من الطقس، وبالتالى جزء لا يتجزأ منه. بمعنى أن لكلمات المنطوقة من الطقس تفعل شيئاً بما لها من قوة سحرية من ها يأتي تسويع تسمية هذا السور من الأساطير بالأساطير الطفسية، حتى ولو صفت أساطير أصول من حاب آخر

### أسطورة الخلق:

سبق وتكلمنا عن الصيغة المتأخرة من أسطوره لخلق كم صادفها فى اسيد الذى كان يتلى عند نقطة مهمة من مهرحان لسنة اسالية الجديدة لكن كان وراء هذا التنقيح المتأخر، الذى أجري على الأسطورة، عدد من الروايات

المبائية ترجع إلى عهد أقدم. ففي إحدى الروايات لسومرية القديمة التي تروي قصة الخلق، يتعاون على فعل الخلق كبار آلهة الماشيون السومري لثلاثة، آنوا وإنلن وإنكي. وفي هذه الرواية لا نجد أثراً لصراع كالدي نجده في ملحمة الخلق، بل توصف البعالية الخلاقة التي قام بها الآلهة على أنها امتداد لخلق المدن لحمس التي سبقت الطوفان، ثم يمضي الرواية لكي تصف الطوفان الذي تحده هذ متصلاً اتصالاً مباشراً بفعل الخلق في ملحمة الخلق لا يرد ذكر لطفوان. ثم إن أسطورة الطوفان البابلية، كما سوف نرى، لا صلة لها ببعالية الآلهة الخلاقة، إذ وصلت إلى جزءاً من ملحمة حلحامش.

وفي رواية أخرى يصطلع إله حيلما بدور حلو الأرض. يرصّ حرمة من عداد القصب وبرش عليها اتراب واضح أن هذه الصورة تنسّ لك كيف جعل المنوطون السومريون القدماء من الإقامة في المقرّ المحروثة أمراً ممكناً في السبخ المنتشرة في وادي الرافدين (مدخل هذه الأسطورة أيضاً في سياق طقس مهرحان السنة الجديدة).

وفي نص منقطع نجد الإله إيا والإلهة أرورو يتعاونان على خلق الإنسان من الطين بتعاريم السحر.

يكن النابليين استعاضوا عن جميع هذه الروايات القديمة بالرواية التقيدية المعروفة باسم: أبوما إيليش، وهو الاسم النابلي لملحمة الخلق. وفيما يلي وصف لها

شمل الحرء الأول من القصيدة على وصف ما كان عليه العالم قبل أن تحدث الحوادث التي تحت عن خلق الإله مردوك لنظام عالم جديد. ويصف انزمن الذي لم يكن فيه سماء ولا أرض، بل مجرد عمام مائي مؤلف من مياه أسو، هاوية الماء العذبة، ومن مياه تيامات، مياه البحر للملحة، ومن مياه قُمُو التي ربما كانت - كما يذهب البروفسور جاكوبس - عبارة عن صفة عائمة أو صباب لم يكن ثمة سبخ ولا جزر، ولم يكن آلهة طهروا إلى الوجود هذاء، وربما كان الوصف العبري لعماء الماء الأوّلي الذي كان قبل الخلق مستمداً من

هذا المصدر. ثم يلي ذلك أساب الآلهة. لَحْمُو Lahmu ونَحْمُو Lahamu ولد لهما أنشار وكيشار الذن أنجب آنو Anu أول مولود، وأنو أنجب على صورته ثودمود (إيا)، الذي لم يكن في الآلهة من يضاهيه. لكن هؤلاء الآلهة الصغار كانوا يتصرفون بالصحب والعباد مما كان سباً في ابرعاح أبيهم أنسو وتيامات اللذين عزموا على القضاء عليهم وقد جاء هذا القرار بناءً على نصحه ممو، وكان وزيراً لأنسو لكن إيا يرتاب في خطتهما ويحبطها بقوته السحرية: يقتل أنسو، ويصفد يدي ممو بالأغلال ويعادله لا حول له ولا قوة. ويجعل من أنسو، العميق، حجرته المقدسة حيث ولد أنه مردوك ثم نمصي المصيدة في تعداد ما اتصف به مردوك العظيم، ابن إياو من حميد نصمات وما تمتع به من قوى نلبو بما أعد له من مستقل

عندئذ تصطلم تيامات عضباً من أبنائها فتقوم بهجمة جديدة على آنو ومن يحيط به من صغار الآلهة السماويين. وتمح كنجر روجها الثاني قوى سحرية وتعهد إليه بألواح القدر. وتخلق جيشاً من كائنات مهولة لها هيئة إنسانين والأفاعي، ومجهزة بمحالب مسمومة، ويستند قيادته إلى كنجور وما أن نصل هذه الأحبار مجمع الآلهة حتى يذب الرعب في قلوبهم في يبدى الأمر، يخفق إيا، ومن بعده آنو، في السيطرة على الوضع فيقترح أنشار تعيين مردوك مقاتلاً عن الآلهة وإرساله لمنازلة تيامات وما معها من هولاء يقبل مردوك الاصطلاح بالمهمة مشروطاً أن يكون لأول في الآلهة وأن تكون لكلمته قوة المراسم التي تصدر عن آنو يقبل المجمع شرعه ويمنحه سلطات الملكية ويسلمه شارة الملك، ويعمل أن لكلمته قوة آنو وقد برهن على تمتعه بهذه السلطة أمام مجمع الآلهة عندما أمر عبادة بالاحتفاء والظهور سحرياً عندئذ تسليح مردوك "بسلاح لا يبارى فصنع قوساً وفوق سهماً وأمسك بمدقة الشوك وتسليح بالصاعقة وملاً جسمه لهيباً، وضمر شبكة يقتنص بها تيامات، وأمر الرياح الأربعة أن تسد عليها منافذ الهرب، وأهاح الرياح السبعة أن تتبعه ثم متطى مركبة العاصفة. وعندما التقى اللدودان دعاها مردوك للمدركة، وما كادت تفتح فهاها نهم بابتلاعه حتى هذب فيه الريح

فانفتحت بطنها فأعد فيها سهماً من سهامه ثم انقض عبيها فذبحها ووقف فوق جثتها ثم مضى إلى كُحُو فكبّله وانزع منه ألواح القدر وأوثقها إلى صدره. ثم قطع جثة تيامات قسمين "كما (يقسم) المحار"، وأثبت قسماً إلى الأعلى كان منه السماء التي تمسك مياه المحيط السماوي ثم عيّن لكل من آتوا وإنليل وإيا نصيبه من الأبراح السماوية. يشغل هذا الجرز من الأسطورة الرقم الأربعة الأولى من الرواية البابلية للملحمة

يصف لنا الرقيم الخامس كيف مضى مردوك، بعد انتصاره على قوى العماء، يقم نظم العالم ويرتب القويم، ولا سيما أطوار القمر بكر لسوء الحظ، ثم يق من هذا الرقيم بحالة سليمة تمكّنا من قراءته غير اثنين وعشرين سطراً، مما لا يسمح لنا أن نتّسن ما الذي أدى إلى خلق الإنسان الذي جاء وصفه في المصف الأول من الرقيم السادس

وبما سجد في هذه الرواية بعضاً من الملامح الرائعة والمهمة التي تستوقف أولاً، الغرض من خلق الإنسان تحرير الآلهة من القيد بالمهام الحقةرة يقول مردوك في مجمع الآلهة "إنساناً سوف أخلق - يقوم بخدمة الآلهة حتى يعموا بالراحة". ثانياً، لكي يتسنى للآلهة أن يتحرروا اقتضى ذلك إيجاد "البدل"، لاند من الموت لكي تأتي حياة جديدة إلى الوحود. وإننا لحدد البدل في شخص كنجو الأثم الذي حكم عليه مجمع الآلهة بتهمة العصيان بدء على تحريض من تيامات وقد ترتب على هذا الحكم قتل كنجو الذي خلق الإنسان من دمه بمهارة سحرية أأها الإله إين، وفرضت عليه خدمة الآلهة.

ثم ورع مردوك، بما هو كبير الآلهة، أنوناكي اسماء والأرض فريعين تحت إمرة آتو ثلاثمائة لحراسة السماء، وثلاثمائة لحراسة الأرض. يلي ذلك رواية بناء معبد مردوك، إساجيل، من قبل الأنوناكي عرفاء منهم بما أسداه إليهم مردوك من نعمة الخلاص، ووصف للمأدنة الفخمة التي أقيمت بمناسة الفراغ من بناء المعبد. اشتمل القسم الأخير من الرقيم السادس وجميع الرقيم السابع على إعلان آتو لأسماء مردوك لحمسين أمام مجمع الآلهة

ولا بد لنا أن ننبّه أن الأسطورة في صيغتها الآشورية، يحلّ فيها الإله آشور محل الإله مردوك بطلاً للقصة

والنص الميثولوجي العظيم الذي يحدر بها وصفه هو الملحمة لمعروفة باسم "ملحمة حلحامش". فقد كن لهذه الملحمة أيضاً، وثأنها في هذا كشأن ملحمة "إينوما إيليش"، تدرّج أدبي طويل. وربما ترجع صيغتها الأكادية، التي تستند إلى مصادر سومرية، إلى بداية الألفية الثانية قبل الميلاد. تألّف القصيدة من اثني عشر رقياً، بعضها متكسر، وأسلمها الرقيم الحادي عشر الذي تصمّن الرواية البابلية الشهيرة لأسطورة الطوفان. وقد ألفت الدراسات الحديثة على الأسطورة صوّاً كثماً جديداً؛ أخص بالذكر منها دراسات البروفسور كريمر، والسيد ك ح غدد من المتحف البريطاني. وقد نشرت ثمرة دراسة كريمر في مجلد بعنوان "الميثولوجيا السومرية" ونجد أحدث ترجمة للأسطورة في مجموعة "نصوص الشرق الأدنى"، وهي موسوعة من تحرير J.B Pritchard، صدرت طبعها الأولى عن جامعة برنسب عام 1950

تُعى القصيدة، وهي ملحمة بطولية، بمآثر حلحامش وهو ملك أسطوري حكم مدينة الوركاء (إربيل)، ويرد اسمه في قائمة ملوك سومر بين ملوك الأسرة الثانية بعد الطوفان، بوصفه حليفة دُموري (نمور)، صائد الأسماك سروي الأسطورة أن حلحامش ثلثه إله وثثه إنسان، وقد صحتّه الآلهة ما تمنح إنساناً أعلى (سوبرمان) من صحامة وقوة. تبدأ القصة بوصف شكاة أهل الوركاء إلى الآلهة من غصرة حلحامش وطغيانه فيستجيب الآلهة لشكواهم ويوعروا إلى الإلهة التي خلقت حلحامش فتخلق إنساناً متوحشاً اسمه انكيدو ويصاهي حلحامش صحامة وقوة، يقتات بالوحشائش، ويصحب الوحوش. ولما علم حلحامش ببأ انكيدو، وعلم أنه يمسع لصيادين من اللحاق بطرائدهم، طلب من إحدى بقايا المعبّد أن توقعه في شركها، وهو الذي ما ذاق قط طعم امرأة فانبطقت إلى العابة وقعدت به بالقرب من أحد مناهل المياه وراحت تُبدي عن مفاتنها عندما جاء يشرب في صحّة الوحوش. أخذ انكيدو سحرها وبال مها مشهاه ومكث في صحبتها سعة أيام. ولما أراد العودة إلى صحته من الحيوانات

هربت الحيوانات منه عندئذ بينت له التي أعوته أنه قد تعير وقالت له "أنت حكيم، يا أنكيديو، لقد أصبحت مثل إله". ثم يعد صديقاً للغزلاء ثم حكيت له عن قوة جلجامش وعن عظمته وطمعته تستعزه لعله يدارل جدجامش

عند هذه النقطة يأتي إلى خاتمة الرقيم، أما الرقيم الثاني فيصف دخول أنكيديو على ابوركا (إيريك) وصراعه الهائل مع حلامش الذي ينتهي بالصالح ثم يتعاهدان على الصداقة. أما الرقيم الثالثة اتالية فتحكي لنا أول معامرة قام بها الصديقان معاً؛ انعقد عزم جلجامش على اقتحام عتبة الأرز ومهاجمة حارسها الرهيب، العملاق الذي ينث ناراً، لهوله حواوا (هي الرواة الأشورية إسمه هُمنبابا) يحاول إنكيديو أن ينهي صديقه عن غرمه بلا طائل على لرغم من وجود فحوات كثيرة في مختلف المصادر، إلا أن ما بقي من النص يكفي لكي نفهم بجلاء أن المغامرة كانت موفقة إذ انتهت بقتل حواوا بفصل مؤازرة الإله شمس والإلهة نِسُون، أم جلجامش

أما الرقيم السادس حتى الثامن فتحكي لنا الحوات التي مرت بأنكيديو وأدت إلى وفاته. في لبداية نعد حكاية تروي لنا دعوة عشتار لجلجامش لكي يكون عشيقاً لها، فيردري البطل بوابدها راية شديدة، ويدكرها بما انتهى إليه جميع عشقها اساميين من يؤس المصير. تصطرم عشتار عصاً وتطلب من أبو أن يخلق ثور لسماء لكي يقصي على جلجامش، وتهدهه إن لم يستجب لها بخدع أسواب العالم لأسفل وطلاق جميع الموتى على الأرض. بعد أن يُخلق الثور نعم الفوضى أقطار الأرض، فسارع جلجامش وأنكيديو إلى القضاء عليه لكن هذا الهرة يعوى السماء كان من الأمور التي لا تسكت عنها الإلهة. لذلك يطلب إنليل من مجمع الإلهة أن ينزل الموت بأنكيديو عفاً له على غطرسته ثم يموت إنكيديو وفي نهاية الرقيم السادس وصف لحلامش وهو يندب صديقه ويجدر سا أن نلاحظ هنا أن السطر الثالث والثلاثين حتى التاسع والثلاثين من الرقيم السابع يحتوي على الوصف المعروف عن أحوال الموتى في العالم لأسفل السابلي - "قادي (لحديث لأنكيديو) إلى بيت الظلمة حيث تقيم إركلا، إلى البيت انذي لا يخرج منه من يدخل فيه، على الطريق الذي لا رجعة منه، إلى البيت

الذي يُحرّم ساكنوه النور، حيث أُجْزِهُم العبر وطعامُهُم الطين، كسوئُهم ريش الطير، وثيابهم أجنحتها لا برون النور بل هم في ظلام دامس

لقد كن موب إنكيدوا باعثاً لجلجامش على البحث عن وسيلة يتصادى بها المصير الذي حلّ بصديقه ويتخبّط حكم الموت الرهيب. في لمأثور القديم أن القاني الوحيد لذي منحه الآلهة هبة الخلود هو أنابشتيم الذي يحا وحده من الطوفان لذلك عزم جلجامش على البحث عن أنابشتيم لعله تتعلم منه سر الخلود وتحكي لنا الرُّقْم التاسع حتى الحادي عشر عن المغامرات التي خاصها جلجامش في رحلته المحفوفة بالمهالك بحثاً عن أنابشتيم يصل أولاً إلى حبال ماشو" لتي يقف على حراستها الرجل العنقر وزوجته، وهو المكان الذي ما تحاوزه فان فقط يسمح له الحرس بالمرور. ويسلك "طريق الشمس" وبعد اثني عشر فرسخاً من الظلمة، يصل إلى فردوس أرضي لا نعرف أوصافه لانقصاف آخر سطور الرقيم في بداية العاشر نجد جلجامش يتحدّث مع "سيدوري"، بائعة الخمر، التي تدو شكلاً من عشار تحاول أن تنيه عن عزمه على مواصلة المرحلة التالية من سفره، وهي اختيار مياه الموت. قلت له أن مسعاه لا طائل وراه "لأن الحياة التي نشدها أنت غير ملاقيها فالآلهة عندما خلقت الإنسان أدّحرت به الموت، أم الحياة فقد احتفظت بها لنفسها"، عبر أنها، إذ رأت أنه لن يرجع عن عزمه، نصحته أن يشاور أورشليمي، ملاح أنابشتيم، الذي قد يستطيع مساعدته على عبور مياه الموت

يقصد جلجامش إلى أورشليمي الذي طلب منه أن يدخل العانة ويقطع مسها عشرين ومائة عمود، ثم يركن قارباً ويبلغان مياه الموت بعد انقضاء شهر ونصف يطلب أورشليمي من جلجامش أن يسوق القارب بالأعمدة وأن يرميها واحداً بعد آخر دون أن يدع يديه تلمسان مياه الموت. أخيراً يصل جلجامش إلى "مصّب الأنهار"، وهو المكان الذي حصصته الآلهة لأنابشتيم وروحته مقاماً أبدياً لهما، فيعرض على سلفه ما حاء من أحله ويسأله كيف نال هبة الخلود في الجواب، يروي له أنابشتيم قصة الطوفان ويحذر بنا أن نلاحظ هنا أن الرواية الآشورية التي أصبحت هي الصيغة المقياس للأسطورة تخلف في كثير من

التفصيل عما عرفه عن الرواية السومرية القديمة التي تتصل بأسطورة الخلق. يُلع أناسشتيم جلجامش أنه عندما كان يقيم في مدينة شوريباك القديمة قررت الآلهة أن تقضي على البشرية بواسطة الطوفان. كان يفترض أن تبقى خطة ذلك طي الكتمان، إلا أن الإله عبا، بما هو صديق للإنسان، قد ساع بسر الآلهة إذ ردّد كلامهم على كوخ القصب الذي أوصله إلى مسامع أنابشتيم. عمل هذا تعليمات يا فصنع فلماً له هيئة وأبعاد غريبة، فقد كان يبدو للماطر على هيئة مكعب تام الأضلاع، كان به ستة أظهُر وقُسّم أسفله إلى تسعة أقسام لكن هذه المقاييس ربما كان لها علاقة باستيعاب السمينة يذهب بعض العلماء إلى أنها من حيث الشكل تشبه "قُفّة" Kuffah ضخمة، أو قارباً دائرياً كالذي حرت إعادة على استخدامه في النقل في نهر الفرات منذ أقدم العصور. نقل أناسشتيم إلى الملك مناعه وعائلته وجميع أنواع الماشية والوحوش ثم رست السمينة على حصير بصير، وبعد انتظار دام سبعة أيام أطلق أناسشتيم على التعاقب حمامة وحقافاً وغراباً. ولما لم يعد العراب فتح باب انفلك وأطلق منه جميع ما كان يحمله معه من الكائنات الحية. ثم نحر ديبحة قرباناً للآلهة. ويقال أن الآلهة ما كادت تشم رائحة الدبايح حتى تجمعت حولها كالدياب

بلي ذلك وصف لمشهد في مجمع لآلهة حيث راحت عشتار تكي رعبها وتنحي باللائمة على إنليل الذي سبّب الطوفان، وأقسمت بعقد اللأزورد أنها لن ننسى أيام الطوفان، ويتهم إيا بإفشاء سر الآلهة. ويروح إيا يُهدىء من نائزته، فيعلن إنليل أن أناسشتيم وروجنه سوف يصحان كالآلهة ويعيشان عند مصب الأنهار إلى الأبد. هذا تنهي حكاية أنابشتيم عن الطوفان، ثم يمضي لكي يلع جلجامش أن طلبه ميؤوس منه، ويبيّن له أنه أعجز عن أن يقاوم النوم، فما باله بالموت؟ وظروف التي مُنح فيها أناسشتيم هبة العلود صرف استثنائية لا تتكرر لكن أناسشتيم أراد أن يعوّض جلجامش عن خيبته فذلك على حشيشة سحرية تبت في قاع البحر، فيه قوة بعيد الشباب إلى الشيوخ

يرل جلجامش إلى القاع ثم يصعد إلى السطح وفي يده لعشبة، ويُقل عائداً إلى الوراء "إيريك"، وكله عزم على استخدام ما في العشبة من حصائص

سحرية لغائده وفائده شعبه. وإنه لمي بعض طريق العودة إذ يصادف ينوع ماء عذب تتوقف عنده ليعتسل. وإنه كذلك إذ نشق له من النور ثعبان يختطف العنسية، وفيما كان الثعبان يتوارى عن نظره ينسلخ عنه جلده وينحصد، ويروح جلعامش يندب سوء حظه. هنا ينتهي الرقيم لحادي عشر.

أما الرقيم الثاني عشر فلا يشكل جزءاً من الملحمة تحديداً، على الرغم من أنه يرجع إلى اسلسلة السومرية الماثورة عن البطش. وقد بين السيد عد Gadd أنه عبارة عن ترجمه مباشرة عن لأصل السومري، ويتناول ثنين من الأشياء السحرية: الفُكو pukku والمُكو M kku، ولعنه الطبل وعصاه اللدان كانت إينانا أعطتهما جلعامش ثم سقطا في الأسفل

بندب جلعامش سوء حظه فيندي له إنكيدو اسعداده للنزول إلى العالم الأسفل لكي يسترجعهما. فيحدره جلعامش ألا يقرب بعض المحرمات إن كان لمهمته أن تُكَلَّل بالحاج، وهي - على ما يبدو - ترجع إلى طقس مأتمني قديم لكن إنكيدو يفعل مراعاة هذه المحرمات فلا يستطيع العودة من العالم الأسفل يحاول أن يحمل إبل وسر على التوسط من أنكيدو لدى آلهة العالم الأسفل، لكن عبثاً. لكنه يوفق أخيراً في حمل إيا على الوساطة لدى رجال الذي يفتح كوة في الأرض تملأ منها روح أنكيدو مثل نفعه ربح سبي أنكيدو صديقه جلعامش بحال الموني في العالم لأسفل. وهنا ينقصف الرقيم. وإن الصلة بين قصص الطوفان العبرية والأسطورة التي اشتملت عليها ملحمة جلعامش قد لوحظت منذ زمن بعيد، ولا ينكر اليوم إلا قليلون أن الصيغ العبرية من قصه - إذ يوجد منها اثنتان على الأقل - لاند وأن تكون مدينته لمصدر قديم سومري أو بابلي

هناك أسطوره بابلية وآشورية أخرى، موضوعها الرئيسي صياح الحلود أيضاً، وهي المسماة "أسطورة أدابا"، وكانت معروفة على نطاق واسع. أقدم صيغة لها وُجدت في رُقْم تل العمارية في مصر، ويُعتقد أن الكتاب المصريين عتمدوها نصاً يتعلمون به الكتابه لمسماريه

تروي لأسطورة أن الإله بيا خلق أدا، الذي يذهب إلى Ebeling إلى أن اسمه صيغة أخرى من سم "آدم"، لكي يكون نموذجاً للإنسان، ولذلك ربما كان هو الإنسان الأول. كان أدا من كهان لموت الذين حكموا مدينته إريدو، أقدم المدائن لسومرية. داب يوم يسما كان بصطاد السمك في حليح البصرة إذ هت عليه ربح حويية قلبت قاربه، فما كان منه إلا أن كسر لها جحاً فتوقفت عن ليهوب سعة أيام. فلما تساءل أبو عن أسباب يوقف الريح أخبروه بما فعل أدا فأمره بالمشور من يديه عندئذ علمه أنه (إب) كيف يحسن التصرف؛ فقد كان عليه أن يرتدي ثياب الحداد ولما وصل إلى بوابة السماء وجد عدها إلهيس بحرساهما هما تموز وسحرزيدا، فذكر لهما أن حده قد كان بسبب عيبيهما عن الأرض، وبذلك كسب عظمهما وحطى بقبولهما. كذلك علمه أنه (إب) إذا مثل من يدي الآلهة لا يتناول شيئاً من حز الموت وماء الموت الذي يقدمونه له، وأن يرتدي فاخر لثياب ويذهن بالرب الذي يقدم به.

بعد أدا تعليمات أبيه (إيا) حدافيرها ويتقله تمور ونحزيدا كما رأيا، يقول حسن. ولما سأله أنو عما حملة على كسر جناح ربح الجنوب شرح له الأسباب، فسرى عنه وأمر أن يؤتى بحبز لحياه وماء الحياة، لكن أدا لم ساولهم مثلاً لتعليمات أبيه وعندئذ ضحك منه أنو وأناه بأنه إنما رقص هبه اخنود وسدئذ صدر المرض ولموت من نصيب الكائن الشرى وعلى هذا فن دلنا الأسطورتين القديمتين تناول المسألة التي تقلق بال الإنسان: لماذا يموت الناس؟ لكن حاف الأسطورتين شعوراً بأن الإنسان قد حُرِمَ نعمة الحياة الأبدية بفعل حيلة أو عيرة من جانب الآلهة، وفي هذا المثال من حاب الإله إيا

وصل إلنا كثر من الأساطير الأخرى ومن شطايا أساطير من الأزمنة السومرية مروباً عن البابليين والآشوريين، وبعضها مترجماً حتى عن الحثيين. أس هنا محال ذكرها جميعاً بعضها يتناول مسألة الملكية وأصلها ومن هذه انسد هما أهمهما على الإطلاق أسطورتا إيتانا وزو حاء ذكر إيتانا في قائمة اسلوك السومريين بين ملوك الأسرة الأولى بعد الطوفان تسبب الأسطورة كيف لب الملكية من السماء، وكيف نصب الآلهة عيتانا أول ملك على البلاد، لكنه

لما لم يكن له ولد يحلّفه على العرش يصعد إلى السماء لكي يأتي معه نشة الولادة فتوصل إلى هذا الغرض بالنسر الذي سبق له أن أنقذه من وضع يائس، فحمّنه على ظهره حتى بلغ إلى سماء آنو حيث يُعتقد أنه قد حصل على ما كان ينتهيه؛ يستفاد ذلك من قائمة الميوك التي سُمّي ابنه حليفة لأبيه على العرش تصف لنا الأسطورة وصفاً رائعاً كيف تقلّصت الأرض حتى بدت أخصوداً في بستان حين كان إيتان ولسر يقطعان أجواز الفضاء فرسخاً بعد فرسخ ثمه حتم بابلي شهير يصف بداية تحقيق إيتانا (انظر فركمورت، الاختتام الأسطواني)

أما أسطورة زو Zū، الإله لطير، فتناول جانباً آخر من موضوع الملكية نفسه، لكن هذه المرة الملكية في السماء تتوقف على امتلاك ألواح الأقدار، التي سبق أن تعرّفنا إلى مغزاها في معرض حديثنا عن ملحمة جلجامش في هذه الأسطورة أن الإله ابطير زو يسرق شارات الملك، أو ألواح الأقدار، فيتأب آلهة السماء لذلك دعر شديد فبأمر آنو الإله خدد أن يتصدى لبطير ميشق على نفسه من المجازفة، وكذلك يفعل ثان لكس ثالثاً، اسمه غير واضح لإنقصاف النصوص، يحالعه التوفيق على ما يظهر فيأتي بالطير إلى المحكمة ويسترد منه الأنواح لكن شطية سومرية قديمة تشعرنا بأن لوجال بندا هو الذي فعل ذلك، يسما تسب ترنيمه بابلية من عهد آشور بانيبال إلى مردوك شرف تحطيم رأس "زو" يظهر الموضوع في عدد الاختتام البابلية

يتناول عدد من الأساطير موضوع العالم الأسفل وعلاقات حكامه مع آلهة السماء فهناك أسطورة برجال وأرشكيجال التي تحكي لنا كيف أصبح نرجال حاكماً على العالم الأسفل وهناك "رؤبا العالم الأسفل" الرائعة التي عرّفناها في ترجمة "فون سودن" الممتازة، ونقلت إلى الإنكليزية وتصمها كتب "نصوص الشرق الأدنى لقديم". لكن أطول الأساطير وأقدمهن أسطورة "برول عشتار إلى العالم الأسفل" التي سُيّت صيغتها الأكادية على الأسطورة لسومرية، "برول إيتانا إلى العالم الأسفل"، وتختلف عن هذه الأخيرة في بعض التفاصيل في هذه الصيغة بحد الرواية المعروفة عن نرع الحلي والربيه والنشاب عن عشتار على العاقب كلما طرقت واحد من الأبواب السبعة في العالم الأسفل. وكيف سدب

عليها أرشكيحان مافد الرحمة، وكيف غاب عن الأرض خصبها وقدرتها على إنتاج الثمار والعلال في أثناء غيبتها في اعالم الأسفل. كان في السماء حزن وألم، فيخلق الإله إيا حصناً ويرسله إلى اعالم لأسفل لكي يحال على أرشكيحال لعلها تفك إسر عشتار تطلي الحسة على أرشكيحجان التي تطلق سراح عشتار وتعود هذه إلى العالم الأعلى. ينتهي النص بمقصد يرحب فيه تمور بعشتار حين عودتها يمضي المقطع كما يلي: "يوم يرحب بي نمور، ويرحب بي معه ندي اللازورد وخاتم العقيق، ويرحب بي معه الرجال الذين يركوب والنساء اللاتي يعولن، فيقيم الموتى ويستشقون البخور"

الصيغة السومرية خالية من الإشارة إلى موت تمور ونزوله إلى اعالم الأسفل، هذا الموت الذي يتمثل في محتلف الليتورجيات لثمورية دافع لعشتار على نزولها إلى اعالم الأسفل. ولذلك كانت الإشارة هنا مفاجئة ويصعب تفسيرها

نحتم هذا الفصل بترجمه لأسطورة "الدودة والس" فهي خير مثال على العلاقة الوثيقة بين الأسطورة والطقس، وبجدها في تعويذة ترحع إلى لحفبة لببيلة القديمة:

بعد أن حلو آتو السماء،

خلقت السماء الأرض،

وخلقت الأرض الأفتية،

وخلقت الأفتة المستفغ،

وخلق المستفغ الدودة

ذهت الدودة تبكي أمام شمس،

دموعها اتهمرب أمام إيا:

ما الذي سوف تُعطية طعاماً؟

ما الذي سوف تُعصبية لكي أمتصه؟

سوف أعطيكَ التين لضيح،

والمشمش"

"ما الذي يفيدني من التين، الصبح

والمشمش"

ارفعني إلى الأعلى وبين الأسنان

واللثة احلّني أقيم

دم السن امتص

واللثة أفرص حذورها!

ثبت الدبوس وأمسك القدم (هذه تعلّمت إلى طبيب الأسنان وهو في

العادة كاهن)

"لأنك قلت هذا أينها الدودة

فليضربك إيا بقوة يده

(يعف هذا وصف لطريقة العلاج، وأمر بتلاوة التعويذة ثلاث مرات.

وأخيراً هالك ملاحظة تفيد أن الص قد استبح عن رقيم قديم، واسم الكاتب<sup>(\*)</sup>.

**S.H. Hook**

---

(\*) تمت ترجمة هذا البحث عن كتاب:

S. H. Hook, Babylonian and Assyrian Religion, Hutchisin, London, 1953

## ببليوگرافيا

Frank, Karl, Bilder und Symbole babylonisch – assyrischer Gotter, Lss 1112, Leiqzig, 1906

Frankfort, Henri, Before philosophy, Pelican books, 1949.

Van buren, E Douglas, The Symbols of the Gods in Mesopotamian Art (AnOr 23, Rome, 1945).

Babylonian Records in the library of J. Pierpont Morgan, New Haven, 1912 - 23.

Cunform Text from Babylonia Tablets, etc, in the British Museum, London, 1896

Frankfort, Henri, Cylinder Seals, A Documentary Essay on the Art and Religion of the Ancient Near East, London, 1939.

Rawlinson, H. C, The Cuneiform Inscriptions of Western Asia, ed. T G Pinches, London, 1891

Schroeder. O, Keilschrifttexte aus Assur verschiedenen Inhalts, Leipzig, 1920 S

Barton, G. A, Miscellaneous Babylonian Inscriptions, New Haven, 1918

Pallis, S. A, The Babylonian Akita Festival, Vopenhagen, 1926

Ebeling, e, Tod und leben nanch den Vorstellungen der Babylonianier, Berlin, 1931.

King, L. W, The seven Tablets of Creation, London, 1902.

Heidel, Alexander, the Babylonian Genesis. Chicago, 1951.

Thompson, R. Campbell, the Epic of Gelgamesh, Oxford, 1930.

Pritchard, J. B, Ancient Near Eastern Text, Prinston 1950.



# الباب الرابع

## ديانات العرب قبل الإسلام



## العرب قبل الإسلام

### فراس السواح

تشكو دراسة ديانة العرب قبل الإسلام من نقص الوثائق الكتابية والعينية وعمومها، أو ابعادها تماماً. لقد تركت لنا الجماعات العربية التي استوطنت المناطق الجنوبية لبلاد الشام ولأطراف العليا لشبه الجزيرة العربية، بعض الوثائق القليلة والمبعثرة التي لا تعيننا على رسم صورة واضحة للحياة الدينية، وكذلك الأمر فيما يتعلق بعرب جنوب شبه الجزيرة العربية. أما عرب الشمال فلم يتركوا لنا شيئاً، أو أن كل الشواهد على حياتهم الدينية قد تم تدميرها في وقت مبكر على يد المسلمين الأوائل. من هنا، فإن أي دراسة لدين العرب لن تخرج إلا بصورة غائمة ومشوشة وملينة بالمجوات، كما هو حال دراستنا هذه.

سوف نبدأ أولاً بنقصي الملامح الدينية العامة للجماعات العربية التي بدأت منذ أواسط الألف الأول قبل الميلاد تستوطن في المناطق الجنوبية لبلاد الشام، وهم التدمريون، والأساط، والصفويون، إضافة إلى القبائل التي كانت تعيش في الأطراف العليا لشبه الجزيرة العربية، وهم لحين وثمود، ثم ننتقل إلى عرب الشمال، ونهي دراستنا بعرب الجنوب

### التدمريون

يُعد موقع تدمر واحداً من أقدم المواقع الأثرية في سورية، فلقد تم استيطانه من قبل إنسان العصر الباليوليتي (الحجري القديم)، ثم من قبل إنسان العصر الباليوليتي (الحجري الحديث) الذي ترك لنا بقايا مساكن وأدوات تعود إلى الألف السابع قبل الميلاد. ويبدو أن الموقع قد استمر مسكناً بعد ذلك على ما يدل عليه بعض النصوص الآشورية القديمة من حوالي 2000 ق. م، ونصوص من

مدينة ماري حوالي 1800 ق م، ونصوص من مدينة يمار حوالي القرن الثالث عشر، ونصوص آشورية حديثة حوالي 1100 ق م. إلا أن الموقع لم يتحول إلى مدينة ذات أهمية إلا خلال النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد عندما استقرت فيه قبيلة عربية أسست إمارة مهمة تحكمت بطرق التجارة وراكت الثروات التي أفقنتها على تحصين وعمير تدمر التي صارت مدينة مهمة في القرن الأول قبل الميلاد، ثم دخلت تحت النفوذ الروماني بعد فتح بومبي لسورية خلال عامي 63/64 ق. م. ازدهرت تدمر في العصر الروماني، وقويت شوكتها عسكرياً وقصدياً حتى أنها دزعت روما فعزدها في الشرق خلال فترة حكم كل أدبية في أواسط القرن الثالث الميلادي

لقد انعكس موقع تدمر التجاري في منطقة الوسط بين الأنضول في الشمال وجزيرة لعرب في الجنوب، وبين سورية في الشرق وملاد الرافدين في الغرب، على ديانة التدمريين التي حملت طبعاً توفيقياً، فقد حفل البانيون التدمري باللهة سوريين ورافدييين وعرب وعلى الرغم من أن الآلهة العربية كانت هي الأقدم إلا أنها أفحست فيما بعد مكان الصدارة لآلهة رافدينية وسورية

ترجع على قمة مجمع الآلهة اندمجه الإله "بل"، وهو إله من أصل كنعاني - آموري حملته معها الشرائع الأمورية التي هاجرت من بلاد الشام إلى وادي الرافدين وأمسست المملكة البابلية القديمة في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد وربما كان الاسم "بل" منحوتاً أصلاً من اسم الإله الكنعاني "بعل" إله المطر والعصفه وقد تواحد الإله بل بعد ذلك في بابل مع الإله المحلي مردوخ تحت اسم مردوخ - بل، وهو كبير الآلهة لبابلية في الألف الأول قبل لميلاد. تمثله المحنرات التدمرية وهو يرتدي ثوباً قصيراً فوقه درع مضفور. ويتمنطق بسيف، ويستند بيده اليمنى إلى رمح أو صلحاحان. وقد يظهر مع زوجته المدعوة "بيلتي"، وهي شخصية باهتة في الباشون التدمري، أو مع الإلهة أثيرة (استارت أو عشترت) المعروفة لنا في لنصوص الأوغارية والفنيقية، والتي لا تلعب لها دوراً مهماً

وعلى الرغم من ظهور بل مع هاتين الإلهتين إلا أنهما لا تشكلان معه ثالثاً إلهياً. أما الثالث إلهي الأهم في تدمير فهو الذي يشكله بل مع إلهين آخرين هم "يرحبول" و"عجلبول" وقد بلغ من أهمية هذين الإلهين أن معبد بل الكبير في تدمير قد كرس لهؤلاء الآلهة اثلاثة عندما جرى توسعته والإضافة إليه عام 32 لميلاد. يذكر بل في النصوص التدمرية في معظم الأحيان مع شريكه هدين، وغالباً ما يظهران إلى جانبه في المنحوتات

يمثل يرحبول الشمس على الرغم من أن الشطر الأول من اسمه يدل على القمر "يرح" في اللغات السامية العربية، وهو اسم إله القمر في الميثولوجيا الأوغاريتية أما عجلبول فيمثل لقمر، والشطر الأول من اسمه "عجل" يدل على الثور الصغير الذي غالباً ما كان الحيوان المقدس لدى إله لقمر، ربما بسبب القرنين الصعيرين اللذين يشبهان الهلال. يمثل هذان الإلهان أيضاً بالزري العسكري، ولكن عجلبول يتميز بهلال يظهر قرناه على جانبي العنق، وقد ينقش الهلال على حيينه. يقترب عجلبول مع إله آخر يدعى ملكول الذي يحل أحياناً محل يرحبول في ثالث بلو وهو يرتدي أحياناً الري العسكري، إلا أنه يمثل غالباً وهو يرتدي سراويل وقمصاناً. وهو راعي الحقول والقطعان، على الرغم من أن الصفات لشمسية تظني في شخصيته أحياناً. وإذا ظهر في استقلال عن عجلبول براه يفود عربة تجرها أربعة عريفونات، وهي كادت هجينة مؤلفة من رأس وحياتي صقر وجسد أمد، وقد يتوب منابها الفهد. هذه العربة ترمز إلى وظيفة هذا الإله كملاك رسول للإله بل على ما يدل عليه لاشطر الأول من اسمه، ذلك إن لاشطر "بول" الذي يظهر في أسماء هذه الآلهة الثلاثة. هو على العال الشكّل الأقدم للاسم "بل" الرافدين، وصيغته التدمرية الأصعب. وعليه فإن يرحبول يعني شمس الإله بل، وعجلبول يعني قمر الإله بل، وملكول يعني ملاك الإله بل

من الآلهة الرافدينية التي احتلت مكانة بارزة في اسثيون التدمري، الإله نبو، وهو إله الوحي وكتابة والصون والاسن البكر لمدوخ - بل ووظائفه في تدمير توري وطاقته في بابل. وتمثله الأعمال الفنية في زى شرقي تدمري حاملاً قنطرة.

ومن الآلهة السورية التي اسعارتها تدمر الإله بعل شمين، الذي يعني اسمه سيد السماوات، وهو إله معروف لك حيداً من فينيقيا. وهو في تدمر مثله في أوغاريت وفيقييا، إلهاً للعاصمة والمطر، ويوصف بأنه سيد العالم، وأيضاً بالطيب والكبير والمثيب والرحيم. من رموزه حرمة السابل رمزاً للحصب، والرق والمصاعقة رمزاً للمطر. ومن الآلهة السورية الأخرى عبد التدمريون أيضاً بل حمون (أو بعل حمون) الذي كان رئيساً لمجمع الآلهة في قرطاجة. والوثائق قليلة جداً بشأنه في تدمر، ويدو أنه كان زوجاً للإلهة العربية ماة لأن التدمريين كرسوا لهذين الإلهين معبداً خاصاً

كانت اللات على رأس قائمة الآلهة العربية التي عبدت في تدمر. يمثلها عمل نحتي عثر عليه في معبدها على هيئة امرأة محاربة، وأمامها أسد ضخم يُعد من روائع الأعمال الفنية التدمرية من رمورها سعة التحيل والحجم المثنى. ولا أدل على شعبيتها من شيوع أسماء العلم المركبة التي تحوي على اسم للات في شطرها الثاني، وذلك مثل تيم اللات وعبد اللات ووهب اللات. وقد قرن التدمريون اللات بالآلهة اليونانية أثس، والأسماء التي احتوت في شطرها الثاني على اسم اللات كانت تترجم إلى اليونانية باستبدال اللات بأثينا، فكان ابن زويبا وهب للات، مثلاً، يترجم إلى أثينو دور

ومن الآلهة العربية لدينا أيضاً الإلهان أرسو وعريرو اللذان يمثلان نجمة الصباح ونجمة المساء. تمثلهما المنحوتات وقد اعتلى أرسو جمللاً ولثاني حصاناً، ويبد كل منهما رمح مشرع. وبدنيا أيضاً ماة وزوجها بعل حمون، وشيع القوم وهو إله معروف لدينا حيداً من الوثائق النبطية، فهو حامي القوافل الصاحي الذي لا يشرب الخمر ومن الآلهة اسطية التي عادت في تدمر هنالك أترغاتيس (أترعتا)، وهي الإلهة التي شاعت عبادتها في جميع أنحاء سورية خلال الفترة الهلنستية والرومانية. حتى أنها لقت دلالة السورة (ديا سيرب) كما وردت في النقوش أسماء آلهة عربية ثانوية مثل رحم ومنعم وسلسان وأبجل وسعد وأسعد وشر وأسلم كما ورد ذكر إيريس المصرية وأناهت الفارسية

وأخيراً هنالك إله لا يذكر اسمه بل أشارت إليه النقوش بأنه "الذي سورك اسمه إلى الأبد"، ووصف بأنه الإله الواحد. هذا الإله المجهول علبت شعبيته في تدمير على شعبية الآلهة الأخرى خلال الفترة الأخيرة من حياة تدمر، على الرغم من عدم العثور على معبد مخصص له وربما كان هو الله الذي شاعت عبادة لدى الصوريين وشموديين والحبيبين، ولدى عرب الشمال.

## الأنباط

ستقر الأنباط القادمون من شبه الجزيرة العربية في المناطق القديمة لمملكة أدوم، التي امتدت فيما بين البحر الميت وخليج العقبة، وتبدأ أحبارهم في الظهور منذ الفتره الانتقالية من القرن الرابع إلى القرن الثالث قبل لميلاد. في نهاية القرن الأول الميلادي كانت دولتهم، وعاصمتها البتراء (سالع) تشتمل على النعب وسببء وشرقي الأردن وسورية الجنوبية والأطراف الشمالية لشبه الجزيرة العربية.

عد الأنباط عدداً من الآلهة التي وفدت معهم من مواضعهم الأصلية وعلى رأسها اللات ودو لشرى

على الرغم من أن يستطيع وصف اللات بأنها إلهة العرب الكسرى، إلا أن أصولها البعدة ليست عربية وإنما سامه عرسة (كعانة) فالامسم في شكله الأصلي هو إيلة أو إيلات، وهو صيغة المأنيث من اسم كبير الآلهة الكعانية إيل، وبه دعيت الآلهة أثيرة (أو عشيرة) إلهة أوغاريت، الكبرى التي تربعت على عرش الباشيون لأوغاريتي مع زوجها إيل، على ما تدل عليه النصوص الميثولوجية الأوغاريتية التي تعود إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد

كانت أثيرة في أوغاريت ربة لحصص الطبيعة والإنسان، وتلقبها النصوص الميثولوجية بحالقة الآلهة أو أم الآلهة، وجعلها أمّاً لسبعين إلهاً يشكون لاشود الأوغاريتي

ولكن إيلات تظهر في الوثائق الكتائية في وقت أبكر من ذلك فقد عبدها لأموريون في سورية تحت اسم أشرتو، امشتق من أثيرة، منذ مطبع الألف لذي قس الميلاد، وجعلوها روجة لإلههم أمثور لمعدل لإيل الكعاني

ثم رحلت مع الشرائع الآمورة التي هاجرت إلى بلاد الرافدين وأُسست المملكة البابلية القديمة ، ويظهر اسمها في وثائق تعود إلى حوالي عام 1800 ق م كبير الآلهة البابلية أنو المعادل لإله السماء الكنعاني إيل . كما عبدها الحثيون في الأناضول تحت اسم أشيرتو ، روحة كبير الآلهة المدعو إيل كوبي ريشا ، والاسم الأخير مشتق من الكنعانية وأصله إيل قوبي إرصي ، أي إيل خالق الأرض . وفي فيصيا عبدت هذه الآلهة تحت اسم إيلات كربة لحصوبة الأرض والكائنات الحية ، على ما تدلنا عليه نقوش وكتابات ترجع إلى القرن الثالث عشر وبعد ذلك عُدت في مملكتي السامرة ويهوذا باسمها الثوراتي عشيرة ، حيث تدلنا نقوش كتابية من القرن الثامن قبل الميلاد على أنها كنت روحة للإله يَهُوه .

عندما بنى العرب هذه الإلهة أدخلوا على الاسم سابقة التعريف "هـ" أو "ال" فدعيت ها إلات أو الإلات ، ومنها جاء الاسم اللات بعد إدغام اللامين . وفي هذا يقول المؤرخ الإغريقي هيرودوتس بأن العرب كانوا يعدون لآلهة إفروديت أورابيا وكانوا يسمونها الإلات .

تتصارب الآراء حول طبيعة اللات لدى الأنباط فبعض المصادر القديمة مثل سترابو يقول بأن اللات هي الشمس ، وقد صار في ركب سترابو عدد من الباحثين لمحدثين ، سيما جنح البعض الآخر إلى القول بأنها تمثل كوكب الزهرة مهما يكن لأمر فإن اللات قد عبدت لدى الأنباط كإلهة لبخصب والحياة النباتية ، وكأم للآلهة لم تصور في عصور ما قبل الميلاد في هيئة بشرية ، بل عبدت في صحرة مربعة ترمز إليها ، ومن هنا جاء لقبها "كعبو" المستمد من شكل صخرتها خلال الفترة الرومانية تحول اسم اللات إلى "أترعات" أو "أترعا" ، وهي الإلهة السورية الكبرى في العصر الروماني ، وأحد الأساطير ينحتون لها تماثيل على الطريقة السورية الكبرى في العصر الروماني ، وأخذ الأنباط ينحتون لها التماثيل على الطريقة الرومانية تصورها المنحوتات جالسة على عرش يحف بها أسدان ، وفي منحوتات أخرى نجد أوراق الشجر المشمر تغطي كثيراً من أجزاء جسمه ، أو نجد سريقات القمح تنبعت من رأسها ومن كتفها ، أو نجدها تعتمر دجاً محاط بدائره البروج ،

أو نجد دلفينين متقابلين على قمة الشال الذي يغطي رأسها. فهي ربة الشجر، وربة الحبوب وربة الدلفين الذي يرمز إلى احاء، وربة الحط والزوج، وربة الرمن والفصوص والأحرام

أما دو الشرى، روح للات، فكان إلهاً شمسياً عبده الأساط في صحرة مربعة في معبده الرئيسي بالتراء، وكان الحجر عبارة عن كتلة سوداء غير مسحوقة ارتفاعها أربعة أقدام وعرضها قدمان، تقوم على قاعدة من ذهب مشعول، على حد وصف أحد المصادر القديمة غير أن لمؤثرات القوية للثقافة اليونانية الرومانية قد غيرت إلى حد ما من موقف الأنباط من تصوير آلهتهم في صورة بشرية، فصنعوا التماثيل لذي الشرى ومها تماثيل عثر عليه في معبده الرئيسي بالتراء يصوره جالساً على عرش يحف به ثوراء، كما عثر على قطع بصدية تملكه في حلة وتصفيعة شعر يونانية، علماً بأن نوعاً آخر من القطع النقدية بقى على تمثيله القديم لذي الشرى في نصب حجري يقوم على قاعدة خلال هذه الفترة التي شهدت الانتقال إلى تصوير الآلهة في هيئة بشرية، جرت المطابقة بين دي الشرى وزيروس اليوناني أو ديوبيسيوس. ويبدو أن مطابقتها مع ديونيسيوس راحلة إلى صفوس عريضة ومحو انتصب لعبادته، وتهدف إلى خلال الخصب في الطبيعة، وذلك خلال المراحل المتأخرة من التاريخ البطني عندما دخلت المؤثرات لسورية إلى الطفوس النطية، وبخاصة فيما يتعلق بطقوس الإلهة السوريه الكرى أترعابس وهنا قد يعبد أن تذكر الحديث الشريف بخصوص دي لشرى لذي كان إله قبيلة دوس، وهو "لا تقوم الساعة حتى تصطك آليات عذارى دوس على ذي الشرى".

من الآلهة الأقل شأنًا لدى الأنباط مذكر مها العزى ومناة وشيع القوم، وأشهر، وقوس، والكتبي ولا تساعدنا النقوش القصيرة التي تذكر هذه الآلهة على معرفة مدى أهميتها، وعلاقتها مع بعضها البعض، ووظائفها الدقيقة

## الصفويون والشموديون واللحيانيون

الصفويون قبيلة عربية استوطنت منذ لقرن الرابع قبل الميلاد منطقة الصفاء، وهي إقليم بركاني يقع إلى الجنوب الشرقي من دمشق، وتركت لك عدداً لا بأس به من النقوش الكتابية القصيرة محفورة في الصخر بكتابة أبجدية يمنية، على الرغم من أن اللغة التي كتبت بها هي لهجة عربية شمالية قريبة من لهجة قريرش. هذه النقوش المنتشرة على مساحة واسعة تُعنى بشكل رئيسي بمسائل عملية، ولا تتعرض للمسائل الدينية إلا بشكل عابر عندما تذكر أسماء الآلهة في معرض استحلاب بركاتها أو صب اللعنة على أعدائها. من ذلك مثلاً: "هذا النقش لأنعم بن أبيف بن جرمل لقد وجد مضرب حيام حناني وأخذ يبحث عن المرعى". وأيضاً (هذا النقش) لعليم بن حرمال. نقشه تشريعاً بحرماًل". وأيضاً. "لأنعم بن قحش. لقد استولى على الغنائم سنة الحرب مع البط". وأيضاً: "لمغير بن عدي بن عوث. لقد خرج للبحث عن أخيه فيا اللات اشمللي برحمتك من حرج، واصيبي بالعنى من يمحو هذه الكتابة".

عبد الصفويون، على ما ندل عليه نقوشهم عدداً من الآلهة العربية المعروفة، إلا أن أكثر الأسماء تردداً في نقوشهم كان اسم اللات الذي ورد في حوالي ستين نقشة. كما عبدوا الله وكتبوا اسمه بصيغة إلهة مسبوقة بأداة التعريف دوماً وهي الهاء ليصبح اللفظ ها إله أو هالله. نقرأ في أحد النصوص على سبيل المثال: "لسني بن سني بن محزن عشر على مضرب عمه بحث طويلاً عن اكلاً فيا الله امنح السلامة لمن يسافر وساعده. نقش هذا تكريماً لمحلّم ولطهانن ولها مسك". وعلى الرغم من أن اسم الله أقل وروداً من اسم اللات في النقوش، إلا أنه ورد بكثرة في أسماء الأعلام المركبة، مثل جزاء الله، وعطية الله، وما إليهم ونحن لا نعرف على وجه اليقين الصلة بين هذين الإلهين على الرغم من أنهما كانا على ما يبدو على رأس البانثيون الصفوي. وأغلب الظن أن إله الصفويين الأعلى كان بمثابة الإله المجهول لدى التدمريين. فرغم أن النقوش تذكر ما عن إقامة معابد للات إلا أننا لم نعثر على نقش يذكر أمكة عبادة لله، الأمر الذي يدل على أنهم كانوا يتوجهون إليه في كل مكان ودون حاجة إلى أمكنة عبادة

خاصة به وكهوت مظلم، وذلك على عكس اللات نقرأ في نص عشر عليه في منطقة حوران المجاورة لمنطقة الصفاة، مكتوباً بالنبطية، أن شخصاً يدعى مليكو بن قصيو كان كاهناً لللات في حبران، وهو موضع بجبل حوران وعراً في نص آخر عن بناء معبد لللات في صلخد من قبل روجوبين مليكو وأسرته إن هذين القشتين اللذين يرجعان إلى حوالي عام 50 بعد الميلاد، وامثالهم، تدل على وجود عبادة منظمة لللات وكهان وأسر كهنوتية

ومهما يكن من أمر هذا الثنائي الإلهي الذي يتصدر لاتحة الآلهة الصفوية، فإن الأمر المؤكد هو أنه وريث الثنائي الإلهي السامي العربي عموماً، والذي يتألف من الإله ييل والآلهة إيلة (إيلات = عشيرة). أما عن الآلهة لأخرى الأقل شأناً فقد عبد الصفويون عدداً من الإلهة أهمها رضا التي تمثل كوكب الزهرة، وخذ عويد سلف أو إله قبيلة عريد، وشمس وهي إلهة الشمس، وشمع القوم حامى انقواقل والمسافرين، وإناخ الذي لا نعرف وظائفه على وجه الدقة.

وهي المراحل المتأخرة من تاريخ الصفويين، عندما مالوا نحو الحبة الحضرية وتأثروا بحبراهم السوريين، عبدوا الإله انكعماني القديم بعن شميم تحت اسم بعل سميم، أي إله السموات، كما انتقلت إليهم عبادة ذي الشرى النطبي.

في الأطراف العليا لشمالية عربية من شبه الجزيرة العربية سكنت قبائل عربية تعرفها باسم لحيان وثمود، وتركت لنا مجموعة من النقوش على الأحجار مكتوبة بقلم عربي حنوبي على الرغم من أن لغتها شمالية وقريبة من اللغة الصفوية. هذه النقوش ترجع إلى القرون القليلة الأخيرة، قبل ظهور الإسلام، وتحتوي على العديد من أسماء المعبودات العربية، أهمها للات (هاللات)، والله (هاللة)، ورضا، إضافة إلى مائة التي تأتي في المرتبة الثانية. كما يظهر في النقوش أسماء آلهة عربية حنوبية منها الثالوث عشر وود ومكرح، وسميع، وسر ويدو من كثرة تكرار اسمي الله واللات أناها أيضاً أمام ثنائي إلهي يسيطر على مجمع الآلهة. كما يرجح أن يكون اسم الإله اللحياني ذو غبت الذي يتخذ مكانه مهمة في النقوش للحاسب، مجرد لقب لله نفسه

## عرب الشمال

إذا كانت ديانة عرب بلاد الشام تشكو من قلة الوثائق وتبعثرها، فإن ديانة عرب الشمال تشكو من انعدام الوثائق الكتابية والفنية انعداماً تاماً، والباحث في هذا المجال مضطر إلى الاعتماد على مصادر متآخرة على ظهور الإسلام بحو قرين على الأقل، مثل كتاب الأصنام" لابن الكلبي، المتوفى سنة 204 للهجرة، وهو الكتاب الوحيد الذي وقف موضوعه على آلهة وعبادات العرب قبل الإسلام، يليه كتاب أخبار مكة" للأزرقي، المتوفى سنة 219 للهجرة. هذا إلى جانب عدد من الكتب الموسوعية التي أوردت شذرات من هنا وهناك حول الموضوع، مثل كتاب الملل والنحل لشهرستاني المتوفى سنة 548 للهجرة، و"الكامل في تاريخ" لابن الأثير المتوفى سنة 630 للهجرة، و"معجم البلدان" لياقوت الحموي المتوفى سنة 626 للهجرة، وغيرها كما احصت كتب السيرة ومصنفات الشعر الجاهلي على معلومات لا بأس بها

يقول ابن الكلبي في كتاب الأصنام. "وكانت للعرب حجاره غير مصوبة يطوفون بها ويدبحون عندها، يسمونها الأصنام، ويسمون الطواف بها الدور" هذا الوصف لعبادات العرب قبل الإسلام، والتي تدور حول حجر مصبوب يرمز للإله المعبود، يأتي في سياق مع ما نعرفه عن أصول عبادات الشعوب السامية الغربية عموماً، وعن نفورهم من تصوير آلهتهم بهيئة مشخصة، على الرغم من أن هذه لمسألة لم تكن عندهم موضع تأمل لاهوتي، ولم تجر صياغتها في إيثنولوجيا دينية. فالأصل في رؤية الشعوب السامية العربية لآلهتها هو التنزيه لا التشبه، وادوات الإلهية في فكرهم الديني التقائي عبارة عن قدرة مجردة عرف قائله لتوهم هي شخصية محددة الاملاص، وكيان مؤطر في الزمان والمكان فالألوهة حاضرة أبداً في هذا الوجود، ولكن حضورها يشتد كثافة في نقاط معينة يوضع فيها رمز مرئي للإله، يشير إليه ولا يرسمه، بوحى بحضوره ولا يصوره، ويكون بمثابة مفصل يتصل عنده المقدس الحفي بالدنيوية الطاهر هذا الرمز، أو الشارة المقدسة، مستمد من السئة الصعبة، ومن أكثر هباتها إيجاء نالشات والدوام، إنه انصب الحجري الذي لم يخضع لأي تشكيل، ولم يمسه أرميل نحاس.

أما متى تحول العرب إلى صاغة الأصنام التي تمثل آلهتهم في هيئة بشرية، فإن مؤلف كتاب الأصنام يروي لنا أن سادماً للكعبة سمه عمرو بن لحي كان أول من أدخل عادة لأصنام إلى جزيرة لعرب، وأن أولى الأصنام جرى استيرادها من بلاد الشام. يقول ابن الكلبي: «مرض عمرو بن لحي مرضاً شديداً، فقبل لها. إن بالبقاء من الشؤم حمةً إذا أتيتها برأت فأناها فاستحم بها قرأ. ووجد أهلها يعدون الأصنام، فقال ما ما هذه؟ فقالوا نستسقي بها لمطر ونستنصر على العدو، فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا، فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة» قد لا تكون هذه القصة صحيحة بتفاصيلها، ولكنها تدل على رمن تبني العرب للأصنام وتأثير كاهن كثير الاطلاع والأسفار. وبما أن الشهرستاني يورد لنا في أحبار عمرو بن لحي أنه قد عاش في زمن الملك الفارسي شاپور ذي الأكتاف، فإن دخول الأصنام إلى جزيرة لعرب يجب إلا يتعدى القرن الثالث لميلاد

ويكن بني العرب لعبادة لأوثان لم يجعلهم يتخلون عن عبده النص الجحريه، لأن كلا العبادتين قد تعديتا حناً إلى جنب حتى ظهور لإسلام

كان الحجر أو الصنم ينصب في صدر محجة تدعى بيتاً أو كعبة، فكان للعرب إلى حاب كعبة مكة محجبات كثيرة، منها: بيت اللات، وكعبة حوران، وكعبة شدد الإيادي، وكعبة غطفان، وبيت العزى، وبيت مناة، وبيت رضا هذه البيوت أو الكعبات هي الشكل العربي للمُعَلَّة (أو المرتفعة) الكنعانية، وتقوم مقام المعبود التي لم يعرفها العرب قط، وهي تتألف من ست مربع أو مستطيل الشكل بلا سقف في غالب الأحيان، يوضع فيه انصب الجحري الذي يرمز إلى الإله المعبود. وقد برق دمء القرابين على هذا النصب، أو براق على مذبح منصوب أمامه. وقد ينوب الصنم مناب الحجر، أو يجتمعان معاً، كما هو الحال في كعبه مكة التي صمت في حبر مقدس واحد تماثلاً للإله هبل أعظم أصنام الكعبة، إضافة إلى الحجر الأسود. وكما هو الحال في بقية العبادات اسامية العربية، فقد بزرع شجره إلى جانب النصب الجحري، أو حذو شجرة مقطوع. وهذا ما نجده في بيت ذي الحلصة مثلاً، الذي كانت العرب تعظمه ونطوف به وتحر عنه كما تحر عند الكعبة. وكان في لبيت نصب من حجر

أبيض يدعونه حمر الخلصة، وشجرة يدعونها شجرة الخلصة، على ما يرويه الأرمني في أحبار مكة. ويحيط بالبيت عادة منطقة حرام تحددها أنصاب حجرية، تدعى الحمى ويأمن فيها النمل والإنسان والحيوان وأغلب الطير أن الـ360 صماً التي تروي أحبار السيرة أنها كانت منصوبة حول الكعبة، لم تكن إلا أنصاباً حجرية تحدد حمى الكعبة، وهي تشير إلى عدد أيام السنة، وهذه بقية من عبادة كوكبية معرقة في القدم.

لا يفيد كتاب الأصنام لابن الكلبي ولا بقية الأخبار الموزعة في مصون المصادر القديمة، في رسم صورة واضحة المعالم لمجمع الآلهة العربي، ولا للمراتبة داخل هذا المجمع ولكن توسعت الافتراض، اعتماداً على ما أوردها من الوثائق لسطية والصفوية والشودية والديانية، بأن قبائل عرب الشمال على تعدد آلهتها كانت تعبد إلهاً مشركاً واحداً هو الله العلي الخفي خالق السماوات والأرض، أما بقية المعبودات فلم تكن سوى وسائل تقريبهم إليه، على حد قول المشركين في سورة الزمر 39 (مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ رُلْفَى) ولسوف نؤجل البحث في مسألة مكاة الله لدى الجاهليين، ونعرج الآن إلى إلقاء الضوء على أشهر معبودات العرب

### اللات

هي آلهة العرب الكبرى ورأس الثلاث الإلهي المؤث الذي يتألف من اللات والعري ومناة ونحن لا ندري بالفعل ما إذا كان عرب الشمال قد حاووا عبادة اللات من عرب الشام أو العكس، لأن اللات لدى عرب الحجاز تبدي شهياً كبيراً لللات التي عرفها الصفوريون والأنباط، ولا سيما فيما يتعلق بصخرتها البيضاء المربعة التي كانت تصدر بيته في الطائف، والذي كانت سدانة لبني ثقيف؛ وهي تشبه الصحرة البيضاء التي يصبها النبطيون لها في معبدها بالشراء، وكان أبو ثقيف يسترون بت اللات في الطائف ويخصصون له حجه وكسوة ويصاهون به كعبة مكة ولكن عادة اللات لم تقصر على ثقيف وحدها، إنما كانت قریش أيضاً وسائر العرب تعظمها، ودخل اسمها في الكثير من الأسماء العربية مثل زيد اللات وتيم اللات وعمرو اللات. وبيتها القديم يقع اليوم في باطن الأرض تحت منارة

مسجد الطائف اليسرى، وفق الروايات القديمة. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أمر بهدم ست اللات بعد دخوله مكة المكرمة. فأرسل عليه أبا سفيان والمغيرة بن شعبة لهدمه، وعندما قدما إلى الطائف أراد لمغيرة أن يقدم أبا سفيان عليه في هدمها، فقال له أبو سفيان: أدخل أنت على قومك، فدخل المغيرة وكان من بني ثقيف وحطم الصخرة وجمع ما عليها من حلي، فقد كانت اللات مس أعنى آلهة العرب، يأتيها الحجاج من كل حذب وصوب فينحرون لها ويهدسونها ويهدون إليها الحبي والثياب التيمسه

اختلف الأقدمون في أصل الاسم ومصدره، ولكنهم لم يحدوا له اشتقاقاً عربياً فذهبوا خرافات ساذجة وغير مقنعة وهم معذرون في ذلك لأن الاسم من أصل كنعاني قديم كما أسلفنا، وهو في صيغته الأصلية "إيلة" أو "إيلاب" وهي صيغة التأنيث من الاسم إيل. وهذا ما أدركه الطبري بحمسه الصائب والسليم عندما قال بأن اسم اللات هو مؤنث بعل الجلالة الله

تختلف المصادر بشأن وظائف هذه الإلهة ورمزها الكوكبي، فبينما يقول هيرودوتس في تاريخه إن العرب يعبدون الزهرة السماوية ويدعونها الإلات، فإن بعض الباحثين المحدثين يرى فيها إلهة شمسية، لا سيما وأن خصائصها الشمسية واضحة كل الوضوح لدى عرب الحنوب، فهم يدعونها "دت حميم" أي التي تصدر الحميم واللب. والرأي الثاني أقرب إلى الصواب، فإذا كانت إلات هي الشمس، فإن العزى هي نجمة الصباح ومناة هي نجمة المساء

### العزى

كانت أعظم الأصنام عند قريش، عني رأي ابن الكلبي، مكانوا يرورونها ويهدون إليها ويتقربون عندها بالذبح. وقد بلغنا (واقول لابن الكلبي هنا) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره يوماً فقال لقد أهدت للعزى شاة غفراء، وأنا على دين قومي". وكان به بيت يقع إلى الشمال من مكة، براد من بخلة الشاميه يقال له حراص، بإزاء الغمر عن بمس المصعد إلى العراق من مكة. وتختلف المصادر القديمة في هيئة صممها وفيما إذ كان على هيئة حجر

غير محوت، أو على هيئة إنسان، أو أنها عبدت في ثلاث شجرات من أشجار السمار فقد قال ابن حبيب في كتابه "المحرم" إنها صنم كبقية الأصنام، بينما أورد الطبري في تفسيره أنها كانت على هيئة حجر أبيض، وقال ابن الكلبي إنها كانت شيطانية تأتي ثلاث سمرة ببطن بحلة، فلما افتتح النبي مكة بعث خالد بن الوليد فقطع لسمرات، فإذا بحشية ناعشة شعرها، واصعة يديها على عاتقها، نصرف بأنبيائها وخفها سادها يحثها على قتل خالد، ولكن خالداً صربها ففلق رأسها ثم قتل سادها وهدم بينها. ولكننا نرحح أن هذه الإلهة قد مثلت بحجر شأها شأن اللات، وأن الشجيرات في بينها كانت شجرات مقدسة ترمز إلى وطمة الإلهة الإحصانة، وربما كانت مجرد جدوع أشجار مقطوعة ومرروعة عند الحجر.

أما بخصوص الاسم فلا نجد له اشتقاقاً إلا من المصدر عر، ومنه العزو والعريز أو الأعر، والعزى. اشتهرت بحبها للذئح والقرايين التي كانت دماؤها تراق على حجرها نفسه، وتترك لنسيل إلى فحوة قرية تدعى العيغب ويروي شاعر سوري سرياني يدعى إسحاق الأنطاكي أن المدر ملك عرب الحيرة قد صحن لها باب الحارث ملك غسان وقد وقع بيده أسيراً، كما صحن لها بأرعمانة راهبة أسرى كن متنسكات في بعض أديرة العراق. أم رمها الكوكبي فهو نجمة الصبح الذي يروي الكاتب الكلاسيكي نبوس (410م) أن بعض القبائل العربية كانت تقدم له القرايين بصورة وحشية لحظة شروقه. وعرف من كتب السيرة أن قريش كانت تحمل معها العري في حروبها لتنصرهم على أعدائهم، فهي والحانة هذه آلهة محاربة شأنها شأن بقية الإلهات السواتي يرمز إليهن كوكب الزهرة. وعلى الرغم من أن البعض يعتقد بأن قريش كانت تحمل حجر العزى أو تمثالها، إلا أن الأغلب (على ما نعرفه من الشعوب التي عاشت على عتبة المدينة) هو أن قريش كانت تحمل شارة للعزى حمصه الحمل والتنقل بها لا تدرى شكلها. ومثل هذه الشارات كانت معروفة لدى المصريين والسومريين في العصور السابقة لحجر السلالات

يقول ابن الكلبي إن مناة كانت أقدم أصنام العرب، وقد كانت العرب تسمي عبد مناة وزيد مناة. وكان الصنم منصوب على ساحل البحر من ناحية المشعل بقديد بين المدينة ومكة وكانت المدينة ومكة وما قارب من لمواقع يعظمونه ويذبحون ويهدون له. ولم يكن أحد أشد إعظاماً له من الأوس والخزرج. ولكن لطبري في تفسيره يقول بأن مناة هي صخرة تراق عليها الدماء وفي عام الفتح أرسل النبي صلى الله عليه وسلم علياً إليها فهدمها وأحد كل ما كان لها.

وعلى الرعم من أد الطبري يقول في أصل الاسم إنها سميت بمناة لأن دماء النسائك والمذابح كانت تمنى عندها، إلا أن الأصح في رأينا هو أن الاسم مشتق من لمية وهي الموت، فمناة باعتبارها نعمة النساء كانت تمثل العنم والظلمة والعالم الأسفل وقد ورد في الأخبار أن عباد صنم العزى قد بنوا له بيتاً وكان له سدة يقومون عليه، وكانوا لا يرون تماًماً لحجهم إلى مكة إلا إذا أتوه بعد قضاء المساسك، فحلقوا رؤوسهم لديه وأحلوا إحرامهم

هذا هو كل ما استطعنا جمعه عن هذه للإلهات العربيات الثلاث اللواتي ورد ذكرهن في القرآن الكريم ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ \* وَمَنَاةَ الثَّانِيَ الْأُخْرَىٰ \* أَلَكُم لَدِكُورُؤُلَٰئِ لِلنِّسَىٰ \* إِنَّكُم يَوْمَ تَحْشَرُونَ﴾ - النجم 19 - 21 ويبدو مما قدمناه سابقاً بخصوص هذا الثلاث المؤنث، أنهن كن على رأس معبودات العرب، وأنهن في عقيدة الجاهلين كن بنات الله، على ما يستشف من الآية الكريمة أعلاه، وعلى ما تواتر له من أخبار ديانة العرب

### هبل

يقول ابن الكلبي في كتاب الأصنام: "وكانت لقريش أصنام في حوف الكعبة وحولها، وكان أعظمها هبل وكان فيما ينبغي من عقيق أحمر على صورة إنسان مكسور ليد اليمنى، أدركته قريش كذلك، فجعلوا له يداً من ذهب" وجاء في تاريخ اليعقوبي أن هبل كان أول صنم بمكة. وجاء في كتاب أخبار مكة للأزرقي، وفي سيرة ابن هشام، أن عمرو بن لحي قد جاء بهبل من مواب وبصه في حوف الكعبة على شريق له الأحشف، وأمر الناس بعبادته، فكان أول صنم في مكة وفي

بعض الأخبار الأخرى ورد أن صم هبل نُصب أحياناً فوق الكعبة ويبدو أن له علاقة بمعمره الغيب لأن الكلبي يخبرنا بأن أهل قريش إذا أرادوا الإقدام على أمر ضربوا بالقداح أمام هبل مستخبرينه بالأمر وعنده ضرب عبد المطلب حد الرسون على أنه عند الله حينما أراد دحه وفاء بنذر ، كما تقول بعض أخبار السيرة

على شهرة هبل الواسعة ، لا توجد لدينا فكرة واضحة عن خصائصه ووطنه ؛ ولكن نصب تمثاله على شر في جوف الكعبة ربما يدل على علاقته بالماء وبمظاهر الخصب بشكل عام ، على رأي بعض الساحثين .

ومما يلفت الانتباه بشأن هبل هو أن اسمه لا اشتقاق له في اللغة العربية وهذا ما دعى الباحث حرجي زيدان في كتابه " العرب قبل الإسلام " إلى ترحيح الأصل الكنعاني للاسم ، والقول بأن الأصل فيه هو " يعز " الذي يعنى السيد أو الرب . وهو يُسبق في بعض اللهجات الكنعانية ، ومنها لهجة موآب الذي يفترض قدومه منها ، بأداة التعريف وهي الهاء ليغدو " هبعل " . ولكن العرب أسقطوا العين ، مثلما أسقطها البابليون والتدمريون من اسم " نعل " ، ولفظوا الاسم " هل " ولكن إذا كان اسم بعل " في اللهجات الكنعانية هو لقب وليس اسم علم ، وكان الإله الذي يعنونه هو " هدد " إله المطر والعاصفة ، فمن هو الإله الكامن وراء لقب هبل ؟" سحاول الإجابة على هذا السؤال في موضوع لاحق من هذا البحث

### أساف ونائلة

يقول ابن الكلبي إن أسافاً ونائلة نافعان من جرهم فلما مكة حجاجاً ، وكان يتعشقها في أرض اليمن ، فدخل الكعبة فوجد عفلة من السس وخلوة في البيت ، ففسق فيه فمسخا حجريين ثم أخرجاً فوصعا عند الكعبة ليتعظ بهما الناس . فلم طال مكنتهما وعبدت الأصنام عبداً معها . وكان أحدهما يصبى الكعبة والآخر في موضع رمزم ، فنقلت قريش الذي كان يلبصق الكعبة إلى الآخر ، فكبوا ينحرون عندهما . وقد عدنهما قريش وخزاعة ومن حج البيت من العرب إن كل ما نستطيع استتجه من هذه الخرافة المتأخرة هو وجود تمثالين لشائبي إلهي عند شر رمزم لا نعرف عنه شيئاً ولربما كانا هي الأصل مجرد نصين حجريين حل محلتهما فيما بعد صمان مثلما حصل للصف والمروة

## الصفاء والمروة

يروى الأزرقى في كتاب "أخبار مكة" أن الصفاء والمروة كانا اسمين لرجل وامرأة أتما في الكعبة فمسحهما الله تعالى حجريهما، فوصعوا كلاً منهما على المكان المسمى باسمه. ثم أتى عمرو بن لحي ونصب على الصفاء صمماً يقال له "نهيك مجاور الريح"، ونصب على الصفاء صمماً يقال له "مطعم الطير". وهذه القصة، مثل قصة أساف وائل، عبارة عن حكاية تبريرية متأخرة تفسر بشكل سادح وجود هذين الصممين اللذين لم يتواتر لدرواة أخدر دقيقة بشأنهما. ولكن الحكاية تحتوي على دلالات واضحة على أسبقية عادة الأحجار على عادة الأصنام في دين العرب وإلى جانب الرواية الصريحة عن وجود حجرتين معبودتين في الموقعين المعروفين إلى اليوم بالصفاء والمروة، فإن كلمة "الصفاء" القوامس العربية مشتقة من "الصفاء" ومن "الصفوان"، وتعني الحجر العريض الأملس، بينما تعني "المروة" الصخرة البيضاء.

## ذو الشرى

لا نأخذ هذا الإله الذي كان رئيساً لجميع الآلهة السطية دوراً مهماً في عادات عرب الشمال وقد حصه ابن الكلبي بسطرين فقط عندما قال فيه "وكان لني الحارث بن يشكر بن مبشر، من الأزد، صمماً يقال له ذو الشرى". ثم يورد بعد ذلك بيتين من الشعر ورد فيهما ذكره. ويرجح أنه كان إلهاً عربياً مهماً في العصور القديمة، ثم فقد مكانته في عصور ما بعد الميلاد ويبدو من اسمه أنه كان إلهاً لمكان يدعى "لشرى"، وهو مكان لا يستطيع اليوم تحديده بدقة، لأن المواضع التي اتخذت اسم الشرى كثيرة في بلاد العرب. وقد عبثته فلة دوس أيضاً.

## ذو الخلصة

وهو أيضاً من آلهة الأماكن وكذب كما يقول ابن الكلبي صخرة بيضاء منقوش عليها كهية التاج وكانت بموضع نبتة بين مكة وابين على مسيرة سبع ليل من مكة. وورد في أخبار مكة أنه كان في قرية ثرووق قرب اليمن. أما القائل

التي عدته فكانت حثعم وجيلة وأزد لسرة ودرس، ومن قاريهم من بصون العرب من هوازن. وقد ورد في الأخبار أن صخرته قد أقيمت في بيت يحجون إليه ويقدمون عنده القرابين ويستقسمون بالأرلام ويبدوا أنه كان مشهوراً بين العرب القاطنين إلى الجنوب من مكة حتى اليمن، فكفوا يعظمونه ويحلفون عنده ويوقعون العهد. فلما فتح رسول الله مكة وأسلمت العرب قدم عليه جرير بن عبد الله مسلماً، فقال له يا جرير، ألا تكفني ذا الخلصة؟ فقال بلى، فرجعه إليه، فحرح إليه وقتل من سدنته مائتين، وأكثر القتل في حثعم، وهدم بنيان ذي الخلصة وأضرم فيه النار وبدوا أن طقوس هذا الإله كانت تشمل على رفصات مجونية حول حجره، لأن الطلبي يقولون: وبدنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تذهب الدنيا حتى تصطك أليات (=أزداف) نساء دوس على ذي الخلصة، يعبدونه كما كانوا يعبدونه".

ولعل ما قيل في السيرة عن هدم بيت ذي الخلصة، ومن أن جرير بن عبدو الله قد قتل مائتين من سدنته، شيء من الصحة فيقد كان بيت ذي الخلصة من أرفع بيوت العرب، وكان يدعى بالكعبة اليمانية، وبكعبة الإمامة، كما دعي بالكعبة الشامية ولكن الحديث الذي أورده ابن الكلبي ربما يشير إلى حجر آخر لذي الخلصة، نُصب أسفل مكة على ما يرويه الأزرقي ويدعوه بالخلصة، ويقولون بأن أهل مكة كانوا يعظمونه ويلبسونه القلائد ويهدون إليه الحنطة والشعير ويصبون عليه اللبن. كما يتحدث الأزرقي أيضاً عن شجرة الخلصة المقدسة وقد قال ياقوت الحموي في معجم البلدان إن الخلصة من قرى مكة بوادي "مر الظهران" وقد لاحظ صاحب قاموس تاج العروس هذه المسألة، وقال إن الذي يظهر من سياق الحديث أن الصم المذكور فيه عبر الذي هدمه جرير لأن دوساً من الأزد، أما حثعم وجيلة فمن بني قيس

## ذات أنواط

يقول بن إسحاق في السيرة "كانت لكفار قريش، ومن سواهم من العرب، شجرة عظيمة خصراء يقال لها ذات أنواط، يأتونها كل سنة فيعقدون أسلحتهم عليها ويذبحون عندهم ويعكفون عليها يوماً" ويتابع ابن إسحاق فيقول بأنه في يوم معركة حنين رأى الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه شجرة خصراء عظيمة، فقال له من معه: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط فقال صلى الله عليه وسلم الله أكبر، فلتهم كما قال قوم موسى له اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة

ويدو أن "ذات أنواط" هذه (وانتسمية راححة إلى ما كان يعلق عليها من سلاح وحلي وفلاتد) ليست شجرة بعبئها، بل إن كل شجرة وارفة كبيرة يمكن أن تكون "ذات أنواط"، وتكون موضع عبادة باعتدائها رمزاً للإلهة الحصص التي ربما كانت الثلاث أو العزى.

## مناف

يقول بن الكلبي "وكان لهم أيضاً مناف فيه كانت تسمى قريش عبد مناف". ولا أدري أين كان، ولا من نصبه.

## سعد

وكان صخرة طويلة، على رأي ابن الكلبي، منصوبة بساحل حدة، وكانت تعده كثانة، وقضاعة، وعك. وكانت دماء الفرائس تراق على هذه الصخرة، حتى أن الإبل كانت تنفر منها وتبتعد إذا دس أصحابها

## ذو الكفين

وكان لقيلة دوس، على رأي ابن الكلبي، ثم لني منهج بن دوس فلما أسدما بعث النبي صلى الله عليه وسلم الطفيل بن عمرو لدوسي فأحرقه. ويدو أنه كان تمثلاً عظيماً للكفين، أو حجراً به ثوراء على هيئة كفين

## ذو الرجل

ورد في معجم نج العروس أنه صنم حجازي ، ولم يذكر عن القبائل التي كانت تتعبد له وهو إما صنم بارز لرجل ، أو حجر فيه تنوء على هيئة الرجل ولعل مثل هذه الأصنام أو الأحجار المقدسة ، التي تسمى بصفة تميز شكلها الخارجي ، لا ترمز إلى آلهة مستقلة وإنما إلى آلهة معروفة باسم آخر علب عليها أسماء راجعة إلى شكل رمزها المادي المميز .

## الفلس

قال ابن الكلبي: "كاد لصي صنم يقال له الفلس وكان أنفاً حمراً في وسط حلهم الذي يقال له أجا ، أسود كأنه تمثال إنسان . وكانوا يعبدونه ويهدون إليه ويعترون عنده عتائهم ، ولا يأتيه خائف إلا أمر عنده ، ولا يطرد أحد طريدة ويلحاً بها إليه إلا تركت له قدم يرل الفلس نعد حتى ظهرت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم فبعث إليه علي بن أبي طالب فهدمه ، وأحد سيفين كن الحارث بن أبي شمر الغساني ، ملك غسان ، قلده إياهما ؛ فقدم بهما علي على النبي صلى الله عليه وسلم فتقلد أحدهما ، ثم دفعه إلى عبي بن أبي طالب ، فهو سيفه الذي كان يتقلده " .

## ود

وهو مع سواع ويعوث وسر ، من آلهة قوم نوح على ما ورد في القرآن الكريم ، والتي استمرت عبادتها لدى عرب الشمال وعرب الحبوب .

يقول ابن الكلبي إن عمرو بن لحي جاء بالأصنام إلى شط حده ودعا العرب إلى عبادتها ، فأباه عوف بن عذرة بن قضاة ، فدفع إليه ودأ ، فحمله إلى وادي القرى ، فأقره بدومة الجندل ، وسمى ابنه عبيد ود فكان أول من سمي به . ثم سمى العرب به بعده وحمل عوف ولده عامراً سادناً له ، فلم ترل به يسهونه حتى جاء الإسلام ، فبعث الرسول صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد لهدمه ، فقاتله سو عبيد ود وسو عمر الأحدار ، فقاتلهم حتى قتلهم . وهدم الصمم . ثم يقول ابن الكلبي في وصفه نقلاً عن شاهد عيان ، إنه كان تمثال رجل كأعظم ما يكون من لرحال ، عيه حلنان مئثرر نو حدة ومرند بأخرى ، وسيف تقده ،

وقوس تنكبه، وبين يديه حربة وجمعة فيها نبال وورد في أخبار أخرى أن  
الجاهليين كانوا يلبسونه الحلل الثمينة ويعلقون عليه القلائد ويزينونه بالجواهر  
النادرة، إسوه بالأصنام الكرى كائنات ولعزى.

والاسم "ود" في العربية يتضمن معنى الحب، وعنده فرما كان هذا الإله  
محتصاً بأمور الحب والعشق، ولعل في أبيات شعر للذبيعة الذيلاني إشارة إلى  
هذا الإله عدم ألقى تحية ود على إحدى النساء اللواتي دعونه إلى السهو،  
ورفض الدعوة

قاسمت أراك أخماً رحلي وراحلة      بخشي متلف لى ينظرنك الهرما  
جياك ود قانلا لا بحل لنا      لهو النساء وإن الدين قد عزمنا  
من هنا، فإن بعض الباحثين يرى شهراً بين تماثل ود كما وضعه ابن الكلبي  
وبين بعض الأعمال السحبية الإغريقية التي تمثل إله الحب إيروس.

### سواح ويغوث ويعوق ونسر

يقول ابن الكلبي في هؤلاء وأجاب عمرو بن لحي مصرس سزار، فدفع  
إلى رجل من هذيل سواعاً، فكان بأرض يقال بها رهاط من بطن نخلة، بعبد  
من يليه من مضر

وأحابه مذحج، فدفع إلى أنعم بن عمر المردى يغوث. وكان بأكمة باليمن  
يقال لها مذحج، تعبد مذحج ومن والاه.

وأجاثته همدان، فدفع إلى مالك بن مرثد بن همدان يعوق فكان بقرية من  
أرض اليمن يقال لها خيوان، تعبد همدان ومن والاه.

وأجاثته حمير، فدفع إلى رجل من ذي رعين يقال له معد يكرب نسرأ.  
فكان بموضع من أرض ساء يقال له بلخج، تعبد حمير ومن والاه. ولم يرل  
يعدونه حتى هوّدهم دو بواس.

وقال الزمخشري هي "الكشاف" إن الصنم يغوث كان على صورة الأسد،  
ويعوق كان على صورة الفرس، ونسرأ على صورة سر طائر

## غزالا مكة

يقول الأزرقي في "أخبار مكة"، وابن هشام في "السيرة"، إن عبد المطلب لما أعاد حجر وتنظيف بئر زمزم وحد نمثالاً للغزالين من ذهب، ووجد في البئر أيضاً أسباً ودروعاً. وبما صالت قريش بها ضربوا بالفداح أمام هبل، فخرج قدحاً الغزالين للكعبة، وقدحاً الأسباف والدروع لعبد المطلب الذي ريس الجمع باب الكعبة. ولتفسير وجود الغزالين في موضعهما تقول القصة إن عمرو بن الحارث الجهمي، بعد أن نفت خزاعة جرهما عن مكة. حرج بعزالي الكعبة وحفر في موضع بئر زمزم ثم دفن الغزالين مع ما دفن، وبقي الكثر مدفوناً إلى أيام عبد المطلب

على لرعم من الإيحاء في وصف الغزالين، فإني أرجح أن نكون مرسومين على صفيحة بأسلوب النحت البارز وهما يقصدان شجرة ثم يذكرها الرواة هي شجرة الحياة. وهذا التكوين التشكيلي شائع في كل ثقافات الشرق القديم، ويرمز إلى ألوهة الخصب أما عن وجود هذا العمل التشكيلي في بئر زمزم، فأرجح أن يكون من قبيل حجر الأساس الذي وضع له عندما حفر البئر أول مرة، أو في إحدى عمليات التنظيف والتوسيع لاحقة، وذلك للإيحاء إلى النبع بدوام التدفق.

## اليعبوب

يقول ابن الكلبي إنه صنم لحديلة وكان لهم صنم أخذته منهم بنو أسد، فتعبدوا لليعبوب بعده وربما كان هذا الصنم على هيئة الفرس لأن اليعبوب في اللغة الفرس السريع، أو الجواد السهل في عدوه وبه سمو أفراساً مشهورة، على ما ورد في كتاب أساب الحيل لابن الكلبي

## باجر

وهو صنم كان للأزد ومن حاورهم من طيء وقضاعة.

## تهم

وهو صنم احتضت بعبادته قبيلة مرينة وهي من القبائل التي تنزل حول مكة. وكانوا يقرعون إياه بالدبائح ويحلفون به توثيقاً لعهدوهم

كان معبوداً لقبيلة عيرة، وهي من القبائل التي تنزل بالحجاز ونجد حتى  
بادية الشام ويستنتج بعض الباحثين وجود صلة بين اسمه وبين الشمس ذات السعير

### الأقصر

وكان في مشارف الشام صنم لقضاعة ولحم وجزم وعطمان صنم يقال له  
الأقصر، على حد قول ابن الكلبي. ويبدو أن أنصاباً حجرية عديدة كانت ترمز  
إليه في الأماكن البعيدة عن مقر عبادة الرئيسي، على ما نفهم من بيت شعر  
لرهير بن أبي سلمى يذكر القسم بأنصاب الأقصر ويورد جواد علي في "المفصل  
في تاريخ العرب قبل الإسلام" أبياتاً أخرى تدل على إراقة دماء القرابين على  
أنصاب لأقصر.

### الشارق

ورد في القاموس المحيط أنه صنم عبده الجاهليون ومن المرحج في رأينا  
أنه يدل على نحمة الصبح

### شمس

صنم قديم كان لسمي تميم، وكان له بيت، وكانت تعبده سراد كلها ويبدو  
أنه من أصنام الحجاز. وقد سميت به العرب عبد شمس وكان على ما يدل عليه  
اسمه رمزاً للألوهة الشمسية

### قزح

صنم زعم أنه كان بقرب مكة، وقد يكون له علاقة بالمردلة وكان العرب  
يعتقدون أن له صلة بالرعده والعواصف فهو والحالة هذه نظير لإله بعيل  
الكعابي، وربما كان لقوس قزح الذي يظهر بعد سقوط المطر وانقشاع العيوم  
صلة بهذا الإله، وربما تصور العرب أنه قوسه الذي يرمي به السهام ولعل مما  
يؤكد صلة قزح بالمطر وخصب الأرض أن العرب كانوا يوقدون النار على  
مردلة، وكانوا يقصدون منها نزول العيث.

## قيس

رغم أنه كان اسماً لصم قديم، تُسب عبادته، ولم يبقَ منها سوى بقية هي أسماء الأعلام مثل عبد القيس و مريء القيس.

## يا ليل

ذُكر أنه صم، ولم يرد شيء عن القيلة التي تعبدت له أو موضعه. ويبدو أنه كان اسماً بصنم هديم نسبت عاداته، ولم يبقَ منها سوى أثر في أسماء الأعلام مثل "عبد يا ليل". ولعل في اقبح بعض الألحان العربية ابومية بصيغة "يا ليل ما عين بقية من تراتيل عربية دبية موهلة في القدم.

## العبادات النجمية

عبد العرب القوى السماوية المتمثلة بالشمس والقمر والكواكب السيارة وبعض نجوم السماء المميزة ربما كان لبعض المؤلفات التي أوردناها تعالاً صلة ببعض الأحرار السماوية، ولكن شح المعلومات لا يساعدنا على البت في هذه المسألة. وربما كانت ايلات هي الشمس، والعزى هي نجمة الصباح، ومناة هي نجمة المساء، ورد هو القمر

## الله رب الكعبة

كان للعرب بيوت عادة تعظمها وتحج إليها، دعوها بيوتاً أو كعبات ويبدو أن الكعبة لا تفترق عن البيت إلا من حيث شكلها المكعب. وقد تكون زيارة هذه البيوت وأداء المناسك فيها أو حولها دورية في مناسبات معينة أو غير دورية.

وتشابه المناسك في خصوصاتها الرئيسية، هناك العر عبد البيت (أي دبح القرابين)، وتقديم اسدور والهدايا، والصواف حول البيت وهو سمة خاصة من سمات العبادات السامية الغربية. وكان لكل بيت إلهه الخاص الذي يعبد فيه، وله سدة متفردون وحجاب وحدم وربما ستر البيت بكسوة كب هو حال كعبة مكة وكعبات أخرى غيرها. ويبدو أن الآهة التي أسكت بيوتاً هي آهة أعنى من غيرها مرتبة، وعدتها أكثر شموراً من غيرها أيضاً وجميعها نيت في المناطق الحضرية التي كانت الأعراب يؤمونها للتبادل التجاري وأداء لشعائر الديية في الوقت نفسه.

يقول الهمذاني "في الإكليل" : "وقد كان للعرب بيوت تحجها منها اللات، وذو الخلصة، وكعبة نجران، وكعبة شداد الإبددي، وكعبة عطفان" وفي كتابه "صفة جزيرة العرب" يقول : "مواضع العبادة مكة. وإيلياء بأعلى نخلة، وذو الخلصة بناحية تبالة، وكعبة نجران، ورثام في بلد همذان، وكنيسة الباغونة بالحيرة. ويقول ابن هشام في "السيرة" "وكانت العرب قد اتخذت طواغيت، وهي بيوت تعظمها كعظيم الكعبة لها سدة وحجاب، وتهدي لها كم تهدي للكعبة منها العزى ومناة ورضاء" ومن مصادر أخرى نعرف عن كعبة سندان في أرض بين الكوفة والبصرة، وكعبة حوران وكانت لبني الحارث، وبيت رضى وكان بيتاً لبني ربيعة، وبيت اللات في الطائف، وبيت شمس الذي لبني تميم.

وكان بناء بيت للإله يعتمد على أهمية من سحبة، وعلى ثروة الجماعة التي تعبده وفي هذا يقول ابن الكلبي "واشتهرت العرب في عبادة الأصنام، فمهم من اتخذ بيتاً، ومنهم من اتخذ صنماً، ومن لم يقدر عليه ولا عسى بناء بيت، نصب حجراً ثم طاف به كطوافه باللات، وسموها الأنصاب" وبما أن كثيراً من البيوت والكعبات قد سميت بأسماء مواقعها، فإننا لا نعرف على وجه اليقين أسماء الآلهة التي أقيمت بها

من بين جميع كعبات العرب، وجميع أحجارهم المقدسة التي رمرت لألهتهم في هيئة غير مشخصة، كانت كعبة مكة بتاريخها العريق وحجرها الأسود، مهوى أفئدة كل العرب، يحجون إليه كل عام ويمون بدورهم ويلذحون ذبائحهم، ويمارسون طقوساً مشتركة وهذا يدل على شيء واحد، وهو أن العرب على الرغم من تعدد آلهتهم، وإعلاء كل قبله لشأن إله أو أكثر تحصه بالعبادة، فإن عبادة مشتركة واحدة جمعت بينهم، وإله مشترك واحد آمنوا به على جانب إيمانهم بآلهتهم المحلية، هو إله كعبة مكة، وإن حجر الكعبة الأسود لم يكن في أصله إلا نصباً حجراً يرمز إلى إله الكعبة في هيئة غير مشخصة ترمز به عن التشبيه في صورة كائن حي. فمن هو رب الكعبة القديم

لقد أحجم الباحثون المسلمون منذ صدر الإسلام عن بحث مسألة شيوخ عبادة الله في جزيرة العرب قبل الإسلام، حصصاً على صورة الله في الإسلام من

خلاطها بصورة الله في الجاهلية ولكن البحث الحديث عيه أن يسجاوز هذا الموقف القديم، إفتداء بالقرآن الكريم الذي قدم لنا أوضح بيان عن معرفة لجاهليين لله وإعلانهم لشأنه واعتقادهم بأنه رب العالمين وخالق السماوات والأرض، وذلك رغم شركهم به وعبادتهم لألهة أقل مه شأنًا. من هنا، سوف نعلم في استجلاء عبدة الجاهليين في الله اعتماداً على أخبار متواترة وصلتنا ولم تنق ما تستحق من عناية ودراسة، وعلى نصوص من الشعر لجاهلي، وعلى آيات بينات من الذكر الحكيم

هنالك أخبار متواترة عن قدم عبدة الله في جزيرة العرب فقد أورد الأزرقى في "أخبار مكة" رواية تكررت مع بعض التنويعات في "معجم البلدان" لياقوت الحموي، و"السيرة" لابن هشام، معادها أن قريشاً لما أعادت بناء الكعبة قبل العثة المحمدية بسنوات قليلة نقضت أحجارها حتى وصلت إلى أساس إبراهيم، فوجدوا كتابة بالسريانية تقول: أنا الله رب مكة الحرام وصعتها يوم وضعت الشمس والقمر"

وقد بقي رب الكعبة إلهاً لكل العرب إلى أن بعث الله سيده بديس لتوحيد فكان حج العرب جميعاً إلى مكة، وتفصيلها على كل البيوت والكعبات، تعبيراً عن اعتقادهم في إله يعلو على كل الألهة، وتكريماً لبيته المقدس الذي قال فيه القرآن الكريم (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين) آل عمران. 90 لهذا كن أهل مكة، على ما يرويه الأزرقى، يدعون أنفسهم بأهل الله، وذلك لمجاورتهم بيته.

ولدى حادثة وردت في سيرة ابن هشام، تدل على أن الله الذي بشره محمد صلى الله عليه وسلم ليس إلا صورة منزهة عن الشوك لإله الجاهلية فقد ورد عن ابن عباس في خبر قدوم واحد من أشرف العرب (وهو ضمام بن ثعلبة) على الرسول صلى الله عليه وسلم وسؤاله إياه عن الإسلام فكان مما سأله إياه "أشدك الله، إلهك وإله من كن قبلك وإله من هو كائن بعدك، أالله بعثك إلينا رسولاً؟ قال صلى الله عليه وسلم "اللهم نعم".

وكان الجاهليون يقسمون بالكعبة باعتبارها بيت الله، ويحرصون على عدم الحث بمثل هذا القسم لمعظم. يقول رهير بن أبي مسلم:

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رحل نوء من قريش وجهرهم  
ويقول عبد الله بن الزعري:

فإن أحلف وييسر الله — لا أحلف عدى إنم

وعندما توجه أبرهة الأشرم ملك الحبشة إلى مكة بجيش حرار لاحتلالها وسار على رأس جيشه راكباً فيلاً ضخماً لإرهاب أهلها، ترك وجهاء مكة الدفاع عن مدينتهم وكعبها إلى الله رب الكعبة وذهب عبد المطلب، جد الرسول الأعظم، وإلى أبرهة وهو في الطريق إلى مكة، يطلب إبله كان حرد أبرهة قد سرقوها، وعندما عجب أبرهة من قدوم واحد من أبرز زعماء مكة ليطلب إبله بدلاً من سؤاله الرجوع عن هدم الكعبة، قال له عبد المطلب: "إني أنا رب الإبل، ولكن للبيت رب يحميه" وعندما رجع عبد المطلب من لقائه أبرهة، أخذ بحلقه باب الكعبة وراح يشد

لا هُمَّ إن العبد يـ — نع رخله فامع جلالك ،  
لا يعلمين صـ — ومجالهم غَدُوا محالك  
إن كنت تـ — لنا فأمر بما بدا لك

عندما ارتد أبرهة حديثاً عن مكة بعد أن تعشى بين حدوده مرض خطير، همل أهل مكة لتدخل الله وحمايته بيته، وفي هذا يقول عبد الله بن الزعري:

ستون ألفاً لم يؤوسوا أرضهم ولم يعش بعد الإياب سفيها  
كنت به عاد وجهرهم قبلهم والله من فرق العباد يقيمها

وود أورد القرآن خبر حملة أبرهة على البيت الحرام ودفاع رب الكعبة عنه، وذلك في سورة الفيل: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ \* أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْيِيلٍ \* وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبْدِيلَ \* تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجْلٍ \* فَجَعَلَهُمْ كَعَضَابِ مُؤْكُوبٍ \* )

فإذا كان الحاهليون قد آمنوا بحماية الله لبيته الحرام، ثم جاء القرآن لكريم ليؤكد أن من حمى الكعبة هو إله محمد صلى الله عليه وسلم، فإن النص القرآني نفسه يعقد صلة وثيقة بين مفهوم 'الله' في الجاهلية ومفهومه الإسلامي، ويؤكد أن صورة الله الإسلامية هي صورة الله في الجاهلية بعد أن أزال عنها الإسلام ما تراكم عليها من رواسب الشرك والجهل.

رأى الجاهليون أن الله هو رب لأرباب جميعاً، يعلو عليها ومقدره أعظم من معسرتها، فها هو أوس بن حجر يقسم باللات والعزى وبالله الأعظم منهما ومن غيرهما من الآلهة.

وبالله إن الله منهن أعظم

وهو رب السماء الذي ينزل المطر وفيه يقول أوس بن حجر:

ألم تر أن الله أسرل مُزْنَه وعَفَرُ الغُضَاءِ في الكُنَاسِ تُقْمَعُ

ويقول لنبغة الذبياني حينما مرض النعمان بن المنذر:

أبكني إلى النعمان حيث لقيته فأهدى به الله العيوثَ البواكر

ولهذا كن الجاهليون في أحوال تأخر المطر، يأتون بجمع من الأبقار،

ويربطون الحطب إلى أذنانها ثم يوقدون فيها النار ويدعونها صعد في جيب وعر، حتى إذا وصلت فمته لتتهيت أحسادها وتم تقديمها محرقة لله عليه يأتي بالمطر. وفي هذا يقول أحد الشعراء:

'جاعل أنت بيقوراً مُسَلِّمةً دريعة لك بين الله والمطر

وإذا كن الجاهليون يعدون آلهة أخرى، فما ذلك إلا ليتوسلوا به إلى الله

سبدها. ولهذا كان فريش تقول إذا أهدب للطواف بالكعبة "ليكن اللهم بيبك

ليكن لا شريك لك إلا شريك هو لك بملكه وما ملك". ونقول وهي بطوف

بالكعبة: "واللات والعزى ومنة اثاثه الأخرى فإنهن الغرايبق العلى ورن

شعاعتهن لترتحي" ويقول ابن الكلبي إن اللات والعزى ومنة كن بات الله في

اعتقاد الجاهليين. وهن شفعلن به

ومما يدل على إيمان الحاهلين بأن الله هو خالق السماء والأرض وما بينهما، قولهم في أيمانهم لا ورب الشمس والقمر لا ورب البيت والحجر، لا ورازق الأدم لا ورب النور والظلام وبالذي خلق الأرض ومدها ولا الذي دحا الأرض لا وسامكها. لا وبسطها لا ومدها. لا والذي سمك السماء. ويذكر بعث بن صريم، الله خالق السماء، بقوله:

بني ومن سمك السماء مكانها والدر ليلة بصفها وهلالها  
كما كانوا يحلفون بالله خالق مطاهر الطبيعة، فيقولون: لا ومشيء السحاب.  
ولا مجري السحاب لا ومجري الرياح. وهالك ما يشير إلى خلق الله للإنسان في بعض أشعارهم، كقول الأعشى

وعلمت أن الشمس تلقى حتفها ما كان خالقها أمليك قضى لها  
والله يثيب المحسنين، وإن كان من غير الواضح لديهم أن الثواب يتاله الإنسان في الآخرة. يقول عروة بن الورد في ممدوحه:

جزى الله حيراً كلما ذكر اسمه أبا مالك إن ذلك الحي اصعدوا  
وكذلك زهير بن أبي سلمى:

رأى الله بالإحسان ما فعلا بكم فأبلاه حير البلاء الذي يلو  
واله يعاقب على الشر أيضاً، وإن كان من غير الواضح أن عقابه تأتي في الدار الآخرة.

يقول النابغة في بني عسر:  
جزى الله عساً في المواطن كلها جراً لكراب العاويذ، وقد فعل  
ويعاقب على ححد الإحسان والنعمة يقول عترة:

فلا تكفر العمى واثن بفضلها ولا تأمن ما يحدث الله في عبد  
والله سده مقلد أمور الدنيا جميعاً يقول ذو الإصبع العدواني:  
إن الذي يقبض الدنيا ويبسطها إن كان أغناك عني سوف يعنبي

وصواهر الطبيعة منقاداً لله انقياد الكائنات لحية يقول المثقوب العبدى  
 ولو علم الله الجبال عصيته لجاء بأمراس الجبال يقوده  
 ويقول عروة بن الورد

فر في بلاد الله والتمس العنى تعش دسار أو تموت فتعذر،  
 ومشيتة الله غير المفهومة تعلو على مشيتة العبد يقول قيس بن الحظيم:  
 يحب المرء أن يلقى مناه ويأبى الله إلا ما يشاء  
 وهو ملاذ الإنسان الوحيد يقول النابغة في اعتذار للملك العمان:

حلفت ولم أترك لنفسك رية وليس وراء الله للمرء مذهب

يقف بعض الباحثين موقف الشك من هذه الأشعر الجاهلية التي يرد فيها ذكر  
 الله وصفاته وأعماله، وذلك ضناً على صورة الإله الإسلامى من الاختلاط بصورة  
 الإله الجاهلي وهم يقولون بأن اسم الله في هذه النصوص قد حل محل اسم اللات  
 القديم، بعد أن لعبت بها يد المحررين الإسلاميين وهذا موقف غريب بالفعل لأنه  
 يتناقض مع النص القرآني نفسه، الذي كُذِّب في عشرات الآيات على أن الجاهليين قد  
 عرفوا الله وعبدوه كإله أعلى خالق للسماء والأرض والكائنات الحية نقرأ في سورة  
 العنكبوت 61: ﴿لَسْنَا سَالَتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَشَجَرِ الشَّجَرِ وَالْقَعْرِ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قَالَى  
 يُؤْفَكُونَ﴾ وأيضاً: ﴿لَسْنَا سَالَتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَقُولَنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَرِيسُ  
 الْعَلِيمُ﴾ الزخرف 9 وكما خلق الله السماوات والأرض فهو في اعتقادهم خالق  
 الإنسان، ومزول المطر، والأرض ومن عليها منقادة له: ﴿لَسْنَا سَالَتُهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَقُولَنَّ  
 اللَّهُ قَالَى يُؤْفَكُونَ﴾ الزخرف: 87 وأيضاً (قُلْ لِي الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ \* سَيَقُولُونَ  
 اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ \* قُلْ مَنْ رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ \* سَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ  
 \* قُلْ مَنْ يَمْلِكُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُخِيرُ وَلَا يُخَادِرُ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ \* سَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ فَاتَى  
 تُسْحَرُونَ﴾ المؤمنون 86 ب 89 وأيضاً: ﴿لَسْنَا سَالَتُهُمْ مَنْ رَبُّكَ مِنْ لِسَاءِ مَاءٍ فَأَخْبَاهِ الْأَرْضِ  
 مَنْ بَعْدَ مَوْتِهَا لَقُولَنَّ اللَّهُ قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ العنكبوت: 63.

ولكن عادة الجاهليين لله لم تكن توحيدية خاصة بل شابه الشوك.  
 ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ يوسف . 106 . وأيضاً . ﴿ذِكْرُكُمْ بَلَاءُ إِذْ دُعِيَ اللَّهُ  
 وَخَدَعُ خَيْرُهُمْ وَإِنْ يَشْرِكْ بِهِ يُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ غافر . 12 . واللات والعزى ومائة  
 هن بات الله . على ما نفهم من سورة النجم : 19 - 20 . وم عادة هؤلاء وغيرهم  
 من الآلهة إلا طمعاً في شفاعتهم لدى الله . ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُوا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾  
 الزمر . من آية 9 . وأيضاً . ﴿وَيَعْتَدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ  
 شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ يونس . 18 .

عد هذه النقطة تواحه الباحث في ديانة العرب قبل الإسلام مشكلة يتوحد  
 عليه حبها ، تتعلق بهوية الإله هل ذلك إن كل لأخبار المتواترة عنه ، والتي  
 أوردنا أهمها آنفاً تدل على أنه المعبود الرئيسي لدى قريش ، وأنه أعظم أصنام  
 الكعبة وربها فهل نحن هنا أمام منافس فعلي بخصوص هوية رب الكعبة أم  
 تناقض ظاهري؟

نقد وقفنا إلى جانب جرجي زيدان في تفسير اسم هل وأصله ، وقلنا بأن  
 الأصل في التسمية هو هبل ، أي البعل . ولكن كلمة "البعل" لدى لسورين  
 الذين استورد العرب منهم صنم هل ، لم تكن اسم علم لإله العاصفة وإنما  
 لقب يعني "السيد" أو "الرب" ، أما اسمه القديم فهو "هدد" الذي بقي مستخدماً  
 على الرغم من طغيان لقب البعل عليه . وعندما جاء العرب بصنم هل من  
 بلاد الشام لم يقصدوا إلى استيراد إله جديدة بل إلى استيراد صورة محوطة  
 لإله الكعبة لقديم أطلقوا عليها لقب هبل ، ونصوها في حوف الكعبة عندما  
 دخل التصوير إلى عبادتهم ، ونعاشت العبادة التصويرية مع العبادة غير  
 انتصورية . وبذلك جمعت قريش ، أو من كان قلبها في مكة ، بين عبادة  
 تصويرية لإله الكعبة رمرب إليه بتمثال ، وعبادة لا تصويرية بقيت ترمز لإله  
 نفسه بالحجر الأسود القديم .

## مناسك الحج الجاهلي

الحج في اللغة هو القدوم والقصد عموماً، فنقول حج المكاء أي رآه. ثم شاعت الكلمة للدلالة على زيارة الأماكن المقدسة من دون غيرها فحج البث الحرام هو زيارته وتأدية الشعائر الدينية السوية عنده. فعلى اختلاف القبائل العربية في شعائرها، كان لها شعائر سوية مشتركة يؤدونها جميعاً في مكة تلبية لنداء الإله المشترك الذي يجمعهم ويؤلف بينهم. ففي شهر ذي الحجة (وهو ثالث الأشهر الحرم الأربعة التي يحرم فيها الحرب والافتتال، وبمنح الأمن والسلام للحجاج) تتقاطر القائل العربية من كل فج عميق إلى جبل عرفه، بعد المرور بالأسواق التي كانت تقام في مواسم الحج بين الطائف ومكة، وهي عكاظ ومجنة وذو المجاز، حيث يتبادلون البضائع التجارية ويتناشدون لأشعار

تندىء المناسك الرسمية في اليوم التاسع من ذي الحجة، حيث يتنقل الحجاج انتحاراً من سوق ذي المجاز إلى عرفه. أما بقية الحجاج ممن لا شأن لهم بالتجارة وأسواقها، فليتهم يخرجون من ديارهم متى شاؤوا، على أن يكسوا محتجبين في اليوم التاسع على عرفه بدءاً مناسك الحج، محرمين متريين بزى الحج الذي لا تصنعه المصادر القديمة، ويعلم أن يكون ري الإحرام الإسلامي نفسه ويكون ابتداء الحج بالوقوف على عرفه في أصيل اليوم الأول من المناسك، وهي شعيرة من أهم شعائر الحج، حيث تقف القبائل كل في موقف معين لها لا تتجاوره إلى موقف فيلذة أخرى، ملين ومتعدين ومتوجهين إلى الله بأدعيتهم على ذلك الجبل الذي دعوه جبال إلال، وهي تسمية قديمة ربما تعني جبل إيل

عندما تميل الشمس إلى الغروب، وقبل غياب أشعتها الأخيرة، فيضربون إلى المزدلفة، وهو موضع قريب يقع بين عرفه ومنى وقيل إنه سمي بالمزدلفة لأنهم يردلون إلى الله، أي يتقربون في المزدلفة يقضون ليلهم متعدين، بينما نيران قرح تلتهم، منتظرين شروق الشمس من وراء جبل ثبير فإذا أشرقت الشمس اندفعوا سريعاً إلى وادي منى حيث يباشرون ذبح الماشية التي حازوها وقبل إن مى سمي بذلك لكثرة ما يرمى به من الدماء ثم يحلقون شعورهم

أو يقصرونها، ويتوجهون إلى رمي الحمار الثلاث بالحصى وعدّها على الأغلب سبع حصوات. فإذا انتهى الحجاج من الرمي انتهت مساسكهم وعاد فريق منهم إلى موطنه بينما بقي فريق آخر لأداء شعيرة الصواف حول الكعبة.

ولطواف سبع مرات، كانوا خلالها يصمرون بأفواههم لحاً خاصاً ويصفقون بأيديهم بصفيقاً إيقاعياً، وهم يلबون كل قبيلة على طريقته إلا أن التلبية الأكثر شيوعاً كانت تقول "لبيك اللهم لك، لبيك لا شريك لك، إلا شريك هو لك تملكه وما ملك وأخرى تقول. "لبيك إن الحمد لك والملك، لا شريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك" أما لماذا تنص هذه التلبية على شريك واحد لا على عدة شركاء، وما هو هوية هذا الشريك، فإن التلبية القديمة لا تقول شيئاً ولكني أرحح أن يكون المقصود هو هبل، الوحه الآخر لرب الكعبة

إلى جانب الحج السنوي في شهر ذي الحجة كذب العرب تقصد مكة أيضاً لأداء شريعة العمرة وفيها أيضاً يحرمون، ويطوفون بالبيت، ويسعون بين الصفا والمروة، وهو السعي الذي لا يقوم به الحجاج وعلى الرغم من أن العمرة تجوز في أي شهر من شهور السنة، إلا أن غالب اعتماهم في رحب وهو آخر الأشهر الحرم، فيه يكونون آمين على أنفسهم وأموالهم عند الاعتمار وللطواف بالبيت، سواء في الحج أو العمرة، يبدؤ لطائف بالحجر الأسود بمسحه يده أو يقله، ثم يطلق عن يمينه ويصوف سع مرات وهو يلي سع مرات، فإذا ختم طوافه ستلم الحجر مرة أخرى وخرج.

### عرب الجنوب

في سياق الألف الأول قبل اميلاد ظهرت في بلاد العرب الجنوبية حضارة راقية ونظم سياسية متطورة، ومما يثبت قوة أهمها معان وقتان وسماً وحضرموت، التي كانت مراكز هامة للاتصال التجاري بين المحيط الهندي والبلاد الواقعة في شرق المتوسط وعلى الرغم من أن هذه الثقافة المحلية لم تكن ذات تأثير واسع على مجرى التاريخ، كما هو حال الثقافات بسامية اشمالية من فينيقية وآرامية وأكادمية وآشورية، إلا أنها قدمت إسهاماتها الخاصة

المميزة في مجالات الحكم، والعمارة، والفنون التشكيلية، ونظم الري، والنظم الإدارية، وما إليها من عناصر الثقافة العنصرية خلال القرون القليلة التي تلت الميلاد، أخذت هذه الدون بالاحتفاء من المسرح السياسي. ومع روال آخر مملكة عربية جنوبية، وهي دولة حمير التي قامت على الأراضي السبئية، رالت الثقافة العربية الجنوبية، وحلت محلها الثقافة الإسلامية الصاعدة

وفيما يتعلق بالحياة الدينية بمرب الجنوب، تدلنا النقوش الكثيرة التي ترجع إلى ما قبل المسيحية وما قبل الإسلام على أن بلاد العرب الجنوبية، تدلنا النقوش الكثير التي ترجع إلى ما قبل المسيحية وما قبل الإسلام على أن بلاد العرب الجنوبية، وامتدادها الثقافي في أرض الحبشة الإفريقية، كست تسودها ديانة واحدة عبرت عن نفسها بأشكال محلية متنوعة ورغم القلة النسبية لهذه النقوش التي بلغ عددها حتى الآن سبعة آلاف نقش، علا أنها تحوي رسم الحطوط العامة للديانة العربية الجنوبية على أساس صلب، وذلك على عكس ديانة العرب الشماليين، حيث كنا مضطرين إلى الاعتماد على مصادر متأخرة في جلها، اعتمدت الأحجار المتواترة والنقل الشعبي ولقد كان بإمكان العثور على نقوش عربية جنوبية تريد أصعافاً مضاعفة عما عثرنا عليه حتى الآن، لولا الحملة الشاملة التي شنها الإسلام على كل مظاهر الوثنية، سعيًا وراء طمس الماضي الحالي وتوطيد لمعتقد التوحيد المحدد

نظراً لضياح معظم النقوش العربية الجنوبية، وبعض هذا الصائغ يحتوي ولا شك على نصوص أسطورية وعلى صلوات وابتهاالات، فإنا مصطرون للاعتماد على أسماء الآلهة الواردة فيما وصلنا من نقوش، ومحاولة تحليلها من أجل التوصل إلى معرفة طبيعتها ووظائفها وعلاقاتها المتبادلة إننا نعرف الآن نحو مئة اسم من أسماء الآلهة، ولكن نصفها على الأقل غير معروف لنا معرفة تفصيلية فأسماء آلهة حصرمية مثل: حول، وجلسر، وآلهة معينة مثل: نكرح وذو قبص ومت قبص، ما زالت حتى الآن عامضة المعنى، وكذلك أسماء سبئية مثل: متب نظيس، وهوس، وثألف، وريد، وذات معدن، وفتانة مثل: أثيرت، وذان صستم، وذات ظهرون، وددت رحن، ونسور، وآل نجرن

لقد دوح هذه العد الهائل من أسماء الآلهة الباحثين الأوائل ، الذين كانوا يجمعون الأسماء من النفوش ويصفونها وفق المناطق الجغرافية ، فخرجوا مجمع آلهة موسع لكل منطقة على حدة يحتوي على عدد هائل من الأسماء ثم نيس للجبل الثاني من الباحثين أن معظم هذه الأسماء لم يكن إلا صفات للآلهة لا اسم علم لها ، وأن الإله الواحد قد يطلق عليه هذه الصفة في هذه المنطقة ، وبلك الصفة في منطقة أخرى وكانت النتيجة التي توصل إليها العلامة هومل ، وتلقى الآن موافقة واسعة ، هي إن شعوب بلاد العرب الجبوية كانت تدين بجميع آلهة واحد ، ولم يكن لكل شعب مجمعه الخاص ، أما كثرة الأسماء فاجمة عن كون أسماء الآلهة ليست واحدة في الأزمنة المختلفة وفي الأماكن المشابهة . قد نجد فعلاً أن بعض الأسماء تتكرر في أماكن متعددة وفي عصور مختلفة ، إلا أن معظم الأسماء التي نجدها في مكان ما ، سوف تتغير إذا تنقل هذا الإله من مكان إلى آخر ، أو من زمان لآخر . وهكذا تحول ذلك الحشد الهائل من أسماء الآلهة ، من الدلالة على معبودات بعددها ، إلى الدلالة على معبودات قليلة متعددة الأسماء والصفات .

والأمثلة على ذلك عديدة فلا سم "كهل" يعني الكهل وهو صفة أو لقب لإله معين هو "ود" إله القمر ؛ وكذلك "رحمن" أي الرحيم ، و "منعم" أي المسعم ، و "حكيم" أي الحكيم . ومن الصفات أو الألقاب ما يسبق بـ "ذو" أو "ذات" وتستخدم كما في العربية عندما تقول ذو عقل ، أي صاحب عقل ، والأسماء مثل "ذو حليص" و "ذو شرى" و "ذو قرض" و "ذات حميم" و "ذات بعدن" مستخدمة كألقاب ويست في حد ذاتها أسماء

بعد دراسته مدققه لكل هذه الأسماء والألقاب والصفات ، استقر رأي الباحثين على أن ديانة عرب الحروب هي ديانة حماية يتحكم بها ثلاثة آلهة هي الشمس والقمر والزهرة ، وأن معظم الأسماء الواردة في النفوش هي ألقاب وصفات لهذه الأجرام السماوية التي تشكل الثاوث القومي لعرب الجنوب بجميع مناطقهم وممالكهم ، وعبر المدى الزمني الذي عاشت فيه ثقافتهم جميع الأسماء الإلهية المؤنثة ، وتلك المركبة من "ذات" مضافة إلى اسم آخر ،

تدل على الإله "شمس"، التي تدعى أحياناً بإيلات، أما الأسماء المدكرة، وتلك المركبة من ذو" مضافاً إلى اسم آخر، فتتوزع بين إله لقمر ود' أو "المقة" وإله الزهرة اسمدعو "عشتر" أو "عشتر". الزهرة في شخصية إلهية مؤنثة. إنها نجمة المساء التي تسير في أعقاب الشمس عند الغروب، وتسير أمامها عند الشروق، وهى أكثر النجوم بريقاً ولمعاناً في السماء

هذا ويتفق الفن الجنوبي مع ما أمكن استنتاجه من دراسة أسماء الآلهة الجبوية، ونحن نستقي بهذا الثالث في كثير من الرسوم، وهي تظهر دوماً على شكل قوسين مردوحين متجهين نحو الأعلى للدلالة على القمر، أو دائرة للدلالة على الشمس، أو نجمة للدلالة على الزهرة. وقد يرسم الهلال وحوله دائرة في تكوين واحد يرمز إلى الشمس والقمر معاً. أم صور ومنحوتات الآلهة فلم يعرفها عرب الجنوب قط، ولم يصوروا آلهتهم في هيئة بشرية؛ وكل المنحوتات التي وصلتنا من فنهـم تمثل ملوكاً وحكاماً وشخصيات ديبوية أخرى

هذه الأحرام الثلاثة ليست كيانات لا حياة فيها، بل هي شخصيات روحانية حقيقية، وتشكل عائلته واحدة يتخذ فيها القمر دور الزوج والشمس دور الزوجة، والزهرة دور الولد. إنهم الأب والأم والابن والقمر الذي يجري سريعاً، محاول اللحاق بالشمس التي تنهـاى ببطء، وهما يجتمعان مرة في اشهر، عندما يظهر القمر والشمس معاً في وضـح النهار، ليبدحا مجدع الروحانية

يقع الإله القمر في مركز الثالث المؤله الجنوبي، وهو يدعى "روح" و"سين" وشهر". ورمزه الحيواني هو اسـور، وذلك للشبه بين قريبه والهلال وهو الأب السماوي، وسلف القبيلة والشعب ولبشر، على ما تدل عليه ألقابه المتعدده فهو يدعى "أب" ويدعى أيضاً "عم بمعنى الجد الأكبر أو الأصل. وبهذه الصفة تتصل صفة أخرى مهمة هي "الرحمى" أي الرحم باشـر وحاصهم ويدعى أيضاً "كهـل" أي الشيخ و"حكـم" أي الحكيم، وحرـم أي القدوس بمعنى العادل، و"ود أي المحب، والمقة" كما يدعى بالاسم السامي المعروف "إيل أي الله وتُظهر لنا أسماء أعلام حيوية كثيرة تلك الصلة بين "إيل" والقمر، نذكر منها، "إل درح أي إيل يصي"، و"إل شرح" أي إيل يتلألأ، و"إل بيع" أي إيل يشع

أما إلهة الشمس فكانت تدعى عند المعبيين "نكرخ"، وهو اسم غامض. ولكن أسماءها غالباً ما تبدأ بلفظ "ذات"؛ فهي "ذات صنتم" و "ذات صحر" و "ذات رحن" عند القتانيين، وهي "ذات بعدن" و "ذات عضرن"، و "ذات برن" و "ذات حميم" عند السنين؛ والاسم الأخير يدل على معنى الحرارة و لا تقاد ومن أسمائها المعروفة في الثقافة السامية الغربية الاسم القتباني "أثره"، وهو بعينه الاسم الأوغاريني "أثره" أو "عشيرة" ولكن علماء اللغة العربية الجنوبية لهم في هذا الاسم اشتقاق خاص، وهم يرجعونه إلى الجذر العربي "أثر" الذي يعني اللمعان، ويقولون إن الاسم في الأصل ربما كان "ذات أثر" أو ربة أثر أي اللامعة ومثل هذا التفسير يلقي ضوءاً على نفس تبطي دعيت فيه اللات بذات أثر، أي سيدة اللمعان

وأما إله الزهرة فكان له اسم واحد هو "عشتر"، ولكن صفاته وألقابه كثيرة، فهو "عشتر شرقن" أي عشتر الشارق، وهو "ذو قبص"، و "ذو يحرق"، و ذو جمت" و ذو "جرب"، و "قب تنب"، وربما أيضاً "متب وقت ومذجب" وهو يدعى ملك" بدليل وجود نقوش قتبانية تورد أسماء الثالوث الإلهي بالترتيب التالي ود أثره ملك.

فراس السواح

## ببليو غرافيا

- د عدنان السي: تدمير والتدميريون، وزارة الثقافة، دمشق 1978.
- د إحسان عباس. تاريخ دولة الأنباط، دار الشروق، عمان 1987.
- ربيه ديسو. العرب في سورة قبل الإسلام - ترجمة عبد الحميد الدواخلي، دار الحديث، بيروت 1985.
- د. عبد لمعين خان: الأساطير والخرافات عند العرب، دار الحديث، بيروت 1981.
- محمود سليم الحوت: الميثولوجيا عند العريو دار النهار، بيروت 979
- ديتليف نيلسون وآخرون التاريخ العرب القديم - ترجمة د. فؤاد حسين علي، مكتبة النهضة، القاهرة 1958.
- حرجي زيدان. العرب قبل الإسلام، مطبعة الهلال، القاهرة 1908.
- د. عبد الغني زيتوني: الوثنية في الأدب الجاهلي، وزارة الثقافة، دمشق 1987
- Adel Allouch, Arabian Religion, in; M. Eliade, ed, Encydopedia of Religion, MacMillian, London 1987.

## الفهرس

5	مقدمة: لطبعة الأعمال غير الكاملة
9	مقدمة المحرر
11	الباب الأول: ديانة مصر القديمة
13	الديانة المصرية
13	إطالة عامة
33	خلاصة
35	ديانة مصر القديمة
35	الآلهة والأساطير
35	مقدمة
41	مجمع هليوبوليس وعائلة أوزيريس
41	نود (أونو)
41	أتوم (أو نوم)
42	رع (أو فرا)
44	خيري (أو خييرا)
45	شور (الهواء)
45	تيفوب
46	أنهور
46	حيب (سب، كيب)
47	نوت
48	أوزيريس

51	إيزيس .....
54	سيت (سيث ، سوتيج) .. .. .
56	بفتيس .....
57	حوروس . . . . .
58	حارويرس . . . . .
58	بحديتي .....
59	حراحتيس .....
59	حارماخيس . . . . .
59	هدرس إيريس .. .. .
61	هاتور (أثير) .. .. .
63	انويس .....
64	أبوات (ويوات ، أفويس) .. .. .
64	ثوث .....
67	سيثاب (سيثيا) . . . . .
68	الآلهة الحامية للفراعنة والمملكة .....
68	نيجت . . . . .
69	بونو . . . . .
69	موت (ميثو) . . . . .
70	أمون (وضمه مقرة عن أتون) .....
73	مُت . . . . .
74	خونس (خنسو) . . . . .
75	سيبك (أوسوخوس دايودية) . . . . .
76	بتاح . . . . .
77	سيكر .....

77	سيخمت.
78	نيفر توم .
78	باست (باستيت)
80	يت (يث)
82	آلهة الأنهار والصحراء...
82	خنوم (ختيمو)
83	هارشاييس.
83	ساتي (ساتيت)
83	أنوكيت.
84	هبي .
86	آلهة الميلاد والموت
86	ناويريت (اييت، أوبيت)
86	هيكيت.
86	ميسخت ..
87	الهاتوريات
87	شاي ..
87	رينيت ..
88	رينيت ..
88	ييس .
89	سليكييت
90	أولاد حوروس الأربعة
90	أميب .
91	ميرنسجر (ميرسيجر)
91	قضاة الموتى الذين يزبون الروح

معات . . . . .	92
ني هيه (هيه) . . . . .	92
البشر المؤلهون وإله الفرعون . . . . .	93
إمحتوت (أو إموتيس باليونانية) . . . . .	93
أمنحتوت ابن هسو . . . . .	94
الفرعون . . . . .	94
الحيوانات المقدسة . . . . .	95
آبيس . . . . .	95
ثيران مقدسة أخرى . . . . .	96
الأكاش المقدسة . . . . .	97
الطائر بينو . . . . .	98
قائمة بالحيوانات التي تتحد الآلهة رؤوسها . . . . .	98
الباب الثاني: ديانات سورية القديمة . . . . .	101
الديانة الكنعانية . . . . .	103
1- نظرة عامة . . . . .	103
الآلهة . . . . .	108
الديانة الشعبية . . . . .	116
2- الأدب الكنعاني . . . . .	122
النصوص الميثولوجية . . . . .	126
النصوص اللحمية . . . . .	145
ملاحظات حول المراجع . . . . .	158
1- نظرة عامة . . . . .	158
2- الأدب الكنعاني . . . . .	161

164	الديانة الفينيقية . . . . .
168	الآلهة . . . . .
173	المعابد والمقامات . . . . .
179	الكهنة، الموظفون، الشعائر . . . . .
182	مراسم الدفن، والقبور، والتوابيت . . . . .
189	بيليوغرافيا . . . . .
190	الديانة الآرامية . . . . .
191	عبادة حدد وشن . . . . .
194	تحالفت الآلهة . . . . .
196	الديانة الآرامية المأخرة . . . . .
199	التواصل مع القوى لغيبية . . . . .
200	الآخرة . . . . .
201	بيليوغرافيا . . . . .
203	ديانة إيبلا . . . . .
203	مقدمة . . . . .
205	ملامح الحياة الدينية في إيبلا
211	الباب الثالث: ديانات بلاد الرافدين . . . . .
213	أدهان ما بين النهرين (إطلالة عامة) . . . . .
213	نظرة عامة . . . . .
215	التاريخ . . . . .
220	الأمشكال لقُدسية . . . . .
220	1 - الخشوعية . . . . .
221	2 - حلول الألوهة في ظواهر لطبيعية . . . . .

224	3 - نسبة الهئته الشرية إلى المعبود
226	4 - نسبة الشكل الاجتماعي إلى لمعبود
229	البانثيون أو مجمع الآلهة
229	آن An
230	إنليل Enlil
232	نبورتا
233	نوسكو
233	نينهورساغا
234	إنكي
239	أسلوهمي
239	مردوك
241	نانا
241	أوتو
242	إيشكور
242	إيبانا
247	دوموزي
249	لوعالتندا ونسوبا
250	نينجيرسو
250	عاتومدوغ
250	نانشه Nanshe
250	نينمار
251	دوموزي - أبرو
251	نينشيبا
251	إرشكيغال Freshkugal

252.....	بينازو .....
252. ..	بيجيشريدا .....
253.....	برغال .....
254	آشور .....
255 .	سليوغرافيا .....
256 ..	الديانة السومرية .....
256 .....	اللاهوت والطقس والأسطورة .....
315 .	بيليوغرافيا .....
316 ..	ديانة بابل وآشور .....
330	استطراد حول تمور .....
340 ..	المعابد ولكهان .....
355.....	الأساطير البابلية والآشورية .....
369.....	بيليوغرافيا .....
371 .	الباب الرابع: ديانات العرب قبل الإسلام .....
373.....	العرب قبل الإسلام .....
373..	التدمريون .....
377. ....	الأساط .....
380.....	الصفويون والشموديون واللمحيانيون .....
382. ....	عرب الشمال .....
404 .	مساسك الحبح الجاهلي .....
405. ....	عرب الجنوب .....
410. ....	سليو عرافيا .....



## صدر للمؤلف

- 1- مغامرة العقل الأولى: دراسة في الأسطورة - سورية وبلاد الرافدين - الطبعة الثانية والعشرين 2016.
- 2- ملحمة جلجامش: الطبعة الرابعة 1988.
- 3- لغز عشتار: الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة - الطبعة الخامسة عشر 2016.
- 4- الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم: هل جاءت التوراة من جزيرة العرب؟ الطبعة السادسة 2016.
- 5- دين الإنسان: بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني - الطبعة الثامنة 2016.
- 6- جلجامش: ملحمة الرافدين الخالدة - الطبعة السابعة 2016.
- 7- الأسطورة والمعنى: دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية - الطبعة السابعة 2016.
- 8- آرام دمشق وإسرائيل: في التاريخ والتاريخ التوراتي - الطبعة الخامسة 2016.
- 9- كتاب التاوتي تشينغ: إنجيل الحكمة النارية في الصين - الطبعة الخامسة 2016.
- 10- الرحمن والشيطان: الثنوية الكونية ولاهوت التاريخ في الديانات المشرقية - الطبعة السادسة 2016.
- 11- تاريخ أورشليم: والبحث عن مملكة اليهود - الطبعة الرابعة 2016.
- 12- مدخل إلى نصوص الشرق القديم: الطبعة الثالثة 2016.
- 13- الوجه الآخر للمسيح: موقف يسوع من اليهودية - مقدمة في الغنوصية المسيحية - الطبعة الثالثة 2016.
- موسوعة تاريخ الأديان (تحرير ومساهمة) في خمسة مجلدات:
- 14- المجلد الأول: الشعوب البدائية والعصر الحجري.
- 15- المجلد الثاني: الشرق القديم.
- 16- المجلد الثالث: اليونان وأوروبا قبل المسيحية.
- 17- المجلد الرابع: الشرق الأقصى.
- 18- المجلد الخامس: الزرادشتية، المانوية، اليهودية، المسيحية، الطبعة الثالثة 2016.

19- طريق إخوان الصفاء: المداخل إلى الغنوصية الإسلامية - الطبعة الثالثة 2016.

20- الإنجيل برواية القرآن: الطبعة الثالثة 2016.

21- ألباز الإنجيل: الطبعة الثانية 2016.

22- أساطير الأولين: القصص القرآني ومتوازياته التوراتية - الطبعة الثانية 2016.

23- الله والكون والإنسان: نظرات في تاريخ الأفكار الدينية - الطبعة الأولى 2016.

صدر له بالإنكليزية:

#### 1-دراسة بعنوان:

Jerusalem in the Age of Judah Kingdom

نُشرت في كتاب من تحرير الباحث الأميركي توماس ل. تومبسون شارك فيه

عدد من المؤرخين والآثارين وصدر عن دار T&T Clark عام 2003 تحت عنوان:

Jerusalem in History and Tradition

#### 2- دراسة بعنوان:

The Faithful Remnant and the Invention of Religious Identity

نُشرت في كتاب من تحرير الباحث البريطاني كيث. و. وإيتلام شارك فيه عدد

من الباحثين في تاريخ وآثار فلسطين وصدر عن جامعة Sheffield في بريطانيا

عام 2013 تحت عنوان:

The politics of Israel's Past

#### منشورات دولية:

صدر له بالتعاون مع الباحث الصيني الدكتور شيوه تشينغ فوه كتاب بعنوان:

لاو تسي، عن دارالنشر باللغات الأجنبية/ بكين، وهو تطوير لكتابه السابق:

كتاب التاوتي تشينغ.

يُصدر قريباً في بكين:

- كتاب المحاورات لكونفوشيوس، ترجمة عن الانكليزية ومراجعة على النص

الصيني من قبل شيوه تشينغ فوه.

- كتاب منشوس، ترجمة عن الانكليزية ومراجعة على النص الصيني من قبل شيوه

تشينغ فوه.



تقع موسوعتنا هذه في نقطة الوسط بين ما يشبه القواميس من المؤلفات التي صدرت في مجلد واحد، تُرجم بعضها إلى العربية، وبين الموسوعة المحيطة التي تقدم كل شيء تقريباً، ولدينا عنها حتى الآن نموذج واحد فقط. هو «موسوعة الأديان» التي صدرت عن دار ماكميلان عام 1987 في ستة عشر مجلداً ضخماً أشرف على تحريرها ميرسيا إلياد، وساهم في كتابة موادها لا عشرات الباحثين بل المئات منهم من كل أنحاء العالم. من هنا يمكن وصف موسوعتنا بالمختصرة لأنها لن تتوقف إلا عند المحطات المهمة في تاريخ الأديان. فلاختصار هنا لا يعني الاختصار وإنما الاختصار. ولقد عمدت إلى جمع مواد الموسوعة من عدد متنوع من المراجع الموسوعية والمتخصصة، متبعاً في اختيار كل مادة معيار المستوى العلمي وبساطة تناول وحسن التوصيل. مع التضحية أحياناً بهذا الجانب على حساب الآخر، لأن الموسوعة موجهة إلى أوسع شريحة ممكنة من القراء، قد تتفاوت عناصرتها من طلاب وأساتذة الدراسات العليا إلى القارئ العادي غير المتخصص والراغب في الاطلاع. ولا شك في أن إرضاء كل الفئات أمر يصعب بلوغه ولكن يمكن مقارنته. قد يجد القارئ غير المتخصص في بعض الموضوعات صعوبة. وقد يجد المتخصص في بعضها الآخر تبسيطاً.

مع تعدد المساهمين في مواد الموسوعة، حرصت أيضاً على تعدد المترجمين الذين عهدت إليهم بالمادة كل حسب ميله وخلفيته ومزاجه. وقدمت إليهم ما استطيع من مشورة وتعاون خلاق لجعل موسوعتنا ثمرة تعاون جمهرة من الباحثين الكبار، والمترجمين الأكفاء الذين عملوا معي بداعي المسؤولية العلمية والثرغية في رؤية هذا العمل مطبوعاً ومنتشراً على أوسع نطاق.

